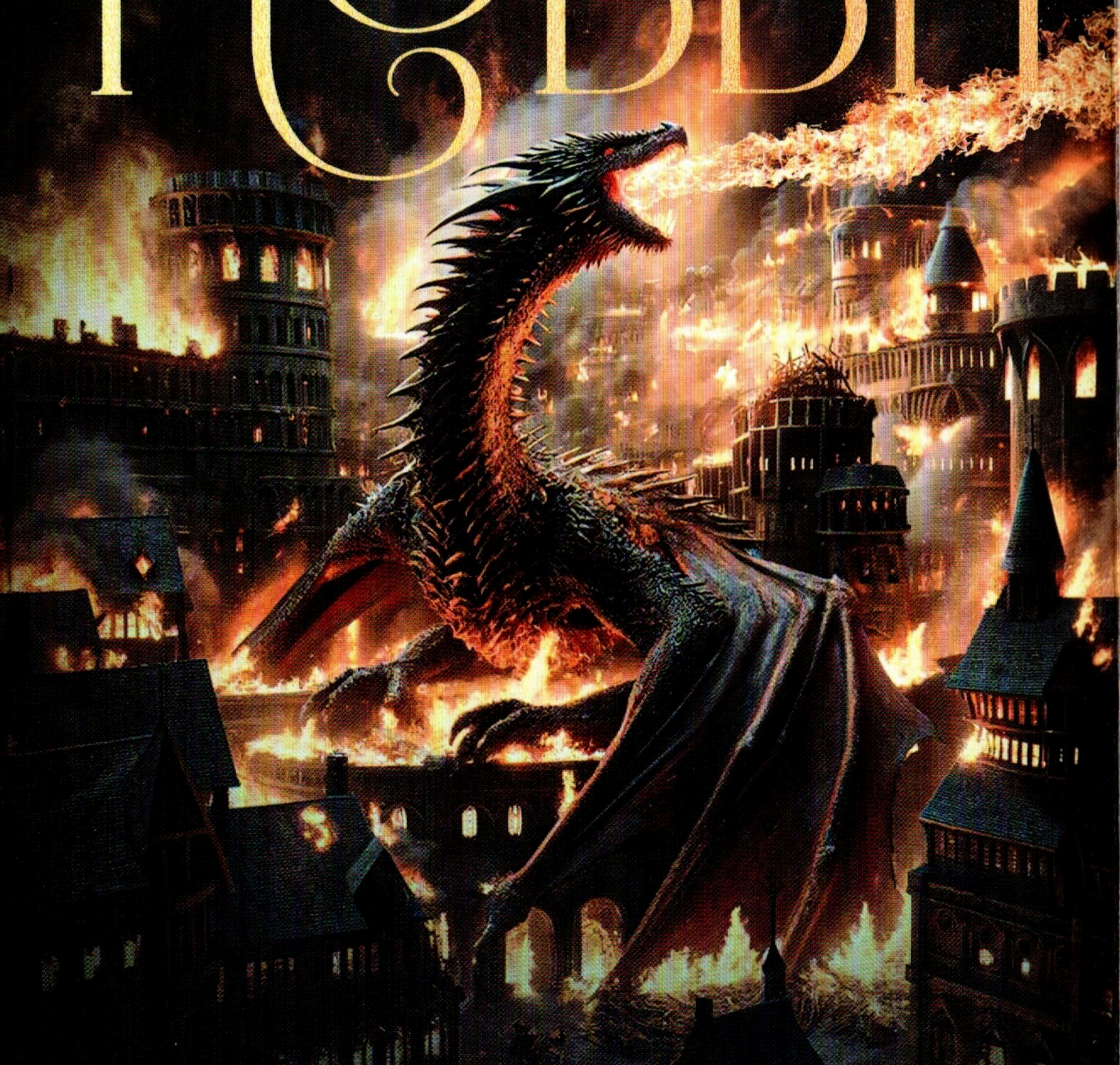


# الكلوب بيتت THE HOBBIT



عصير  
الكتب

ج. ر. ر. تولكين

ترجمة: أسامة أبو ترابة

ضياء  
t.me/twinkling4



# الهوبيت THE HOBBIT

"جمع هذا الكتاب عدة أشياء محببة لم يسبق لها أن اجتمعت: بعض الفكاهة، فهم الأطفال والمزج المرح للبحوث في أغاني الفولكلور".

- الناقد والكاتب سي. إس. لويس  
مؤلف مدونات نارنيا

"هذا هو الكتاب الخيالي الأكثر أصالة وبهجة منذ زمن بعيد. حكاية مجيدة لمغامرة عظيمة تمتلئ بالتشويق الممتزج مع قدر من المرح يجعلها لا تقاوم".

- The New York Times

"أحد أفضل القصص التي كتبت هذا القرن".

- الشاعر و. ه. أودين

"أصبح الهوبيت هو البطل الأدبي الجديد لشباب الجامعات".

- The Times

"لعل إثارة الفيلم كانت مرضية، لكن القارئ لن يجدها ترقى إلى عبقرية هذا العمل".

- The Guardian



الهوبيت  
HOBBIT





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.eseralkotb.com

- ترجمة: أسامة أبو ترابة
- تحرير: محمد الدواخلي
- تدقيق لغوي: محمد عبد العال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير/ 2024م
- رقم الإيداع: 13041/ 2023م
- الترخيم الدولي: 1-275-992-977-978
- العنوان الأصلي: The Hobbit
- العنوان العربي: الهوبيت
- طبع بواسطة:
- Originally published in the English language by HarperCollins Publishers Ltd. Under the title The Hobbit
- حقوق النشر:
- Copyright © The Tolkien Estate Limited 1937, 1965
- "J.R.R Tolkien asserts the moral right to be acknowledged as the author of this work"
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب  
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار «عصير الكتب»  
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية  
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.



# الهوبيت THE HOBBIT

ج. ر. ر. تولكين

ترجمة: أسامة أبو ترابة



جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد  
<https://t.me/twinkling4>



## ملاحظة الكاتب

PM·HFBBIT

FR

PMRM·F+D·BFHh·FXFI+

حدثت هذه القصة منذ زمن بعيد. في ذلك الوقت كانت اللغات والحروف مختلفة تمامًا عن لغاتنا اليوم. ويمكننا ملاحظة النقطتين التاليتين:

1 - أنَّ الأقرام الذين نتحدث عنهم في هذه الحكاية هم من الشعب القديم الذي ينتمي إليه ثورين أو كنشيلد، ومن ثمَّ فإنهم يختلفون عن الأقرام المعروفين في الحكايات القديمة.

2 - كلمة (أورك) ليست كلمة إنجليزية مع أنها لا تُذكر في الحكاية سوى مرَّة أو اثنتين، وعادة ما تُترجم (جويلن أي عفريت) أو (هوبجوبلن للأنواع الأكبر أي الجنِّي البشع). أمَّا كلمة أورك فهي الصيغة التي أطلقها الهوبيت، في ذلك الوقت، على هذه المخلوقات، وهي لا ترتبط على الإطلاق مع أورك الإنجليزية التي تشير إلى حيوانات بحرية تُشبه الحيتان أو الدلافين.



- الرونية هي أحرف قديمة كانت تكتب بالأساس بطريقة الشطب أو الحفر على الخشب أو الحجر أو المعدن. ومن ثَمَّ فقد كانت رفيعةً جدًّا وذات زوايا حادَّة. وفي زمن هذه الحكاية. كان الأقرام فقط هم من حافظوا على استخدامها بانتظام، خاصَّةً في السجلات الخاصَّة أو السريَّة. ومُثلَّت الرونية الخاصَّة بهم في هذا الكتاب بالرونية الإنجليزية، والتي لم تُعد معروفة الآن إلا لعدد قليل من الناس. وإذا قُورِنَت الأحرف الرونية الموجودة على خارطة ثرور بالنصوص المكتوبة بأحرف حديثة، عندها يمكن اكتشاف الأبجدية الملائمة للإنجليزية الحديثة، وقراءة العنوان أعلاه والمكتوب بالرونية. ومن ثَمَّ العثور على جميع الأحرف الموجود على الخارطة، وبذلك يمكننا أن نعرف بأنَّ الباب السري قد تميَّز بالحرف ∞. وعلى جانب الخارطة كانت هناك يدٌ تشير إلى هذا الحرف، وتحتها كُتِبَ:

∞ I N M ∞ R ↑ N I X N ∞

∞ M ∞ M R ∞ F ∞ ∞ P R R ∞ F ∞ P F I h ∞ F B R M F 4 ↑ ∞ P ∞

أمَّا الحرفان الرونيان المكتوبان في آخر السطر فهما يشيران إلى الأحرف الأولى من أسماء ثرور وثرين.

أمَّا الأحرف الرونية القمرية التي قرأها إيلروند فكانت:

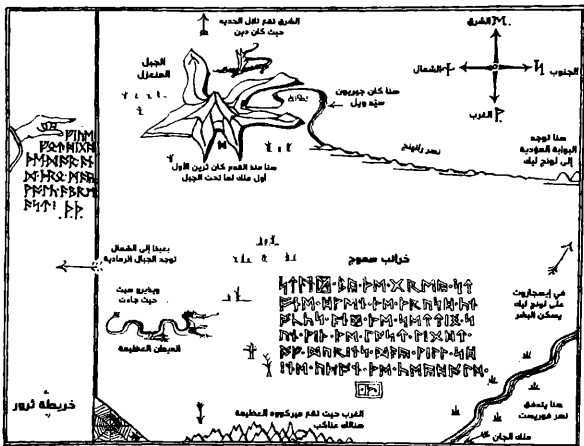
4 ↑ F ∞ ∞ B ∞ ∞ M X R M ∞ ∞ ↑ F ∞ M ∞ P M ∞ ∞ M P R N 6 H ∞ ∞ F ∞ ∞ ∞ ∞ F ∞

∞ ∞ M ∞ ∞ M ↑ ↑ I R ∞ ∞ N ∞ P I ∞ ∞ M ∞ F F 4 ↑ ∞ I X N ↑ ∞ F ∞ ∞ N R I ∞ ∞ M F B

P I I ↑ ∞ ∞ M I ∞ M ∞ N K F ∞ ∞ ∞ M ∞ M B ∞ M F I M

- تميَّزت نجمة الاتجاهات على الخريطة بالأحرف الرونية أيضًا، مع الانتباه إلى أن الشرق دائمًا يتجه إلى الأعلى كما هي العادة في خرائط الأقرام، ومن ثَمَّ تُقرأ بقية الاتجاهات باتجاه عقارب الساعة أي: الشرق، الجنوب، الغرب، الشمال.





خريطة ثرور









## الفصل الأول

### رحلة غير متوقّعة

في حفرةٍ في الأرضِ عاش هُوبيت. ليست حفرةً طينيةً قدره، تملأها فضلات الديدان، وتفوح بالعفونة. وليست كذلك حفرة رمليةٍ جرداء قاحلة، لا تحوي أثنائاً يمكن الجلوس عليه، أو طعاماً يصلح للأكل. كانت حفرة هوبيت، ومن ثمّ فهي تشتمل على وسائل الراحة والرفاهية.

لها بابٌ مدورٌ تماماً مثل الكوّة، ومطلبيّ باللون الأخضر، في منتصفه مقبضٌ من النحاس الأصفر البرّاق. يفتح هذا الباب على ممرٍّ أنبوبي كالنفق: لكنه نفقٌ مريحٌ جداً من دون عتمة أو غبار، له جدران مغطّاة بالألواح الخشبية، وأرضيات مبلّطة ومفروشة بالسجاد، وقد جهّز بالكراسي الملمّعة، والكثير الكثير من المشاجب التي تُعلّق عليها القبعات والمعاطف. فقد كان هذا الهوبيت مولعاً بالضيوف. يتعمّق النفق إلى الداخل ويمضي بسلاسة (لكنّ ليس باستقامة) على جانب التلّ، (التلّ هو التسمية التي يعرف بها في كل ما حوله لأميال) يشتمل النفق من جانبه على عدّة أبوابٍ دائرية صغيرة تفضي إلى بقية الغرف. لا يصعد الهوبيت السلالم، فغُرف النوم، والحمامات،



والأقبية، وغرف المؤونة (التي لديه منها الكثير)، والملابس (حيث كانت لديه غرفة كاملة مخصصة للملابس فقط)، والمطابخ، وغرف الطعام، كلها كانت في الطابق نفسه، أو بالحقيقة هي في الدهليز نفسه. لكن أفضل غرف بينهم، هي التي على الجانب الأيسر، فهي الوحيدة التي تحتوي على نوافذ. فتطلُّ نوافذها الدائرية على حديقته، وعلى ما خلفها من المروج المنحدرة نحو النهر.

كان هذا الهوبيت واحدًا من الهوبيت الأثرياء، واسمه «باجينز». عاشت عائلة باجينز في هذا الحيّ المسمى بالتلّ منذ زمنٍ طويل، وقد احترمهم الناس كثيرًا، ليس فقط لثراء معظمهم، بل لأنهم لم يخوضوا أي مغامرات أو تصدر منهم أي أفعالٍ غريبةٍ وغير متوقعة: بإمكانك معرفة ما سيقوله أيُّ باجينزي عن أي موضوع دون عناء الطلب منه أو سؤاله. وإليك القصة الكاملة حول كيفية قيام أحد الباجينز بمغامرة، فلقد وجد نفسه يقول ويفعل أشياء مفاجئة ومُستهجنة. ربما فقد احترام بعض الجيران له، لكنه نال الكثير، وستعرفون إن كان قد اكتسب شيئًا في النهاية أو لا.

والدة هوبيتنا الاستثنائي هذا هي...

لكن مهلاً، ما هو الهوبيت؟ أعتقد أن الهوبيت يحتاجون إلى بعض الوصف في هذا الزمن، بما أن وجودهم أصبح نادرًا بيننا اليوم، ولأنهم حذرين من «الناس الكبار»، وهو الاسم الذي يطلقونه علينا نحن البشر. إن هؤلاء الهوبيت (أو بالأحرى كان هؤلاء الهوبيت) ناسٌ صغارُ القامة، يبلغ طول الواحد منهم نحو نصف طولنا نحن البشر العاديين، لكنهم أصغر من الأقران الملتحين، ليست للهوبيت لحي أيضًا، ولا يحيط بهم أي نوع من أنواع السحر، باستثناء السحر اليومي العادي الذي يساعدهم على الاختفاء بهدوء وخفية عندما يقترب منهم وقع أقدام أحد الأغبياء الكبار مثلي ومثلكم، مُصِدِّرًا ضجيجًا كالقيلة يمكن للهوبيت سماعها عن بُعدٍ ميلٍ تقريبًا. والهوبيت ميالون إلى البدانة في منطقة البطن. يرتدون ملابس بألوانٍ زاهية (الأخضر والأصفر في الأغلب)، ولا يرتدون الأحذية، لأن أقدامهم تنمو بشكل طبيعي كنعال جلدية يكسوها شعر



بني كثيف يحميها ويدفئها. ويكون هذا الشعر أجعد مثل شعر رؤوسهم. يمتلكون أصابع طويلة ماهرة وبارعة، ووجوه لطيفة، يضحكون من أعماق قلوبهم بضحكات ممتعة، (خاصة بعد طعام الغداء الذي يتناولونه مرّتين في اليوم عندما يستطيعون تأمينه). الآن أصبحتم تعرفون بما فيه الكفاية عن الهوبيت لكي تستمرّوا معنا في سماع الحكاية. كما كنت أقول، فإنّ والده هذا الهوبيت -بيلبو باجينز- هي الرائعة بيلادوناً توك، واحدة من بنات "أولد توك" الثلاث الحسنات. كان «أولد توك» زعيم الهوبيت الذين أقاموا على ضفاف «ذا ووتر»، وهو نهْرٌ صغير يجري عند سفح التلّ. كثيرًا ما يقال (من قبل بقية العائلات)، إنّ أحد أسلاف التوك، قد تزوّج بفتاة جيّنة منذ زمن بعيد. بالطبع هذا كلامٌ سخيف، لكنّ من المؤكّد أنّ التوك يتمتّعون بمواصفات لا تشبه بالمطلق بقية الهوبيت. وإذا حدث مرّة أن أراد أحد أفراد عشيرة التوك القيام بمغامرة ما، فإنّه يذهب خلسة، والعائلة تتكتم عليه. لكنّ تظل حقيقة باقية أن عائلة توك لم تحظْ بقدر الاحترام نفسه الذي حظيت به عائلة باجينز. على الرغم من أنّ التوك أكثر ثراءً من الباجينز. لم تخض بيلادوناً توك قط أي مغامرات بعد أن أصبحت زوجة بانجو باجينز. والد بيلبو، الذي بنى لها أفخم هوبيتول (أي حفرة هوبيت)، وقد شاركت جزئيًا بأموالها في بناء هذه الحفرة، التي يمكن الوصول إليها، إمّا من تحت التل، وإمّا من فوق التل أو عبر «ذا ووتر»، وهناك بقيا إلى آخر أيامهما.

على الرغم من أن ابنها الوحيد، بيلبو، يبدو ويتصرّف تمامًا كأنه نسخة ثانية عن أبيه الصارم الأنيق، فإنّه لا يزال من المرجّح أن يكون قد حصل على مسحة غريبة في بنيته من جهة أخواله آل توك. كأن في داخله شيئًا ينتظر الفرصة فقط للخروج، لكنّ هذه الفرصة لم تجنْ بعد، إلى أن كبير بيلبو باجينز، وقد أصبح الآن بعمر خمسين سنة أو نحو ذلك، وما زال يعيش في هوبيتول الجميلة التي بناها أبوه، والتي وصفتها لك منذ قليل. لم تأتِ الفرصة بالفعل حتّى لأصبح مستقرًا في جمود تامّ.

ذات صباح بعيد، في طمأنينة هذه الدنيا، ومن خلال مصادفة غريبة. حينما كانت الضوضاء قليلة والخضرة تملأ الأرض، وكانت لا تزال أعداد



الهوبيت كثيرة ومُزدهرة. بعد تناول الفطور كان بيلبو باجينز واقفاً عند الباب يدخنُ بغليونٍ خشبيٍّ ضخمٍ وطويل يصل تقريباً إلى أصابع قدميه المغطاة بالشعر المصنّف بعنايةٍ فائقة. عندما زاره.

جاندالف! إذا كنتم قد سمعتم فقط ربع ما سمعته عنه، مع أنني لم أسمع سوى القليل من كل ما يحكى، فيجب أن تكونوا مستعدين لذلك النوع الاستثنائي من الحكايات التي سأقصُّها عليكم. أي مكان يذهب إليه جاندالف تنتشر فيه الحكايات والمغامرات، بنمطٍ استثنائيٍّ رائع، لم يكن قد نزل ذلك الطريق أسفل التلِّ منذُ زمانٍ طويل، ليس منذُ وفاة صديقه «أولد توك». وللأمانة فقد كاد الهوبيت ينسون شكله، لقد كان بعيداً عن التلِّ وعبور «ذا ووتر» في مَهَامِه منذُ أن كانوا صغاراً، فقد كانوا وقتها، لا يزالون صبيان هوبيت، وبنات هوبيت.

كلُّ ما رآه بيلبو الغافل ذلك الصباح كان رجلاً عجوزاً يحمل عصاً، ويرتدي قُبْعَةً زرقاء طويلةً ومدبَّبة، وعباءة رمادية طويلة، وشاحاً فضياً يتدلَّى من فوق لحيته البيضاء ليصل إلى ما دون خصره، وحذاءً أسود ضخماً.

قال بيلبو: «نهار سعيد!» وكان يعني ذلك بالضبط فقد كانت الشمس ساطعةً والعشب يانع الخضرة. لكنَّ جاندالف نظر إليه من تحت حاجبيه الكَثِينِ اللذين يمتدَّان إلى حدود حافة قُبْعَتِهِ الظليلة، وقال: ماذا تقصد؟ هل تتمنى لي نهاراً سعيداً فعلاً، أو أنك تعني أنه نهارٌ سعيدٌ شئت أم أبيت، أو أنك تشعر بالسعادة هذا النهار، أو أنَّ النهار هكذا، كله خير.

أجابه بيلبو: كل هذه الأشياء مجتمعةً. أضف إلى أنه صباحٌ جميلٌ جداً، يدعوك إلى تدخين غليونٍ من التبغ في الهواء الطلق. إذا كان لديك غليون تفضّل واجلس وأنا سأملأه لك من عندي! لسنا في عجلةٍ من أمرنا، فما زال أمامنا اليوم كلُّه! بعدها جلس بيلبو على مقعدٍ بجانب باب بيته، واضعاً ساقاً على ساق، ونفخ من فمه حلقةً رماديةً جميلةً من الدخان، أبحرت في الهواء دون أن تتبدّد وحلقت بعيداً فوق التلِّ.



قال جاندالف: جميلةٌ جدًّا، لكنْ ليس لديّ الوقت لنفثِ حلقاتِ الدخانِ هذا الصباح، إنني أبحث عن أحدٍ ما ليشاركني مغامرةً أعمل على ترتيبها، ومن الصعب جدًّا العثور على هذا الشخص.

قال السيد باجينز: لا يسعني إلا أن أوافقك الرأي -في هذه الأنحاء! نحن شعبٌ مسالم بسيط ولا حاجة لنا إلى المغامرات، فيها أشياء مقرفة، مربكة، ومزعجة! تجعلك تتأخّر عن موعد العشاء! ولا يمكنني أن أتصوّر، كيف يمكن لشخص ما أن يعجب بهذه الأشياء!

ووضع إبهامه خلف حمالة سرواله، ونفث حلقة دخان أكبر من الأولى. ثمّ أخرج رسائله الصباحية، وبدأ بالقراءة، متظاهرًا بعدم الاهتمام أكثر بالرجل العجوز. لقد قرّر أنه لم يكن من الصنف الذي يناسبه، ورجب لو يرحل عنه ويتركه وشأنه. لكنّ الرجل العجوز لم يتحرّك، وبقي واقفًا في مكانه، متكئنًا على عصاه، محدقًا إلى الهوبيت، دون أن ينبس ببنت شفة، إلى أن بدا بيلبو قلقًا، وبان عليه بعض الاستياء.

وقال أخيرًا: نهار سعيد! لا نريد أيّ مغامرات هنا، شكرًا لك! بإمكانك أن تحاول التفتيش بعيدًا عن التلّ أو عبر «ذا ووتر». وكان يقصد بهذا الكلام، بأن المحادثة بينهما قد انتهت.

قال جاندالف: ما أكثر الأشياء التي تستخدم عبارة نهار سعيد من أجلها! وأفهم من كلامك، بأنك تريد التخلّص منّي، ولن ترتاح حتّى أبعد من هنا.

- لا أبدًا، لا أبدًا، يا سيدي العزيز! دعني أرى، لا أعتقد أنني أعرف اسمك؟
- نعم، نعم، يا سيدي العزيز - أنا أعرف اسمك، السيّد بيلبو باجينز. وأنت تعرف اسمي، على الرغم من أنك لا تتذكّر بأنني أنتمي إلى ذلك الاسم. فأنا جاندالف، وجاندالف هو أنا! أعتقد أنه كان عليّ أن أعيش ليقول لي ابن بيلادونًا توك نهارات سعيدة، كما لو كنتُ بائع أزرارٍ عند الباب.
- جاندالف، جاندالف! فلتعذرني! ألسّت الساحر الجوّال الذي أعطى أولد توك زوجًا من الأزرار الماسّيّة السحرية التي كانت تربط نفسها بنفسها، ولا تنفكّ إلا عندما كان يأمرها؟ ألسّت الشخص الذي اعتاد



سرد الحكايات الرائعة في الحفلات، والتي كانت تحكي عن التنانين والجويلين والعمالقة وتحريير الأميرات، والتوفيق المفاجئ لأبناء الأرامل؟ ألسنت ذلك الرجل الذي اعتاد بشكلٍ خاص صنع الألعاب النارية الفاخرة! وأذكر أيضًا! بأن أولد توك اعتاد إطلاق تلك الألعاب في ليلة منتصف الصيف، فقد كانت شيئًا رائعًا! إذ كان يطلقهم إلى الأعلى فيتشكّلون على هياث زنابق ضخمة وشظايا كبيرة وأشجار الأبنوس النارية، وكانت تبقى معلّقة في الشفق طوال المساء، ثم تتلاشى بعد ذلك. (ستلاحظون ممّا سبق بأنّ السيد باجينز لم يكن مُبتدئًا تمامًا في الشرح كما كان يعتقد، وقد كان مغرمًا جدًا بالورود). يا عزيزي! ألسنت جاندالف المسؤول عن ذهاب الكثير من الفتيان والفتيات الهادئين إلى منطقة بلو من أجل مغامراتٍ مجنونة. والقيام بأشياء من قبيل، تسلُّق الأشجار إلى زيارة الجان -أو الإبحار في السُّفن، والإبحار إلى شواطئ غريبة. يا إلهي! ونحن معتادون حياة التخفي هنا -أعني، أنك ذات مرّة عملت على إزعاج المخلوقات بشكلٍ سيئ في هذه الأثناء. لذا أستميحك عذرًا، لكنّ لم تكن لديّ أدنى فكرة بأنك ما زلت تزال المهنة نفسها.

قال الساحر متهكمًا: وأين يجب أن أكون أيضًا؟ ثمّ تابع: رغم كلِّ ذلك، يسعدني أنك ما زلت تتذكّر شيئًا عنّي. يبدو أنك تتذكّر ألعابي النارية على نحوٍ جيد. على أي حال، فالأرض لا تخلو من الأمل، وللحقيقة سأعطيك ما طلبته، كرمًا لذكرك جِدُّك العجوز توك، وأمك المسكينة بيلادونا.

- أستميحك عذرًا، لم أطلب منك شيئًا.

- نعم طلبت، لقد التمسست عفوي الآن مرّتين! وأعطيتك إياه، في الحقيقة، سأسعى جاهدًا إلى إرسالك في هذه المغامرة. بقدر ما هي مسليّة لي، ستكون نافعة جدًا لك، ومربحة أيضًا، وواعدة جدًا، إذا استطعت تجاوز الأمر.



- آسف! لا أريد أي مغامرات، شكرًا لك. ليس اليوم. نهار سعيد! لكن رجاء  
تفضّل لشرب الشاي في -أي وقتٍ تريد! لما لا يكون في الغد؟ تعال  
غداً! إلى اللقاء!

عند ذلك استدار الهوبيت منزلقًا داخل بابه الأخضر المستدير، وأغلق  
الباب بأقصى سرعة جرّو عليها دون أن يظهر وقاحة، فرغم كل شيء يبقى  
السحرة سحرة.

قال لنفسه وهو يتجه نحو غرفة المؤونة: بحق السماء، لماذا طلبت منه  
أن يأتي ويشرب الشاي، كان قد تناول فطوره منذ قليل، لكنه فكّر بأن كعكةً  
أو اثنتين وشرب شيء ما سيفيده بعد خوفه، في هذه الأثناء كان جاندالف  
لا يزال واقفًا خلف الباب، يضحك لكنّ بهدوء. بعد مدّة من الوقت تقدّم نحو  
الباب، وبطرف عصاه، حفر علامةً غريبةً على باب الهوبيت الأمامي الأخضر  
الجميل، ثمّ حثّ الخطى مبتعدًا، في الوقت نفسه الذي كان فيه بيلبو ينهي  
كعكته الثانية. وبدأ يفكّر بأنه قد أفلت من المغامرة بطريقةٍ جيدةٍ للغاية.

في اليوم التالي كاد ينسى أمر جاندالف، فهو لا يتذكّر الأشياء جيدًا، إلا  
إذا دوّنها على دفتر المواعيد: مثل هذا: جاندالف؟ الأربعاء، لكنه بالأمس كان  
مرتبكًا جدًّا لفعل شيءٍ من هذا القبيل. وقبل وقت شرب الشاي بقليل، جاء  
صوت رنينٍ هائل من جرس الباب الأمامي، عندها فقط تذكّر! فهرع وأحضر  
الغلاية، ثمّ أخرج فنجانًا آخر مع صحنه وأضاف كعكة أو اثنتين، ثمّ ركض  
نحو الباب.

كان ينوي أن يقول للضيف: أنا آسف فقد جعلتك تنتظر على الباب! عندما  
رأى أنه لم يكن جاندالف على الإطلاق. كان قزمًا بلحية زرقاء مطوية تحت  
حزامٍ ذهبي، وعينين لامعتين للغاية تحت قلنسوته الخضراء الداكنة، وقد  
اندفع القزم إلى الداخل بمجرد انفتاح الباب، كما لو كان في انتظاره.

علّق القزم عباءته ذات القلنسوة في أقرب مشجب، وقال مع انحناءٍ  
بسيطة: دوالين في خدمتك!



بالمثل قال الهوبيت: بيلبو باجينز في خدمتك! وقد أخذته المفاجأة فلم يستطع أن يطرح أي أسئلة. وعندما أصبح الصمت الذي أعقب ذلك مزعجًا، أضاف: أنا على وشك تناول الشاي، هلأ شاركتني في تناول بعضه معي؟ ربما كان فضلًا بعض الشيء، لكنه كان يقصد اللطف في ذلك. ماذا ستفعل، لو جاء إليك قزم غير مدعوٍ وعلّق أشياءه في صالتك، دون أن يفسّر ذلك ولو بكلمة.

لم يجلسا طويلًا إلى المائدة، في الحقيقة لم يكونا قد وصلا إلى الكعكة الثالثة بعد، عندما جاء صوت رنينِ الجرس أعلى من الأول.

المعذرة! قالها الهوبيت وهو ينطلق نحو الباب.

أخيرًا وصلت، هذا ما كان سيقوله لجاندالف في الحال. لكنه لم يكن جاندالف. بدلًا منه كان يقف على الدرج قزمٌ كبيرٌ في السن، بلحية بيضاء، وقلنسوة قرمزية، وهو أيضًا قفز إلى الداخل بمجرد انفتاح الباب، كما لو كان مدعوًا.

قال القزم عندما لمح قلنسوة دوالين الخضراء معلقةً: أرى أنهم قد بدؤوا بالوصول فعلاً.

ثمّ علّق أرديته الحمراء بجانبها، وتابع يقول وهو يضع يده على صدره: بالين في خدمتك!

قال بيلبو: شكرًا لك.

لم يكن الردّ الأمثل لكنّ جملة «إنهم بدؤوا بالوصول» أصابته بالمزيد من الارتباك. صحيح أنه يحبُّ الزوّار، لكنه يريد التعرّف إليهم قبل وصولهم، ويفضّل أن يدعوهم بنفسه، كما أتاه خاطر مروّع أن الكعك قد لا يكفيهم وبصفته المضيف: فهو يعرف واجبه، و متمسكٌ به، مهما كان مؤلمًا، فقد يضطرُّ إلى الاتكال على نفسه وتدبُّر أموره دون مساعدة أحد.

تمبّكن أخيرًا بعد نفس عميق من القول: تفضّل بالدخول، واشرب قليلاً من الشاي!



ردَّ بالين ذو اللحية البيضاء: أفضّل القليل من البيرة فهي تُناسبني أكثر،  
إذا كان الأمر سيئين عندك، يا سيدي العزيز، ولا أمانع إن أخذت معها بعض  
الكعك المحشو ببذور الذرة، إن كان لديك منها.

يوجد منها الكثير! هكذا وجد بيلبو نفسه يجيب، بشكلٍ فاجأه هو نفسه.  
ووجد نفسه أيضًا يهرول نازلًا إلى القبو، ليملاً نصف صاعٍ من البيرة، وإلى  
حجرة المؤن لإخراج اثنتين من الكعكات المستديرة الجميلة المحشوة بالذرة  
والتي كان قد خبزها بعد ظهر ذلك اليوم، من أجل لقمة ما بعد العشاء.

عندما عاد، وجد بالين ودوالين جالسين إلى الطاولة يتحدثان كصديقين  
قديمين (في الحقيقة هما أخوان). وضع بيلبو البيرة والكعك أمامهما، وإذا  
برنين الجرس يعلو ثانية، رنةٌ ثم رنةٌ أخرى.

لا بُدَّ أن يكون جاندا لف هذه المرّة، هكذا كان يفكّر وهو ينفخ متذمّرًا على  
طول الممرّ. لكنه لم يكن هو، بل كانا قزمين آخرين، كليهما بقلنسوة زرقاء،  
وأحزمة فضية، ولحى صفراء. وكلُّ واحدٍ منهما يحمل حقيبة أدواتٍ ومجرفة.  
قفزا بسرعة إلى الداخل، بمجرد أن بدأ بفتح الباب، لكنّ هذه المرّة لم يكن  
بيلبو مدهوشًا على الإطلاق.

قال لهما: بِمَ أستطيع أن أخدمكما أيها القزمان؟

قال الأول: كي لي في خدمتكم!

أضاف الآخر: وفيلي!

كلاهما ردَّ قلنسوته الزرقاء إلى الوراء وانحنى أمام بيلبو.

أجابهما بيلبو: وأنا في خدمتكم وخدمة أهليكم.

مُسترجعًا شيئًا من أخلاقه الحميدة هذه المرّة.

قال كي لي: أرى أنّ بالين ودوالين قد سبقانا إلى هنا، دعونا ننضمُّ إلى  
الحشد.

قال السيد باجينز لنفسه مستغربًا: الحشد! لا يبدو الأمر لطيفًا. عليّ أن  
أجلس دقيقةً مع نفسي، أشرب فيها شيئًا ما، وأستجمع فطنتي.



لم يأخذ سوى رشفة واحدة فقط بعدما جلس في الزاوية، تاركًا الأقرام الأربعة حول الطاولة، يتحدثون عن الكنوز والذهب ومشكلاتهم مع الجوبلين وأعمال السلب التي قامت بها التنانين، والكثير من الأشياء الأخرى التي يجهلها، ولم يكن راغبًا في معرفتها. فقد بدت حماسية أكثر مما يجب، حينما رنَّ جرس بابهِ من جديد، دينج-دونج-آ-لينج-دانج، كأن شقيًا من أولاد الهوبيت يحاول خلع مقبض الباب.

قال بيلبو وهو يغمض عينيه متذمّرًا: أحدٌ ما بالباب!

فردَّ عليه فيلي: نحو أربعة، هذا ما أحمّنه من خلال الأصوات، إلى جانب أننا رأيناهم من مسافة بعيدة وهم يأتون خلفنا.

جلس الهوبيت المسكين الصغير في الصالة واضعًا رأسه بين يديه، ناهلًا ممًا حدث، وما سيحدث، وما إذا كانوا سيبقون كلهم لتناول العشاء. ثمَّ رنَّ جرس الباب مرّةً أخرى ولكنها كانت أعلى من المرّات السابقة، ممًا اضطرَّه إلى الركض نحو الباب. بعد كل هذا لم يكونوا أربعة فقط، أصبحوا خمسة، إذ انضمَّ إليهم قزمٌ آخر بينما كان بيلبو يجلس ناهلًا في الصالة، بالكاد أدار مقبض الباب)، وكالعادة كانوا جميعًا في الداخل، ينحنون ويقولون، نحنُ في خدمتك، واحدًا تلو الآخر. دوري، دوري، أوري، أوين، وجلوين تلك كانت أسماءهم. سرعان ما أصبح هناك قلنسوتان برتقاليتان، وقلنسوة رمادية وقلنسوة بُنيّة، وأخرى بيضاء معلّقين جميعهم على المشاجب. بعدها تقدّموا واضعين أيديهم العريضة على أحزمتهم الذهبية والفضية للانضمام إلى الآخرين. في ذلك الحين أصبحوا حشدًا. بعضهم طلب البيرة، والبعض الآخر طلب النبيذ الأسود، وأحدهم طلب قهوة، وكلهم طلبوا الكعك، لذلك ظلَّ الهوبيت مشغولًا لفترةٍ من الوقت.

وضعوا إبريقًا كبيرًا من القهوة فوق الموقد بشكلٍ سيئ، أمّا الكعكات المحشوة ببذور الذرة فقد اختفت كلها، وبدأ الأقرام جولةً جديدةً مع فطائر الزبدة، في هذه الأثناء جاءت طرقة عالية على الباب، ليست على حلقة الباب،

بل طريقة قوية على باب الهوبيت الأخضر الجميل. أحدهم كان يقرع الباب بعضاً!

أسرع بيلبو على طول الممرِّ وقد كان غاضباً ومرتبكاً تماماً، ينفخ ويقول في سرِّه أن هذا أكثرَ يومٍ أربعاءً محرَّجٍ يتذكَّره على الإطلاق. فتح الباب وسحبه بيد مرتعشة، فسقط كلُّ من كان خلف الباب، فوق بعضهم بعضاً. المزيد من الأقرام، أربعة آخرين! وكان جاندالف خلفهم، متكئاً على عصاه ويضحك. بالمناسبة، كان جاندالف قد أحدث تجويفاً عميقاً على الباب الجميل، بعد أن أزال العلامة التي وضعها على الباب صباح أمس.

قال جاندالف احترس! احترس! ثم أضاف، لست أنت يا بيلبو من يجعل الأصدقاء ينتظرون على العتبة، وبعدها تفتح الباب بسرعةٍ مثل القذيفة! دعني أعرفك عليهم، بيفور، بوفور، بومبور، وبصورةٍ خاصَّةٍ ثورين!

في خدمتك، قالها بيفور وبوفور وبومبور وهم واقفون بصفٍّ واحد، ثم علَّقوا قلنسوتين صفراوين، وواحدة خضراء شاحبة، وقلنسوةٍ أخرى بلونٍ أزرق سماوي لها شُرابة فضية طويلة، هذه الأخيرة تعود إلى ثورين، وهو قزم بالغ الأهمية، في الحقيقة لم يكن سوى ثورين أوكنشيلد العظيم نفسه، وقد كان في أشدِّ الانزعاج من السقوط على عتبة بيلبو، وفوقه بيفور وبوفور وبومبور فوقهم جميعاً. لأن بومبور كان سميناً وثقيلاً، هذا من ناحية. ومن ناحيةٍ أخرى، فقد كان ثورين في الحقيقة شخصاً في غاية التكبر، ولم يقل شيئاً عن الخدمة. أمَّا المسكين بيلبو باجينز، فقد كرَّر أسفه عدَّة مرَّات، حتَّى أضجر ثورين الذي صاح به، أتوسَّل إليك ألا تعيد ذكر ذلك، وتوقَّف عن العبوس.

قال جاندالف: الآن كلنا هنا! وهو ينظر إلى صفٍّ من ثلاث عشرة قلنسوة وقبعته المعلَّقين جميعهم على المشاجب، وقال في سرِّه: أفضل مجموعة قلانس، ثم تابع يقول: يا له من لقاءٍ يبعث على السعادة. أتمنَّى أن يبقى شيء من الطعام والشراب لضيف آخر الليل! ما ذلك الشيء؟ شاي! لا شكراً لا أريد! أتأمِّل بعض النبيذ الأحمر لي.



قال ثورين: ولي أيضًا.

قال بيفور: مربى التوت البري وفطيرة التفاح.

قال بوفور فطائر اللحم المفروم والجبن.

قال بومبور: فطائر لحم الخنزير مع السلطة.

وصاح بقية الأقرام عبر الباب، المزيد من الكعك، والبيرة، والقهوة، إذا لم يكن لديك مانع.

وبينما كان الهوبيت يتجول في غرف المئونة، صاح جاندالف من خلفه: أضف إلى كل ذلك القليل من البيض، أيها المضيف الطيب! واجلب لنا الآن لحم الدجاج البارد مع المخللات.

قال السيد باجينز محدثًا نفسه: يبدو أنه يعرف ماذا يوجد في مخازني مثلما أعرفهم أنا!

كان زاهلاً بالتأكيد، وبدأ يتساءل عما إذا كنت أتعس المغامرات قد وصلت إلى بيته بالخطأ.

جلب كلَّ القناني والصحون والسكاكين والشوك والأدح والأطباق والملاعق وبقية الأشياء، فكومهم جميعًا في صوانٍ كبيرة. وقد اشتعل دمه واحمرَّ وجهه من شدة الغيظ والانزعاج.

ثمَّ صاح بصوت عالٍ: لقد تحيرت في أمر هؤلاء الأقرام المزعجين، ما بالهم لا يأتون ويقدمون يد المساعدة؟ وما هي إلا برهة! حتى رأى كلًّا من بالين ودوالين عند باب المطبخ، وخلفهما كيللي وفيلي. وقبل أن ينطق بكلمة سكين، كانوا قد نقلوا الصواني ومنضدتين صغيرتين إلى داخل الصالون، ورتبوا كل شيء من جديد.

جلس جاندالف إلى رأس الطاولة وحوله ثلاثة عشر قزمًا، أمَّا بيلبو فقد جلس على كرسي بجانب الموقد، يقضم -من دون شهية- قطعة من البسكويت، محاولًا النظر إلى كل ما يجري حوله على أنه أمر طبيعي جدًا. في النهاية هذه ليست مغامرة على الأقل. أكل الأقرام وأكلوا، تكلموا وتكلموا،

ومضى الوقت. إلى أن دفعوا أخيراً كراسيهم إلى الخلف، فتحرك بيلبو لجمع الأطباق والأقداح.

قال بأكثر ما استطاع من تهذيب وأقل ما استطاع من تذرُّم: أظن أنكم ستبقون جميعكم لتناول العشاء؟  
- بالطبع!

هكذا ردُّ ثورين مضيئاً: وإلى ما بعد العشاء، فلن نتناقش في المهمة حتَّى وقتٍ متأخَّر، وقبلها في البداية نحتاج إلى بعض الموسيقى، أمَّا الآن فإلى التنظيف!

بعد ذلك وقف اثنا عشر قزماً على أقدامهم، من دون ثورين طبعاً ذلك القزم المهمُّ الذي بقي جالساً مع جاندالف يتحدَّثان. أمَّا بقية الأقرام فقد كدَّسوا كل الأشياء فوق بعضها كأكوام عالية، وحملوها بين أيديهم، فلم ينتظروا ليضعوها على الصواني! بل كانوا يوازنون أعمدة الصحون بيدٍ واحدة عبر وضع قنينة على القمة، فيما كان الهوبيت يلاحقهم ويصيح ممتعضاً من الخوف: رجاءً كونوا حذرين! من دون مشكلات رجاءً! أستطيع تدبُّر الأمر لوحدي. لكنَّ الأقرام لم يعطوه بالآ وبدؤوا بالغناء:

فَنَّتِ الأكوَابِ واكسِرِ الصَّحونِ!

اثنِ الشوكَةِ واثلِمِ السكينِ!

ذلك ما يكرهه بيلبو باجينزا!

حطِّمِ القناني واُحرقِ سداةَ الفلينِ!

مَرِّقِ غطاءَ المائدةِ ودِّيسِ الدهونِ!

اسكِبِ الحليبِ على أرضيةِ غرفةِ المؤنِ!

ارمِ العظامِ على عتبةِ غرفةِ النومِ!

رُشِّسِ النيبيذِ على كلِّ بابٍ!



تَخَلَّصَ مِنَ الْفَخَّارِ بِصَرْخَةٍ مَثِيرَةٍ  
ثُمَّ اسْحَقَهُمْ بِالْعَصَا الْكَبِيرَةِ  
وَبَعْدَمَا تَنْتَهَى، إِنْ بَقِيَ مِنْهُمْ شَيْءٌ  
دَحْرَجْهُ إِلَى الصَّالَةِ

ذَلِكَ مَا يَكْرَهُهُ بَيْلِبُو بَاجِينِزَا!  
لِذَا، انْتَبَهُوا! وَكُونُوا حَذَرِينَ مَعَ الصَّحُونَ!

بِالطَّبْعِ هُمْ لَمْ يَقَوْمُوا بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْفُضْيِعَةِ، فَقَدْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي مَكَانِهِ نَظِيفًا وَمُرْتَبًا، وَتَمَّ ذَلِكَ بِأَمَانٍ وَبِسُرْعَةِ الْبُرْقِ. فِيمَا كَانَ الْهُوبِيتُ يَتَجَوَّلُ وَيَتَلَفَّتْ وَسَطَ الْمَطْبَخِ مَحَاوِلًا رُؤْيَةً مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ. ثُمَّ عَادُوا جَمِيعَهُمْ، فَوَجَدُوا ثَوْرَيْنِ وَاضِعًا قَدَمَيْهِ عَلَى مَصَدِّ الْمَوْقَدِ وَيَدْحُنُّ الْغَلْيُونَ. كَانَ يَنْفَخُ حَلَقَاتِ دَخَانٍ ضَخْمَةً، وَالَّتِي كَانَتْ تَتَوَجَّهُ حَيْثَمَا طَلَبَ مِنْهَا، فَوْقَ الْمَدْفَأَةِ، أَوْ خَلْفَ السَّاعَةِ، أَوْ عَلَى رَفِّ الْمَوْقَدِ، أَوْ تَحْتَ الطَّائِلَةِ، أَوْ تَدُورُ وَتَحُلِقُ فِي سَقْفِ الْغُرْفَةِ. لَكِنْ أَيْنَمَا نَهَبَتْ لَمْ تَكُنْ بِتِلْكَ السَّرْعَةِ لِتَسْتَطِيعَ الْهَرَبَ مِنْ حَلَقَاتِ الدَّخَانِ الَّتِي كَانَ يَطْلُقُهَا عَلَيْهَا جَانْدَالْفُ، أُرْسِلَ أَصْغَرَ حَلَقَةِ دَخَانٍ، مِنْ غَلْيُونِهِ الْفَخَّارِيِّ الْقَصِيرِ مَبَاشَرَةً خَلْفَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ حَلَقَاتِ دَخَانِ ثَوْرَيْنِ. كَانَتْ حَلَقَاتُ دَخَانِ جَانْدَالْفِ تَهْذُبُ خَضْرَاءَ وَتَرْجِعُ لِتَحْوِمَ فَوْقَ رَأْسِ السَّاحِرِ، إِلَى أَنْ تَشَكَّلَتْ فَوْقَ رَأْسِهِ غَيْمَةً مِنْهُمْ. فَأَعْطَتْهُ فِي الضَّوِّءِ الْخَافِتِ مَنَظَرًا غَرِيبًا فَبَدَا كَمَشْعُودٍ. بَقِيَ بَيْلِبُو وَاقِفًا يِرَاقِبُ، فَكَمْ يَحِبُّ حَلَقَاتِ الدَّخَانِ، لَكِنَّهُ بَعْدَ هَذَا الْمَنَظَرِ أَصْبَحَ خَجَلًا مِنَ التَّفَكِيرِ، بِأَنَّهُ كَمْ كَانَ فَخُورًا صَبَاحَ الْأَمْسِ بِحَلَقَاتِ الدَّخَانِ الَّتِي رَفَعَهَا الرِّيحُ فَوْقَ التَّلِّ.

قَالَ ثَوْرَيْنِ: وَالْآنَ بَعْضُ الْمَوْسِيقَى! هِيَ أَحْضِرُوا الْأَلَاتِ!

انطلق كيلبي وفيلبي إلى حقائبهما وجلبا كمانًا صغيرًا. دوري، نوري وأوري، كلُّ واحدٍ منهم أخرج من معطفه نايًا، أمَّا بوميور فقد جلب طبلاً من الصالة. خرج بيفور وبوفور أيضًا، وعادا وكلُّ واحدٍ منهما معه كلارينيت، كانا تراكهما بين عصي المسير. استأذن دوالين وبالين في الخروج وقالا: معذرةً لقد تركنا آلتنا على الشرفة! فقال لهما ثورين: فليحضر لي أحدكما آلتها معه. عادا وكلُّ واحدٍ منهما يحمل كمانًا كبيرًا بحجمها تقريبًا، ومعهما قيثارة ثورين مغطاةً بقماش أخضر، لقد كانت قيثارةً ذهبيةً جميلة، وعندما ضرب عليها ثورين بدأت الموسيقى دفعةً واحدة، كم كانت مفاجئةً وحلوة، لدرجة أن بيلبو نسي معها أي شيء آخر، إذ حملته الموسيقى أبعد كثيرًا من «ذا ووتر» ومن هوبيتول التي تحت التلّ. وسارت به إلى الأراضي المظلمة تحت الأعمار الغريبة.

دخلت عتمة الليل إلى الغرفة من خلال النافذة الصغيرة المفتوحة من جهة التل، وأومض ضوء النار متراقصًا في الموقد -كان ذلك في شهر نيسان (أبريل)- وما زالوا يعزفون، بينما كانت ظلال لحية جاندالف تتمايل على الحائط.

ملأ الظلام الغرفة، وخمدت النار في الموقد، وذهبت الظلال، وما زالوا يعزفون. وفجأةً بدأ أحدهم بالغناء وتبعه آخر وما زالوا مستمرين بالعزف والغناء بأصواتٍ تخرج من أعماق صدورهم، بأغنيةٍ عن الأقرام في أماكنهم العميقة من بيوتهم القديمة، وإليك هذا الجزء من أغنيتهم، إذا كنت تحب الاستماع لتلك الأغنية من دون موسيقى.

علينا الرحيل قبل انبلاج النهار  
أبعد من الجبال الضبابية الباردة  
إلى الكهوف العتيقة والأقبية العميقة  
قاصدين الذهب المسحور البراق



في القاعات المحفورة تحت الهضاب  
حيث تنام المخلوقات الشريرة، في الأعماق  
وضع أسلاف الأقسام التعاويذ القوية  
فيما كان صوت المطارق كرنين الأجراس

هنالك الكثير من الكنوز الذهبية المتوهجة  
التي صاغوها وشكّلوها، وحبسوا فيها الضوء  
ليبرّضعوا بالجواهر مقبض السيف  
للملك القديم ولسيّد الجان

وضعوا الزخارف على القلائد الفضية  
وعلى التيجان علّقوا النجوم الزاهرة،  
عملوا جديلاً من نار التنين  
دمجوا ضوء الشمس والقمر

علينا الرحيل قبل انبلاج النهار  
أبعد من الجبال الضبابية الباردة  
إلى الكهوف العتيقة والأقبية العميقة  
للمطالبة بذهبنا المُهمّل منذ زمن طويل

هناك لأنفسهم نقشوا الأقداح  
وقيثاراتٍ من ذهب، حيث لا إنسان نقب

هناك يرقدون طويلاً، مع الكثير من الأغنيات  
التي لم يسمع بها إنسٌ ولا جان

كان الصنوبر ينوح في الأعالي  
وللريح عويل في الليل  
كانت النار حمراء، يمتدُّ اضطرامها  
وأصبحت الأشجار كضوء المشاعل المتراقص

كانت الأجراس تدرُّ في ديل  
والبشر ينظرون إلى الأعلى بوجههم الشاحبة  
غضب التنين أشرس من النار  
هدم أبراجهم وبيوتهم الهشة

دَحَنَ الجبل تحت القمر  
سمع الأقدام وقع أقدام الموت  
فدُّوا من منازلهم إلى الموت القادم  
تحت قدميه، تحت القمر

علينا الرحيل، قبل انبلاج النهار  
أبعد من الجبال الضبابية الكالحة  
إلى الأقبية العميقة والكهوف القاتمة  
لننال منه قيثاراتنا والذهب!



بينما كانوا يغنون شعر الهوبيت بتحريكٍ محببةٍ عنيفةٍ بداخله لأشياءٍ جميلةٍ صنعت بأيدٍ بارعةٍ ساحرة. محبةٌ فيها غيرة، من تلك الرغبة العارمة في قلوب الأقرام. هنا استفاق بداخله شيء من العرق التوكي. وتمنى أن يذهب ويرى الجبال العظيمة، ويصغي إلى أشجار الصنوبر والشلالات، ويكتشف الكهوف، ويمتشق السيف بدلاً من عصا المشي. نظر من النافذة، فرأى النجوم مشرقةً فوق الأشجار في السماء المظلمة. راح يفكر في جواهر الأقرام وهي تلمع في الكهوف المعتمة. فجأةً صعدت شعلة نارٍ من الغابة التي خلف ذا ووتر -ربما يكون شخص ما قد أشعل عود حطب- فظنّها نيران تنانين جاءت واستوطنت على تلك الهادئة فاستباحتها، وأحرقتها كلها بالنيران. ارتعد من الخوف، وبسرعة عاد ثانيةً إلى شخصية السيد باجينز البسيط. الذي يسكن باج إيند، التي تحت التلّ.

كان مرتبكاً جداً فأراد الانسحاب والاختباء خلف براميل البيرة في السرداب، وقرّر ألا يخرج من هناك حتّى يغادر الأقرام بيته. وقف وهو يرتجف، متظاهراً بأنه يريد النزول إلى القبو لجلب القنديل، ولبساطته فقد صرّح بذلك. وما إن اتجه نحو السرداب حتّى وجد بأن الموسيقى والغناء قد توقّفتا، والجميع ينظرون إليه بأعينٍ لامعةٍ في العتمة.

- عُذ إلى هنا! إلى أين أنت ذاهب؟

قالها ثورين بنبرةٍ بدت كأنها تُظهر أنه أدرك ما يدور في خلد الهوبيت.

قال بيلبو معتذراً: لكنّ ماذا عن سُحّ الضوء؟

فأجابه الأقرام: إننا نعشق العتمة، فالعتمة للمهامّ السريّة، وما زال أماننا الكثير من الوقت لطلوع الفجر.

قال بيلبو: بالطبع!

وأراد الجلوس بسرعة، لكنه لم يجد الكرسي فجلس على حاجز الموقد، واصطدم بالمسعر الذي وقع على المجرفة محدثاً صوت قرقعة، فقال له جاندالف: صه! دع ثورين يتكلّم!

وهذه هي مقدّمة ثورين قد بدأت:

- جاندالف، الأقرام والسيد باجينز! لسا كلنا سواسية في منزل صديقنا وشريكنا في التأمّر، هذا أكثر هوييت ممتاز وجريء، أدعو ألا يتساقط شعر أصابع قدميه! كلُّ الثناء لخمرة وبيرته!

توقّف قليلاً لالتقاط الأنفاس وتلقّي تعليق مهذّب من الهوييت، لكنّ كلّ هذه الإطراءات على المسكين بيلبو باجينز كانت ضائعة، فقد كان يحركّ فمه احتجاجاً على وصفه بالجرأة والأسوأ من كل ذلك وصفه بأنه شريك في التأمّر، رغم كل ذلك لم يتدخّل، مع أنه كان مرتبكاً للغاية. لذلك تابع ثورين:

- اجتمعنا لمناقشة خططنا وأساليبنا ووسائلنا وسياساتنا وأدواتنا. سنبدأً مبكراً قبل طلوع فجر هذا اليوم برحلتنا الطويلة، رحلة قد لا يعود منها بعضنا، أو ربما كلنا (باستثناء صديقنا ومستشارنا، الساحر العبقري جاندالف)، إنها لحظة جليّة. على اعتبار أنّ هدفنا معروف لنا جميعاً، لكنّ بالنسبة إلى السيّد باجينز المحترم، وربما لواحد أو اثنين من الأقرام الأصغر سنّاً بيننا (أعتقد أنني سأكون على صواب إذا قلتُ كليي وفيلي، على سبيل المثال)، قد يتطلّب الموقف الدقيق في الوقت الحالي بعض الشرح الموجز.

كان هذا أسلوب ثورين. فقد كان قرماً مهمّاً للغاية، ولو كان الوقت يسمح بذلك، ربما كان سيستمرّ على هذا النحو حتّى ينقطع منه النفس، دون أن يخبر أي شخص هناك، بأي شيء لم يكن معروفاً بالفعل.

لكنه قوِّطع بوقاحة. فلم يعد بإمكان بيلبو المسكين تحمّله أكثر من ذلك. فمع جملة «قد لا يعود أبداً» شعر بصرخة في داخله، ولم يستطع كتمانها فاندفعت خارجه منه مثل صافرة قطارٍ يخرج من النفق. قفز جميع الأقرام يطرقون الطاولة، أمّا جاندالف فضرب ضوءاً أزرق على نهاية عصاه السحرية، وفي توهّج ألعابه النارية تلك، كان يمكن رؤية الهوييت المسكين الصغير راكعاً على سجادة الموقد. يرتجف مثل الهلام الذي يذوب، ثمّ وقع على الأرض وظلّ يصرخ مراراً وتكراراً، لقد ضربني البرق! ولم يستطيعوا كلهم إخراجه من هذه الحالة، لذا أخرجوه من الصالة، ومدّوه على أريكة



في غرفة الاستقبال مع مشروبٍ في متناول يده. ثمَّ عادوا إلى مخططاتهم السرية.

قال جاندالف عندما جلسوا كلهم ثانيةً: رفيقٌ صغير سريع الانفعال، تحصل له نوبات غريبة مضحكة، لكنه واحدٌ من الأفضل، أو من أفضل ما يكون، فهو شرس كتنين في مأزق.

إذا سبق لك -من قبل- ورأيت تنيناً في مأزق، فسوف تدرك أن تلك كانت مبالغاً شعرية لا يمكن أن تنطبق على أي هوبيت، حتَّى على بول روار العم الأكبر العظيم لـ أولد توك، والذي كان ضخماً (بالنسبة إلى الهوبيت) حتَّى إنه كان يستطيع ركوب الحصان. لقد هاجم صفوف الجوبلن على جبل جرام في معركة الحقول الخضراء، وضرب رأس ملكهم غول فرنبول بهراوة خشبية فقطعها، طارت بالهواء مئة ياردة ثمَّ سقطت في حفرة أرنب. وبهذه الطريقة حُسمت المعركة. وبالوقت نفسه اخترعت لعبة الجولف.

في غضون ذلك، كان سليل بول روار اللطيف ينتعش في غرفة الاستقبال، بعد أن استراح وشرب، زحف بعصبية إلى باب غرفة الاستقبال، كان جلوبن يتكلم، ما سمعه. «أف» أو شيء من هذا القبيل، هل تعتقدون أنه قادرٌ على أن يفعلها؟ حسناً لقد قال جاندالف بأن هذا الهوبيت شرس، لكنَّ صرخةً واحدةً مثل هذه الصرخة في لحظة حماس، ستكون كافيةً لإيقاظ التنين وكلِّ أقربائه، وستؤدِّي من ثمَّ إلى مقتل الكثير منَّا. أعتقد أن الأمر بدا كأنه أشبه إلى الخوف أكثر منه إلى الحماس! في الواقع، إذا لم يكن الأمرُ سيئاً بالنسبة إلى العلامة الموجودة على الباب، فلا بُدَّ أن نتأكَّد أننا جئنا إلى المنزل الخطأ. حالما وقعت عيناى على صاحبنا الصغير يتمايل وينفخ على عتبة الباب، كانت لديَّ شكوكي، لقد كان ينظر مثل بقال أكثر من كونه لصاً!

عندها أدار السيد باجينز مقبض الباب ودخل. لقد ربح الجانب التوكي فيه، لقد شعر فجأةً بأنه سيستغني عن السرير والغطور ليكون شرساً. أمَّا بالنسبة إلى صاحبنا الصغير، فإن التمايل على عتبة الباب تقريباً هو ما جعله شرساً بالفعل. كثيراً بعد ذلك ما ندم الجانب الباجينزي فيه على ما فعله الآن

وقال في نفسه: كنت أحمق يا بيلبو، لقد أدخلت نفسك في الأمر مباشرة، ووضعت قدمك فيه.

قال: اعذرني، إذا كنت قد سمعت الكلمات التي كنت تقولها، فلا أظنُّ أنني فهمت ما الذي تتحدَّث عنه، أو إشارتك إلى اللصوص، لكنني أعتقد أنني حرٌّ في التصديق (وهذا ما يدعونه بالكرامة)، وذلك لأنك تعتقد بأنني لست جيداً، سأريك. ليست لدي أي علاماتٍ على بابي، فلقد أُعيدَ طلاؤه منذ أسبوع، وأنا متأكدٌ أنك أتيت إلى المنزل الخاطئ، بمجرد ما رأيت وجوهكم المضحكة على عتبة الباب، كانت لدي شكوكي أيضاً، لكنني تعاملت معها بالشكل الصحيح. أخبرني ما هو المطلوب مني، وسأحاول فعله، إذا اضطررتُ إلى السير من هنا إلى شرق الشرق ومحاربة الديدان التي كانت متوحشة في الهجرة الأخيرة، فأنا أكثر سوءاً من الخال العظيم الكبير بول روار توك، و....

قاطعه جلوين وقال: نعم، نعم، لكنَّ ذلك كان منذ عهد بعيد، وأنا الآن أتحدَّث عنك. وأؤكد لك أن هناك علامةً على الباب -وهي واحدة من العلامات المعتادة لأصحاب الحرف، فهي تستخدم مثلاً، إذا كان اللص يريد عملاً جيداً مليئاً بالإثارة وبمردود معقول. فهذه هي الطريقة التي تُقرأ بها عادةً، لكن بإمكانك أن تقول صائد كنوز خبير إن أردت بدلاً من أن تقول لص. بعضهم يفعل ذلك، وكله سواء بالنسبة إلينا. أخبرنا جاندالف بأن هناك رجلاً من نوع ما في هذه الأثناء يبحث عن عملٍ في الحال. وبأنه ربَّ لاجتماعٍ هنا، في هذه الأربعاء، بوقت تناول الشاي.

قال جاندالف: طبعاً هناك علامة، فقد وضعتها بنفسني، لأسبابٍ وجيهةٍ للغاية. لقد طلبت مني أن أجد لك الشخص الرابع عشر لمهمتك، وأنا اخترت السيد باجينز. فلن أسمح لأي شخصٍ بأن يقول إنني اخترت الشخص الخاطئ أو المنزل الخاطئ. بإمكانك التوقُّف عند الثلاثة عشر وستحصل على كامل الحظ السيئ الذي تريده، أو تعود إلى حفر المناجم واستخراج الفحم.

ثمَّ نظر نحو جلوين بعبوسٍ وغضب، فانكمش القزم على كرسية وتراجع إلى الوراء، وعندما حاول بيلبو فتح فمه ل طرح سؤال، استدار نحوه متجهماً



وقد تلاصق حاجباه الكثيفان مع بعضهما، حتَّى أغلق بيلبو فمه وعَضَّ بقوَّة على شفَّتيه.

قال جاندالف: هذا جيد، دعونا من هذا الجدل. لقد اخترت السيد باجينز وهذا يجب أن يكون كافياً لكم جميعاً، إذا قلت إنه لص، فهو لص، أو سيكون كذلك عندما يحين الوقت. يوجد فيه من المزايا أكثر ممَّا تتخيَّلون، ولديه قيمة أكبر ممَّا يعرفه هو عن نفسه. من الممكن (ربما) أن تعيشوا جميعاً لتشكرونني. والآن بيلبو يا بُني، أحضِر القنديل، ودعنا نأخذ المزيد من الضوء على هذا!

على الطاولة في ضوء قنديل كبير ينشر ظلالاً حمراء فَرَدَ قطعةً من مخطوطة أو بالأحرى خريطة.

- هذه من صنْع ثرور جدك يا ثورين، قال مجيباً عن أسئلة الأقرام المنفَعلة، إنها مخطَّطٌ للجبل.

بعدما ألقى نظرةً على الخريطة قال ثورين بخيبة أمل: لا أرى أن هذا سيساعدنا كثيراً. أتذكَّر الجبل والأراضي المحيطة به بشكلٍ جيد. وأعرف أين تقع ميركوود ووادي ويذيرد هيث حيث تتكاثر التنانين العظيمة، هنالك على الجبل تنينٌ موضَّحٌ باللون الأحمر.

قال بالين: سيكون من السهل العثور عليه إذا وصلنا إلى هناك من دون هذه الإشارة.

قال الساحر: هناك نقطة واحدة لم تلاحظها، وهي المدخل السري، هل ترى هذه الأحرف الرونية على الجانب الغربي، واليد التي تشير إليها مع بقية الأحرف الرونية (إنها علامة تدلُّ على ممرٍّ مخفي يؤدِّي إلى القاعات السفلية). قال ثورين ربما كان الأمر سرًّا في ما مضى، لكنَّ كيف لنا أن نعرف أنه لم يعد سرًّا الآن؟ لقد عاش العجوز سموج هناك بما فيه الكفاية لاكتشاف أي شيء يمكن معرفته حول تلك الكهوف.

أجاب جاندالف: ربما يكون قد علم بأمر هذا المدخل السري، لكن لا يمكنه استخدامه لسنوات وسنوات، لماذا؟ لأن المدخل صغير جدًّا. وبابه بارتفاع

خمسة أقدام وقد يتسع فقط لثلاثة أشخاص يمشون جنبًا إلى جنب، هكذا تقول الأحرف الرونية. وسموح لا يستطيع التسلُّل إلى حفرة بهذا الحجم، حتَّى عندما كان تنيئًا صغيرًا، وبالتأكيد لن يستطيع ذلك الآن بعد أن التهم الكثير من الأقزام ومن البشر في ديل.

صرخ بيلبو: تبدو كأنها حفرة كبيرة جدًّا بالنسبة إليّ.

لم تكن لديه أي خبرة بالتنانين بل فقط بحُفر الهوبيت وأظهر حماسَةً واهتمامًا ثانيًة، ونسي أن يبقي فمه مغلَقًا. إنه يحب الخرائط كثيرًا، وفي صالة بيته الرئيسية علَّقت خارطة كبيرة للبلاد المحيطة، وقد علَّم عليها باللون الأحمر دروبَ المشي المفضَّلة عنده.

سأل بيلبو: كيف لمثل هذا الباب الكبير أن يبقي مخفيًا عن الجميع، ما عدا التنين طبعًا؟

(يجب أن تتذكَّر أنه مجرد هوبيت ضئيل).

قال جانداالف: هناك طرق كثيرة، لكن بأي طريقة منها أخفيَ فهذا ما لا نستطيع معرفته من دون الذهاب ورؤيته. لكن ما الذي تقوله لنا الخريطة، أنا أتوقَّع أن هنالك بابًا مغلَقًا، وقد صُمِّم ليُرى كأنه بالضبط جانب الجبل، أعتقد أن هذه هي طريقة الأقزام المعتادة في إخفاء الأبواب أليست هي كذلك؟

أجابه ثورين: صحيح تمامًا.

ثم تابع جانداالف: لقد نسيت أيضًا أن أذكر لكم بأنه قد جاء مع الخريطة مفتاح، مفتاح صغير وغريب، تفضَّل هذا هو! وسلِّم إلى ثورين، مفتاحًا بسبطانةٍ طويلة وأجنحة معقَّدة مصنوعة من الفضة، وقال له: أبقه بأمان!

قال ثورين: سأفعل بالتأكيد، وأخذ المفتاح وربطه في السلسلة الرفيعة المعلقة حول رقبته وأدخله تحت سترته. الآن بدأت الأمور تُظهر شيئًا من التفاؤل، هذه الأخبار بدلتها نحو الأفضل بشكلٍ كبير، حتَّى الآن ليست لدينا أدنى فكرة عمَّا سنفعله. فكَّرنا في الذهاب إلى الشرق، بهدوء وحذر قدر الإمكان حتَّى نصل إلى لونغ ليك، بعدها ستبدأ المشكلة.

قاطعها جانداالف وقال: بل قبل ذلك بكثير، وذلك لأنني أعرف كل شيء عن أعباء الشرق.

لكنَّ ثورين تابع دون أن يبدي أي انتباه لمقاطعة جانداالف: قد نذهب من هنا صاعدين على امتداد نهر رانينج، وهكذا حتَّى نصل إلى خرائب ديل، تلك البلدة القديمة الواقعة في الوادي، تحت ظلال الجبل. لكنَّ لم يحبِّد أيُّ منَّا فكرة البوابة الأمامية. فالنهر يخرج منها تمامًا من خلال الجرف الصخري العظيم على الجهة الجنوبية للجبل، ومنها يخرج التنين كثير جدًّا، ما لم يغيَّر من عادته.

قال الساحر: ذلك لن يجدي، ليس من دون محارب عظيم، أو حتَّى بطل. حاولت إيجاد واحدٍ منهم، لكنَّ المحاربين مشغولون بقتال بعضهم بعضًا على امتداد هذه الأرض. والأبطال في هذه الأنحاء نادرين، أو ببساطة يمكن العثور عليهم بالمصادفة. السيوف في هذه الأجزاء من العالم غير حادَّة على الأغلب، والفؤوس تستخدم لقطع الأشجار، والدروع كحمايات أو أغطية أطباق، والتنانين بعيدة بشكلٍ مريح، (ولذلك فهي كائنات أسطورية). هذا هو السبب الذي جعلني أستند إلى فكرة السطو، خاصَّةً عندما تذكَّرت وجود بابٍ جانبي. وهنا لدينا الصغير بيلبو باجينز، اللصُّ، المختار، واللسُّ المفضَّل. والآن لنبدأ في وضع الخطط.

حسنًا، قال ثورين، ثمَّ استدار نحو بيلبو بتهديبٍ زائفٍ وتابع يقول: أفترض بأن يقترح علينا خبير السطو بعض الأفكار.

قال بيلبو وهو يشعر بالارتباك وبيعض الرهبة الداخلية، لكنه حتَّى الآن ما زال مصمِّمًا بحذر على المضي قُدُماً في الأمور: بدايةً أرغب في معرفة مقتطفات عن بعض الأشياء، أعني عن الذهب والتنين، وكل ذلك، وكيف وصل إلى هناك، وإلى أي شيء ينتمي، وما إلى ذلك.

قال ثورين: عجباً! أليست لديك خريطة؟ أو لم تسمع أغنيتنا؟ أو لم نتحدَّث كل هذه الساعات؟

قال بيلبو بعناد: رغم ذلك، أرغب في أن يكون كل شيء صريحًا وواضحًا.



تقمَّص أسلوبه في العمل، اللهجة التي يخصَّصها لمن يحاولون اقتراض المال منه، بآذلاً قصارى جهده ليظهر حكيماً متعلِّقاً واحترافياً لكي يرقى إلى توصية جاندالف به. فأكمل: أودُّ أيضاً أن أعرف عن الأخطار، النفقات والمصاريف الشخصية، الوقت المطلوب، والتعويض وما إلى ذلك.

كان يقصد، ما هو الشيء الذي سأخرج لأجله لكم؟ وهل أذهب لأعود حياً؟

قال ثورين: أوه حسناً، منذ زمنٍ بعيد، وفي زمنٍ جدِّي ثور، طُرِدَتْ عائلتنا من الشمال البعيد، وعادت مع كامل ثروتها وأدواتها إلى هذا الجبل الظاهر على الخريطة. الذي اكتُشِفَ من قبل جدِّي الأكبر ثرين القديم، وفي حينها أصبح الجبل منجمًا بعد أن حفروا فيه الأنفاق والقاعات الضخمة وشيّدوا ورش العمل الكبيرة، بالإضافة إلى ذلك أعتقد أنهم وجدوا كمية كبيرة من الذهب، والكثير من الجواهر العظيمة أيضاً. على أي حال، فقد ازدادوا ثراءً وغنىً وشهرةً. وعاد جدِّي ليكون من جديد ملك ما تحت الجبل، وتمتّع بالكثير من التبجيل من قبل البشر الفانين، الذين يسكنون إلى الجنوب، وقد بدؤوا ينتشرون تدريجياً من أعالي نهر رانينج إلى الوادي المظلل بالجبل، في تلك الأيام بنوا هناك بلدة ديل السعيدة. اعتاد الملوك استدعاء الحرفيين من عندنا. ومكافأةً حتّى الأقل مهارةً بسخاء. كان الآباء يتوسّلون إلينا لنأخذ أبناءهم كمتدرّبين، وكانوا يدفعون لنا مبالغ جيدة، خاصّة بالإمدادات الغذائية، التي لم نكتبّد عناء إنتاجها أو إيجادها لأنفسنا. بالمجمل كانت تلك أياماً جيدةً بالنسبة إلينا، وكان لدى أقرننا المال للإنفاق أو الإقراض، ووقت الفراغ لعمل أشياء جميلة فقط من أجل الاستمتاع بها. ناهيك بأكثر الألعاب روعةً وسحرًا والتي لا مثيل لها في العالم الآن. هكذا أصبحت قاعات جدِّي مليئةً بالدروع والجواهر والمنحوتات والكؤوس. وكانت سوق الألعاب في ديل أعجوبة الشمال.

مما لا شك فيه أن هذا هو الذي جذب التنين. وكما تعلم، فالتنانين تسرق الذهب والجواهر، من البشر والجان والأقزام، أينما وجدوهم ويحرسون غنيمتهم ما داموا أحياء (وهو عملياً إلى الأبد، ما لم يقتلوا)، ولا يستمتعون من

هذا الكنز ولا حتى بحلقة نحاسية. في الحقيقة بالكاد يميّزون الجزء الجيد من السيئ في أي عمل، على الرغم من أنهم عادةً ما يملكون فكرةً جيدةً عن القيمة السوقية الحالية، ولا يمكنهم صنع شيء لأنفسهم، ولا حتى إصلاح قشرة مفكوكة من دروعهم. في تلك الأيام كان هناك الكثير من التنانين في الشمال، وربما أصبح الذهب نادرًا هناك. بسبب قتل الأقرام أو هجرتهم نحو الجنوب، مع كل هذا القفر والدمار السائد، والذي يجعله التنين ينتقل من سيئ إلى أسوأ. كانت هنالك دودة جشعة قوية وشريرة تدعى سموج، طارت ذات يوم في الهواء واتجهت جنوبًا، أول شيء سمعناه منه كانت ضجة تشبه إعصارًا قادمًا من الشمال، وأشجار الصنوبر على الجبل كانت تططق وتُسحق تحت وطأة الريح. وفي ذلك اليوم نجا بعض الأقرام الذين تصادف وجودهم بالخارج (وكنتُ أحد المحظوظين، فتى مغامرًا جيدًا في تلك الأيام، يتجول دائمًا حول الجبل، وهذا ما أنقذ حياتي في وقتها). حسنًا من مسافة آمنة رأينا التنين يقضي على جبلنا بتدقُّق من اللهب، ثم نزل إلى السفوح وعندما وصل إلى الغابات أحرقتها كلها بالنيران. في ذلك الوقت كل الأجراس في ديل كانت تدقُّ وكان المحاربون يتسلحون. خرج الأقرام مندفعين عبر بوابتهم العظيمة، لكن هناك كان التنين بانتظارهم. ولم يتمكّن أيٌّ منهم من الهرب. تبخّرت مياه النهر وغطى ديل بالضباب، وتحت غطاء الضباب جاءهم سموج، وقضى على معظم المقاتلين، طبعًا هذه قصة حزينة، لكنها كانت شائعة في تلك الأيام، ثم عاد إلى الجبل وزحف من خلال البوابة الأمامية فاقتلعها ودمر كل القاعات، والطرق، والأنفاق، والأزقة، والأقبية، القصور والمعابر. بعد ذلك، لم يبقَ أقرام أحياء في الداخل، وقد امتلك كل الكنوز. وعلى الأرجح لأن هذه هي طريقة التنانين، فقد جمعها كلّها فوق بعضها في كومة كبيرة في عمق الجبل، ونام عليها كأنها سرير. لاحقًا صار يزحف خارجًا من البوابة العظيمة ويأتي إلى ديل في الليل، وكان يحمل الناس، وخاصّة العذارى ليأكلهم، حتى أضحت ديل خرابًا، فأكثر الناس إمّا ماتوا وإمّا هاجروا. ولا أعرف بالتأكيد ماذا يحدث

الآن هناك، لكنني لا أعتقد أن أحدًا ما يعيش بالقرب من الجبل إلا أولئك الذين يسكنون في هذه الأيام على الضفاف البعيدة في لونج ليك.

كان بعضنا بخير في الخارج، جلسنا نبكي في الخفاء، ونلعن سموج، وبشكل مفاجئ انضمنا إلى أبي وجدي بلحيتهما المسفوعتين بالنار، بدوًا متجهمين جدًّا، ولم يتكلّمًا إلا قليلًا. وعندما سألتهما كيف خرجا، قالوا لي أن أمسك لساني، وبأنه ذات يوم، وفي الوقت المناسب سأعرف كل شيء. بعد ذلك هاجرنا من المكان. وأصبحنا نكسب قوتنا بأفضل ما يمكن بالنسبة إلينا إن كان فوق الأرض أو تحتها. غارقين دائمًا في الأعمال الوضيعة من الحدادة إلى التنقيب عن الفحم. لكننا ما نسينا قطُّ أبدًا كنزنا المسروق. وحتى الآن، عندما أعرف أنه لدينا أي قطعة مخبئة من قبل، وما زالت بحالة جيدة، ولسنا بوضع سيئ - هنا مسح ثورين على السلسلة الذهبية المحيطة بعنقه - فما زلنا نريد استعادتها، وإنزال بلائنا الخاص على سموج - إن استطعنا.

كثيرًا ما كنت أتساءل عن طريقة هروب أبي وجدي، والآن عرفت أنه كان لديهما بابٌ جانبي خاص لا يعرفه أحد غيرهما. يبدو بوضوح أنهما رسما خريطة، لكن ما أودُّ معرفته الآن هو كيف استولى جاندالف عليها. ولماذا لم تأتِ إليّ، على الرغم من أنني الوريث الشرعي.

قال الساحر: لم أستولِ عليها، بل أُعطيَت إليّ، أتتذكّر أن جدك ثورور، قُتِل في مناجم موريا، من قبل الجويلين أزوج...

قال ثورين: اللعنة على اسمه، نعم أتدكّر.

- أمّا والدك ثرين فقد رحل في الحادي والعشرين من نيسان (أبريل)، في الخميس الأخير قبل مئة عام، ولم تره منذ ذلك الحين...

قال ثورين: نعم هذا صحيح.

- حسنٌ، أعطاني والدك هذه الخريطة لأعطيك إياها، وإذا كنت اخترت الوقت والطريقة لتسليمها إليك، فلا يمكنك لومي على ذلك. مع الأخذ



بعين الاعتبار أنه يجب العثور عليك أولاً. أضف إلى أن والدك لم يستطع تذكر اسمه عندما أعطاني الخريطة، ولم يُخبرني باسمك أيضًا. لذلك بالمجمل أعتقد أنه يجب الثناء عليّ وشكري.

ثمّ قال وهو يسلمّ الخريطة إلى ثورين: تفضّل هذه هي. قال ثورين: أنا لا أفهم أي شيء.

وشعر بيلبو أنه كان يودُّ أن يقول الشيء ذاته، فالشرح لم يوضّح لنا ما حدث بالضبط.

أجاب الساحر ببطء وبترؤ: قبل أن يذهب جدُّك إلى مناجم موريا، كان قد أعطى الخريطة إلى ابنه ليحفظها. وبعد موت جدِّك، رحل والدك ليجرّب حظّه وقد أخذ الخريطة معه. خاض الكثير من المغامرات وأغلبها كان من النوع التّعس، لكنه لم يقترب بتاتاً من الجبل. وقد وجدته سجيناً في زنازين مستحضر الأرواح، ولا أعرف كيف وصل إلى هناك.

ارتعد جميع الأقرام لسماع ذلك وسأله ثورين بقشعريرة: ماذا كنت تفعل هناك؟

أجابه جاندالف: لا عليك. كنت أستكشف كالعادة، وكان عملاً خطراً وبغيضاً. حتّى أنا جاندالف، هربت. حاولت إنقاذ والدك لكنّ الأوان كان قد فات. كان شارداً معتوهاً، وقد نسي كل شيء باستثناء الخريطة والمفتاح.

قال ثورين: لقد طردنا الجوبلين من موريا منذ وقتٍ طويل، ويجب أن نُفكّر في طرد مستحضر الأرواح.

قال له جاندالف: لا تكن سخيّاً! إنه عدوُّ أعلى من قوى الأقرام مجتمعة، لو استطعت جمعهم ثانياً من أركان العالم الأربعة. الشيء الوحيد الذي تمنّاه والدك لك هو قراءة الخريطة واستخدام المفتاح. فالتنين والجبل مهمّان كبيران بما فيه الكفاية لك!

قال بيلبو اسمعوا، اسمعوا! قالها بصوت عالٍ من دون قصد.

- ماذا نسمع؟

قالوا جميعهم واستداروا نحوه، كان مرتبكًا جدًا لدرجة أنه أجاب: اسمعوا ما سأقوله لكم.

قالوا له: ماذا ستقول؟

- حسنًا، أريد أن أقول عليكم الذهاب إلى الشرق وإلقاء نظرة على المكان، بعد كل هذا، ستجدون هناك الباب الجانبي، والتنين يجب أن ينام لبعض الوقت، لذا أتصور لو انتظرتم على عتبة الباب لفترة كافية، أتجرأ على القول بأنكم ستبصرون حلًا، لم تكونوا تعرفونه من قبل. أعتقد أننا تحدّثنا مطوّلًا بما يكفي لليلة واحدة، إذا رأيتم ما أعنيه. ماذا عن النوم، والبداية المبكّرة، وكل تلك الأشياء؟ سأقدّم لكم فطورًا جيدًا غدًا قبل أن تذهبوا.

قال ثورين: قبل أن نذهب، أعتقد أنّ هذا ما قصدته، ألسنت أنت للصوص؟ أو ليس الانتظار على عتبة الباب عمك، وليس الكلام عن دخول الباب؟ لكنّ أوافقك الرأي حول النوم والفقور. قبل البدء في أي رحلة، أحب تناول البيض مع لحم الخنزير، وأحبه مقلّيًا وليس مسلوقًا وانتبه بألا تمزجهم ببعضهما. وقف الجميع بعد أن طلب كل واحدٍ منهم وجبة إفطاره دون ذكر كلمة من فضلك أو شيء من هذا القبيل مثلًا (وهذا ما أزعج بيلبو). بعدها كان على الهوبيت إيجاد مكان للنوم لكل واحدٍ منهم. ملأ جميع الغرف الاحتياطية وعمل أسرّة من الكراسي والأرائك. بعد أن حصل كل واحدٍ منهم على مكانه، ذهب هو أيضًا إلى سريره الصغير، مُتعبًا جدًا ولا يشعر بالرضا. الشيء الوحيد الذي اتخذ قرارًا بشأنه، هو ألا يكلف نفسه عناء الاستيقاظ مبكّرًا وطهي الطعام لأي شخصٍ آخر، فليأخذوا فطورًا هزيلًا. على ما يبدو أن الجانب التوكي بداخلة بدأ بالتلاشي. ولم يكن متأكدًا بعد إن كان سيذهب برحلة في الصباح أو لا. وبينما كان مستلقيًا على سريره، سمع ثورين يدندن لنفسه من الغرفة المجاورة وهي بالمناسبة أفضل غرفة نوم في المنزل.

علينا الرحيل قبل انبلاج النهار

أبعد من الجبال الضبابية الباردة

إلى الكهوف العتيقة والأقبية العميقة

للمطالبة بذهبنا المُهْمَل منذ زمن طويل.

غرق بيلبو في النوم وبقي ذلك الصوت يرنُّ في أذنيه، والذي تسبَّب له

في الكثير من الأحلام المزعجة. وعندما استيقظ كان قد مرَّ وقت طويل على

انبلاج النهار.



## الفصل الثاني

### خروف مشوي

نهض بيلبو من فراشه، ارتدى معطفه واتجه إلى غرفة الطعام. فلم يجد إلا آثار وجبة إفطارٍ كبيرة وسريعة. كانت هناك فوضى مخيفة في الغرفة، وأكوامٌ من أطباق الفخار غير المغسولة في المطبخ. يبدو أنهم استخدموا كل وعاء كان يملكه تقريبًا. وعملية غسل الأواني كانت بالفعل تبعث على الكأبة، لدرجة أن بيلبو أُجبرَ على تصديق حفلة الأمس وأنها لم تكن جزءًا من أحلامه المزعجة، كما كان يتمنى. وإن كان قد أحسَّ بارتياح لفكرة نهابهم من دونه، ومن دون عناء إيقاظه (ومن دون شكره أيضًا). لكن خيمَ عليه شعورٌ آخر مفاجئ، لم يستطع بأي طريقة، ابتلاع شعوره بخيبة الأمل.

قال مخاطبًا نفسه: لا تكن أحمق يا بيلبو باجينزا! أتفكر في التنانين وكل هذا الهراء الغريب وأنت في هذا العمر! لذا قم وضع عليك مئزرًا، أشعل النار، اغل الماء، واغسل الأواني. بعدها تناول فطورًا خفيفًا في المطبخ.

قبل أن يتوجّه إلى غرفة الطعام. وقد كانت الشمسُ مُشرقةً في ذلك الوقت، والباب الأمامي مفتوحًا، ممّا سمح بدخول نسائم الربيع الدافئة. عندها بدأ

بيلبو يصفرُّ بصوتٍ عالٍ لنسيان ما حدث في الليلة الماضية. في الحقيقة بالكاد جلس من أجل تناول فطوره الخفيف الثاني في غرفة الطعام بجانب النافذة المفتوحة، عندما جاءه جاندالف، وقال: يا صاحبي العزيز، متى ستأتي؟ ماذا عن البدايات المبكرة؟ وما أنت هنا تتناول الفطور، أو أيًا كان ما تسميه، عند العاشرة والنصف! لقد تركوا لك الرسالة، لأنهم لا يستطيعون الانتظار.

قال السيد باجينز المسكين بكلُّ ارتباك: أي رسالة؟

ردُّ عليه جاندالف متعجبًا وقال: أنت اليوم لست بيلبو الذي أعرفه، ألم تنفض الغبار عن رفِّ المدفأة! ماذا حصل معك لتفعل حيال ذلك؟

- كان عندي الكثير لأفعله مع غسل أوانٍ لأربعة عشر شخصًا!

- لو أنك نفضت الغبار عن رفِّ الموقد، لكنك وجدتها تحت الساعة مباشرة، قالها جاندالف وهو يسلمه الرسالة (المكتوبة بالطبع على دفتر ملاحظاته).

وإليك ما قرأه:

تحيةً من ثورين والصحة إلى اللصِّ بيلبو!

خالص الشكر لحسن ضيافتكم، والقبول بامتنان لعرضكم علينا المساعدة المهنية.

الشروط:

- الدفع عند التسلم، بما لا يتجاوز نسبهته واحدًا إلى أربعة عشر من الأرباح الكلية (إن وجدت).

- نفقات السفر مضمونة كُلِّها، في جميع الأحوال.

- نفقات الجنازة مدفوعة من قِبَلنا أو ممثلين عنَّا، إذا دعت الضرورة، أو كان الأمر على خلاف ما هو مرتَّب له.

إيمانًا منَّا، بأنه من غير ضروري إزعاج راحتك المثمنة. مضيينا قدمًا للقيام بالاستعدادات الضرورية، وسننتظر شخصك المحترم في حانة «جرين

دراجون»، في «باي ووتر»، عند تمام الساعة الحادية عشرة، ونحن واثقون بأنك ستكون دقيقًا.

لنا الشرف،

تفضلوا بقبول فائق الاحترام،

ثورين والصحة.

قال جاندالف: هذا يترك لك من الوقت فقط عشر دقائق، عليك أن تُسرِع.

فقال له بيلبو: لكن...

قال الساحر: لا وقت لذلك.

قال بيلبو ثانيةً: ولكن..

ردَّ عليه الساحر: لا وقت لذلك أيضًا! هيا اذهب!

حتى آخر أيامه لن يتذكَّر بيلبو كيف وجد نفسه خارج المنزل، من دون قبة، أو عصا المشي، أو نقود، أو أي شيء يأخذه كعادته معه عندما يخرج. ترك فطوره الثاني نصف منه، وغير مغسول كما يجب، دفع مفاتيحه إلى يد جاندالف وركض بأسرع ما يمكن لأقدامه المكسوَّة بالشعر أن تحمله إلى أسفل الزقاق، مرَّ من جانب الطاحونة الكبيرة، ثمَّ عبر ذا ووتر، وركض بعده لمسافة ميل أو أكثر. كان يلهث بشدَّة، عندما وصل إلى «باي ووتر» عندما كانت الساعة تدقُّ بتمام الحادية عشرة. ووجد أنه أتى من دون منديل جيب! - أحسنت!

كان هذا بالين واقفًا على باب الحانة يبحث عنه:

في أثناء ذلك تمامًا اقترب الآخرون من زاوية الطريق القادم من القرية، كانوا يركبون المهور، وكل مهر منها كان محمَّلًا بشتَّى أنواع الأمتعة والرزم والحزم والمعدَّات الشخصية. وكان معهم مهر صغير، يبدو أنه لبيلبو. - هيا اركبا مهريكما وانطلقا، قالها ثورين مخاطبًا بيلبو وبالين.



قال بيلبو: أنا في غاية الأسف، لكنني أتيت من دون قبعتي، وتركت منديلي في البيت، وليس معي نقود أيضاً. فأنا لم أنتبه لرسالتك إلا بعد الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة على وجه الدقة.

- لا داعي لا للدقة ولا للقلق! سيتعيّن عليك تدبّر أمرك من دون مناديل الجيب، والكثير من الأشياء المفيدة الأخرى قبل أن تصل إلى نهاية الرحلة. بالنسبة إلى القبعة وما شابه ذلك، لديّ في حقيبتي قبعة وعباءة إضافيتان.

بهذه الطريقة بدؤوا رحلتهم، يحثّون الخطى من الحانة في صباح أحد الأيام الجميلة قبل بداية شهر أيار (مايو)، على مهورٍ محمّلة. كان بيلبو يرتدي قلنسوة خضراء داكنة (فيها بعض البقع من العوامل الجوّية) وعباءة خضراء داكنة مستعارة من دوالين. كانتا كبيرتين جدّاً بالنسبة إليه، وكان يبدو مضحكاً إلى حدّ ما. ماذا كان سيقول أبوه بانجو لو رآه بهذه الحالة؟ لم أجرؤ على التفكير في ذلك. راحته الوحيدة هي أنه لا يمكن أن يظنه أحد قزماً، لأنه ليست لديه لحية.

لم يكونوا قد ساروا لمسافةٍ طويلة عندما التحق بهم جاندالف، كان وقوراً جدّاً على حصانٍ أبيض. لقد أحضر الكثير من مناديل الجيب وغلّيون بيلبو وتبغفه. بعد ذلك سافرت المجموعة بالكثير من المرح. كانوا يحكون القصص أو يغنّون الأغاني في أثناء سيرهم طوال اليوم، ما عدا طبعاً فترات التوقّف من أجل تناول الطعام. وهذه الناحية لم تكن تأتي غالباً كما يحبها بيلبو، مع ذلك فما زال يشعر بأن المغامرات ليست سيئةً بذلك القدر. في البداية عبروا من خلال أراضي الهوبيت، بلاد محترمة وفسيحة، يسكنها شعب لطيف. مع طرق جيدة وحانة أو اثنتين، وبين الحين والآخر مع قزم أو مزارع يتمشى في شأنه الخاص. ثمّ وصلوا إلى بلادٍ حيث شعبها يتكلّم لغةً غريبة، وأنشدوا أغاني لم يكن بيلبو قد سمعها من قبل. ثمّ ذهبوا بعيداً في الأراضي المنعزلة، حيث لم يبقَ هناك سكّان، ولا حانات، وازدادت حالة الطرقات سوءاً. ليس ببعيد من أمامهم ترتفع شامخةً إلى الأعلى التلال الكثيبة المظلمة بالأشجار. كان على

بعضها قلاع قديمة بمظهر شرير. وكأنها بُنيت من قبل أناس فاسدين. بدا كل شيء كثيبًا، وقد أخذ الطقس في ذلك اليوم منعطفًا سيئًا. غالبًا ما يكون الطقس جيدًا في أيار (مايو)، حتّى في الحكايات المرحّة، لكنه أصبح الآن باردًا ورطبًا.

في الأراضي المنعزلة كانوا مضطرين إلى التخميم، كلما أمكنهم ذلك. لكن على الأقل كان الطقس جافًا. وهذا كافٍ لتعتقد بأن حزيران (يونيو) سيأتي قريبًا. تذرّم بيلبو فيما كان يخوض على طول المسار الموحد خلف الآخرين، كان ذلك بعد وقت الشاي، والمطر ينهمر طوال اليوم، كانت قلنسوته تقطر في عينيه، وقد امتلأت عباته بالماء، أصبح المهر تَعَبًا وتَعَثَّرَ بالحجارة، ولم يجد فرصة للكلام مع أحد لأن الآخرين كانوا يتذرّمون أكثر منه. أنا متأكّد أن المطر قد وصل الآن إلى الملابس الجافة وأكياس الطعام، فكَرَّ بيلبو، هذا هو عناء اللصوصية وكل ما يتعلّق بها. أتمنّى لو كنت في المنزل في حفرتي اللطيفة بجانب النار، مع الغلاية التي بدأت للتوّ في الأريز. لم تكن تلك آخر مرّة يتمنّى فيها ذلك.

ما زال الأقزام يهرولون، ولم يلتفتوا إلى الهوبيت أو يعطوه أي اهتمام. في مكانٍ ما في الأفق خلف غيومٍ رمادية لا بدّ أن الشمس أزفت للمغيب، فقد بدأت تُظلم هناك. استفاقت الريح، فانحنى الصفصاف وتنهّد على طول ضفة النهر، لا أعرف أي نهر كان، سوى أنه نهر متدفّق بمياهٍ حمراء. زاد منسوب مياهه مع هطول الأمطار في الأيام القليلة الماضية. التي نزلت إليه من التلال والجبال. وسرعان ما حلّ الظلام تقريبًا. بعثرت الريح الغيوم الرمادية، وبان من بين أشلاء الغيوم المتطايرة قمر متناقص فوق التلال. عندها توقّفوا، وتمتم ثورين بشيء عن العشاء، ثمّ قال أين سنجد بقعةً جافةً لننام عليها؟ لم يلحظوا حتّى الآن أن جانداالف مفقود. لكنه كان معهم طوال الطريق، ولم يقل إن كان سيشارك في المغامرة، أو أنه سيرافق الصحبة لفترة من الزمن. فلقد كان أكثر شخصٍ يأكل، وأكثر شخصٍ يتكلّم، وأكثر شخصٍ يضحك. لكنه بكل بساطة لم يكن هناك مطلقًا.

وفي هذه الحالة سيكون الساحر أكثر فائدةً أيضًا. تأوّه دوري ونوري (اللذان كانا يشاطران الهوبيت رأيه عن الوجبات المنتظمة، التي يجب أن تكون غالبًا وفيرة)، وقد قرّروا في النهاية أن يقيموا مخيمهم حيث كانوا. كانت تلك المرّة الأولى التي يخيمون فيها في هذه الرحلة، على الرغم من أنهم كانوا يعلمون بأنهم عمّا قريب سيضطرون إلى التخيم بشكلٍ منتظم. عندما كانوا في وسط الجبال الضبابية وبعيدين عن أراضي الناس المحترمين، بدا أن أمسية رطبة سيئة بانتظارهم. لذلك تحرّكوا نحو أجمية من الأشجار، وعلى الرغم من أن الأرض كانت تحتها أكثر جفافًا، لكنّ الرياح كانت تهزّ المطر عن الأوراق، وكان التنقيط مزعجًا للغاية. كما يبدو أن الأذى قد وصل إلى النار، يمكن للأقزام أن يشعلوا النار في أي مكان تقريبًا، ومن أي شيءٍ تقريبًا، بوجود الريح أو مع انعدامها. لكنهم لم يستطيعوا في تلك الليلة، ولا حتّى أوين وجلوين اللذين كانا بارعين جدًّا في إشعال النار.

عندها خاف أحد المهوور من دون سبب معروف وهرب. استطاع الوصول إلى النهر قبل أن يتمكّنوا من الإمساك به. لكن قبل أن يخرجوه من الماء، أوشك كلُّ من فيلي وكيلى أن يغرقا، وسقطت كل الأمتعة التي كان يحملها وجرفها النهر، معظمها كان طعامًا طبعًا، ولم يتبقّ سوى القليل جدًّا للعشاء، وأقل منه للإفطار. هناك جلسوا يدمدمون مكتئبين مبلّلين، بينما استمرّ أوين وجلوين في محاولة إشعال النار والتشاجر في ما بينهما حول طريقة إشعالها. كان بيلبو يفكّر متأسّفًا، ليست كل المغامرات عبارة عن ركوب مهرٍ في شمس أيار (مايو) المشرّقة، عندما كان بالين (وهو الراصد والمراقب في المجموعة) يقول: يوجد ضوء هناك! كان هناك تلٌ بعيد بعض الشيء، عليه أشجار سميقة جدًّا في بعض أجزائه. خارج كتلة الأشجار المعتمة أصبح بإمكانهم الآن رؤية ضوء ساطع، ضوء ضارب إلى الحمرة ومظهره مريح، فقد يكون نار أو مصابيح متلألئة، عندما نظروا إليها لبعض الوقت، وقعوا في الجدال، فبعضهم يقول: لا، والبعض الآخر يقول: نعم، وبعضهم يقول: بأنه عليهم الذهاب ورؤية ذلك الشيء من كتب. ومهما كان ذلك الشيء فهو أفضل من تناول عشاء قليل وفطورٍ أقل والبقاء بملابس مبلّلة طوال الليل.

قال آخرون: هذه الأثناء ليست معروفة تمامًا لنا، وهي قريبة جدًا من الجبال. ونادرًا ما يسلك المسافرون الآن هذا الطريق. والخرائط القديمة لا تفيد أيضًا، فالأمور تغيّرت نحو الأسوأ والطريق أصبح محفوظًا بالأخطار.

وقال بعضهم: بالكاد حتّى أن يكون قد سمعوا بالملك هنا، وكلما كُنْتُ أقلُّ فضولًا، كلما قلّت المشكلات التي من المحتمل أن تواجهها، وقال آخرون منهم: فوق كل ذلك ما نحن سوى أربعة عشر قزمًا فقط. لكنّ إلى أين ذهب جاندالف؟ هذا السؤال الأخير كرّره الجميع. بعدها عاد المطر يهطل بشكّل أسوأ من ذي قبل، وبدأ أوبن وجلوين بالقتال، لكنّ ما حسم أمر هذا الجدال بينهم، أنهم تذكّروا بيلبو وقالوا: فوق كل شيء لقد جلبنا معنا لَصًّا، وهبُّوا جميعًا واقفين وامتطوا مهورهم (مع كلّ الحذر المناسب) تجاه الضوء. فوصلوا إلى التلّ وسرعان ما كانوا داخل الغابة، تابعوا صعود التلّ، لكنّ لم يكن هناك أي مسار مناسب يمكن رؤيته، كأن يكون هناك طريق يؤدّي إلى منزل أو مزرعة أو ما إلى ذلك، لكنهم فعلوا ما يمكنهم فعله. يمكن أن يكونوا قد أهدثوا شيئًا من الخشخشة والطقطة والصرير (وقدرًا كبيرًا من التذمُّر والغوص في الوحل) كلما تقدّموا في السير بين الأشجار في الظلام الدامس.

فجأة أشرق من بين جذوع الأشجار القريبة منهم ضوء أحمر ساطع، فقالوا: الآن حان دور اللصّ، أي بيلبو، ثمّ قال ثورين للهوبيت: يجب أن تذهب وتكشف كل شيء حول ذلك الضوء، ما هو الغرض منه، وما إذا كان آمنًا وحادرًا على أكمل وجه. والآن انطلق، وارجع بسرعة، إذا كان كل شيء على ما يرام. أو لم يكن، عُذ إن استطعت! وإن لم تستطع، فاصرخ مرّتين مثل بومة مختبئة ومرّة واحدة مثل بومة مذعورة. وسنفعل نحن ما في وسعنا.

كان على بيلبو أن يذهب، قبل أن يشرح لهم أن قدرته على الصراخ مرّة واحدة مثل أي نوع من أنواع البوم تشبه قدرته على الطيران مثل الخفّاش. على أي حال، يمكن للهوبيت أن يتحرّكوا بهدوء تام في الغابة، وهم يفخرون بذلك. تأفّف بيلبو أكثر من مرّة وهو يتقدّم في المسير ممّا سمّاه ضجيج الأقزام. لذلك أفترض أننا ما كنّا سنلاحظ لا أنتم ولا أنا أي شيء يحدث في



ليلية عاصفة، حتى إن مرَّ موكبٌ كامل على بعد قدمين منك. أمَّا بيلبو المتجه بشكلٍ مبدئي نحو الضوء الأحمر، فحتى ابن عرس لا أعتقد أنه كان سيسعر به أو يحرك شارببيه من أجله. لذلك، وبطبيعة الحال، وصل بيلبو إلى النار من دون أن يلفت انتباه أحد، وهذا ما رآه، ثلاثة أشخاصٍ ضخامٍ يجلسون حول نارٍ كبيرةٍ جدًّا من جذوع الزان. كانوا يشوون خروفًا بأسيخٍ طويلةٍ من الخشب، ويلعقون المرق عن أصابعهم. كانت هناك رائحة شهية. وكان هناك أيضًا برميل من الشراب الجيد في متناول اليد، وكانوا يشربون منه بالأباريق. لكنهم غيلان. من الواضح أنهم غيلان. حتى بيلبو، على الرغم من طبيعة حياته المنغلقة، فقد استطاع معرفة ذلك، من خلال وجوههم الضخمة ومن أحجامهم وشكل أرجلهم، ناهيك بلغتهم، التي لم يكن نمطها جذابًا على الإطلاق، على الإطلاق.

قال أحد الغيلان: البارحة خروف، واليوم خروف، وماذا بعد، ليته لا يكون خروفًا آخر في الغد.

قال آخر: لم نتناول أي قطعة لحم بشري لعينةٍ لمدةٍ كافية، ما الذي فكّر فيه ويليام ليأتي بنا إلى هذه الأماكن تقريبًا، هل لهزيمتنا. ها هو الشراب قد أوشك أن ينفد، ماذا تريدون أكثر من ذلك، قال هذا وهو يلكز كوع ويليام، الذي كان يأخذ جرعةً من إبريقه.

شرق ويليام بالشراب، ثمَّ قال عندما استطاع التكلّم: أغلق فمك. وهل تنتظر أن يتوقّف الناس هنا لتأكلهم أنت وبيرت. لقد التهمتما قرية ونصف منذ نزولنا من الجبال. ماذا تريدان أكثر من ذلك؟ ألم يجز الوقت لتقولاً: شكرًا لك بيل على وجبات اللحم الشهية التي حصلنا عليها من أغنام الوادي السمينة مثل هذه. ثمَّ أخذ قضمةً كبيرةً من فخذ الخروف الذي كان يشويه، ومسح شفّتيه بكُم رداثه.

نعم، أخشى أن الغيلان يتصرفون بهذه الطريقة، حتى أولئك الذين لهم رأس واحد.

بعد سماع كل هذا كان على بيلبو أن يفعل شيئاً في الحال، إمّا أن يعود بهدوء ويُنذر أصدقاءه من أن هناك ثلاثة غيلان من الحجم المتوسط بمزاجٍ سيئٍ قريبون منهم. وهناك احتمال كبير أن يحاولوا شَيَّ قزم، أو حتّى مُهر، من أجل التغيير، وإما القيام بعملية سرقةٍ سريعةٍ وخفيفة، إنّ لصاً حقيقياً أسطورياً من الدرجة الأولى وفي هذا الوضع كان سيختار جيوب الغيلان -فهي دائماً ما تكون مكتنزة، إذا استطعت التعامل معها- نشل قطعة اللحم من على السبخ، حمل البيرة والخروج دون أن يلاحظوك. قام بتجارب أخرى لكنْ بفرور وباحترافية أقل، ربما كان سيتمكّن من طعن كلّ منهم بخنجر قبل أن يلاحظوه، وتنقضي تلك الليلة على خير.

عرف بيلبو ذلك من خلال القراءة، لقد قرأ الكثير من الأشياء الجيدة التي لم يرها أو يفعلها من قبل. كان مرتعباً جداً، ومشمئزاً، وتمنّى لو كان على بُعد مئة ميل من هنا، ومع ذلك وبطريقةٍ ما، لم يستطع العودة إلى ثورين وبقية الصُحبة خالي الوفاض. لذلك وقف متردداً في الظلال. ومن بين عمليات السطو المختلفة التي سمع بها اختار جيوب الغيلان، لأنها بدت الأقل صعوبةً. وأخيراً تسلّل من خلف الشجرة التي خلف ويليام مباشرةً.

ذهب بيرت وتوم إلى البرميل، وكان ويليام يأخذ شرايباً آخر، عندها استجمع بيلبو شجاعته ووضع يده الصغيرة في جيب ويليام الضخمة. كان فيه محفظة كبيرة بحجم حقيبة بيلبو. ها! هذه هي البداية! هكذا فكّر بيلبو وكان متحمساً جداً لعمله الجديد عندما أخرجها بحذر.

محاظ الغيلان مؤذبةٌ دائماً، ولن تكون هذه المحفظة استثناءً. هيه من أنت؟ صرخت المحفظة عندما خرجت من الجيب، فاستدار ويليام على الفور وأمسك برقبة بيلبو قبل أن يتوارى خلف الشجرة.

- ماذا بعد، بيرت انظر ماذا أمسكتُ، قال ويليام.

قال الآخران وهما يأتیان نحوه: ما هذا؟

- يا للعجب، إذا كنت أعرف!

- من تكون؟

- بيلبو باجينز، لص... هوبيت، قالها المسكين بيلبو، وهو يرتجف،  
وتساءل كيف سيستطيع تقليد صوت البومة قبل أن يخنقوه.

- لصهوبيت؟ قالوا وهُم دَهْشُون بعض الشيء. معروفٌ أن استيعاب  
الغيلان بطيء، وشكُّهم كبير في أي شيء جديد عليهم.

- وما يفعل لصهوبيت في جيبي على كل حال، قال ويليام.  
- هل يمكنك طبخه؟ قال توم.

أمَّا بيرت فقد أخذ سِيحًا وقال: يمكنك المحاولة.

قال ويليام، الذي كان قد تناول عشاءً جيدًا بالفعل: بعد سلخه وسحب  
عظامه، لن يساوي أكثر من لقمة.

قال بيرت: ربما يوجد الكثير مثله حولنا، وقد نصنع منهم فطيرة، هيه  
أنت، هل يوجد الكثير من نوعك يتسلَّلون هنا في الغابة، أيها الأرنب الصغير  
الوضيع؟

قال هذا وهو ينظر إلى قدمي الهوبيت ذات الفراء، ثمَّ أمسكه من أصابع  
قدمه وهزَّه.

قال بيلبو: نعم، الكثير، قبل أن يتذكَّر أنه عليه ألا يتخلَّى عن أصدقائه،  
لكنه استدرك الأمر وقال على الفور: لا، لا أحد على الإطلاق، ولا واحد.

أمسكه بيرت من شعره، وقال له: ماذا تعني؟

قال بيلبو وهو يلهث: ماذا أقول، أرجوكم لا تطبخوني أيها السادة  
الطيبون! أنا طَبَّاحٌ جيد، طبخي أفضل من أن أُطَبِّخ، هذا ما كنت أعنيه.  
سأطبخ لكم بشكل رائع، وسأعد لكم فطورًا رائعًا تمامًا، إذا تخلَّيتم عن فكرة  
تناولي على العشاء.

قال ويليام: يا لك من تافهٍ مسكين.

كان تناول بالفعل أكبر قدر ممكن من العشاء، وشرب الكثير من البيرة،  
وأضاف: صغيرٌ تافهٌ مسكين! دعوه يذهب!

ردَّ عليه بيرت وقال: ليس قبل أن يخبرنا، ماذا كان يعنيه عندما قال، الكثير ولا أحد على الإطلاق. فأنا لا أريد أن تُقَطَّع عنقي وأنا نائم، ضع أصابع قدميه في النار حتَّى يخبرنا!

قال ويليام: لن أفعل ذلك، وأنا من أمسكه على أي حال.

ردَّ عليه بيرت: أنت غبي أحمق يا ويليام، كما قلت لك من قبل في هذا المساء، يا لك من مغفل!

قال بيرت: فلن آخذ منك هذا بيل هوغينز (يقصد بيلبو باجينز)، ولگمَّ ويليام في عينه.

عندها وقع بينهما نزاع فظيع. كان لدى بيلبو ما يكفي من الفطنة، عندما أسقطه بيرت على الأرض، ليهرب مبتعدًا عن طريق أقدامهم، قبل أن يتقاتلوا مثل الكلاب، صارخين على بعضهم بعضًا بشتَّى أنواع الأسماء الحقيقية والألقاب المناسبة بأصواتٍ عالية جدًا. ثمَّ سرعان ما أطبق أحدهما على الآخر بذراعيه، وتدحرجا وهما يضربان ويركلان بعضيهما قريبًا من النار. في ذلك الوقت حاول توم فضُّ الاشتباك عن طريق ضربهما بعنف بغصن شجرة ليعيدهما إلى رُشدهما، وهذا بالطبع ما جعلهما هائجين أكثر من ذي قبل. كان هذا هو الوقت المناسب لفرار بيلبو، لكنَّ قدميه الصغيرتين العاجزتين كانتا مهشمتين من مخالب بيرت الكبيرة، كان غير قادرٍ على التنفُّس وقد شعر بدوار شديد في رأسه. فتمدَّد لفترة قصيرة خارج إطار ضوء النار لاهنًا يستجمع قواه.

ثمَّ وصل بالين في ذروة القتال. كان الأقرام قد سمعوا ضجَّةً من مسافة بعيدة، فبعد انتظارهم بيلبو لبعض الوقت حتَّى يعود، أو ليصبح مثل البومة. لكنه لم يعد، لذلك بدؤوا بالتسلُّل واحدًا تلو الآخر نحو الضوء بهدوء قدر الإمكان. ما إن رأى توم بالين يظهر إلى النور حتَّى أطلق صرخةً مروعة. ببساطة فإن الغيلان تكره رؤية الأقرام نيئة (غير مطبوخة). توقَّف بيرت وويليام عن القتال فورًا وقالوا: هات الكيس بسرعة يا توم، فيما كان بالين



يتساءل راغبًا في معرفة ما حدث، وأين كان بيلبو ضمن كل هذه الفوضى.  
وإذ بكيس فوق رأسه، فوق بعدها على الأرض.

قال توم: هنالك المزيد منهم وسيأتون حالًا، أم إنني مُخطئٌ بشكلٍ كبير.  
لقد قال لنا الكثير ولا أحد على الإطلاق، هذا هو. ليسوا لصهوبيت بل الكثير  
من هؤلاء الأقرام، هذا متوقَّفٌ على أشكالها.

قال بيرت: أظن أنك على صواب، ومن الأفضل لنا أن نخرج من الضوء.  
اختبئوا في العتمة وبأيديهم الأكياس التي كانوا يستخدمونها في حمل  
الخرفان وبقية الغنائم التي يسلبونها، كانوا يترقبون في الظلال. عندما  
كان كل قزم يأتي وينظر إلى النار، والأباريق المهشمة والمراقة على الأرض،  
واللحوم المأكولة. وبفرقة مفاجئة! كان كيس كرية الرائحة يسقط فوق  
رأسه، فيسقط على الأرض. وسرعان ما استلقى دوالين بجوار بالين، وفيلي  
وكيلي معًا، ودوري ونوري وأوري كلهم في كومة، وأورين وجلوين وبيفور  
وبوفور وبومبور، تراكموا فوق بعضهم بشكلٍ مزعج قرب النار.

قال توم: هذا سيعلِّمهم، لأن بيفور وبومبور قد تسبَّبَا في الكثير من  
المشكلات، وقاتلا بجنون، كما يفعل الأقرام عندما يُحاصرون.

جاء ثورين أخيرًا، ولم يُقبض عليه على حين غرّة. لقد جاء متوقِّعًا الأذى،  
ولم يكن بحاجة لكي يرى أرجل أصدقائه تبرز من الأكياس ليعرف أن الأمور  
لم تكن على ما يرام. وقف بالظلال بعيدًا بعض الشيء، وقال: ما كل هذه  
المشكلات؟ مَنْ كان يضرب شعبي هنا؟

إنهم الغيلان، ردَّ عليه بيلبو من خلف الشجرة، والذي كان قد نسي الآخرين  
كل شيء عنه. ثم تابع يقول: وهم مختبئون في الأجمات والأكياس بأيديهم.

أوه! وهل فعلوها؟ قال ثورين، وقفز إلى الأمام نحو النار، وقبل أن يتمكَّنوا  
من القفز عليه، التقط غصنًا كبيرًا مشتعلًا بالنار من أحد طرفيه، ودفع  
بنهايته المشتعلة في عين بيرت قبل أن يتمكَّن من تفادي الضربة. وهذا ما  
أخرجه من المعركة لفترةٍ وجيزة. وبذل بيلبو قصارى جهده، للإمساك بساق  
توم، على قدر استطاعته. فقد كانت سميكة كجذع شجرة صغيرة. لكنه أرسل

يدور إلى أعلى بعض الأغصان، عندما ركل التوم الجمر إلى الأعلى ليتطاير في وجه ثورين.

وهجم عليه فدخل الغصن الذي كان في يد ثورين بين أسنان توم ممًا جعله يفقد إحدى أسنانه الأمامية، ويمكنني أن أخبرك بأن هذا جعله يعوي من الألم. وفي تلك اللحظة جاء ويليام من الخلف ورمى بكيس فوق رأس ثورين تمامًا، وأنزله حتى أصابع قدميه. وهكذا انتهت المعركة. والآن وقعوا جميعهم في مأزقٍ صعب: كلهم مقيّدون بعناية بالأكياس مع ثلاثة غيلانٍ غاضبة جالسين بجوارهم (اثنان منهما مصابان أحدهما بحروق والثاني بتهشمٍ في الأسنان، إن كنت تذكر). راح الغيلان يتجادلون في ما بينهم، حول ما إذا كان يجب تحميمهم ببطء، أو فرمهم جيدًا وسلقهم، أو يكفي الجلوس عليهم واحدًا تلو الآخر لسحقهم وتحويلهم إلى هلام. وكان بيلبو في أعلى شجيرة هناك، بملابسه وجلده الممزّقين، لا يجرؤ على التحرك خوفًا من سماعه.

في ذلك الوقت تمامًا عاد جاندالف. لكن لم يره أحد، قرّر الغيلان للتوّ شَيّ الأقدام وتحميمهم الآمن، وأكلهم في وقتٍ لاحق، وهي فكرة بيرت، وبعد الكثير من الجدل وافقوا جميعًا عليها.

قال صوت: من غير المستحسن تحميمهم الآن، سيستغرق الأمر الليل كلّه، اعتقد بيرت أنه صوت ويليام.

فقال: لا تبدأ النزاع مجددًا يا بيل، أو سيستغرق الأمر الليل كلّه.

قال ويليام، الذي ظنّ أن بيرت هو من يتكلّم: مَنْ يِنازع؟

قال بيرت: أنت.

قال ويليام: أنت كاذب، ولذا فإنك تتوسّل لبدء النزاع من جديد. لكن في النهاية قرّروا فرمهم جيدًا وسلقهم. ولهذه الغاية جلبوا قدرًا أسود، وأخرجوا سكاكينهم.

قال الصوت ثانيةً: من غير المستحسن سلقهم! ليس لدينا ماء، والطريق طويل إلى البئر أو أي ماء آخر. ظنّ بيرت وويليام أنه صوت توم.

فقال كلاهما على الفور: إمّا أن تخرس! وإمّا أننا لن نقوم بذلك أبداً. وإذا قلت شيئاً آخر، ستحضر الماء بنفسك.

قال توم الذي ظنّه صوت ويليام: اخرس أنت! أوْدُ أن أعرف، مَنْ يسعى إلى النزاع سواك.

فقال له ويليام: أنت أيها الأبله.

فردّ عليه توم: لا أبله سواك.

هكذا بدأ النزاع بينهم من جديد، وأصبح أكثر سخونة من قبل، حتّى قرّروا أخيراً الجلوس على الأكراس ليسحقوها واحداً، واحداً، ومن ثمّ يسلقونهم في وقت لاحق.

قال الصوت من جديد: على مَنْ سنجلس أولاً؟

قال بيرت الذي تضرّرت عينه من قِبَل ثورين (وكان يعتقد أن توم هو من كان يتكلم معهم): أفضّل الجلوس أولاً، على آخر واحدٍ وصل منهم إلى هنا. أجابه توم: لا تتحدّث إلى نفسك! وإذا كنت تُريد الجلوس على آخر واحد، هيا اجلس عليه، لكنّ قل لي من هو؟

قال بيرت: ذلك ذو الجوارب الصفراء.

قال صوت مثل صوت ويليام: هذا كلام فارغ، بل ذو الجوارب الرمادية.

قال بيرت: أنا متأكّد أنها كانت صفراء.

قال ويليام: لقد كانت صفراء.

قال بيرت: إذن مَنْ الذي قال إنها كانت رمادية؟

أجابه ويليام: أنا لم أقل شيئاً، بل توم هو مَنْ قالها.

قال توم: لم أفعلها قط! لقد كُنْتُ أنت.

ردّ عليه بيرت: اثنان إلى واحد، لذا اخرس!

قال ويليام: مَنْ ذا الذي نتحدّث إليه؟

قال توم وبيرت معًا: أوقفوا ذلك الآن، فقد مضى الليل، وسيأتي الفجر عمًا قريب. دعونا نتعامل معهم.

- أتاكم الفجر، ولتتحولوا إلى ججارة!

قالها صوتٌ يشبه صوت ويليام، لكنه لم يكن كذلك. لأنه في تلك اللحظة بالذات جاء الضوء من فوق التلّ، واهتزت أغصان الأشجار بشكلٍ عنيف. لم ينكّم قط، بل وقف وتحول إلى حجر وهو يتحني. أمّا بيرت وتوم فقد تجمّدا كصخرتين وهما ينظران إليه. وما زالوا واقفين هناك إلى هذا اليوم، وحدهم، ما لم تحطّ عليهم الطيور. لأن الغيلان -على الأرجح- كما تعلمون، يجب أن يتواروا تحت الأرض قبل طلوع الفجر، وإلا فإنهم سيعودون إلى خامات الجبال التي صنّعوا منها، ولن يتحرّكوا ثانيةً. وهذا ما حدث لكلّ من بيرت وتوم وويليام.

قال جانداالف: ممتاز! وهو يمشي خارجًا من وراء شجرة، وساعد بيلبو على النزول من أعلى شجرة زعرورٍ شائكة. عندها فهم بيلبو أن صوت الساحر هو الذي أبقى الغيلان يتنازعون ويتشاجرون، إلى أن جاء الضوء وكانت نهايتهم.

الشيء الثاني الذي كان يجب فعله، هو فكُّ الأكياس وإخراج الأقزام، الذين كانوا على وشك الاختناق، كانوا منزعجين جدًّا، لم يستمتعوا قط بالاستلقاء هناك وهُم يستمعون إلى الغيلان وهُم يخطّطون إلى شيءٍ وسحقهم وفرمهم. وكان عليهم الاستماع إلى رواية بيلبو، مرّتين، عمّا حدث له مع الغيلان، قبل أن يفتنعوا ويرضوا.

قال بومبور: لقد اخترت الوقت السخيف لممارسة عادة الاختلاس ونشل الجيوب، فيما كنّا نريد فقط الحصول على النار والطعام.

فأجابه جانداالف: على أي حال، هذا هو بالضبط ما لم تكن قادرًا على الحصول عليه من هؤلاء الزملاء من دون قتال.



- مع ذلك فإنك تضعيع الوقت بلا فائدة الآن، ألا تعلم أنه يجب أن يكون للغيلان كهفٌ أو تجويفٌ محفور في مكانٍ ما قريبٍ من هنا، ليحميهم من أشعة الشمس؟ ويجب أن نبحث عنه.

فتَّشوا في المكان حولهم، وسرعان ما وجدوا آثار أحذية الغيلان الحجرية التي تسير مبتعدةً عن الأشجار. تتبَّعوا المسارات إلى أعلى التلِّ. حتَّى وصلوا إلى بابٍ حجريٍّ كبيرٍ مخفيٍّ بالشجيرات، يؤدِّي إلى كهف. لكنهم لم يستطيعوا فتحه، رغم أنهم قاموا جميعًا بدفعه، وحاول جاندالف بتعاويد مختلفة، لكن دون فائدة.

وعندما شعروا بالتعب والغضب، سأل بيلبو: هل سيكون هذا مفيدًا؟ لقد وجدته ملقىً على الأرض عندما كان الغيلان يتقاتلون. وأخرج مفتاحًا كبيرًا. على الرغم من أن ويليام كان يعتبره بلا شك صغيرًا جدًّا ومهمًّا، لا بدُّ أنه سقط من جيبه، ولحسن الحظ، أنه سقط قبل أن يتحوَّل ويليام إلى حجر.

صاحوا به: بحقِّ الأرض لماذا لم تذكره من قبل؟

أمسكه جاندالف، وأدخله في ثقب المفتاح، ثمَّ أدار الباب الحجري إلى الوراء بدفعة كبيرة واحدة، ودخلوا جميعهم إلى الكهف. كانت هناك عظام مرميةً على الأرضية، ورائحةٌ كريهة في الهواء، لكنَّ كانت هناك كمية كبيرة من الطعام المبعثر من دون ترتيب على الرفوف وعلى الأرض، بين بقايا الغنائم المبعثرة. من شتَّى أنواع الأرزار النحاسية إلى الأواني المليئة بالعملات الذهبية والمكومة بالزاوية. كان هناك أيضًا الكثير من الملابس، المعلقة على الجدران -وهي صغيرة جدًّا على الغيلان، أخشى أنها كانت تخصُّ الضحايا- ومن بينهم كانت عدَّة سيوف من طرازات مختلفة الأشكال والأحجام. اثنان منها لفتا الانتباه بشكلٍ خاص، بسبب غمديهما الجميلين ومقبضيهما المرصعين بالجواهر. وقد أخذ كلُّ من جاندالف وثورين واحدًا من هذين السيوف، وأخذ بيلبو سكينًا له غلافٌ جلدي، كان من الممكن أن يكون سكين جيبٍ للغول، لكنه أصبح سيفًا قصيرًا جيدًا للهوبيت.

سحب الساحر السيوف من أغمادها نصف سحبة، ونظر إليهم بفضول ثم قال: إنها نصالٌ جيدة، بالتأكيد لم تُصنع من قبل أي غول، ولا من قبل أي حدّاد بشري في هذه الأثناء والأيام، لكن عندما نستطيع قراءة الأحرف الرونية المنقوشة عليهم، سنعرف أكثر عنهم.

قال فيلي: دعونا نخرج من هذه الرائحة الكريهة!

وهكذا خرجوا وحملوا معهم كل الأواني المملوءة بالعملات الذهبية، والأطعمة التي لم يمسهها الغيلان، ويبدو أنها صالحة للأكل. وحملوا معهم أيضًا برميلاً من البيرة كان لا يزال ممتلئًا، وفي ذلك الوقت شعروا بحاجتهم إلى الفطور، ولأنهم كانوا جائعين جدًّا، لم يشغلوا أنوفهم لشمّ روائح ما حصلوا عليه من مخزن الغيلان. كانت مؤنهم الخاصّة ضئيلةً جدًّا بالمقارنة مع ما أخذوه من كهف الغيلان. أمّا الآن فليدهم الخبز والجبن والكثير من البيرة، ولحم الخنزير المقدّد للتحميص على جمر النار. بعد ذلك ناموا، لأن ليلتهم كانت مزعجةً (ولم يفعلوا أي شيء حتّى وقت ما بعد الظهيرة). ثمّ أحضروا مهورهم، وحملوا عليها الأواني المليئة بالذهب، وأخفوها تمامًا بمكانٍ سري غير بعيد عن الطريق المجاور للنهر، وألقوا عليهم الكثير من التعاويذ. فقط في حال أتاحت لهم الفرصة للعودة واستعادتها، بعد انتهائهم من العمل، صعدوا جميعًا مرّةً أخرى، وانطلقوا ثانيةً على الطريق المتجه نحو الشرق.

في أثناء مسيرهم على الطريق قال ثورين لجاندالف: هل لي أن أسأل إلى أين ذهبت؟

أجابته: للنظر إلى الأمام.

قال ثورين: وما الذي أعادك في الوقت المناسب؟

أجاب جاندالف: للنظر إلى الخلف.

قال ثورين: بالضبط! لكن هل يمكن أن تكون أكثر وضوحًا؟

- ذهبت لأستطلع طريقنا، عمّا قريب سيصبح خطرًا وصعبًا. أيضًا كنت قلقًا بشأن تجديد مخزوننا الضئيل من المؤن. ومع ذلك، لم أكن قد ابتعدت كثيرًا، عندما قابلت اثنين من أصدقائي من ريفنديل.

سأل بيلبو: أين تقع؟

فقال له جاندالف: لا تقاطع أحدًا في أثناء الكلام! ستصل إلى هناك في غضون أيام قليلة من الآن - إذا كنّا محظوظين - عندها اكتشف كل شيء عنها. كما كنت أقول إنني قابلت اثنين من أفراد شعب إيلروند. كانا متعجلين خوفًا من الغيلان. وهما من أخبراني أن ثلاثة من الغيلان نزلوا من الجبال واستقرّوا في الغابة على مقربة من الطريق، وقد أربعوا كل شخص كان بعيدًا عن منطقتهم. وكمنوا للغرباء على الطريق.

- شعرت على الفور بأنني مطلوب للعودة. نظرت خلفي فرأيت نارًا من مسافة بعيدة، واتجهت نحوها. ها أنت الآن تعلم بما جرى. من فضلك كُن أكثر حذرًا، في المرة القادمة، وإلا فلن نصل إلى أي مكان!

قال ثورين: شكرًا لك!

## الفصل الثالث

### استراحة قصيرة

لم يَغْنُوا أو يحكوا القصص في ذلك اليوم، رغم تحسُّن الجوِّ، ولا في اليوم التالي، ولا في الذي يليه. إذ بدؤوا يشعرون بأن ذلك الخطر لم يكن بعيدًا عنهم من كلا الجانبين. خيَّموا في العراء تحت النجوم، وأكلت مهورهم أكثر منهم، فقد كان هناك الكثير من العشب، فيما لم يبقَ الكثير في حقائبهم، حتَّى مع ما حصلوا عليه من غنيمة الغيلان. وفي صباح أحد الأيام عبروا نهرًا من موضعٍ واسعٍ وضحل، يعلوه صخب الحجارة والزَّبَد. كانت الضفة البعيدة زلقةً وشديدة الانحدار، عندما وصلوا إلى قممها على ظهور مهورهم رأوا تلك الجبال العظيمة وقد اقتربت جدًا منهم. هكذا بدت بالفعل، رحلة سهلة وليومٍ واحدٍ فقط من السفوح الأقرب، تفصل بينهم وبين الجبال العظيمة. مظهرها موحشٌ قاتم، على الرغم من وجود بعض بقعٍ من ضوء الشمس على جوانبها البنية، وخلف كتفها تلمع أطراف القمم الثلجية.

سأل بيلبو بصوتٍ متهيِّبٍ: هل هذا هو الجبل؟

وهو ينظر إليها بعينين متسعيتين. فلم يسبق له أن رأى شيئاً كان يبدو بهذا الحجم من قبل.

قال بالين: بالطبع لا! هذه ليست إلا بداية الجبال الضبابية، وعلينا عبورها بطريقة أو بأخرى، إمّا من فوقها، وإمّا من تحتها، قبل الوصول خلفها إلى ويلدرلاند في الجانب الآخر. وهي (أي الجبال الضبابية) تقع في منتصف الطريق المؤدّي إلى الجبل المنعزل في الشرق، حيث ينام سموج على كنزنا. قال بيلبو: أوه! وفي تلك اللحظة بالذات شعر بغربة لم يتذكّر أنه شعر بمثلا من قبل، فكّر مرّة أخرى بكرسيه المريح قبالة النار، في غرفة جلوسه المفضّلة، في هوبيتول، وأزيز الغلاية. ولن تكون هذه هي المرّة الأخيرة التي يتذكّر فيها تلك الحالة!

هنا بدأ جاندالف قيادة المجموعة، وقال: يجب ألا نتوه عن الطريق، أو سننتهي دونه. أول شيء، نحن بحاجة إلى الطعام، والاستراحة في أمانٍ مقبول، كما أنه من الضروري التعامل مع الجبال الضبابية من خلال المسار الصحيح، وإلا فسوف نضيع فيها، وسنحتاج إلى العودة والبدء من جديد (هذا إذا تمكّنتم من العودة سالمين).

سألوه عن المكان الذي يقصده بكلامه فأجاب: سنسير حتّى نهاية البرية، وهناك كما يعرف بعضكم، يستتر في مكانٍ ما أمامنا وادي ريفنديل الجميل، حيث يسكن إيلروند في آخر بيتٍ عائلي. لقد أرسلت إليه مع أصدقائي وها نحن في الانتظار.

بعثت كلماته تلك التشجيع في نفوسهم، لكنهم لم يصلوا إلى هناك بعد. ولم يكن الأمر سهلاً كما يبدو، للعثور في الجهة الغربية للجبال، على آخر البيوت العائلية. يبدو أنه لا توجد حدودٌ تفصل الأرض أمامهم لا من أشجار أو وديان ولا حتّى تلال. يوجد فقط منحدر ضخم يرتفع ببطء ليلتقي سفحاً أقرب جبل. وأرض عريضة ملونة بأزهار الخلنج والصخور المفتتة، مع بقع ومنخفضات من العشب الأخضر والطحالب، التي تشير إلى مكان وجود الماء.



ذهب الصباح وجاءت الظهيرة، ولم تكن هناك أي علامة في كل هذا القفر الصامت تشير إلى وجود أي مسكن. فاعتراهم القلق، لأنهم تصوّروا أن يكون المنزل مخفياً في أي مكانٍ على كامل المساحة الفاصلة بينهم وبين الجبال. وصلوا بشكلٍ مفاجئٍ إلى وادٍ ضيقٍ ذي جوانبٍ عميقة، وقد انكشف مباشرةً أمام أقدامهم. نظروا إلى الأسفل مدهوشين لرؤية أشجارٍ ومياهٍ جارية في القاع تحتهم. كانت هناك بعض الأخاديد مع شلالاتٍ عميقة والتي يمكن القفز فوقها تقريباً. كان هناك أيضاً وديان مظلمةٌ والتي لا يستطيع المرء تسلُّقها أو القفز منها. وكان هناك مستنقعات، بعضها مناطق خضراء ممتعة للنظر بأزهارها الطويلة المتألقة. وإذا سار هناك مُهرٌ محمّلٌ بالأمّعة فلن يخرج منها أبداً.

كان بيلبو ذاهلاً؛ إنها بالفعل أوسع أرض صادفوها من المعبر إلى الجبال، أوسع بكثير ممّا كان يتوقّع. كان الطريق الوحيد معلّماً بالحجارة البيضاء بعضها صغير، وبعضها الآخر مغطى نصفه بالخلنج أو الطحالب. كانت عملية اتباعه للمسار بالمجمل بطيئةً جداً، حتّى استرشدوا بجاندالف الذي يبدو أنه كان يعرف الطريق جيداً.

كان رأسه ولحيته يهتزّان بهذا الاتجاه أو ذاك عندما ينقل نظره بين حجرٍ وآخر، وكلهم تبعوه. لكنهم لم يبدوا قريبين من الوصول إلى نهاية بحثهم عندما انقضى النهار. لقد مرّ وقت الشاي منذ زمنٍ طويل، ويبدو أنّ وقت العشاء سينقضي مثله سريعاً. كانت هناك فراشات ترفرف حولهم، وأصبح الضوء خافتاً لأن القمر لم يُشرق. وراح مُهر بيلبو يتعزّز بالحجارة والجدور. ثمّ وصلوا إلى حافةٍ تنحدرُ في الأرض بشكلٍ مُفاجئٍ، لدرجة أن حصان جاندالف كاد أن ينزلق إلى أسفل المنحدر.

أخيراً هذا هو! صاح جاندالف، فاجتمع الآخرون من حوله ونظروا فوق الحافة. فرأوا وادياً بعيداً في الأسفل، كانوا يستطيعون سماع صوت المياه المتدفقة على المجرى الصخري في القاع، وتنسّم أريج الأشجار في الهواء. كان هناك ضوء على جانب الوادي فوق المياه. لن ينسى بيلبو الطريق

الذي تسلَّلوا وانزلقوا به مساءً نازلين عبر مسارٍ متعرِّجٍ شديد الانحدار إلى وادي ريفنديل المخفي. مع نزولهم أصبح الهواء أكثر دَفْئًا، ورائحة أشجار الصنوبر جعلتهم يشعرون بالنعاس. لذلك بين الحين والآخر كان ينكُّس رأسه إلى الأسفل وكاد في بعض المرَّات أن يسقط أو يصدم أنفه بقربة المُهر. ارتفعت معنوياتهم أكثر وهم يهبطون ويهبطون، تبدَّلت أنواع الأشجار حولهم إلى الزان والبلوط، ومع المغيب أصبح هناك شعور عارم بالراحة. كان اللون الأخضر قد تلاشى تقريبًا من العشب، عندما وصلوا إلى امتداد فسحة مكشوفة، ليست أعلى بكثير من ضفاف الجدول.

فكَّر بيلبو: هممم! رائحتها مثل رائحة الجان! ثمَّ نظر إلى النجوم، كانت تومض باللون الأزرق الساطع. وفي تلك اللحظات بالذات، جاءت موجة من الأغاني شبيهة بالضحك وكانت قادمةً من جهة الأشجار.

أوه، ماذا تفعل؟

وإلى أين تذهب؟

مهورك بحاجة إلى حدوات!

النهر جارٍ!

أوه! ترا-لا-لا-لاي

نازل للوادي!

أوه! علامَ تبحث؟

وأين تعمل؟

الحزمة كريمة الرائحة،

والكعك قد خُبز،

أوه! تدبيل-ليل-ليل-لوللي

الوادي سعيد (فرحان)،

ها! ها!

أوه! إلى أين تذهب  
بلحى تهتئ وتلعب؟  
بلا علم ولا معرفة  
ماذا جلبت يا سيد باجينز  
وبالين ودوالين  
نزلوا إلى الوادي  
في حزيران  
ها! ها!

أوه! هل ستبقى،  
أم ستطير؟  
مهورك شردت!  
وضوء النهار قد انتهى!  
سيكون الطيران حماقة  
والبقاء سيكون مرحًا  
استمع وأصغ  
حتى نهاية الظلام  
إلى نغمتنا  
ها! ها!

هكذا ضحكوا وغنّوا بين الأشجار، وأجروا على القول إنك تعتقد أنها حماقة  
ظريفة جدًا. ذلك لا يهمهم. وسوف يضحكون أكثر فقط إذا أخبرتهم بذلك.  
كانوا من الجان بالطبع، سرعان ما خطف بيلبو نظرةً منهم مع تعمق الظلام.  
كان يحب الجان، رغم أنه نادرًا ما التقاهم، لكنه كان خائفًا منهم بعض الشيء  
أيضًا. حتّى الأقرام المحترمين مثل ثورين وأصدقائه يعتقدون أنهم حمقى  
(وهو أمرٌ من حماقة التفكير فيه)، أو ينزعجون منهم. لأن بعض الجان  
يضايقونهم ويضحكون عليهم، وأكثر شيء أنهم يضحكون على لحاهم.

قال صوتٌ: حسنًا، حسنًا! انظر فقط!

- الهوبيت بيلبو يركب مهزًا، أليس ذلك لذيذًا يا عزيزي!

ردّ عليه صوتٌ آخر: مُدهش أكثر من رائع!

ثمّ ذهبوا إلى أغنية أخرى سخيفة مثل تلك التي ألّفها بالكامل، وأخيرًا،  
خرج من بين الأشجار شاب طويل القامة وانحنى أمام جاندالف وثورين. ثمّ  
قال: أهلاً بكم في الوادي!

- شكرًا لك، قال ثورين بقليل من الفضاظة.

أمّا جاندالف كان بالفعل قبالة حصانه وبين الجان، يتحدّث معهم بمرح.  
قال واحدٌ من الجان: لقد ابتعدت قليلًا عن طريقك، هذا إذا كنت تعمل من  
أجل مسار وحيد عبر الماء وإلى البيت خلفه. سوف نصحّح مسارك، لكن من  
الأفضل لك السير على الأقدام، حتّى تعبر الجسر. هل ستبقى قليلًا وتغنّي  
معنا، أم ستمضي قُدّمًا؟ أجابه: إنهم يحضرون العشاء هناك، أستطيع شمّ  
رائحة حطب الطبخ.

كان بيلبو يودُّ البقاء لفترة من الوقت، لكنه كان مرهقًا كعادته. فغناء  
الجان تحت نجوم شهر حزيران (يونيو) شيء لا يمكن تفويته، خاصّة إن  
كنت من المهتمّين بهذه الأشياء. كما أنه كان يودُّ بعض الحديث الخاص مع  
هؤلاء القوم، الذين يبدو أنهم يعرفون أسماءه وكل شيء عنه، على الرغم أنه  
لم يسبق له رؤيتهم من قبل. كان يعتقد أنّ رأيهم في مغامرته قد يكون مثيرًا

للاهتمام. معارف الجان كثيرة، وهم شعب عجيب بمعرفة الأخبار، يعلمون بما يجري بين شعوب الأرض، بسرعة تدفق الماء، أو أسرع.

أمّا الأقرام فكانوا جميعًا يريدون تناول العشاء في أقرب وقتٍ ممكن في ذلك الحين، ولا يريدون البقاء. لذلك ذهبوا جميعهم يَجْرُونَ مهورهم خلفهم، حتّى نُقِلُوا إلى مسار جيد وهكذا أخيرًا إلى حافة النهر، الذي كان يتدفق بسرعةٍ وصخب، كما يحدث مع الجداول الجبلية في أمسيات الصيف، عندما تكون الشمس قد سلّطت أشعتها على الثلوج طوال النهار. لم يكن هناك سوى جسر حجري ضيق ومن دون حاجز، ضيق بما فيه الكفاية ليستطيع مهر واحد السير عليه، وفوق هذا الجسر كان عليهم أن يمشوا جميعهم، ببطء وحذر، واحدًا تلو الآخر، كل واحدٍ منهم يقود مهره من لجامه، جلب الجان الفوانيس اللامعة المضيئة إلى الضفة، وغنّوا أغنية مرحة في أثناء مرور المجموعة.

- لا تغمس لحيتك في الرغوة يا أبي! صرخوا على ثورين، الذي كان منحنيًا تقريبًا على يديه وركبته، إنها طويلة بما يكفي دون سقايتها.

نادوا بيلبو: انتبهوا إلى بيلبو لكي لا يأكل كل الكعك! إنه سمين جدًا ليعبر

ثقوب المفاتيح بعد!

قال جانداالف الذي كان آخر شخص يعبر الجسر: صه، صه! أيها القوم الطيبون! تصبحون على خير! الأودية لها آذان، وبعض الجان يملكون أسنّة أكثر من مرحة، طابت ليلتكم!

وهكذا في النهاية وصلوا إلى آخر بيتٍ عائلي، فوجدوا أبوابه مشرعة لهم. والآن حقًا إنها لأمر غريبة، إن الأشياء الجيدة والأيام التي من الجيد قضاؤها، فإننا لا نخبر بها إلا باقتضاب، ولا يُصغى إليها كثيرًا. بينما تلك الأشياء المزعجة المخيفة وحتّى الشنيعة يمكنك أن تصنع منها قصّة جيدة وتتطلب قدرًا كبيرًا من السرد. على أي حال، لقد مكثوا فترة طويلة في ذلك البيت الجيد، أربعة عشر يومًا على الأقل، وقد وجدوا صعوبة في مغادرته. سيكون بيلبو في غاية السرور إن بقي هناك إلى أبد الأبدين. حتّى لو افترضنا



وجود أمنية كانت ستعيده مباشرة إلى هوبيتول دون مشكلات. ليس هناك الكثير لنقله عن إقامتهم في ريفنديل.

سيد البيت كان من الجان الودودين، واحداً من أولئك الأشخاص الذين دخل آباؤهم في القصص الغريبة قبل بداية التاريخ، وحروب الجوبلن الأشرار والجان والبشر الأوائل في الشمال. في تلك الأيام من حكايتنا كان لا يزال هناك بعض الأشخاص لديهم أسلاف من كلا النسولين الجان وأبطال الشمال، وإيلرونيد سيد المنزل هو زعيمهم.

لقد كان شريفاً جميل الوجه كسيدٍ جنّي، قوياً كمحارب، حكيماً كساحر، وقوراً كملك الأقرام، ولطيفاً كنسمة صيف. يأتي في الكثير من الحكايات، لكنّ دوره في قصة مغامرة بيلبو العظيمة هو جزء صغير فقط، على الرغم من أهميته، كما سترى عندما نصل إلى نهايتها. كان منزله مثالياً، سواء كنت تحب الطعام، أو النوم، أو العمل، أو رواية القصص، أو الغناء، أو مجرد الجلوس والتفكير بشكل أفضل، أو مزيج لطيف منهم جميعاً. لم تصل المخلوقات الشريرة إلى ذلك الوادي.

أتمنى أن يكون لديّ الوقت لأخبرك حتّى ببعض القصص أو أغنية أو اثنتين من الأغاني التي كانت تُسمع في ذلك البيت، أو ربّما كل الأغاني.

هناك تعافت المهور وانتعشت وأصبحت قوية في غضون أيام قليلة، وأصلحت ملابسهم وشفيحت كدماتهم، طباعهم وأمانهم. ملئت حقائبهم بالطعام والمؤن، وكانت خفيفة على الحمل، قوية بما يكفي لترافقهم عبر ممّرات الجبال. عدلت مخططاتهم بأفضل النصائح. وهكذا جاء أوان ليلة منتصف الصيف، وكان عليهم العودة ثانية مع شروق الشمس الباكر في صبيحة منتصف الصيف.

يعرف إيلرونيد كل شيء عن أنواع الأحرف الرونية كافة. في ذلك اليوم نظر إلى السيوف التي أخذوها من مخبأ الغيلان وقال: هذه ليست من صنع الغيلان. إنها سيوف قديمة. قديمة جداً، كانت لأقربائهم من الجان السامي في الغرب. صنعت في جوندولين لحروب الجوبلن، لا بدّ أنهم قد أتوا من كنز تتين أو غنيمه جوبلن. لأن التنانين والجوبلن هم الذين دمروا مدينة جوندولين منذ عدّة عصور. الاسم المكتوب على سيف ثورين بالأحرف الرونية هو

أوركريست ومعناه ساطور الجوبلن بلغة جوندولين القديمة. وقد كان نصلاً مشهوراً جداً. أما السيف الذي مع جاندالف فهو جلامدرينج ومعناه مطرقة العدو، وهو السيف الذي حمله ملك جوندولين ذات مرّة. احفظوها جيداً!  
قال ثورين وهو ينظر إلى سيفه باهتمام مستجدّ: أتساءل في نفسي، من أين حصل عليهم الغيلان؟

قال إيلروند: لا أستطيع الجزم في ذلك، لكن المرء قد يخمن بأن غيلانكم قد نهبوا ناهبين آخرين، أو ربما وقعوا على بقايا سرقات قديمة ببعض الحصون في الجبال. لقد سمعت أنه لا تزال هناك كنوز قديمة منسيّة يمكن العثور عليها في الكهوف المهجورة لمناجم موريا، منذ حرب الأقرام والجوبلن.  
تأمل ثورين هذه الكلمات وقال: شرف لي أن أحتفظ بهذا السيف. ربما، وعمّا قريب يشقُّ الجوبلن مرّة أخرى.

قال إيلروند: أمنيّة من المحتمل أن تتحقّق قريباً في الجبال! لكن الآن أرني خريطتك!

أخذها وحدّق إليها مطوّلاً، ثم هزّ رأسه، لأنه بالمجمل لا يوافق الأقرام في حبهم للذهب، لكنه يكره التنانين وأذيتها القاسية. اكتأب عندما تذكّر خراب مدينة ديل وأجراسها المرحّة، والضفاف المحترقة لنهر رانينج الصافي. كان القمر يضيء بهلال فضيّ عريض. رفع الخريطة فظهر الضوء الأبيض من خلالها، ثمّ قال: ما هذا؟ هناك أحرف قمرية هنا بجانب الأحرف الرونية البسيطة والتي تقول: "ارتفاع الباب خمسة أقدام، وثلاثة قد يسيرون فيه جنباً إلى جنب".

- ما هي الأحرف القمرية؟ سأل بيلبو تملؤه الإثارة، فهو يحب الخرائط كما أخبرتكم من قبل، وكذلك يحب الأحرف الرونية أيضاً وبراعة الكتابة اليدوية، على الرغم أنه عندما يكتب بنفسه تكون خطوطه رفيعة ومتداخلة.

قال إيلروند: الأحرف القمرية هي أحرف رونية، ولبكنك لا تراها، ولا حتّى عندما تنظر إليها بشكل مباشر. يمكنك رؤيتهم فقط عندما يطلع القمر من خلفها، والأكثر من ذلك، هناك نوع أكثر براعة، وهي تلك الأحرف التي لا تظهر

إلا عندما يكون القمر بالشكل نفسه وبالفصل نفسه الذي كُتبت فيه. اخترع الأقزام هذه الأحرف وكتبوها بأقلام فضيَّة، كما يُخبرك أصدقاؤك. وهذه يجب أن تكون قد كُتبت في عشية منتصف الصيف مع هذا الهلال نفسه منذ فترة طويلة.

سأل جاندالف وثورين معًا: وماذا تقول هذه الكتابة؟ ربما كان جاندالف متكدرًا قليلاً حتَّى في هذه فإن إيلروند كان يجب أن يكتشفها أولاً، على الرغم من أنه لم تكن هناك فرصة حقيقة من قبل، ولن تكون هناك فرصة أخرى إلى أن يشاء القدر. قرأ إيلروند ما هو مكتوب على الخريطة، فقال: "قف بجانب الحجر الرمادي عندما يطرق طائر السُّمنة، ومع غروب آخر ضوء من يوم دورين سيتألق الضوء على ثقب المفتاح".

قال ثورين: دورين، دورين! كان والد آباء السلالة الأكبر للأقزام نوي اللحي الطويلة، وجدي الأول، وأنا وريثه.

فسأله إيلروند: إذن ما هو يوم دورين؟

قال ثورين: هو اليوم الأول من السنة الجديدة للأقزام. وهو كما يعرف الجميع، اليوم الأول من آخر قمرٍ للخريف على أعتاب الشتاء. ما زلنا نطلق عليه يوم دورين عندما يجتمع آخر قمرٍ للخريف مع الشمس في السماء. لكنني أخشى أن هذا لن يساعدنا كثيرًا، لأنه يفوق مهارتنا في هذه الأيام لتخمين متى سيأتي مثل هذا الوقت مرَّةً أخرى.

قال جاندالف: يبقى أن نرى ذلك. هل هناك المزيد من الكتابة؟

قال إيلروند: لا مزيد من الكتابة لتقرأ في هذا القمر، وأعاد الخريطة إلى ثورين. ومن ثمَّ نزلوا إلى ضفاف الماء لمشاهدة الجان يرقصون ويغنون في عشية منتصف الصيف.

صباح اليوم التالي، كان صباح منتصف الصيف، وكما هو عادةً جميل ومنعش كما في الأحلام. سماء زرقاء غير ملبَّدة، وأشعة الشمس تتراقص فوق الماء. وسط أغاني الوداع والأمنيات بتقدُّم جيد، انطلقوا في طريقهم، بقلوب مستعدة للمزيد من المغامرات، وبمعرفةٍ أكثر للطريق التي يجب أن يتبعوها عبر الجبال الضبابية ليصلوا إلى الأرض التي خلفها.

## الفصل الرابع

### فوق التل وتحت التل

كانت هناك طرقٌ كثيرة تصعد إلى تلك الجبال، وممراتٌ كثيرة فوقها. لكنَّ معظم الطرق كانت مضلِّلة وخادعة فلم تكن تُؤدِّي إلى أي مكان أو إلى نهايات سيئة. وكان يتفشَّى في معظم تلك الممرَّات المخلوقات الشريرة والأخطار المروعة. اعتمد الأقزام والهوبيت على نصائح إيلروند الحكيمة، ومعرفة وذاكرة جاندالف، لأخذ الطريق والممرَّ الصحيحين.

مضت أيام كثيرة على صعودهم من الوادي وتركهم لآخر بيتٍ عائلي خلفهم على عدَّة أميال وما زالوا مستمرِّين في الصعود إلى الأعلى. كان دربًا صعبًا ومسارًا خطرًا، وهو عبارة عن طريق وحيد طويل وملتوٍ. يمكنهم الآن النظر إلى الأراضي التي تركوها خلفهم هناك في الأسفل البعيد، بعيدًا جدًا في الغرب، حيث تبدو كل الأشياء زرقاء باهتة. كان بيلبو يعلم أن بلاده تتمدَّد هناك آمنَّة مطمئنة. وفيها تقع هوبيتول الخاصَّة به. ارتجف قليلاً، فقد كان الجوُّ باردًا هنا، مع هبَّات شديدة للرياح بين الصخور، في ذلك الوقت أيضًا كانت جلاميد الصخور -التي انفصلت بسبب زوبان الثلوج بعد تعرُّضها

لحرارة شمس منتصف النهار- تندرج على سفوح الجبال. وتمرُّ من بينهم (كان ذلك من حسن حظهم)، أو تعبر من فوق رؤوسهم (التي كانت ترعبهم). كانت الليالي مزعجة وباردة، ولم يجروا على الغناء أو التحدُّث بصوت عالٍ جدًّا، لأن الصدى كان مروعًا، إذ يبدو كأن الصمت يكره الانكسار إلا من صوت صخب المياه وعويل الريح وصوت ارتطام الحجارة المتكسرة.

فكَّر بيلبو، لقد حلَّ الصيف هناك في الأسفل، وجاء معه موسم التنزُّه وقص الحشائش. ووفق هذا المعدَّل سيكونون هناك في الحصاد وقطاف التوت البري قبل أن نبدأ هنا بالنزول إلى الجانب الآخر. وكان الآخرون يفكِّرون في أفكارٍ قاتمةٍ بالقدر نفسه، على الرغم أنه كان لديهم أمل كبير عندما ودَّعوا إيلروند في صبيحة منتصف الصيف. فقد تحدَّثوا بمرح عن عبور الجبال، والركوب السريع عبر الأراضي التي خلفها. لقد فكَّروا في الوصول إلى الباب المخفي في الجبل المنعزل، ربما في ذلك القمر الأخير من الخريف القادم. وربما سيكون هو يوم دورين كما قالوا. فقط جاندالف كان يهزُّ رأسه ولم يقل شيئًا. لم يعبر الأقرام هذا الطريق منذ عدَّة سنوات، لكنَّ جاندالف عبرها ويعرف أن الكثير من الشرور والأخطار نمت وترعرعت في البرية. منذ أن طرد التنانين البشر من الأراضي، وانتشر الجوبلين في الخفاء بعد معركة مناجم موريا. حتَّى تلك الخطط الجيدة المقدَّمة من السحرة الحكماء مثل جاندالف، والأصدقاء الصالحون مثل إيلروند تُخطئ أحيانًا عندما تنطلق في مغامرةٍ خطيرةٍ عبر حافة البرية. وجاندالف حكيم بما فيه الكفاية ليعرف ذلك.

كان يعلم أن شيئًا غير متوقَّع قد يحدث، ولم يجروا على الأمل في أن يعبروا دون حدوث مغامرةٍ مخيفةٍ فوق تلك الجبال الشاهقة ذات القمم والأودية المهجورة حيث لا سيطرة لملكٍ عليها. لكنَّ ذلك لم يحدث، كان كل شيء على ما يرام، حتَّى واجهوا في يومٍ ما عاصفةً رعدية بل أكثر من عاصفة رعدية، كانت معركة رعدية. أنت تعرف مدى الترويع الحقيقي الذي تحدَّته العاصفة الرعدية، التي تسقط على الأرض أو في وادٍ نهري، فما بالك بتلك الأوقات التي تتصادم فيها عواصف رعدية كبيرة مع بعضها. ويبقى البرق والرعد في الجبال ليلاً هُما الأكثر فظاعة من كلِّ ذلك. عندما تأتي العواصف

من الشرق والغرب وتشتعل الحرب بينهم. فيكسّر البرق القمم، وترتجف الصخور والانهيارات العظيمة تشقُّ الهواء وتتدحرج هابطةً في كل كهف أو تجويف. وتمتلئ الظلمة بضوضاءٍ عارمة وضوء مفاجئ.

لم يرَ بيلبو أو يتخيّل شيئاً من هذا القبيل، كانوا هناك في مكانٍ عالٍ وضيق، وإلى جانبهم انهيار مروّع في وادٍ معتم. وقفوا هناك طوال الليل ليحتموا تحت صخرة معلقة بالحافة، تمدد بيلبو تحت بطانية وكان يرتجف من رأسه حتى أخمص قدميه. عندما اختلس النظر، رأى في وميض البرق، عمالقة الحجارة يخرجون من جانب الوادي، ويتراشقون بالصخور، فيلتقطونها ومن ثم يقذفونها في الظلام حيث تتحطم بين الأشجار أسفل الوادي، أو تتفتت إلى أجزاء صغيرة مع أصوات فرقعة عالية. بعدها جاءت ريحٌ ومطر، كانت الريح تضرب المطر فينهمر الوابل المطري حولهم من كل صوب، بحيث لم تعد الصخرة المعلقة تحميهم على الإطلاق. وسرعان ما تبللوا وكانت مهورهم واقفةً ورؤوسها إلى الأسفل وذبولها بين أرجلها. وراح بعضهم يصهل من الخوف، عندما كانوا يسمعون العمالقة وهم يقهقهون ويصرخون في جميع أنحاء سفوح الجبال.

قال ثورين: هذا لن يجدي على الإطلاق، إذا لم تسقطنا الرياح، أو تفرقنا المياه، أو يضربنا البرق، فسوف يلتقطنا أحد العمالقة ويركلنا عاليًا كأننا كرة قدم.





الممر الجبلي

فقال له جانداالف، الذي كان يشعر بشدّة الغضب، وأبعد ما يكون عن السعادة لما تفعله العمالقة: حسناً، إذا كنت تعرف مكاناً أفضل فخذنا إليه!

في نهاية هذا الجدل أرسلوا فيلي وكيلي للبحث عن أفضل ملجأ، كانت لديهما أعينٌ حادّة للغاية، وبما أنهما أصغر من بقية الأقزام بنحو خمسين سنة، لذلك كانوا يولكون إليهما بمثل هذه الأعمال (عندما يرى الجميع أنه لا فائدة على الإطلاق من إرسال بيلبو)، لا يوجد شيء مثل البصر إذا كنت تريد أن تجد شيئاً (أو هكذا قال ثورين للأقزام الصغار). من المؤكّد أنك عادة تجد شيئاً ما، إذا نظرت إليه، لكنه لن يكون دائماً هو الشيء الذي كنت تبحث عنه. وهذا ما أثبت في هذه المناسبة.

سرعان ما عاد فيلي وكيلي يزحفان، وهما يتشبّهان بالصخور من قوة الرياح، وقالوا: لقد وجدنا كهفاً جافاً، وهو ليس ببعيدٍ عن الزاوية التالية حيث يمكننا الدخول إلى هناك نحن والمهور.

قال الساحر: وهل تفحصتماه بشكل دقيق؟ لأنه يعلم أن الكهوف الموجودة في الجبال نادراً ما تكون شاغرة.

قالا: نعم، نعم! إنه ليس بذلك الحجم الكبير، ولا يغور عميقاً إلى الورا. على الرغم أن الجميع يعلمون بأنه لم يمضِ على مغادرتهما وقت طويل، حتّى عادا بسرعة كبيرة.

ذلك هو بالطبع الجزء الخطر في الكهوف، فأنت لا تعرف في بعض الأحيان إلى أي مدى قد يكون عميقاً، أو إلى أين سيؤدّي الممرّ الخلفي، أو ماذا ينتظرك هناك في الداخل. لكن الآن يبدو أن الأخبار التي جلبها كيلي وفيلي جيدة بما فيه الكفاية. لذلك نهضوا جميعاً واستعدّوا للتحرك. كانت الرياح تعوي والرعذ ما زال هادراً، ولكن عليهم الذهاب مع مهورهم إلى الكهف على طول الطريق مع أنه ليس ببعيد كثيراً. وسرعان ما وصلوا إلى صخرة كبيرة تقف في وسط الطريق. إذا مشيت من ورائها، ستجد قوساً منخفضاً في جانب الجبل. بالكاد فيه متسع لإخراج المهور عن طريق الدفع والعصر، بعد إنزال حمولتها ونزع سروجها. وهكذا عبروا إلى الكهف من تحت القوس.

وهناك في الداخل كان من الجيد الاستماع إلى صوت الريح والمطر يعصفان بالخارج بدلاً من أن يكونوا حولهم، بالإضافة إلى الشعور بالأمان من العمالقة وصخورهم. لكنَّ الساحر لم يخاطر، فقد أشعل عصاه -كما فعل ذلك اليوم في غرفة استقبال بيلبو، والتي تبدو الآن كأنها كانت منذ مدة طويلة، إذا كنتم تتذكرون- وبضوئها اكتشفوا الكهف من البداية إلى النهاية.

لقد بدا حجمه معقولاً، فهو ليس كبيراً جداً وغامضاً. كانت له أرضية جافة، وبعض الزوايا المريحة. في أحد طرفيه كان هناك متسع للمهور، هناك وقفوا (مسرورين جداً بالتغيير) ينفثون البخار من أنوفهم، ويقضمون من أكياس العلف المعلّقة في رؤوسهم. أراد أوين وجلوين إشعال نارٍ في الباب لتجفيف ملابسهم، لكنَّ جاندالف لم يستمع لطلبهما، لذلك فرشوا أشياءهم المبلّلة على الأرض، واستبدلوا بها أخرى جافة من صررهم، فرشوا بطانياتهم بشكلٍ مريح، وأخرج كل واحدٍ منهم غليونه وبدؤوا بإطلاق حلقات الدخان، التي حولها جاندالف إلى ألوان مختلفة، شرعوا في الرقص على الأغصية للترفيه عن أنفسهم، تحدّثوا، وتحَدّثوا، ونسوا أمر العاصفة. وتبادلوا الآراء حول ما سيفعله كل واحدٍ منهم بنصيبه من الكنز (عندما يحصلون عليه، والذي لا يبدو مستحيلاً في الوقت الحاضر)، وهكذا خلدوا للنوم واحداً تلو الآخر. كانت تلك المرّة الأخيرة التي يستخدمون فيها المهور والصرر والأكياس والأدوات والمعدّات التي جلبوها معهم.

بعد كل شيء، اتضح في تلك الليلة أنه من الجيد أنهم جلبوا معهم بيلبو الصغير. لأنه بطريقة أو بأخرى لم يستطع النوم لفترة طويلة، وعندما نام راودته أحلامٌ سيئة. حلم بحدوث شقٍّ في مؤخّرة الكهف بدأ يكبر ويكبر، واتسع أكثر فأكثر، وكان خائفاً جداً، لكنه لم يستطع مناداة أحد أو فعل أي شيء سوى البقاء في مكانه ومراقبة ما يحدث، ثمَّ حلم أن أرضية الكهف تتلاشى وتنزلق لتبدأ بالسقوط إلى الأسفل فالأسفل، والقدر يعلم إلى أين ستصل.

في ذلك الوقت استيقظ مع البداية المروعة لما حدث، فوجد أن جزءاً من حلمه قد تحقّق، انفتحت شقٌّ في الجزء الخلفي من الكهف، وكان بالفعل ممرّاً واسعاً. لقد استيقظ في الوقت المناسب ليرى ذيل آخر المهور يختفي في الشق. وبالطبع فقد صرخ بصوت عالٍ، كأعلى صرخة يمكن أن يطلقها هوبييت، والتي كانت مفاجئة في ضخامتها وعلوها.

قفزت مجموعة من الجوبلن من الشقّ، جوبلن كبار، جوبلن بأشكال قبيحة جداً، الكثير من الجوبلن، وقبل أن يتمكّنوا من معرفة ما يجري حولهم. كان هناك ستة يحيطون بكل قزم على الأقل، وحتى بيلبو كان حوله اثنان. وقبل أن يستيقظوا من هول الصدمة، أمسكوا بهم وحملوهم جميعاً عبر الشقّ. إلا جاندالف، فقد فعلت فعلها صرخة بيلبو، إذ أيقظته بأقل من جزء من الثانية، وعندما جاء الجوبلن ليقبضوا عليه، لمع في الكهف وميض رهيب مثل البرق، له رائحة مثل البارود، فأسقط العديد منهم قتلى جرّاء ذلك.

أطبق الشقّ مع صوت قرقعة، وأصبح بيلبو وبقية الأقزام على الجانب الآخر من الكهف. أين جاندالف؟ هذا ما لا يعرفونه، ولا حتى الجوبلن كانت لديهم أي فكرة، ولم ينتظروا لمعرفة ذلك. قبضوا على بيلبو والأقزام وأسرعوا بهم. كان المكان عميقاً، عميقاً جداً ومظلماً. ولا يمكن إلا للجوبلن الذي اعتادوا السكن في قلب الجبال الرئوية في هذه الظروف. كانت الممرات متقاطعة ومتشابكة في كلّ الاتجاهات، لكن الجوبلن يعرفون طريقهم، كمعرفتك بأقرب طريق إلى مكتب البريد. كان الطريق هابطاً إلى الأسفل، وهوأه فاسد بشكل مروع. والجوبلن قساة جداً، يضربونهم بلا رحمة، يوقوقون ويضحكون بأصواتهم الحجرية المروعة. أمّا بيلبو فقد كان أكثر تعاسةً من تلك اللحظة التي رفعه فيها الغول من أصابع قدميه. وتمنّى ثانيةً لو أنه بقي في هوبييتول اللطيفة المشرقة الخاصّة به. ولن تكون تلك آخر مرّة يتمنّى فيها ذلك.

لمع ضوء أحمر أمامهم، وبدأ الجوبلن بالغناء، أو النعيق، تزامن ذلك أيضاً مع ضربات أقدامهم المسطّحة على الحجارة، وهزّ عنيف لأسراهم.

صَفَّقْ! وطَّقْ! الشق الأسود!  
اقبِضْ، اقرِصْ! اخطفْ، قَيِّدْ!  
وانزلْ انزلْ إلى الأعماق  
إلى بلاد الجوبلن يا ولدي!

اصدمْ، حطِّمْ! اسحقْ هَشِّمْ!  
بقوة وعنف! اقرعِ الأجراس!  
اسحقْ واجرشْ في الأعماق!  
هو، هو، هو! يا ولدي!

لَوِّحْ، واجلدْ! بالسوط اللاهب السعْ!  
هاجمْ وأصرعْ! لينوح ويعوي ويدمع!  
اعملْ، اعملْ! ولا تتجاسر لتتهرب  
بينما الجوبلن يكرعون،  
والجوبلن يضحكون  
بالتناوب بعيدًا تحت الأرض  
تحت، تحت يا ولدي!

بدا الأمر حقًا مرعبًا، رَدَّدت الجدران صدى التصفيق، والفرقة والجرش،  
والسحق! وضحكاتهم القبيحة، هوو، هوو! يا ولدي! في هذه اللحظات أصبح  
المعنى العام للأغنية واضحًا تمامًا، أخذ الجوبلن السياط، وكانوا يلوحون بها  
في الهواء ثم ينهالون عليهم ضربًا، وذلك ما جعل السجناء يركضون أمامهم  
بأسرع ما يمكن، وأكثر من واحد من الأقسام كان وقتها ينتحب بصراخ كثيب  
مثل ثغاء الأغنام عندما تعثروا وسقطوا في كهف كبير. مُضَاء بنارِ حمراء

كبيرة في وسطه، وبمشاعل معلّقة على امتداد الجدران، كان الكهف مليئاً بالجوبلن الذين كانوا يضحكون، يخطون بأرجلهم ويصفقون بأيديهم، عندما جاء الأقسام يركضون (مع بيلبو الصغير في الخلف والذي كان الأقرب إلى السياط). بينما الجوبلن يسوقونهم بالهتاف وقرع السياط من خلفهم. كانت المهور أيضاً مجتمعة هناك في الزاوية، وقد أقيت بجوارها كل الأمتعة والحقائب والصُّرر التي كانت مفتوحةً ومحطّمة، وبدأ التفتيش من قِبَل الجوبلن، والشَّم من قِبَل الجوبلن، ولمسها بالأصابع من قِبَل الجوبلن، والنزاع عليها من قِبَل الجوبلن.

أنا أسف، فقد كانت تلك آخر مرّة يشاهدون فيها مهورهم الصغيرة الممتازة، بما فيها مهرٌ أبيض صغير ظريف وقوي كان قد أعاره إيلرود لجاندالف، لأن حصانه لم يكن مناسباً لعبور الممرّات الجبلية. فالجوبلن يأكلون الجياد والمهور والحمير (وأشياء أخرى أكثر رعباً)، ودائمًا ما يكونون جائعين. وفي هذا الوقت بالذات كان السجناء لا يفكّرون إلا في أنفسهم فقط. قيّد الجوبلن أيديهم خلف ظهورهم وربطوهم جميعاً معاً بصفٍّ واحد، ثمّ سحبوهم إلى أقصى نهاية الكهف مع بيلبو الصغير الذي سُحبَ إلى نهاية الصفّ.

هنالك في الظلال على حجر مسطح كبير جلس جوبلن ضخّم برأس كبير، وحوله جنود الجوبلن يحملون الفؤوس والسيوف المحنّية التي يستخدمونها. الجوبلن قُساء أشرار وسيئو القلب. إنهم لا يصنعون أشياء جميلة، لكنهم يصنعون أشياء كثيرة ببراعة، إلا أنهم عادةً ما يكونوا قذرين غير مرتّبين. ومع ذلك يبقى الأقسام أكثر مهارة منهم. وعندما يواجهون المشكلات يمكنهم حفر الأنفاق والمناجم والتعدين بأحسن ما يكون، ويصنعون المطارق والفؤوس والسيوف والخناجر والمعاول والملاقط، وكذلك أيضًا أدوات التعذيب، فهم أحسن من يصنعها، أو جعل الناس الآخرين يصنعون التصاميم التي ابتكروها، مثل السجناء والعبيد الذين يأخذونهم للعمل حتّى يموتوا بسبب نقص الهواء والضوء. ليس من المستبعد أن يكونوا هم من اخترع بعض الآلات التي أزعجت العالم منذ ذلك الحين، خاصّة تلك الأجهزة القادرة على قتل أعداد



كبيرة من الناس في وقتٍ واحد. فالعجلات والمحركات والانفجارات تبهجهم دائماً. والذي يساعدهم في ذلك أيضاً هو أنهم لا يعملون كثيراً بأيديهم. لكن في تلك الأيام وتلك الأماكن البرية لم يتطوّروا (كما يطلق عليهم) حتّى الآن. هم لا يكرهون الأقرام على وجه الخصوص أكثر من كرههم لبقية الشعوب ولكل شيء، خاصّة الشعوب المنظمة والمزدهرة. أقام الأقرام الأشرار تحالفات معهم في بعض المناطق. إلا أنّ هؤلاء كان لديهم حقدٌ خاص على شعب ثورين، بسبب الحرب المذكورة آنفاً، لكنها لم تدخل في هذه الحكاية، وعلى أي حال، فإن الجوبلن لا يكثرثون بمن أسكوه، ما دام ذلك يتمّ بذكاء وسرية، ويكون السجناء غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم.

قال زعيم الجوبلن: مَنْ هم هؤلاء التعاء؟

قال أحد القادة: أقرام، وهذا! ثمّ سحب سلسلة بيلبو حتّى سقط إلى الأمام على رُكبتيه. وقد وجدناهم يحتمون في الرواق الأمامي.

التفت زعيم الجوبلن نحو ثورين: ماذا كنتم تقصدون بذلك، أنا متأكّد بأن ذلك عمل سيئ! أحضن، أنكم تتجسّسون على المهام الخاصّة لشعبي! يا لصوص! لا ينبغي أن أبأغت، لكي أعلم! قتلة وأصدقاء الجان، ليس من المستبعد! تعال! ما الذي لديك لتقوله؟

أجاب بمنتهى التهذيب: القزم ثورين في خدمتك! لا شيء، من الأشياء التي تشكُّ أو تتخيّل، ليس لدينا أي فكرة عنها على الإطلاق. نحن احتمينا من العاصفة في ما بدا لنا بأنه كهف مناسب وغير مستخدم، لا شيء أبعد عن أفكارنا من إزعاج الجوبلن بأي شكل. كانت هذه هي الحقيقة بكل بساطة!

قال زعيم الجوبلن: أمم! هكذا تقول! هل يمكنني أن أسأل عمّا كنت تفعله في الجبال أساساً. ومن أين أتيت، وإلى أين ستذهب؟ في الحقيقة أوّد أن أعرف كل شيء عنك. لا يعنيني إن كان ذلك سيفيدك كثيراً، يا ثورين أوكنشيلد، إنني بالفعل أعرف الكثير عن شعبك، لكن دعونا نعرف الحقيقة، أو سأجهّز لك بشكلٍ خاص شيئاً غير مريح!

قال ثورين، الذي لم يكن يعرف ما الذي سيقوله في تلك اللحظة، عندما اتضح له بأن الحقيقة المطلقة لن تنفع معهم أبداً: نحن في رحلة لزيارة أقربائنا، أبناء إخوتنا وأبناء أخواتنا، وأبناء عمومتنا الأول والثاني والثالث، والأحفاد الآخرين لأجدادنا، الذين يعيشون على الجانب الشرقي لهذه الجبال المضيافة حقاً.

قال أحد القادة: إنه كذاب، يا لك من كاذب كبير حقاً! لقد أصيب العديد من شعبنا بالصواعق في الكهف، عندما كنّا ندعو هذه المخلوقات لتأتي معنا إلى الأسفل، وها هم هناك ملقون أمواتاً كالحجارة. كما أنه لم يشرح لنا ما هذا! وأمسك بالسيف الذي كان يحمله ثورين، وهو السيف الذي أخذه ثورين من مخبأ الغيلان.

أطلق زعيم الجوبلين عواءً مروّعاً من الغضب عندما رأى السيف، واصطكّت أسنان جنوده هلعاً، وبدؤوا يضربون دروعهم بقبضات أيديهم، لقد عرفوا السيف في الحال، لأنه قتل المئات من الجوبلين في وقته، عندما اصطادهم جان جوندولين الجميلون، في التلال أو في المعركة التي خاضوها أمام أسوارهم. وقد أطلقوا عليه اسم أوركريست أي ساطور الجوبلين، لكن الجوبلين أطلقوا عليه ببساطة بايتر (أي العضاض)، وكانوا يكرهونه ويكرهون أكثر أي شخص يحمله.

صاح زعيم الجوبلين: قتلة وأصدقاء الجان! قطعوهم! اهزموهم! السعوم! اطحنوهم بأسنانكم! خذوهم بعيداً إلى الحُفر المظلمة المليئة بالثعابين، ولا تدعوهم يرون الضوء ثانية! كان في حالة من الغضب لدرجة أنه قفز من مقعده فاغراً فاه واندفع بنفسه نحو ثورين.

في تلك اللحظات بالذات انطقات جميع الأنوار في الكهف. "ها بوفف!" واختفت النار العظيمة، في برجٍ من الدخان الأزرق المتوهج الذي ارتفع حتى وصل إلى السقف، ثم تبعثر على شكل شرارات بيضاء خارقة بين جميع الجوبلين.

الصراخ والنحيب، التعيب، الثرثرة والهدزمة، العواء، التذمُّر والشتائم، الصياح والهزُّ الذي أعقب ذلك كان فوق الوصف. إن الأصوات التي تصدرها بضع مئات من الققط والذئاب البرِّيَّة التي تُشَوِّى أحياء معًا على نار هادئة لا يمكن مقارنته بتلك الأصوات. كان الشرر الأبيض يُحْدِث ثقوبًا محترقة في أجساد الجوبلين، والدخان الذي نزل بعدها من السقف جعل الهواء كثيفًا جدًّا، بحيث لا يمكن حتَّى لأعين الجوبلين أن ترى من خلاله. وسرعان ما سقطوا فوق بعضهم بعضًا يتدحرجون في أكوامٍ على الأرض، يعضُّون ويركلون ويتقاتلون كما لو أنهم أصيبوا جميعًا بالجنون.

فجأة لمع نورٌ سيفٍ، وقد رآه بيلبو وهو يخترق زعيم الجوبلين، بينما كان يقف مصعوقًا في قَمَّة غضبه، ومن ثمَّ سقط ميتًا. وهرب جنود الجوبلين من أمام السيف يصرخون في الظلام.

عاد السيف إلى غمده، وقال صوتٌ واثقٌ ورهيب: اتبعوني بسرعة! وقبل أن يفهم بيلبو ما حدث وجد نفسه يهرول من جديد، بأسرع ما يمكنه أن يهرول، وفي نهاية الطريق، نزلوا إلى ممزاتٍ أكثر ظلمةً، مع صراخٍ من قاعة الجوبلين الخافتة خلفهم. وكان يقودهم ويوجههم في أثناء ذلك ضوء شاحب.

- أَسْرَع! أَسْرَع! قال الصوت، سَتُضَاءُ المشاعل عمَّا قريب.

قال دوري: امنحوني نصف دقيقة!

كان في الخلف قرب بيلبو، وهو رفيقٌ محترم. فقد سمح لبيلبو بقدر استطاعته التسلُّق على كتفيه بيديه المقيدتان، ثمَّ انطلقوا جميعهم يركضون، مع خشخشة السلاسل، وقد تعثَّر كثيرٌ منهم، حيث لم تساعدهم أياديهم المُكبَّلة على التوازن. لم يتوقَّفوا عن الركض لفترة طويلة، وبذلك الوقت يجب أن يكونوا قد نزلوا إلى قلب الجبل بالذات.

أشعل جاندالف عصاه. بالطبع كان هو جاندالف، لكنهم كانوا منشغلين جدًّا حينئذٍ لدرجة أنهم لم يسألوه كيف وصل إلى هناك. أخرج سيفه مرَّةً أخرى، ولمع مرَّةً أخرى في الظلام.

اشتعل بالغضب، من تلقاء نفسه، وهذا ما يجعله يلمع إذا كان الجوبلين حولنا. وهو الآن مشرقٌ كاللهب الأزرق ابتهاجًا بمقتل سيد الكهف العظيم. ولن يكون لديه أي مشكلة في قطع سلاسل الجوبلين وإطلاق سراح كافة السجناء بأسرع وقتٍ ممكن. اسم هذا السيف جلامدرينج أي مطرقة العدو، إذا كنتم تتذكرون. ويسميه الجوبلين «بيتر» (أي الضارب أو المضرب)، وجائز أنهم يكرهونه أكثر ممَّا يكرهون «بايتر». لقد أنقذَ أوركريست كذلك، لأن جاندالف أنقذه أيضًا إذ انتزعه من أحد الحراس المذعورين. فجاندالف يراعي معظم الأشياء، على الرغم من أنه لا يستطيع فعل كل شيء، فبإمكانه أن يقدِّم مساعدات رائعة للأصدقاء في المأزق القادم.

قال جاندالف: هل نحن جميعًا هنا؟ وأعاد إلى ثورين سيفه مع انحناء بسيطة.

- دعني أرى: واحد ثورين، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة، أحد عشر، أين فيلي وكيلي؟ ها هُما، اثنا عشر، ثلاثة عشر، وهنا السيد باجينز أربعة عشر! حسنًا، حسنًا! قد يسوء الوضع، ثم مرَّة أخرى يكون أفضل بكثير. بلا مهور. بلا طعام. ولا نعرف بالضبط أين نحن، وجحافل من الجوبلين الغاضبة خلفنا مباشرة! هيا لنذهب!

هكذا ذهبوا. كان جاندالف محقًا تمامًا، لقد بدؤوا بسماع جلبة الجوبلين خلفهم وصراخ مروِّع بعيد في الممرَّات التي جاؤوا منها، وذلك ما جعلهم يسرعون أكثر، بما أن بيلبو المسكين لا يمكنه مجاراة نصف سرعة الأقرام الذين يمكنهم التدرج بوتيرة هائلة، يمكنني أن أخبركم، بأنهم عندما اضطروا إلى ذلك، فقد حملوه على ظهورهم بالتناوب.

يبقى الجوبلين أسرع من الأقرام، وهؤلاء الجوبلين يعرفون الطريق بشكل أفضل (لأنهم يصنعون طرقهم بأنفسهم)، وكانوا غاضبين بجنون، لذلك فعل الأقرام كلَّ ما في وسعهم عندما سمعوا الصراخ والعواء يقترب منهم أكثر فأكثر. وسرعان ما سمعوا خفق أقدام الجوبلين، عدد هائل من الأقدام التي بدت

فقط حول الزاوية الأخيرة. شوهد وميض المشاعل الحمراء خلفهم في النفق الذي كانوا يتبعونه، وكانوا مرهقين من التعب.

قال السيد باجينز المسكين وهو ينطُّ إلى الأعلى وإلى الأسفل على ظهر بومبور: لماذا! أوه ليتني ما تركت يوماً هوبيتول الخاصّة بي!

قال بومبور: المسكين، السمين لماذا! أوه ليتني ما جلبت يوماً هوبيتياً صغيراً بائساً في رحلة البحث عن كنز! كان مترنحاً في مشيته والعرق يقطر من أنفه لشدّة حرارته ورعبه.

في هذه المرحلة، تخلّف جاندالف وثورين عنهم قليلاً، وعندما تجاوزوا منعطفًا حادًا، صرخ جاندالف: إلى الورا! اسحب سيفك يا ثورين.

لم يكن هناك حلٌّ آخر، والجوبلن لم يُعجبوا بهذه الحركة. لقد جاؤوا مسرعين وداروا حول المنعطف بصراخهم المرتفع، فوجدوا أمامهم ساطور الجوبلن ومطرقة العدو يتألقان بقساوةٍ ويلمعان في أعينهم المذهولة. الذين كانوا في المقدّمة منهم أسقطوا المشاعل ولم يستطيعوا إطلاق سوى صرخة واحدة قبل أن يُقتلوا. أمّا المجموعة التي كانت خلفها فأخذت تصرخ أكثر فأكثر، ثمّ قفزوا متراجعين إلى الخلف فاصطدموا بأولئك الذين كانوا يركضون وراءهم. وبدؤوا يزعمون: «بايتر وبيتر»، وفي الحال وقع جميعهم بالفوضى، وغالبيتهم هربوا مسرعين إلى الطريق الذي جاؤوا منه.

مرّت فترة طويلة قبل أن يتجرأ أحد منهم على التخلّص من هذا القادم. في ذلك الوقت استمرّ الأقرام بالركض ولفترةٍ طويلة في أنفاق مملكة الجوبلن المظلمة. عندما اكتشف الجوبلن ذلك، أطفالاً ومشاعلهم ولبسوا أحذيةً ليّنة، واختاروا من بينهم أسرع العدّائين وأدقّهم سمعًا وبصرًا. وأرسلوهم خلف أولئك القادمين، فانطلقوا بسرعةٍ كابن عرس في الظلام ومن دون ضجّة كالخفافيش.

لهذا السبب، لا يبيلبو ولا الأقرام ولا حتّى جاندالف، سمعهم عندما جاؤوا. ولا حتّى رأوهم. لكن الجوبلن الذي كانوا يركضون بصمت خلفهم رأوهم، لأنّ

جاندالف كان قد ترك عصاه تعطي ضوءًا خافتًا لمساعدة الأقرام في أثناء سيرهم.

كان دوري يسير في آخر المجموعة حاملاً بيلبو، وبشكلٍ مفاجئٍ أمسك به في العتمة من الخلف. فصرخ وسقط، أمّا الهوبيت فقد تدرج من فوق كتفي دوري، ساقطاً في الظلمة وارتطم رأسه بصخرة صلبة، فغاب عن الوعي ولم يعد يذكر شيئاً.

.





## الفصل الخامس

### الغاز في الظلام

عندما فتح بيلبو عينيه، تساءل إذا كان فتحها أم لا، فلم ير سوى الظلام كما لو كانت عيناه مغلقتين. لم يكن أجدُ في المكان بالقرب منه، وبإمكانك أن تتخيّل مدى خوفه! لم يكن يرى أو يسمع شيئاً، ولا يشعر بأي شيء سوى بالحجارة التي كانت تحته.

ببطء شديد نهض يدبُّ على يديه ورجليه متلمّساً لما حوله، حتّى لمس جدار النفق، رفع يده إلى الأعلى وإلى الأسفل فلم يجد أي شيء، لا وجود لأي شيء يشير إلى الجوبلين أو الأقزام. وبدأ رأسه يسبح في الأفكار، وقد كان بعيداً جداً عن اليقين حتّى من الاتجاه الذي كانوا يسيرون به عندما سقط. خَمَّن على قدر استطاعته وبقي يزحف لإيجاد طريق جيد، حتّى التقت يده فجأة بما بدا وكأنه خاتم صغير من معدنٍ قاسٍ مُلَقَى على أرضية النفق. وهذه كانت نقطة تحوّل في حياته المهنيّة، لكنه لم يكن يعلم ذلك، ومن دون أدنى تفكير وضع الخاتم في جيبه. من المؤكّد أنه لم تبدُ له فائدة استثنائية في تلك اللحظة. ولم يذهب في التفكير بأبعد من ذلك، بل جلس على الأرضية

الباردة، وسَلَّم نفسه لفترةٍ طويلةٍ إلى التعاسة التامة. تخيَّل نفسه يقلبي لحم الخنزير المقدَّد مع البيض في مطبخه في المنزل، لأنه كان يشعر بداخلة بأنه الوقت قد حان لتناول وجبة طعام أو أشياء أخرى. ولم يُزِدْه ذلك إلا تعاسةً. لم يستطع التفكير في ما يجب فعله ولا في ما حدث، أو لماذا تخلَّف عنهم، أو إذا كانوا خلَّفوه وراءهم، فلماذا لم يمسك به الجوبلن، أو لماذا كان رأسه يؤلمه جدًّا. والحقيقة أنه بقي مُمدَّدًا بصمتٍ لفترةٍ طويلةٍ في زاوية معتمة جدًّا، بعيدًا عن أنظار وأفكار الجميع.

بعد مرور بعض الوقت تحسَّس غليونه، فوجده سليمًا لم ينكسر، هذا كان شيء والشيء الآخر أنه تحسَّس جيبه فوجد فيه بعض التبغ. ثمَّ تحسَّس أعواد الثقاب فلم يجد منها أي شيء على الإطلاق، وهذا ما حطَّم آماله تمامًا.

إلا أن هذا من حسن حظِّه بكل ما للكلمة من معنى، هكذا حدَّث نفسه عندما عاد إلى رشده ورضي بعدم وجود الثقاب. الله يعلم ماذا كان من الممكن أن يجرُّ عليه إشعال أعواد الثقاب ورائحة التبغ من المشكلات! وماذا كان سيخرج إليه من تلك الثقوب المظلمة في ذلك المكان الرهيب. لا يزال يشعر بأنه محطَّم في الوقت الحالي. لكن حين يربت على جيوبه ويستشعر باقي ملابسه بحثًا عن أعواد الثقاب، جاءت يده على مقبض سيفه الصغير، ذلك الخنجر الصغير الذي جلبه من كهف الغيلان، والذي نسيه تمامًا، ولا يبدو أن الجوبلن لاحظوا وجوده، مع أنه كان يحمله داخل سرواله. سحب سيفه من غمده، فأشرق بوميضٍ خافتٍ أمام عينيه. ولأنه نصلُّ من صنع الجان، ففكَّر في نفسه وقال: الجوبلن ليسوا على مقريةٍ منِّي، ولكنهم ليسوا بعيدين بما يكفي.

وبطريقة ما شعر بالارتياح. كان من الرائع أن يحمل نصلًا صنَّع في جوندولين من أجل حروب الجوبلن التي مُجِّدَت بالكثير من الأعاني، وقد لاحظ أيضًا ذلك الانطباع الرهيب الذي تركته مثل هذه الأسلحة على الجوبلن الذي باغثوهم في النفق. وفكر في نفسه متسائلًا: هل أعود من حيث أتيت؟

ليست فكرةً جيدةً على الإطلاق! هل أمشي بطريق جانبي جانبًا؟ مستحيل!  
هل أنطلق إلى الأمام؟ هذا الشيء الوحيد الذي يجب القيام به! هيا لأنطلق!  
نهض مهرولًا شاهرًا سيفه الصغير أمامه وأبقى يداً واحدةً لتتحسَّس  
الجدار. وكان قلبه يخفق بضربات سريعة.

من المؤكَّد أن بيلبو كان في مكانٍ ضيقٍ. لكن يجب أن تتذكَّر أنه لم يكن  
ضيقةً تمامًا بالنسبة إليه كما لو كان بالنسبة إليَّ أو إليك. فالهوبيت ليسوا  
مثل الناس العاديين، صحيح أن أماكن سكنهم جذَّابةٌ ومبهجةٌ ومهواةٌ بشكلٍ  
صحيح رغم أنها حُفَر. لكنها تختلف تمامًا عن أنفاق الجوبلن، ومع ذلك يبقى  
الهوبيت أكثر تأقلمًا لاستخدام الأنفاق منَّا نحن البشر العاديين، فلا يفقدون  
بسهولة إحساسهم بالاتجاه تحت الأرض، وليس عندما تتعافى رؤوسهم من  
الاصطدامات، كما يمكنهم التحرك بهدوءٍ شديدٍ، والاختباء بسهولة، والتعافي  
المُذهل من السقوط والرضوض، ولديهم رصيْدٌ من الحكمة والأقوال الحكيمة  
التي لم يسمع بها البشر في الغالب أو نسوها منذ زمنٍ طويلٍ.

رغم كل ذلك، فلا رغبة عندي لأكون في مكان السيد باجيزن.

يبدو أن النفق لا نهاية له، وكلُّ ما كان يعرفه أنه لا يزال ينزل بثباتٍ إلى  
حدِّ ما يحافظ على الاتجاه نفسه على الرغم من الالتفاف والانعطاف أو  
الانحناء معًا. كما عرف أيضًا من خلال وميض سيفه، أو من يده التي تستشعر  
الحائط، أنه كانت هناك ممرَّات تؤدي إلى مسارٍ جانبي بين الحين والآخر،  
لكنه لم يبالٍ بكلِّ ذلك، إلا أنه أسرع في العبور خوفًا من الجوبلن، أو الأشياء  
الشريرة المتخيلة التي قد تخرج من تلك الممرَّات، بقي مستمرًّا بالتقدُّم، يهبط  
ويهبط، ومع ذلك لم يسمع صوت أي شيء بين أذنيه، سوى أزيزٍ متقطعٍ  
لحفَّاش، وهو الأمر الذي أجفله في البداية، حتَّى أصبح هذا الإزعاج حوله أمرًا  
مألوفًا، لا أعرف كم من الوقت استمرَّ على هذا النحو، كارهًا التقدُّم، ولا يملك  
الجرأة على التوقُّف، وهكذا بقي يمضي قدمًا، حتَّى أعياه التعب. وبدا له الأمر  
كأنه سيسير على هذا المنوال إلى الغد وللأيام التي تليه.

فجأة ومن دون سابق إنذار خاضت قدمه في الماء! يا للقرف! كانت مياهًا باردةً جدًّا، وهذا ما سحبه إلى الأعلى بسرعة. لم يكن ليعلم إن كانت تلك هي فقط بركة في الطريق، أم هي حافة مجرى مائي تحت الأرض تعترض الممر. أو هي حافة بحيرة جوفية عميقة ومظلمة. بالكاد كان سيفه يومض، فتوقَّف ليرى إن كان يستطيع سماع شيء، عندما استمع بصعوبة لصوت قطرات ماءٍ تَقطر من سقف غير مرئي إلى الماء الذي تحتها. ولا يبدو أنه كان هناك أي نوعٍ آخر من الأصوات.

قال في نفسه: إذن هي بركة أو بحيرة، وليس نهراً تحت الأرض.

مع ذلك لم يجرؤ على خوض الماء في هذه الظلمة. فلن يستطع السباحة، وفكَّر أيضًا بوجود أشياء رخويةٍ قذرة، بأعينٍ عمياءٍ منفتحة جدًّا، تتلوى في الماء. هناك أشياء غريبة تعيش في البُرك والبحيرات التي في قلوب الجبال: كالأسماك التي سبح أبواؤها إلى هنا، الله يعلم فقط منذ متى من السنين، ولم تخرج من هنا ثانية، بينما كبرت أعينهم أكبر فأكبر في محاولة للرؤية في الظلمة، أيضًا هناك أشياء أكثر لزوجةً من الأسماك. حتَّى في الأنفاق والكهوف التي صنعها الجوبلن لأنفسهم، هناك مخلوقاتٍ غير معروفةٍ بالنسبة إليهم، تسلَّت من الخارج لتستلقي في الظلام. تعود بعض هذه الكهوف أيضًا في بداياتها إلى عصور ما قبل الجوبلن، الذين قاموا فقط بتوسيعها وربطها بالممرات، ولا يزال المُلأك الأصليون هناك كغرباء، يتسلَّلون خفية ويتطفَّلون على المكان.

هنا في الأعماق وبجوار المياه المظلمة يعيش غولوم العجوز، مخلوقٌ صغيرٌ لزجٌ. لا أعرف من أين أتى، ولا من أو ماذا يكون. كان غولوم قاتمًا كالظلمة، باستثناء عينين دائريتين كبيرتين شاحبتين في وجهه النحيف. لديه قارب صغير، وكان يجذِّف بهدوء تامًّا في البحيرة، لأن مياهها كانت شديدة البرودة، بحيرة واسعة وعميقة ببرودةٍ قاتلة. كان يستعمل قدميه الكبيرتين المتدلّيتين من جوانب القارب كمجاديف، لكنه أبدًا لا يصنع تموجًا على صفحة الماء. كان يبحث بعينه الشاحبتين اللتين تشبهان المصباح عن

الأسماك العمياء، التي يمسكها بأصابعه الطويلة بسرعة مثيرة. كان يحبُّ اللحوم أيضًا، ويعتبر لحم الجوبلن جيدًا، عندما يتمكّن من الحصول عليه، لكنه حرص على عدم اكتشافه. فإذا تصادف ونزل أحدٌ منهم بمفرده إلى أي مكانٍ قريبٍ من حافة الماء، بينما كان هو يتجوّل هناك. كان يأتيه من الخلف ويخنقه. على الرغم من أنه نادرًا ما يفعل الجوبلن ذلك، فقد كان لديهم شعور بأن شيئًا بغيضًا يكمن هناك في الأسفل، أسفل من جذور الجبل. لقد وصلوا إلى البحيرة، عندما كانوا يحفرون نفقًا عميقًا منذ مدة طويلة، ووجدوا أنه لا يمكنهم الذهاب إلى أبعد من ذلك، لذلك انتهى طريقهم في هذا الاتجاه، ولم يكن هناك من سببٍ لسلوك ذلك الطريق، إلا إذا أرسلهم زعيم الجوبلن بمهمة. أحيانًا كان زعيم الجوبلن يشتهي أكل سمكة من البحيرة فيرسلهم إليها، وفي أحيانٍ كثيرة لم يكن يعود لا الجوبلن ولا السمكة.

في الواقع عاش غولوم على جزيرة صخرية لزجة في وسط البحيرة، كان يراقب بيلبو الآن من مسافة بعيدة بعينيه الشاحبتين اللتين تشبهان المناظير، لم يستطع بيلبو رؤيته، لكنه كان يتساءل كثيرًا عن بيلبو، لأنه كان يستطيع أن يرى بأنه ليس جوبلن على الإطلاق.

ركب غولوم قاربه وانطلق من الجزيرة بينما كان بيلبو يجلس على الحافة محتارًا من النهاية التي وصل إليها طريقه والنهاية التي وصلت إليها فطنته. فجأة جاء غولوم يهمس ويهسهس.

باركنا وأنعشنا، أيها الغالي! أخمن أنها وليمة مختارة، على الأقل لقمة لذيذة ستجعلنا غولوم! وعندما قال كلمة غولوم أطلق حشرجة فضيعة للبلع في حلقه. ومن هنا جاء اسمه، على الرغم من أنه كان يطلق على نفسه اسم الغالي.

قفز الهوبيت من جلده تقريبًا عندما جاء صوت الهسيس إلى أذنيه، ورأى فجأة عينيه الشاحبتين تبرزان من وجهه.

- من أنت؟ قالها وهو يشهر سيفه أمام غولوم.

همس غولوم: مَنْ هذا، يا غالي؟ (كان يتحدّث إلى نفسه دائماً، لعدم وجود شخص آخر يتحدّث إليه) عن ماذا جاء يبحث هذا؟  
كان فضولياً فقط في ذلك الوقت ولم يكن جائعاً، وإلا لأمسكه أولاً ثم همس بعد ذلك.

- أنا السيد بيلبو باجينز. لقد أضعت الأقرام وأضعت الساحر، ولا أعرف أين أنا، ولا أريد أن أعرف، فقط أريد أن أعرف إن كان بإمكانني الخروج من هنا.

قال غولوم: ماذا يحمل بين يديه؟ وهو ينظر إلى السيف، الذي لم يعجبه قط.

فردّ عليه بيلبو: إنه سيف، نصلّ آتي من جوندولين!

أصبح غولوم مهذباً جداً، وقال: «إسسس» ربما تريدون الجلوس والتحدّث معه قليلاً، أيها الغالي. لعلّه يحب الألغاز، فقد يضغط على السيف في أي لحظة. أليس كذلك؟ لذلك حرص على أن يبقى ودوداً، على أي حال في الوقت الحالي، إلى أن يكتشف المزيد عن السيف والهوبيت، ما إذا كان بمفرده حقاً، وما إذا صالحاً للأكل، وما إذا كان غولوم جائعاً فعلاً.

كانت الألغاز هي كل ما يمكن أن يفكّر به. كان يطرح الألغاز، وأحياناً أخرى كان يحلها. كانت الألغاز تقريباً هي اللعبة الوحيدة التي لعبها منذ مدهّة طويلة مع مخلوقاتٍ مسلّية تجلس في حُفرها، قبل أن يفقد جميع أصدقائه، بعد أن هرب لوحده وزحف نازلاً إلى الظلام تحت جذور الجبال.  
قال بيلبو: حسناً.

كان حريصاً على الموافقة، حتّى يكتشف المزيد عن هذا المخلوق، سواء كان وحيداً، أو متوحشاً أو جائعاً، وما إذا كان صديقاً للجوبلين. ثمّ تابع يقول: أنت تسأل أولاً، فلم يكن لديه الوقت للتفكير في أي أحجية. لذلك هسهس غولوم:

- ما هو الشيء الذي!



له جذور ولا يراه أحد

أطول من الأشجار

يرتفع ليصل إلى الأعالي

ومع ذلك فهو لا ينمو أبدًا؟

قال بيلبو: هذا سهلٌ جدًّا، إنه الجبل، علي ما أظن.

قال غولوم: هل كان حلُّها سهلًا؟ يجب أن يكون هناك تحدُّ بيننا، أيها الغالي! إذا سأل الغالي، ولم يُجب، نأكله أيها الغالي. وإذا سألنا هو، ولم نُجبه نحن، فعندئذ نفعَل له ما يريد، إيه؟ نعم فنحن سنرشدُه إلى طريق الخروج من هنا!

قال بيلبو: حسنًا، حسنًا.

لم يجرؤ على معارضة غولوم، وكاد ينفجر دماغه من التفكير في ألغاز قد تتقَّده قبل أن يصبح وجبة طعامٍ لغولوم.

- ثلاثون حصانًا أبيض على تلٍّ أحمر

أولًا يقضمون

ثمَّ يرفسون

مع أنهم يقفون دائمًا بلا حراك؟

كان هذا كلُّ ما يمكن أن يفكِّر فيه ليطرحة كسؤال، لأن فكرة الأكل كانت تُسيطر على تفكيره. لقد كان لغزًا قديمًا ومعروفًا جدًّا، وكان غولوم يعرف الإجابة عليه مثلما تعرفونها كلكم.

كستناء، كستناء. أجاب غولوم مازحًا، ثمَّ قال بيقين تامٍّ: الأسنان! إنها الأسنان! أيها الغالي، لكننا لا نملك منها إلا ستة فقط. ثمَّ طرح عليه سؤاله الثاني:

- تبكي بلا صوت

ترفرف بلا أجنحة

تعضُّ بلا أسنان

تتمتم بلا فم؟

صاح بيلبو: نصف لحظةٍ من فضلك، ما زال غير مُرتاحٍ إلى فكرة أنه سيؤكل من قِبَلِ غولوم، لكنَّ لحسن حظِّه أنه كان قد سمع ذات مرَّة شيئاً كهذا من قبل، واسترجع فطنته وذكاءه للتفكير في الجواب. وقال: إنها الريح، الريح طبعاً، وكان ممتناً جداً، لأنه ابتكر أحجية على الفور. وفكَّر بأن هذا اللغز سوف يُحيرُ هذا المخلوق الصغير البغيض الغامض.

- عينٌ في وجه أزرق

رأت عيناً في وجه أخضر

فقالَت العين الأولى

تلك العين مثل هذه العين

لكنها في مكانٍ منخفض

وليسَت مثلي في مكانٍ مرتفع؟

قال غولوم: هس، هسس، هس، لقد بقي تحت الأرض لفترةٍ طويلةٍ جداً، وكان قد نسي أشياء وأنواعاً كثيرة. وبدأ بيلبو يتأمل بأن لا يتمكَّن هذا البائس من الإجابة، لكنَّ غولوم استحضر ذكريات من عصورٍ وعصورٍ ماضية، عندما كان يعيش مع جدِّته في حفرةٍ على ضفَّة النهر، وقال: هس، هسس، هسس، أيها الغالي. الشمس وزهور الأقحوان، هذا يعني الشمس هي العين الأولى وزهرة الأقحوان هي العين الثانية، وهو كذلك.

لكن هذه الألبغاز العادية الفوق أرضية، كانت من نوع الألبغاز المتعبة له، لكنها ذكَّرتَه أيضاً بتلك الأيام التي كان فيها أقلَّ عزلة واستتاراً وبغضاً. وهذا ما جعله يخرج عن طوره، وأكثر من ذلك جعلته يشعر بالجوع. لذلك جرَّب في هذه المرَّة شيئاً أصعب قليلاً وأكثر إزعاجاً، وقال:

- لا يمكن رؤيته ولا الشعور به.

لا يمكن سماعه، ولا شمُّه

يتمدّد خلف النجوم وتحت التلال

يملاً الفجوات والثقوب

جاء أولاً وأتى التابعون بعده

ينهي الحياة، ويقتل الضحك؟

لسوء حظّ غولوم، فإن يبليبو كان قد سمع من قبل بأشياء من هذا القبيل، وعلى أي حال، كان الجواب يحيط به من كل جانب. لذلك قال من دون أن يحكّ رأسه أو يلبس قبعة التفكير: الظلام!

ثمّ طرح على غولوم اللغز التالي:

- صندوق بلا مفصّلات، أو مفتاح، أو غطاء،

مع ذلك، فإن الكنز الذهبي مخفيّ بداخله...؟

طرح هذا السؤال بقصد كسب بعض الوقت، حتّى يستطيع التفكير في لغز صعب حقاً. كان يعتقد بأن هذا اللغز سهل جدّاً ومعروف على نطاق واسع، على الرغم من أنه لم يسأله بالصيغة الكلامية المعتادة نفسها. لكنه أثبت بأنه سؤال صعب ومقرف على غولوم. فهسهس لنفسه، ولم يُجب، بل همس وبصق.

بعد مرور بعض الوقت، نفذ صبر بيلبو وقال: حسناً، ما هو؟ الجواب ليس غلّاية تغلي وتفور، كما يبدو عليك بهذا الصخب الذي تصنعه في أثناء التفكير في الحل. فقال له غولوم: امنحنا فرصة، دعه يمنحنا فرصة أيها الغاليبيبيبي..

قال بيلبو بعد إعطائه فرصة طويلة: حسناً ما هو تخمينك الآن؟

فجأة تذكّر غولوم السرقة من الأعشاش التي كان يقوم بها منذ زمن طويل، وجلوسه في حفرة تحت ضفّة النهر وهو يعلم جدّته كيف تمتصّ البيض، وقال: البيض! إنه البيض! ثمّ سأل:

- تعيش بلا أنفاس

باردة مثل الموت

لا تعطش، ولم تشرب قط

محميةً في درعٍ لا ترن؟

كذلك بدوره اعتقد غولوم بأن هذا السؤال سهل وسخيف، لأنه دائماً يفكر في الإجابة. لكنه لم يستطع تذكُّر أي شيء أفضل في الوقت الحالي، فقد كان مرتبكاً جداً بسبب سؤال البيض. بالطريقة نفسها أيضاً فقد كان سؤالاً صعباً على بيلبو المسكين، الذي لم تكن له أي علاقة بالمياه قدر استطاعته. أتخيل أنكم تعرفون الإجابة، بالطبع، أو يمكنكم تخمينها بسهولة مثل الغمز، لأنكم تجلسون بشكلٍ مريح في المنزل، ولستم مُعرَّضين لخطر الأكل لكي يتشوش تفكيركم. جلس بيلبو، تنحنح، وجلي حنجرته مرّةً أو اثنتين، لكنّ الجواب لم يأت.

بعد فترةٍ من الوقت بدأ غولوم يهسهس لنفسه فرحاً: هل هو لذيذٌ أيها الغالي؟ هل هو غصٌّ؟ هل هو شهِيٌّ ومقرمش؟ وبدأ يحدِّق إلى بيلبو في الظلمة، فقال له الهوبيت وهو يرتجف: نصف لحظة، منذ قليل أعطيتك فرصةً طويلةً وجيدة.

يجب أن تُسرع، أسرع هيا! قالها غولوم، وبدأ بالنزول من قاربه إلى الشاطئ للوصول إلى بيلبو. وعندما وضع قدمه الشبكية الطويلة في الماء، قفزت سمكة مذعورة من الماء وسقطت على أصابع قدم بيلبو.

فقال: يا للقرف! إنها باردةٌ ودبقة! وهكذا استطاع التخمين، وصرخ: سمكة! سمكة! إنها السمكة!

أصيب غولوم بخيبة أمل رهيبة، لكن بيلبو طرح لغزاً آخر بأسرع ما يمكن، لذلك رجع غولوم إلى قاربه وإلى التفكير.

- التي من دون أرجلٍ استلقت على ذات الرجل الواحدة

وذو الرجلين جلس بقرب ذات الأرجل الثلاث

وذات الأرجل الأربع حصلت على البعض؟

لم يكن هذا هو الوقت المناسب للغز مثل هذا، لكن بيلبو كان في عجلةٍ من أمره. لو سأله في وقتٍ آخر ربما كان سيواجه غولوم بعض الصعوبة في تخمين الحلّ، كما هي الحال في الحديث عن السمك. «من دون أرجل» لم يكن

صعبًا للغاية، وبعد ذلك كانت البقية سهلة. سمكة على طاولة صغيرة، رجل يجلس على كرسي خلف الطاولة، والقط ذو الأرجل الأربع سيأخذ العظام. هذا هو الحل. وقد أعطاه غولوم في الحال. ثم اعتقد أن الوقت قد حان لي طرح لغزًا صعبًا وفضيئًا، وهذا ما قاله:

- شيء يلتهم كل الأشياء

• عصافير، وحوش، أشجار، زهور

ينخر الحديد، يقضم الفولاذ

يطحن الحجارة الصلبة ويحيلها إلى طحين

يذبح الملوك، ويخرّب البلدان

ويَدُقُّ الجبل العالي.

جلس بيلبو المسكين في الظلام يفكر في جميع أسماء العمالقة والغيلان الذين سمعهم من قبل في الحكايات، لكن لم يفعل أحد منهم كل هذه الأشياء. كان لديه شعورٌ بأن الإجابة ستكون مختلفة تمامًا عن هذا الاتجاه، ويجب أن يعرفها، لكنه لم يستطع التفكير في الأمر. فقد بدأ يشعر بالخوف، وهذا يؤدي التفكير. بدأ غولوم بالخروج من قاربه.

خاض بيديه في الماء وجدّف نحو الضفة، كان بإمكان بيلبو رؤية عينيه تتجهان نحوه. بدا كأن لسانه عالق في فمه، كان يريد أن يصرخ ويقول: أعطني المزيد من الوقت! أعطني وقتًا، لكن كل ذلك خرج من فمه بصرخة مفاجأة على شكل كلمة واحدة: الوقت! الوقت!

أُنقذَ بيلبو بالمصادفة السعيدة، طبعًا لأن الجواب الصحيح كان هو "الوقت".

أصيب غولوم بخيبة أملٍ مرّةً أخرى، وأصبح غاضبًا، أضف إلى أنه تعب من اللعبة أيضًا، وهذا ما زاد من شعوره بالجوع أكثر. وفي هذه المرّة لم يرجع إلى القارب بل جلس في الظلام بجانب بيلبو. وهذا ما أقلق الهوبيت وسبّب له تشتتًا في الذهن.

قال غولوم: يجب أن تسألنا سؤالًا، أيها الغالي، نعم، نعم م، نعم م م. مجرد سؤال واحد لنحاول الإجابة عنه، نعم، نعم م، لكن بيلبو لم يستطع التفكير في أي سؤال مع ذلك الشيء البارد الرطب القذر الذي كان يجلس بالقرب منه، وكان يجسسه ويلكزه. حكَّ بيلبو رأسه، وقرص نفسه، علَّه يتذكَّر شيئًا، لكنه ما زال غير قادرٍ على التفكير في أي شيء.

قال غولوم: اسألنا! اسألنا!

قرص بيلبو جسمه، ولطم وجهه، ثمَّ قبض على سيفه الصغير بيد، وتحسَّس جيبه باليد الأخرى. هنالك وجد الخاتم الذي التقطه في الممرِّ ونسي أمره تمامًا.

ماذا يوجد في جيبي، قال مخاطبًا نفسه، لكنه تلفظ بها بصوتٍ عالٍ. اعتقد غولوم أن بيلبو يطرح عليه لغزًا، فانزعج منه بشكل مريع. وقال: ليس عدلًا! هذا ليس عدلًا! ليس من العدل أيها الغالي، أن تسألنا عمَّا يوجد في جيوبها الصغيرة الكريهة.

رأى بيلبو ما حدث، ولم يكن لديه شيء أفضل لطرجه فتمسَّك بسؤاله. وقال بصوتٍ أعلى: ماذا لديَّ هنا في جيبي؟

هسهس غولوم: إس، س، س، س. يجب أن تسمح لنا بثلاثة احتمالات، أيها الغالي، ثلاثة احتمالات.

قال بيلبو: هذا جيد! ابدأ من دون تردُّد!

قال غولوم: يدك!

لحسن الحظِّ كان بيلبو قد أخرج يده من جيبه، فقال: خطأ، خَمَّن ثانية! هسهس غولوم وكان أكثر اضطرابًا من قبل. لقد فكَّر بكل شيء يمكن أن يحتفظ به في جيوبه وقال: عظام السمك، أسنان جوبلن، أصداف رطبه، قطعة من جناح خفَّاش، حجر حادُّ لشحذ مخاليه، وأشياء أخرى مُقرفة. حاول التفكير في ما يحتفظ فيه الآخرين في جيوبهم.

ثمَّ قال أخيرًا: سكين!

قال بيلبو، والذي كان قد فقد سكينه منذ بعض الوقت: خطأ، آخر تخمين!  
الآن أصبح غولوم بحالة أكثر سوءًا مما كان عليه عندما سأله بيلبو لغز  
البيض. فهسهس وبصق وهز نفسه إلى الأمام وإلى الخلف، وخبط قدميه على  
الأرض، وتلوى وفرفر، لكنه لم يجرؤ على إضاعة فرصة آخر تخمين.

قال بيلبو: هيا! ما زلت أنتظر! حاول أن يبدو جريئًا ومبتهجًا، لكنه لم  
يكن متأكدًا على الإطلاق من الطريقة التي ستنتهي بها هذه اللعبة، سواء أكان  
تخمين غولوم صحيح أم خاطئ. ثم قال: انتهى الوقت!

صرخ غولوم: سلسلة أو لا شيء! الذي لم يكن عادلاً تمامًا لأنه أعطى  
إجابتين في وقت واحد.

كلاهما خطأ! صرخ بيلبو بارتياح كبير، وقفز على الفور واقفًا على قدميه،  
ساحبًا سيفه الصغير، وقد أسند ظهره إلى أقرب جدار له. هو يعلم بالطبع  
أن لعبة الألغاز كانت مقدّسة. وعلى امتداد العصور القديمة، حتّى المخلوقات  
الشريرة كانت تخشى الغشّ عندما يلعبون بها. لكنه شعر بأنه لا يستطيع  
الوثوق بهذا الشيء للوفاء بالعهد عند الضيق. فقد يحتال بأي عذر لكي  
ينسحب من وعوده. وبعد كلّ هذا فإن السؤال الأخير لم يكن لغزًا حقيقيًا  
طبقًا للقوانين القديمة للعبة.

على أي حال، لم يهاجم غولوم بيلبو فورًا. فقد كان يرى السيف في يد  
بيلبو، فبقي جالسًا يهمس ويرتعث. أخيرًا لم يعد بإمكان بيلبو الانتظار أكثر  
من ذلك. فقال: حسنًا؟ ماذا عن وعدك؟ أريد أن أذهب. يجب أن تدلّني على  
الطريق.

قال غولوم: هل قلنا ذلك، أيها الغالي؟ أن نُرشد هذا الغضّ الصغير باجيزن  
إلى طريق الخروج، نعم، نعم. لكن ماذا كان يوجد في جيوبه، إيه؟ ليست  
سلسلة، أيها الغالي، وليس لا شيء، أوه لا! غولوم!

قال بيلبو: لا تهتمّ بذلك، فالوعد هو الوعد.



سهس غولوم: ستعبره، يا نافد الصبر، يا غالي. لكن يجب أن تنتظر، نعم عليك الانتظار. لا يمكننا الصعود إلى الأنفاق بهذه السرعة. يجب أن نذهب ونأتي ببعض الأشياء أولاً، نعم، أشياء لتساعدنا.

قال بيلبو حسناً، أسرع إذن!، فقد كان مرتاحاً لفكرة ابتعاد غولوم. كان يعتقد أن غولوم يصطنع عذراً، ولم يضمّر العودة. ما الذي كان يتحدث عنه غولوم؟ ما هو الشيء المفيد الذي يمكنه الاحتفاظ به بعيداً عن البحيرة المظلمة؟

لكن بيلبو أخطأ التفكير، لقد قصد غولوم العودة فعلاً. وهو الآن غاضب وجائع. بالإضافة إلى أنه مخلوقٌ بائسٌ خبيث، بالفعل كانت لديه غايةٌ من عودته إلى جزيرته الصخرية.

لم تكن جزيرته بعيدةً من هنا، ولم يكن بيلبو يعرف عنها شيئاً، وهناك في مخبأه المخفي، احتفظ ببعض البقايا الهزيلة. وشيء جميل جداً، جميل جداً، ورائع جداً. كان لديه خاتم، خاتمٌ نهبى، خاتمٌ ثمينٌ وغالٍ.

هدية عيد ميلادي! همس لنفسه، كما كان يفعل غالباً في أودية الأيام المظلمة التي عاشها هنا.

لقد أراد امتلاكه لأنه كان خاتم القوة والسلطان. فإذا لبست ذلك الخاتم في إصبعك، ستصبح غير مرئي، ويمكن رؤيتك فقط في ضوء الشمس الكامل، وذلك عن طريق ظلِّك فقط، الذي سيظهر بشكلٍ مهتَزٍّ وخافت.

هدية عيد ميلادي! لقد جاءت لي في عيد ميلادي، أيها الغالي، هكذا كان يقول دائماً لنفسه. لكنَّ مَنْ يعرف كيف نال غولوم تلك الهدية، لقد مرَّت عصور على تلك الأيام الخوالي التي كانت فيها مثل هذه الخواتم منتشرة بكثرة في العالم؟

ربما حتَّى «السيّد» الذي يسيطر عليهم لا يملك الإجابة عن هذا السؤال.

في البداية، اعتاد غولوم وضعه في إصبعه، حتَّى أنهكه، ثمَّ أصبح يحتفظ به في جرابٍ ملاصقٍ لجلده حتَّى تقرَّح جلده، والآن عادةً ما يخفيه في حفرة في الصخر على جزيرته، وكان دائماً يعود ليراه ويطمئنُّ عليه. ولا يزال

يضعه في إصبعه أحياناً عندما لا يستطيع تحمُّل الانفصال عنه لوقتٍ طويل. أو عندما يكون جائعاً جداً، جدًّا، وقد سئمَ طعم الأسماك. عندها يزحف إلى الممرّات المظلمة بحثاً عن الجوبلن الضالّة. وأحياناً كان يجازف بالذهاب إلى الأماكن المُضاءة بالمشاعل والتي كانت تجعل عينيه لامعتين ومتألّقتين. لذلك كان يضع الخاتم في إصبعه ليبقى هو بأمان.

أوه، نعم، آمن تماماً، لن يراه أحد، ولن يلاحظه أحد، حتّى يضع أصابعه حول أعناقهم. فقط منذ عدّة ساعات كان يلبسه، حين أمسك بصغير جوبلن، وكم صرخ ذلك الصغير! ما زال يحتفظ بعظمة أو اثنتين متبقّيتين ليقضمهما، لكنه أراد شيئاً أكثر طراوة من لحوم الجوبلن.

همس لنفسه: آمن تماماً، نعم، لن تستطيع رؤيتنا، أليس كذلك أيها الغالي؟ لا. لن تستطيع رؤيتنا، وسيفها الصغير القدر سيكون عديم الفائدة، نعم تماماً.

هذا ما كان يدور في عقله الصغير الشرير، حيث انزلق فجأةً من جانب بيلبو، عام فوق الماء عائداً إلى قاربه، وذهب في الظلام. اعتقد بيلبو بأنها آخر مرّة يسمع فيها صوت غولوم. بقي ينتظر لفترةٍ من الوقت، لأنه لم تكن لديه أيّة فكرة عن كيفية إيجاد طريقة للخروج بمفرده.

فجأةً سمع صرّخةً دُعي، أسرت القشعريرة في كلّ جسمه. كان غولوم يلعن ويبكي بعيداً في العتمة، ليس بعيداً عن صوته، كان هناك في جزيرته يخربش هنا وهناك، لكن عبثاً كان يحاول البحث والتفتيش.

سمع بيلبو صياحه: أين هو؟ أين هو؟ لقد فقدته أيها الغالي، ضاع، ضاع! اللعنة علينا وسحقاً لنا، ضاع الغالي!

ناداه بيلبو: ما المشكلة؟ ماذا أضعت؟

صرخ غولوم: عليك ألا تسألنا، هذا ليس من شأنك، لا، غولوم! لقد ضاع، غولوم، غولوم، غولوم.

صرخ بيلبو: حسناً، وأنا كذلك، لا أريد أن أصبح ضائعاً. فأنا ربحت اللعبة، وأنت وعدت. لذلك تعال! تعال ودعني أخرج، وبعدها استمرّ في بحثك!

بدا غولوم بائسًا تمامًا، لم يجد بيلبو في قلبه شيئًا من الشفقة على هذا المخلوق، فقد كان لديه شعور بأن غولوم يُريدُ شيئًا ما، وهذا الشيء لن يكون فيه الخير.

صرخ بيلبو مجددًا. هيا تعال!

أجابه غولوم: لا، ليس بعد، أيها الغالي! يجب أن نبحث عنه، لقد ضاع، غولوم.

فقال بيلبو: لكنك لم تحزر جواب سُؤالي الأخير، وأنت وعدت.

قال غولوم: لم نحزر! ثم فجأةً خرجت هسهسةٌ حادةٌ من الظلام: ماذا كان يوجد في جيوبها؟ قل لنا ماذا كان ذلك الشيء الذي في جيوبك، يجب أن نُقل لنا أولًا.

لم يكن هناك سبب معيّن -على حدِّ علم بيلبو- يمنعه من إخبار غولوم بالحقيقة. ومن الطبيعي أن يقفز تفكير غولوم إلى التخمين بوجود الخاتم في جيب بيلبو، بشكلٍ أسرع من تفكير بيلبو. لأن غولوم أطلال المكوث لعصورٍ مع هذا الشيء الواحد. وكان دائمًا يخشى أن يُسرَق منه. أمّا بيلبو فكان منزعجًا من التأخير. فهو بعد كل شيء كان قد فاز باللعبة، بما يتفق مع قواعد الإنصاف، بمخاطرةٍ مروّعة. قال مخاطبًا غولوم: الأجوبة تُخمن ولا تُعطى.

قال غولوم: لكنه لم يكن سؤالًا عادلاً قط، هذا ليس لغزًا أيها الغالي.

أوه حسنًا، أجاب بيلبو، إذا كان الأمر يتعلّق بالأسئلة العادية، فقد سألتك أنا أولًا. ماذا أضعت؟ هيّا أخبرني بذلك!

- ماذا لديها في جيوبها؟ الصوت جاء مهسهسًا أعلى وأكثر حدةً، وبينما كان ينظر نحوه مذعورًا، رأى بيلبو نقطتين صغيرتين من الضوء تحدّقان إليه. ومع تزايد الشكِّ في عقل غولوم، اشتعل ضوء عينيه بلهبٍ باهت.

تمسك بيلبو بسؤاله وقال: ماذا أضعت؟ فتغيّر الضوء في عيني غولوم إلى نارٍ خضراء، وكان يقترب بسرعة. كان غولوم في قاربه مرّةً أخرى، يجذّف

بوحشية عائداً إلى الشاطئ المُعتم، مع مثل هذا الغضب من الخسارة والشكُّ اللذين كانا في قلبه، فلم يعد يرهبه أي سيف.

لم يستطع بيلبو تخمين ما الذي أثار جنون هذا المخلوق البائس، لكنه رأى أن كلَّ شيء قد انتهى، وأن غولوم ينوي قتله بأي حالٍ من الأحوال. وفي الوقت المناسب تماماً استدار وركض بشكلٍ أعمى عائداً إلى أسفل الممرِّ المظلم الذي جاء منه، متلمّساً جدار الممرِّ بيده اليسرى ليبقى على مقربةٍ من الجدار.

- ما الذي يوجد في جيوبها؟ سمع هسهسةً عاليةً خلفه، وأحسَّ برداً الماء الذي أحدثه غولوم عندما قفز من القارب.

قال بيلبو لنفسه: ماذا لديّ، أتساءل؟ وهو يلهث ويتعثرٌ على طول الممرِّ، ثمَّ وضع يده اليسرى في جيبيه. فشعر ببرودة الخاتم الشديدة عندما انزلق بهدوء في سبّابته المتلمّسة.

كانت الهسهسة قريبةً منه. استدار فرأى أعين غولوم مثل مصابيح خضراء صغيرة تصعد المنحدر. من شدّة خوفه حاول الهرب مسرعاً، لكن فجأةً اصطدمت أصابع قدميه بنتوءٍ في الأرض، فسقط ممدداً على الأرض وسيفه من تحته.

في لحظةٍ كان غولوم فوقه، وقبل أن يتمكّن بيلبو من التقاط أنفاسه، والنهوض من سقطته، أو التلويح بسيفه، مرَّ غولوم دون أن ينتبه له، وكان يلعن ويهمس وهو يركض.

ماذا يعني ذلك؟ غولوم يستطيع الرؤية في الظلام. استطاع بيلبو أن يرى ضوء عينيه يلمع بشحوبٍ حتّى من الخلف. نهض متألّماً، وغمد سيفه الذي كان يتوهّج بخفوتٍ ثانية، ثمَّ تبعه بحذرٍ شديد. يبدو أنه لا يوجد شيء آخر يمكن القيام به. لم يكن من الجيد الزحف عائداً إلى بحيرة غولوم. فإذا تبعه، لربما قاده غولوم بطريقة ما ومن دون قصد إلى النجاة.

هسهس غولوم: اللعنة عليه! اللعنة عليه! اللعنة عليه! اللعنة على الباجينز! لقد هرب! ما الذي كان في جيوبها؟ يجب أن نعرف، فلنخمن أيها الغالي!

- لقد وجدته، نعم يجب أن يكون معه. هدية عيد ميلادي.

شَنَّف بيلبو أذُنِيهِ. أخيراً بدأ يفهم ماذا يجري من حوله. أسرع قليلاً بقدر ما استطاع أن يتجرأً من الاقتراب خلف غولوم، الذي كان لا يزال يسير بسرعة من دون أن ينظر خلفه، لكنه كان يلتفت برأسه من جانب إلى آخر، كما استطاع بيلبو أن يعرف من رؤية البصيص الخافت الذي كان ينعكس على الجدران.

- هدية عيد ميلادي! اللعنة عليه! كيف فقدناه أيها الغالي؟ نعم، الآن عرفت، عندما مررنا من هذا الطريق آخر مرّة، وقمنا بِلَيِّ عنق ذلك الصارخ الصغير القدر. هذا ما حصل، اللعنة عليه! لقد انزلق منا، بعد كل هذه العصور والعصور! لقد ضاع، غولوم، غولوم.

فجأةً جلس غولوم وراح يبكي. كان الاستماع إلى صوت الصغير والقرقرة الصادرة منه أمرًا مروّعًا. توقّف بيلبو ملازمًا لجدار النفق. بعد فترة توقّف غولوم عن البكاء وبدأ يتكلّم. يبدو وكأنه يتجادل مع نفسه.

- ليس من الجيد العودة إلى هناك للبحث، لا. نحن لا نتذكّر كل الأماكن التي زرناها، ولا فائدةً من البحث. لقد أخذته الباجينيز ووضعه في جيوبه، الجاسوس القدر وجده، هذا رأينا.

- نحن نحْمَن، أيها الغالي، تخمينًا فقط. لن نعرف حتّى نجد ذلك المخلوق القدر ونقبض عليه. لكنها لا تعرف ما يمكن لهدية عيد ميلادي أن تفعله، أليس كذلك؟ إنها فقط ستحتفظ بها في جيوبها. إنها لا تعرف، ولا يمكنها الابتعاد من هنا، لقد أضاعت نفسها، ذلك الشيء الفضولي القدر. وإنها لا تعرف طريق الخروج من هنا كما قالت.

- نعم، قالت ذلك، لكنها مؤذية، إنها لا تقول ماذا تقصد. ولا تريد أن تقول ماذا كان يوجد في جيوبها. إنها تعرف. إنها تعرف طريق الدخول إلى هنا، فيجب أن تعرف طريق الخروج من هنا، نعم. ستذهب إلى الباب الخلفي. إلى الباب الخلفي، هذا هو.

- حينذاك ستُمسك بها الجوبلنيز، لا يمكنها الخروج من ذلك الطريق، أيها الغالي.

- إسسس، إسس، غولوم! جوبلنيز! نعم، لكنها ستأخذ الهدية، هديتنا الغالية، ستحصل الجوبلنيز ستحصل عليها، غولوم! سوف يجدونها، يكتشفون ما تفعله. لن نكون آمنين مرّة أخرى، أبداً، يا غولوم! سوف يلبسه واحدٌ من الجوبلنيز، وبعدها لن يراه أحد، سيبقى هناك لكنه سيكون غير مرئي. حتّى أعيننا الذكية لن نلاحظه. وسيأتي زاحفاً ومخادعاً ويُمسك بنا، غولوم، غولوم!

- إذن دعنا نتوقّف عن الكلام، أيها الغالي، ولنسرع. إذا ذهب الباجينز من ذلك الطريق، يجب أن نسرع ونرى. اذهب! لم يبتعد بعد. هيأ أسرع!

بقفزة نهض غولوم عن الأرض وبدأ يمشي مرتبكا بوتيرة سريعة.

أسرع بيلبو خلفه، محتفظاً بحذره، على الرغم من أنّ خوفه الأساسي كان من التعرّض في نتوء آخر والسقوط مع إحداهن ضوءاء. كان رأسه يدور في دوامة بين الأمل والشكّ، هل يُعقل أن الخاتم الذي بحوزته هو خاتم سحري، لقد جعلك غير مرئي! سمع بالطبع بمثل هذه الأشياء في الحكايات القديمة جدّاً، لكن من الصعب التصديق بأنه عثر على واحدٍ منها بالمصادفة. وما زال يعمل، لقد مرّ غولوم بعينيه اللامعتين من جانبه، من مسافة ياردة واحدة ولم يلحظ وجوده.

في أثناء الذهاب، كان غولوم يخفق متدحرجاً إلى الأمام، يهسهس ويلعن، أمّا بيلبو فيجري وراءه بهدوء كما يمكن للهوبيت أن يفعل. فجأة جاؤوا إلى أماكن، حيث لاحظ بيلبو في الطريق في أثناء نزوله، فتحات جانبية في الممرّات، في هذا الطريق مثل تلك. وبدأ غولوم يعدّهم في الحال.

- واحد يسار، نعم. واحد يمين، نعم. اثنان يمين، نعم، نعم. اثنان يسار، نعم، نعم. وهكذا دواليك.

مع ازدياد العدّد كان يتباطأ، ثمّ بدأ يبكي ويرتجف، لأنه ابتعد عن الماء أكثر فأكثر، وخاف من أن يُصبح مُحاطاً بالجوبلن بعد أن أضاع خاتمه. أخيراً توقّف عند مدخلٍ منخفض، يقع إلى يسارهم في أثناء الصعود.

وراح يهمس: سبعة يمين، نعم. ستة يسار، نعم! هذا هو، هذا هو الطريق إلى الباب الخلفي، نعم. وها هو الممرُ إذن!

أمعن في النظر إلى الداخل، وانكمش متراجعا. لكننا لن نتجرأ على الدخول، أيها الغالي، لا نجرؤ على ذلك. الجوبلينز هناك. الكثير من الجوبلينز. إننا نشمُّ رائحتهم. إسسس!

- ماذا سنفعل؟ اللعنة عليهم سُحقا لهم! يجب أن ننتظر هنا، أيها الغالي، ننتظر قليلا ونرى.

وهكذا وصلا إلى طريقٍ مسدود، رغم كل شيء لكن غولوم قاد بيلبو إلى طريق الخروج، أمّا بيلبو فلم يستطع الولوج فيه حتّى الآن! لأنّ غولوم كان يجلس القرفصاء في منتصف المدخل، وعيناه تلمعان بفتور في رأسه، المتمايل بين ركبتيه.

زحف بيلبو مبتعدا عن الجدار بهدوءٍ شديدٍ كالغأر، وفي الحال تجمّد غولوم، واستنشق الهواء، واخضرّ الضوء في عينيه. هسهس بهدوءٍ مستشعرا الخـطـر. لم يستطع رؤية الهوبيت، لكنه أصبح في حالة تأهب، لأنه يمتلك حواسا أخرى كانت قد تطوّرت بفعل وجوده الطويل في الظلمة، منها حاستي السمع والشمّ. بدا وكأنه جائمٌ تماما، وكانت يداه المسطّحتان على الأرض متباعدتان عن بعضهما، ورأسه مُندفعٌ إلى الأمام، وأنفه يكاد يلامس الأحجار تقريبا. مع أنّه كان يبدو فقط كظلّ أسود وفي عينيه بصيص، لكن بيلبو استطاع أن يرى أو يشعر بأنه مشدودٌ مثل وتر القوس الجاهز للانطلاق.

كان بيلبو يائسا، كادت أنفاسه تتوقّف، وقد تجمّد في مكانه.

بينما لم يتبقّ لديه أيّ قوة، كان عليه الهرب من هذا الظلام الرهيب. عليه أن يُقاتل. ويطعن هذا الشيء القدر، فيقتلع عينيه، ويقتله.

لقد نوى على قتل غولوم. لا، هذه معركة غير متكافئة، فهو غير مرئيّ الآن، وغولوم من دون سلاح. ولم يكن غولوم قد هدّد بقتله فعلا، أو حاول ذلك حتّى الآن. بالإضافة إلى أنه كائنٌ تعس، وحيد، وضائع. هذا الإدراك المفاجئ، للشفقة الممزوجة بالرعب، اعتصرت قلب بيلبو: بنظرة خاطفة إلى تلك الأيام

الطويلة التي قضاها غولوم، من دون وضوح، من دون ضوء أو أمل في التحسُّن، الحجارة القاسية، الأسماك الباردة، الهمس والتسلُّل.

مرَّت كل هذه الأفكار برأس بيلبو في ومضةٍ من ثانية. فارتعش. ثمَّ فجأةً وفي ومضةٍ أخرى. قفزَ كما لو أنه كان قد رُفِع بقوةٍ وعزمٍ جديدين.

لم تكن قفزةً عظيمةً لرجل، إن هي إلا قفزة في الظلام. مرَّ مباشرةً من فوق رأس غولوم قافزًا، لسبعة أقدامٍ إلى الأمام وثلاثة أقدامٍ في الهواء، لم يكن يعرف ذلك بالفعل، بأنه لو أخطأ التقدير قليلاً لارتطمت جمجمته بالقوس السفلي للممرِّ.

ألقي غولوم بنفسه إلى الوراء، وحاول الإمساك بالهوييت عندما طار من فوقه، ولكن بعد فوات الأوان، ولم تُمسك يديه سوى الهواء، أما بيلبو فقد سقط بأمان على قدميه الثابتتين، وانطلق خارجًا من النفق الجديد. لم يستدر ليرى ما كان يفعله غولوم. في البداية كانت هناك تقريبًا هسهسات ولعنات في إثره، ثمَّ توقفت. وفي الحال جاءت صرخةٌ ذُعرٍ تُجمدُ الدم في العروق مليئةً بالكراهية واليأس. كانت صرخة غولوم المقهور. الذي لم يجرؤ على الذهاب أبعد من ذلك. لقد فقد فريسته، وفقد معها أيضًا الشيء الوحيد الذي كان يراعه باهتمام، لقد فقد الغالي.

قفز قلب بيلبو من مكانه على إثر تلك الصرخة، لكنه استمرَّ في الهرب. وباتت الآن خافتةً مثل الصدى، لكنَّ صوتًا متوعدًا جاءه من الخلف.

- باجينزا! لص، لص، لص! نحنُ نكرهها، نحنُ نكرهها، نحنُ نكرهها  
إلى الأبد!

ثمَّ ساد صمتٌ، لكنه بدا أيضًا مُهددًا لبيلبو. وفكَّر في نفسه: إذا كان الجوبلن قريبين جدًا لدرجة أنه استطاع أن يشمَّ رائحتهم، عندئذٍ سيكونون قد سمعوا صراخه ولعناته، لذلك لا بُدَّ من الحذر الآن، أو أن هذا الطريق سيقوده إلى أشياء أسوأ.

كان الممرُّ منخفضًا وعزًا. ولم يكن عبوره بذلك الشيء الصعب على الهوييت، إلا عندما اصطدمت أصابع قدميه المسكينة عدَّة مرَّات بالحجارة



المسنّنة الكريهة الموجودة في أرضية الممرّ، بالرغم من كل الحذر. منخفض  
بعض الشيء بالنسبة إلى الجوبلن، على الأقل بالنسبة إلى الكبيرة منها، هذا  
ما فكّر به بيلبو، غير مُدرك أنها من خامات الجبال، فحتى الكبيرة منها،  
تطأطي منحنيّة إلى الأمام وأيديها على الأرض تقريبًا، وتسير بسرعات كبيرة.  
كان منحدرًا إلى الأسفل لكنه سرعان ما بدا بالصعود مرّة أخرى، وبعد  
فترة بدا صاعدًا بحدّة أكثر. وهذا ما أبطأ من حركة بيلبو، لكن المنحدر توقف  
أخيرًا، ينعطف الممرّ بزواوية، ثمّ ينحدر مرّة أخرى، وهناك في قاع المنحدر  
القصير، رأى بصيص ضوء حول الزاوية الأخرى. لم يكن ضوءًا أحمر كشعلة  
قنديل أو فانوس، بل كان نوعًا من الضوء الباهت الذي يأتي من الخارج. عندها  
بدأ بيلبو بالجري.

راح يعدو بأقصى سرعة يمكن أن تتحمّلها ساقاه واستدار حول آخر  
زاوية، فوصل مباشرة إلى مكانٍ مفتوح، حيث الضوء، بعد كل ذلك الوقت الذي  
أمضاه في العتمة، بدا الضوء ساطعًا بشكلٍ مُذهل. حقًا لقد كان مجرد تسرّب  
لضوء الشمس عبر المدخل، حيث تُرك بابٌ حجريّ كبير مفتوحًا.

نظر بيلبو خلسة، فرأى الجوبلن. كان الجوبلن بدروعهم الكاملة والسيوف  
بأيديهم يجلسون قبالة الباب تمامًا، ويراقبون بأعينٍ واسعة، كلٌّ من الباب  
والممرّ المؤدّي إليه. كانوا يقظين متأهبين، ومستعدّين لأي طارئ.

لقد رأوه قبل أن يراهم بقليل. نعم، لقد رأوه. لم يكن الخاتم في إصبعه،  
سواءً كانت تلك مُصادفة، أم خدعة أخيرة من الخاتم قبل أن يستولي عليه سيدٌ  
جديد. مع صيحات الفرخ اندفع الجوبلن نحوه.

أصيب بيلبو بمعاناةٍ من الخوف والضياع، وكأنها استجابة لبؤس غولوم.  
وراح يضرب يديه على جيوبه، ونسي أن يسحب سيفه.

كان لا يزال الخاتم موجودًا في جيبه الأيسر، فانزلق في إصبعه. توقّف  
الجوبلن لبرهة، إذ لم يتمكّنوا من رؤية أي إشارة منه. لقد اختفى. صرخوا  
مرّتين بصوتٍ عالٍ كما فعلوا قبل قليل لكن من دون تلك السعادة.

صاحوا: أين هو؟

نادى بعضهم: عودوا إلى الممر!

والبعض الآخر صاح: من هنا! وصاح آخرون: من هناك!

صرخ قائدهم: ابحثوا عليه عند الباب.

أطلقت الصافرات، اصطكَّت الدروع، اهتزَّت السيوف، وأقسم الجوبلن ولعنوا وشتموا، ثمَّ اندفعوا راكضين هنا وهناك، سقطوا فوق بعضهم بعضًا وباتوا غاضبين جدًّا.

كان هناك اضطراب كبير وصرخات احتجاج رهيبية، حول ما يجب القيام به.

كان بيلبو خائفًا ومذعورًا، لكن كان لديه من حسن الإدراك ما يكفي ليتسلَّل خلف برميل كبير يحوي شرابًا لحراس الجوبلن، ومن ثمَّ استطاع الابتعاد عن الطريق تفاديًا من التعرُّض للاصطدام أو الدوس حتَّى الموت، أو الشعور به وإمساكه.

- يجب أن أصل إلى الباب، يجب أن أصل إلى الباب! هذا ما بقي بيلبو يقوله لنفسه، لوقتٍ طويل لكن دون أن يتجرأ على المحاولة. كانت حالته تشبه نسخة مروعة من لعبة (الغميضة). كان المكان يعجُّ بالجوبلن المتراكضين، والهوبيت المسكين يتحاشى الاصطدام بهم بهذا الطريق أو ذاك، لكنه أسقط أرضًا جزءًا اصطدامه بأحد الجوبلن الذي لم يعرف بماذا اصطدم، زحف بعدها على يديه ورجليه، وفي الوقت المناسب انزلق من بين ساقَي القائد، ثمَّ نهض واقفًا وركض نحو الباب.

كان لا يزال الباب مفتوحًا قليلًا، لكن أحد الجوبلن يكاد أن يغلقه. كافح بيلبو كثيرًا لكنه لم يستطع تحريكه. حاول حشر نفسه من خلال الشقِّ. وبدأ يعصر ويعصر، إلى أن علق في شقِّ الباب! كان ذلك شيئًا مروِّعًا. كانت أزرار صدريته قد حُشرت بين الباب وعضادة الباب. كان يستطيع رؤية الخارج، حيث الهواء الطلق، كانت هناك بضع درجاتٍ تنزل إلى وادٍ ضيق بين الجبال،

خرجت الشمس من خلف غيمةٍ فأشرقت ساطعةً على المنطقة خارج الباب ولكنه لم يستطع العبور.

فجأة صاح أحد الجوبلين من الداخل: هنالك ظلٌ عند الباب، يوجد شيء ما بالخارج!

وقع قلب بيلبو بين رجليه من شدة الخوف، وذلك منحه دفعةً جعلته يتلوى ويعبر الشقَّ بشكلٍ مُذهل. تقطعت أزرار صدريته التي كانت عالقةً بين الباب وعضادته وتناثرت في كلِّ الاتجاهات. لقد عبر إلى الخارج، بصدريةٍ ومعطفٍ ممزقين، يقفز على الأدراج مثل الماعز، بينما بقي الجوبلين الحائرون يلتقطون أزراره النحاسية الجميلة عند عتبة الباب.

نزلوا خلفه بالحال يصرخون ويصفرون، وراحوا يطاردونه بين الأشجار. لكنَّ الجوبلين لا يحبون الشمس فهي تُسبب لهم رجفةً في أرجلهم ودوخةً في رؤوسهم. ولم يتمكّنوا من العثور على بيلبو وهو يلبس الخاتم، بقي بيلبو ينزلق داخل ظلال الأشجار وخارجها، راکضًا بسرعةٍ هادئة، مبتعدًا عن أشعة الشمس. وسرعان ما عاد الجوبلين متذمرين لاعنين لحراسة الباب.

وأخيرًا نجا بيلبو.

## الفصل السادس

### من المقلاة إلى النار

كان بيلبو قد هرب من الجوبلين، لكنه لم يكن يعرف مكانه. لقد أضع قلنسوته، معطفه، مُهره طعامه، أزرار صدريته وأصدقاءه. لكنه استمرَّ في التجوُّل، حتَّى أشرفت الشمس على الغروب خلف الجبال، التي أَلقت بظلالها عبر طريق بيلبو، نظر إلى الخلف. ثمَّ نظر إلى الأمام ولم يستطع أن يرى أمامه سوى تلالٍ ومنحدرات تهبط باتجاه الأراضى المنخفضة وكان يلمح سهولًا تلوح أحيانًا من بين الأشجار.

هتف قائلاً: يا إلهي! يبدو أنني وصلت مباشرةً إلى الجانب الآخر من الجبال الضبابية، إلى حافة الأرض التي خلفها تمامًا! أين، أوه، أين يمكن لجاندالف والأقزام أن يصلوا؟ أتمنَّى لهم الخير فقط، وألا يكونوا قد قُبض عليهم هناك من قِبَل الجوبلين.

لا يزال يتجوُّل هناك، على الحافة الخارجية للوادي الصغير المرتفع، وينزلُ المنحدرات التي خلف الوادي. لكن طوال الوقت كانت تراوده فكرة مزعجة جدًّا. تساءل إن كان واجبًا أم لا، الآن هو يمتلك خاتمًا سحريًّا، للعودة

إلى الرعب، إلى النفق المريع والبحث عن أصدقائه. كان قد اتخذ قرارًا للتَّوَّ  
بأنَّ من واجبه العودة -وقد شعر بالكثير من التعاسة حيال ذلك- عندما سمع  
أصواتًا.

توقَّف وأنصت، إنها لا تشبه أصوات الجوبلين، لذلك تسلَّل إلى الأمام بعناية.  
كان موجودًا هو على طريقٍ حجريٍّ متعرجٍ إلى الأسفل وله جدارٌ صخري من  
الجهة اليسرى. وعلى الجانب الآخر، انحدرت الأرض على مدى البصر وكان  
هناك العديد من الأودية الصغيرة المغطَّاة بالأجمات والأشجار القصيرة تحت  
مستوى الدرب. في أحد تلك الأودية وتحت الأجمات هناك ثمة أناسٌ يتحدثون.  
بقي يتسلَّل مقتربًا منهم، وفجأة رأى بين الصخور الكبيرة رأسًا عليه  
قلنسوة حمراء. إنه بالين يراقب. كان بإمكانه أن يصفق ويصرخ فرحًا، لكنه  
لم يفعل. كان لا يزال يلبس الخاتم، خوفًا من أي مصادفةٍ سيئة، ورأى أن  
بالين كان ينظر إليه مباشرةً دون أن يلاحظه.

بينما كان يزحف على حافة الوادي من خلال الأجمات، فكَّر بأن يفاجئهم  
جميعًا. كان جاندالف يتناقش مع الأقزام. كانوا يتحاورون في ما بينهم حول  
كلِّ ما حدث معهم في الأنفاق، يتساءلون ويتجادلون ماذا سيفعلون الآن. كان  
الأقزام يتذمَّرون، وكان جاندالف يقول إنه لا يمكن أن يستمرُّوا في رحلتهم  
تاركين وراءهم السيد باجينز في قبضة الجوبلين، دون محاولة إنقاذه، أو  
معرفة ما إذا كان لا يزال على قيد الحياة أم لا.

قال الساحر: فوق كل شيء هو صديقي، وليس غلامًا صغيرًا طائشًا. إنني  
أشعر بالمسؤولية تجاهه، وأتمنى ألا نكون فقدناه.

أراد الأقزام معرفة سبب إحضاره عامَّةً، ولماذا لم يستطع التمسُّك  
بأصدقائه والالتحاق بهم، ولماذا لم يختار الساحر شخصًا أكثر عقلانيةً. قال  
أحد الأقزام: لقد جلب لنا المشكلات أكثر ممَّا قدَّم من فوائد حتَّى الآن، وإذا  
كان علينا العودة إلى تلك الأنفاق البغيضة للبحث عنه، فلن أقول سوى اللعنة  
عليه.

أجاب جاندالف غاضبًا: أنا أحضرته، وأنا لا أحضر أشياء عديمة الفائدة. إمَّا أن تساعدوني في البحث عنه، وإمَّا سأضطرُّ إلى أن أترككم تُخرجون أنفسكم من هذه الورطة لوحكم. إذا تمكَّنَّا من العثور عليه مرَّةً أُخرى، فسوف تشكرونني قبل أن ينتهي كلُّ شيء، لكن مهما حدث، فكيف تهرب يا دوري وتتركه يسقط عنك؟

أجاب دوري: كُنْتُ ستسقطه مثلي لو أنَّ جوبلن أمسك بساقتك من الخلف فجأةً في الظلام!

ردَّ عليه جاندالف: إذن لماذا لم تعد وتأخذه مرَّةً ثانية؟

- يا إلهي! وكيف لك أن تسأل! كان الجوبلن يقاثلون وينهشون في الظلام، كان الجميع يسقط فوق الجثث متخبَّطين وراحوا يضربون بعضهم بعضًا! حتَّى أنت، كِدَتْ أن تقطع رأسي بسيفك جلامدرينج، وكان ثورين يطعن هنا وهناك وفي كل مكان بسيفه أوركريست. وفجأةً أعطيتنا واحدةً من ومضاتك التي تعمي الأعين، ومن بعدها رأينا الجوبلن يصرخون بفزع ويولُّون الأدبار. ثمَّ صحت بنا أن اتبعوني كلُّكم! ووجب على الجميع فعل ذلك. كنَّا نظن أن الجميع تبعوك، وكما تعلم، لم يكن لدينا وقتٌ للعدِّ، وهكذا حتَّى اندفعنا من بين حُرَّاس البوابة، فخرجنا من الباب السُّفلي، ونزلنا إلى هنا خبط عشواء. وما نحن هنا من دون اللصِّ، الذي حيرتتنا بأمره!

- وما هو اللصُّ!

كان هذا بيلبو الذي نزل إليهم وتقدَّم وسطهم، بعد أن نزع الخاتم من إصبعه.

فما كان من الجميع إلا قفزوا من أماكنهم وصرخوا بسعادة وذهول وهُم يضعون أيديهم مطبقة على صدورهم: يا إلهي باركنا!

كان جاندالف مدهوشًا مثله مثلُ أيِّ واحدٍ منهم، وربما كان الأكثر امتنانًا من الآخرين. ثمَّ نادى بالين وسأله عن رأيه بالمراقب الذي يسمح للناس بالدخول مباشرةً بينهم هكذا، من دون سابق إنذار.

والحقيقة أنَّ مكانة بيلبو ارتفعت كثيرًا بين الأقزام بعد تلك الحادثة.

إذا كان ما زال يساورهم الشكُّ في حقيقة أنه لصٌ من الطراز الأول، بالرغم من تأكيدات جاندالف، أمَّا الآن فقد غادرتهم هذه الشكوك إلى الأبد. كان بالين الأكثر حيرةً بينهم جميعًا، لكن كلهم أثنوا على بيلبو بأنه كان فردًا ذكيًّا جدًّا من مجموعة العمل.

في الواقع كان بيلبو سعيدًا جدًّا بثنائهم عليه، لدرجة أنه ضحك بينه وبين نفسه ولم يقل شيئًا عن الخاتم، وعندما سألوه كيف فعل ذلك، قال: أوه، بقيت أتسلَّل فقط - كما تعرفون - بعناية شديدةٍ وبهدوء.

قال بالين: حسنًا، حتَّى لو أنَّ فأرًا قد تسلَّل وزحف بحذر وهدوء من تحت أنفي لكنت اكتشفته، أمَّا بالنسبة إليك فهذه هي المرَّة الأولى الذي يمرُّ شيء من أمامي ولا أرصده، لذلك فأنا أرفع لك القبعة.

بالفعل قام بالين ورفع قلنسوته تحيةً لبيلبو. وقال له: بالين في خدمتك.

ردًّا عليه بيلبو: خادمك، السيد باجينز.

أرادوا معرفة كلِّ شيء عن مغامرته بعدما فقدوه، فجلس وأخبرهم بكلِّ شيء طبعًا ما عدا العثور على الخاتم (كان يعتقد، بأنه من غير المناسب ذكر ذلك الآن). كانوا مهتمِّين بشكل خاص بمسابقة الألغاز، وارتعشوا مع الكثير من التقدير في وصفه لغولوم.

أنهى بيلبو حكايته حيث قال: وبعد ذلك لم أستطع التفكير في أي لغزٍ عندما كان يجلس بالقرب منِّي، لذلك قُلت: ماذا يوجد في جيبي؟ ولم يستطع التخمين في ثلاث محاولات. فقُلت: ماذا عن وعدك؟ أرشدني إلى طريق الخروج، لكنه جاء ليقتلني، فركضت وسقطت على الأرض، وفشل في العثور عليَّ في الظلام.

ثمَّ تبعته، لأنني سمعته يتحدث إلى نفسه. حيث كان يعتقد أنني أعرف طريق الخروج فعلاً، لذلك راح يسلكها. ثمَّ جلس عند المدخل، ولم أستطع المرور. وهكذا قفزت من فوقه وهربت، ثمَّ ركضت نحو البوابة.

فسألوه، ماذا عن الحراس؟ ألم يكن هناك أحد منهم؟

- أوه، نعم! كان هناك الكثير منهم، قال وهو ينظر بحزنٍ إلى ثيابه الممزقة، لكنني راوغتهم، وعلقت في الباب، الذي كان مشقوقًا فقط، وفقدت الكثير من الأزرار. لكنني عصرت نفسي جيدًا. وهأنذا.

عندما تكلم عن مراوغة الحراس، والقفز من فوق غولوم، وحشر نفسه في شقِّ الباب ومن ثمَّ الهرب. نظر إليه الأقزام بنوعٍ جديدٍ من الاحترام لأنه ذكر كلَّ تلك الأحداث من دون تباهِ، وكأنها أحداثٌ عادية خالية من الصعوبة والرعب.

قال جاندالف مبتسمًا: ماذا قُلْتُ لكم؟ ثمَّ تابع كلامه وهو يلقي بنظرةٍ غريبةٍ من تحت حاجبيه الكثَّين على بيلبو: يمتلك السيِّد باجينز مواهب وصفات أكثر ممَّا تتخيَّلون. فتساءل الهوبيت إذا ما كان الساحر خمن ذلك الجزء الذي لم يذكره من الحكاية.

ثمَّ كان لديه أسئلةٌ خاصَّةٌ به لي طرحها، فإذا كان جاندالف قد شرح الأمر الآن كلَّه للأقزام. فإن بيلبو لم يسمع به. أراد أن يعرف كيف ظهر الساحر مرَّةً أخرى، وكلُّ الذي حصل معهم حتَّى الآن.

لنقول الحقيقة، إن الساحر لا يمانع أبدًا في توضيح براعته أكثر من مرَّة، والآن أخبر بيلبو بأنه هو وإيلروند كلاهما كانا على دراية تامَّة بوجود الجوبلن الأشرار في ذلك الجزء من الجبال. لكن بوابتهم الرئيسية تظهر عادةً على ممراً مختلف، وهو واحد من الطرق التي يسهل السفر فيها، لذلك غالبًا ما يمسون بالأشخاص الذين يداهمهم الليل هناك بجانب بواباتهم. ومن الواضح أنَّ الناس قد تخلَّت عن السفر عبر ذلك الطريق السهل، ولا بدُّ أن الجوبلن قد فتحوا لهم مدخلًا جديدًا في الجزء العلوي من هذا الطريق الذي سلكه الأقزام مؤخرًا، لأنهم وجدوه آمنًا تمامًا حتَّى الآن.

قال جاندالف: يجب أن أبحث، فإذا لم أجد عملاقًا كريمًا إلى حدِّ ما، ليغلق لنا ذلك المدخل من جديد، وإلا فإننا عمَّا قريب، سنكون غير قادرين على عبور الجبال نهائيًا.

بمجرد سماعه لصرخة بيلبو في ذلك اليوم فقد أدرك جاندالف ما حدث.



في أثناء الوميض الذي قتل أولئك الجوبلن الذين كانوا يحاولون الإمساك به، انطلق وبنفس سرعة الوميض تمامًا لداخل الشق. ومن ثم تبع السجناء والسجانين تمامًا حتى حافة الصالة الكبرى، هناك جلس وعمل أفضل سحرٍ يُمكن عمله في الظلال.

قال جاندالف: كانت مهمةٌ حسّاسةٌ للغاية، المس واهرب!

لكن، بالطبع، لجاندالف علم متميّز بسحر بالنار والأضواء (حتى الهوبيت لم ينس قط الألعاب النارية السحرية التي كان يقيمها أولد توك في حفلات ليلة منتصف الصيف، كما تذكرون). البقية نعرفها كُننا، باستثناء أن جاندالف كان يعرف كلَّ شيء عن الباب الخلفي، والتي يسمّيها الجوبلن البوابة السفلية، حيث فقد بيلبو أزرار صدريته. في واقع الأمر، إن وجود الجوبلن كان معروفًا تمامًا لأي شخص كان على دراية بهذا الجزء من الجبال، لكنه تطلّب وجود ساحر في الأنفاق ليستمر بقيادتهم وتوجيههم إلى الاتجاه الصحيح.

تابع جاندالف كلامه: لقد بنوا تلك البوابة منذ زمنٍ طويل، كسبيلٍ للهرب عندما يحتاجون إليه هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى كوسيلةٍ للخروج إلى الأراضي الواقعة خلفها، حيث لا زالوا يأتون في الظلام ويُحدثون أضرارًا جسيمة. إنهم يحرسونها باستمرار ولم ينجح أحدٌ قط في ردمها وإغلاقها. ثم قال ضاحكًا: وسوف يحرسونها بشكلٍ مضاعف بعد الذي حدث. وضحك الجميع أيضًا.

صحيحٌ أنهم خسروا الكثير في الأنفاق، لكنهم قتلوا زعيم الجوبلن وقضوا على أعدادٍ كثيرةٍ منهم، قبل أن يتمكّنوا من الهرب، لذلك يمكننا القول بأنهم حصلوا على أفضل ما في الأمر حتى الآن.

لكن الساحر دعاهم وحثّهم على التركيز على مهمتهم، حيث قال: أمّا الآن وبعد أن أخذنا قسطًا قليلًا من الراحة، علينا التقدّم في الحال. سوف يخرجون في إثرنا بالمئات عندما يحلّ الليل، وها هي الظلال تتطاول بالفعل. يمكنهم شمُّ رائحة أثار أقدامنا لساعات وساعات بعد مرورنا. يجب أن نكون على بُعد أميالٍ من هنا قبل المغيب. الليلة سيكون هناك القليل من ضوء القمر،

إذا بقيت الأجواء على ما يرام، وهذا من حظنا. طبعًا ذلك لا يعني أن الجوبلن يهتُمون كثيرًا لضوء القمر، ولكنه سيفيدنا أكثر في معرفة التوجُّه الصحيح.

قال ردًا على المزيد من أسئلة الهوبيت: أوه، نعم! لقد فقدت التوقيت الحقيقي في أنفاق الجوبلن. اليوم الخميس، وقُبِضَ علينا في مساء الاثنين أو صباح الثلاثاء. لقد قطعنا أميالًا وأميال، ونزلنا مباشرةً عبر قلب الجبال، وها نحن الآن على الجانب الآخر من الجبال، لقد كان طريقًا مختصرًا تمامًا. لكننا لسنا في تلك النقطة التي كان من المفترض أن يقودنا إليها الطريق، لقد ابتعدنا أيضًا عن طريقنا نحو الشمال، وقد نصادف أمامنا بعض البلاد الخطرة. مع كلِّ ذلك فما زلنا على ارتفاعٍ جيد لهذه السفوح. هيَّا بنا!

أدرك بيلبو فجأةً بأنه لم يتناول أيَّ وجبةٍ منذ الليلة التي سبقت الليلة الماضية، فتأوه قائلًا: أه كم أنا جائع. الآن وبعد أن انتهى ذلك الانفصال فإنَّ مجرد تفكيره في الطعام، جعله يشعر بأنَّ معدته رخوةً وفارغةً، وساقاه واهنتان.

قال له جاندالف: لا يمكننا المساعدة في ذلك، إلا إذا كُنْتَ ترغبُ في العودة إلى الأنفاق والطلب من الجوبلن بتهذيب، أن يسمحوا لك باستعادة مُهرِك وأمتعتك.

قال بيلبو: لا شكرًا.

- حسنا، إذن علينا فقط أن نَشُدَّ أحزمتنا ونتابع المسير، قبل أن نُصبح نحن العشاء، وذلك سيكون أسوأ بكثير من عدم تناول العشاء.

وبينما هم ماضون في طريقهم كان بيلبو يتلَفَّت يميناً ويسارًا باحثًا عن شيء ليأكله، لكن ثمار التوت البري كانت لا تزال في طور الإزهار، وبالطبع لا يوجد جوز ولا حتَّى الزعرور البرِّي. قضم القليل من الجِميض، وشرب من جدولٍ جبلي صغير اعترض طريقهم، وتناول ثلاث حَبَّات من الفريز البري وجدهم على ضفَّة الجدول، لكنَّ طعمها لم يَكُن جيدًا كثيرًا.

ما زالوا مستمرِّين في سيرهم. إلى أن اختفى الطريق الوعر، والأجمات، والأعشاب الطويلة بين جلاميد الصخور، وبقع الأعشاب التي رعتها الأرانب،

والزعتر، والميرمية، والمردكوش، والإشنيات الصفراء فوق الصخور، كلها اختفت، ووجدوا أنفسهم على قمة منحدرٍ عريض انزلقت حجارته المتهدئة ومالت نتيجة انهيار أرضي. وعندما بدؤوا بنزول هذا المنحدر، تدرجت من أمام أقدامهم بقايا الأنقاض والحصى الصغيرة. وسرعان ما انقسمت قطع أكبر من الحجارة المتشقة وبدأت قطع أخرى تنزلق من تحتها وتتدرج، فتخلخت قطع الصخور الأكبر وانفلتت، فانهارت متحطمةً مع الكثير من الضجة والغبار. بدا وكأن المنحدر يتحرك من تحتهم ومن فوقهم، وقبل فوات الأوان انزلقوا بعيداً مجتمعين مع بعضهم، في ارتباكٍ مخيف من أصوات الانهيارات وتكسر الألواح والحجارة.

لم ينقذهم من الحجارة المتدرجة سوى وجود الأشجار في القاع. ثم أنسلوا من خلال حافةٍ أجميةٍ من أشجار الصنوبر المتسلقة، التي كانت تقف عند أعلى سفحٍ مائلٍ من الغابات العميقة الداكنة التابعة للوديان هناك في الأسفل.

تمسك البعض بالجذوع وتسلقوا منها إلى الفروع السفلية، والبعض الآخر (مثل الهوبيت الصغير) وقفوا خلف شجرةٍ ليحتموا من هجوم الصخور المتدرجة. لكن سرعان ما تلاشى الخطر، وتوقف الانزلاق، وبقيت تُسمع بخفوتٍ أصوات آخر الاصطدامات، حيث إن أكبر الحجارة المتكسرة كانت لا تزال تتدرج متقافزةً بين أجمات السرخس وجذور الصنوبر في الأسفل.

قال جانداالف: حسناً! أكسبنا ذلك بعض الوقت، حتى الجوبلين الذين يتبعوننا سيضطرون إلى النزول إلى هنا بهدوء.

تذمر بومبور: أجرؤ على القول، بأنهم لن يجدوا صعوبةً في إلقاء الحجارة لتتهادى على رؤوسنا. لم يشعر بيلبو والأقزام بالمزيد من السعادة، لهذا الكلام بينما كانوا يفركون أرجلهم وأقدامهم جراء الأضرار والكدمات.

فقال له جانداالف: هذا كلامٌ فارغ! سنحرف جانبياً من هنا ونبتعد عن مسار الانزلاق. يجب أن نسرع! انظروا إلى الضوء! قد غابت الشمس خلف الجبال منذ فترةٍ طويلة.

بالفعل لقد كانت الظلال تتعمَّق من حولهم، على الرغم من بُعد المسافة لكنهم ما زالوا قادرين على رؤية أضواء الغروب -من خلال الأشجار ومن فوق القمم السوداء لتلك الأشجار المنخفضة- على السهول التي خلفها. كانوا يترنَّحون في مشيتهم، أمَّا الآن فبأسرع ما كانوا قادرين على نزول المنحدرات اللطيفة لغابات الصنوبر، بمسارٍ مائلٍ يقودهم بثباتٍ نحو الجنوب. أحياناً كانوا يكافحون من خلالٍ بحرٍ من السراخس ذوات الأوراق الطويلة التي كانت ترتفع إلى أعلى من رأس الهوبيت، وأحياناً أخرى كانوا يسيرون بهدوءٍ واطمئنانٍ على أرضيةٍ من أوراق الصنوبر الإبرية، وطوال الوقت ازدادت كثافة الغابة وأصبحت كثيفةً أكثر، وصمتها أعمق.

لم تكن هنالك رياحٌ في ذلك المساء لتجلب حتى أنين البحر لأغصان الأشجار.

سأل بيلبو، عندما أصبح الظلام شديداً لدرجة أنه لم يعد يرى سوى لحيه ثورين تهتُّ بجوارِهِ. وهادئاً لدرجة أنه سمع تنفُّس الأقدام كضوضاء عالية: هل يجب أن نذهب أبعد من ذلك؟ أصابع قدمي مُصابةٌ بكدماتٍ ومتقوِّسة، ورجلاي تؤلَّمانِي، ومعدتي تهتُّ مثل كيس فارغ. أجابه جاندالف: أبعد قليلاً.

بعد ما بدا أنه قد مضى زمنٌ طويل، وصلوا فجأةً إلى فسحةٍ لا تنمو فيها الأشجار. كان القمر يضيء بوضوح في كبد السماء. صُدموا جميعاً -بطريقةٍ ما- على أنه ليس مكاناً لطيفاً على الإطلاق، على الرغم من عدم رؤيتهم لأيِّ شيءٍ مُزعج.

فجأةً سمعوا عواءً بعيداً عند أسفل التل، كان عواءٌ برجيعٍ طويلٍ مُرعب. أجابه عواءٌ آخرٍ إلى الجهة اليمنى لكنه كان أقرب إليهم من الأول، ثمَّ عواءٌ ثالثٍ إلى الجهة اليسرى. كانت تلك ذئابٌ تعوي بسبب ضوء القمر لتتجمَّع معاً.

لم تكن الذئاب تعيش بالقرب من حفرة السيد باجينز في بلاده. لكنه يعرف صوتها. وقد سمع وصفاً شاملاً لها في الحكايات. اعتاد واحدٌ من أكبر أبناء أخواله (من جهة آل توك طبعا) والذي كان رجلاً عظيماً، تقليد صوت

الذئب لإخافته. لكن سماعها مباشرةً هنا في الغابة وتحت ضوء القمر له وقعٌ كبيرٌ على بيلبو. والخواتم السحرية لا تستخدم كثيرًا ضد الذئاب، خاصةً ضد تلك المجموعات الشريرة التي عاشت تحت ظلال الجبال الموبوءة بالجوبلين، وعلى حواف البراري وحدود المجهول.

- حاسّةُ الشمِّ لهذا النوع من الذئاب تفوق كثيرًا تلك التي عند الجوبلين، وليست بحاجة إلى الرؤية لكي تنقضَّ عليك!

صاح بيلبو: ماذا سنفعل، ماذا سنفعل! يَهْرُبُ من الجوبلين فتلتقطه الذئاب! ومقولته هذه أصبحت مثلًا في ما بعد. على الرغم أننا نقوله الآن بصيغة مختلفة (من المقلاة إلى النار)، لكنه يُضْرَبُ للنوع نفسه من المواقف الصعبة.

صاح بهم جانداالف: تسلّقوا الأشجار بسرعة!

ركضوا كلُّهم إلى الأشجار التي على حافةِ الفُسحة، بحثًا عن تلك التي أغصانها منخفضة نسبيًا، أو نوات الأغصان الرفيعة لكي يتسلّقوها. ووجدوا ضالّتهم بأسرع ما أمكنهم ذلك، ولك أن تُخْمِنَ، كيف صعّدوا إلى أعلى مستوى للأغصان يمكن الوثوق به، كُنْتَ ستضحك (من مسافةٍ آمنة) لو رأيت الأقرام جالسين فوق الأشجار ولحاهم متدلّية. مثلهم مثل رجال محترمين كبار في السنّ، أصابهم الجنون وراحوا يلعبون وكأنهم صبيّةٌ صغار.

كان فيلي وكيلي على رأس شجرة صنوبر طويلة مثل شجرة عيد الميلاد الضخمة. وكان كلُّ من دوري، ونوري، وأوري، وأوين وجلوين في وضعٍ مريحٍ أكثر، حيث كانوا على شجرة صنوبر ضخمة ذات أغصانٍ متفرّعةٍ بانتظام، وتبرز إلى الخارج مثل قضبان العربة الدوّارة. أمّا بيفور وبوفور وبومبور وثورين فكانوا على شجرةٍ أخرى. دوالين وبالين هما الآخران تسلّقوا شجرة تنوبٍ طويلة ورفيعة الساق، لها عدد ضئيلٌ من الأغصان. بقيا يحاولان العثور على مكانٍ في أعلى أغصانها الخضراء ليجلسا عليه.

وجد جانداالف الذي كان أطول بكثير من الآخرين شجرة لا يستطيعون الصعود إليها، وكانت شجرة صنوبرٍ كبيرة تقف عند نهاية حافةِ الفسحة.

هناك اختبأ مختفياً بين أغصانها، لكنك تستطيع رؤية عينيه تلمعان في ضوء القمر عندما يختلس النظر للخارج.

أين اختبأ بيلبو؟ لم يستطع تسلُّق أي شجرة، وكل محاولاته من جذع إلى آخر كانت تبوء بالفشل، كان مثل أرنبٍ يطارده كلب ولم يجد مَدْخلاً لجحره. نظر نوري إلى الأسفل فرأى معاناة بيلبو وقال مخاطباً دوري: لقد تركت اللصَّ خلفك ثانيةً.

أجابه دوري: لا يمكنني دائماً حمل اللصوص على ظهري، نزولاً إلى الأفق، وصعوداً على الأشجار! ماذا تظنني؟ هل تراني عتالاً؟

أحاط بهم العواء من كل جانب فقال ثورين: سوف يُؤكل إذا لم نفعل له شيئاً، ثم نادى دوري لأنه كان يجلس في أسفل أسهل شجرة وقال له: اقترب منه أكثر فأكثر يا دوري! أسرع ومُدِّ يدك للسيد باجينز!

كان دوري فعلاً رفيقاً شهماً رغم تذرُّمه. ومع ذلك لم يتمكَّن المسكين بيلبو من الوصول إلى يد دوري حتَّى عندما نزل هذا الأخير وأبقى ذراعه مُعلِّقاً بأدنى غصن للشجرة. لذلك قفز دوري عن الشجرة وسمح لبيلبو بالتسلُّق والوقوف على ظهره.

في تلك اللحظة هجمت الذئاب بسرعة داخل الفسحة. وتفاجأ الأقزام بمئات الأعين التي أصبحت تنظر إليهم. ومع ذلك بقي دوري يحمل بيلبو على أكتافه ولم يخذله، وانتظر حتَّى صعد من كتفيه إلى الأغصان، بعدها -وفي الوقت المناسب- قفز وتعلَّق بالأغصان. فهجم عليه أحد الذئاب في أثناء تأرجحه وكاد أن ينال منه، لكن دوري أسرع ولم يستطع الذئب إلا أن يأخذ قطعة من عباءة دوري بين أنيابه. وبلحظةٍ أصبحت هنالك مجموعة من الذئاب حول الشجرة، تقفز على الجذع بأعينٍ متوقِّدة وألسنة لاهثة خارج أفواههم.

حتَّى الوارج المتوحِّشة (الوارج هو الاسم الذي يطلق على الذئاب الشريرة التي تعيش في منطقة حافة البرية)، لا تستطيع تسلُّق الأشجار. لبعض الوقت كانوا بأمان. ولحسن الحظ كان الجو دافئاً ولا وجود للرياح. ليست الأشجار

مريحةً عمومًا عندما يجلس عليها لفترةٍ طويلةٍ في أي وقت. وإذا كان الطقس باردًا وتوجد رياح وذئاب تحيط بك من كلِّ جانب وتقف بانتظارك هناك بالأسفل، عندها سيكون الجلوس على الأشجار مصدر قلقٍ وبؤسٍ.

من الواضح أن هذه الفسحة بين حلقة الأشجار أصبحت مكانًا لتجمُّع الذئاب. بعد أن استمرَّ قدوم المزيد منهم. لقد تركوا حراسًا من بينهم عند جذع الشجرة التي كان يجلس عليها دوري وبيلبو، وراحوا يتحسَّسون بأنوفهم رائحة أي شيء حول بقية الأشجار، إلى أن حدَّوا جميع الأشجار التي يختبئ فيها الآخرون، ووضعوا حراسةً عليها أيضًا. بينما ذهب البقية (والذين على ما يبدو كانوا بالمتات)، وقبعوا في دائرةٍ عظيمةٍ داخل الفسحة، وفي وسط الدائرة كان ذئبٌ رمادي عظيم. تحدث إليهم بلغة الوارج المرعبة. كان جاندالف يفهم تلك اللغة، بدا الأمرُ فظيماً بالنسبة إلى بيلبو الذي لم يفهم شيئاً من ذلك الحديث وتلك اللغة، لكن وكأنه أحسَّ بأنَّ حديثهم يدور حول أشياء قاسية وشريرة، كما كان هناك بين الحين والآخر، إجاباتٍ من كلِّ الوارج معاً على زعيمها الرمادي، وكاد صخب أصواتهم المرَّوع أن يسقط الهوبيت عن شجرة الصنوبر.

سأخبركم الآن بما سمعه جاندالف ولم يفهمه بيلبو من حديث الوارج. غالبًا ما يساعد الجوبلين والوارج بعضهم بعضًا في الأعمال الشريرة. لا يُجازف الجوبلين عادةً في الابتعاد كثيرًا عن جبالهم، إلا إذا طُرِدُوا منها، وعندها سيخرجون بحثًا عن مساكن جديدة، أو إذا خرجوا للحرب (ويسعدني أن أقول بأنها لم تحدث منذ فترةٍ طويلة). لكن في تلك الأيام اعتادوا شئً بعض الغارات للحصول على الطعام والعبيد للعمل لديهم. لذلك قاموا بإحضار الوارج للمساعدة واقتسام الغنائم المنهوبة. وفي بعض الأحيان يستخدمون الذئاب للركوب كما يستخدم البشر الخيول. والآن على ما يبدو بأنه قد خُطِّطَ لشئٍ غارةٍ عظيمةٍ من قِبَل الجوبلين في تلك الليلة بالذات. وقد جاء الوارج لمقابلة الجوبلين، لكنَّ الجوبلين تأخَّروا عن اللقاء. والسبب كان بلا شكَّ هو

موت زعيم الجوبلن، وكلّ المشكلات التي سببها لهم الأقرام وبيلبو والساحر، وربما لا زالوا يبحثون عنهم إلى الآن.

على الرغم من أخطار هذه الأرض البعيدة، فإن بعض أبناء البشر الشجعان في الآونة الأخيرة شقوا طريقهم من الجنوب عائدین إلى هذه الأرض، فقطعوا الأشجار وبنوا مساكن لهم للعيش، بين أكثر الغابات جمالاً وجاذبية، وفي الأودية، وعلى طول ضفاف النهر. كانت أعدادهم كثيرة، وكانوا شجعاناً ومسلحين بشكل جيد، حتّى الوارج لم يجرؤوا على مهاجمتهم عندما يكونوا مجتمعين، أو في وضح النهار. ومؤخراً خطط الوارج بمساعدة الجوبلن لغزو بعض القرى الأقرب إلى الجبال في الليل. فإذا نفذت خطتهم كما يجب، فلن تجد في اليوم التالي أحياء في تلك القرى، لأنهم سيقضون على الجميع باستثناء من أخفاهم الجوبلن عن أعين الذئاب ليعودوا بهم كسجناء وعبيد إلى كهوفهم.

كان حديث الوارج الذي سمعه جاندالف مُخيفاً جداً، ليس فقط بسبب الخطر الذي سيحيق بالخطابين الشجعان وزوجاتهم وأولادهم، لكن أيضاً بسبب الخطر الذي بات يُهدد جاندالف وأصدقائه الآن. لأن الوارج كانوا غاضبين ومرتبكين لوجود هؤلاء الأقرام في نفس مكان الاجتماع المقرر مع الجوبلن. إذ ظنوا بأنهم من أصدقاء الخطابين، وقد جاؤوا إلى هنا لكي يتجسسوا لهم، ومن ثم سينزلون إلى الأودية ليفشوا أسرار خططهم. عندها سيكون على الذئاب والجوبلن خوض معركة فظيعة، بدلاً من مباغتتهم وأسر سجناء منهم وافتراس البقية الذين استيقظوا لتوهم من النوم. لذلك لم يكن عند الوارج أي نية للمغادرة ومن ثم إعطاء فرصة لهؤلاء الناس الذين فوق الأشجار ليتمكّنوا من الهرب. وحول ذلك قال الوارج: على أية حال لن يكون ذلك قبل الصباح. فما زال لدينا الوقت، سيأتي جنود الجوبلن نازلين من الجبال، وعندها فإن الجوبلن قادرين على تسلق الأشجار، أو قطعها.

الآن يمكنكم أن تفهموا لماذا أصبح جاندالف خائفاً جداً عندما استمع إلى هدير وعواء الوارج، مع أنه ساحر، لكنه شعر بأنهم في موقف سيئ للغاية،



ولن يتمكّنوا من الهرب على الإطلاق، مع ذلك، ما كان ليُسمح للوارج بمتابعة خطتهم، مع أنّه لا يستطيع فعل الكثير، فهو عالق في شجرة طويلة، والذئاب على الأرض تحيط بها من كل الجهات.

جمع أكواز الصنوبر الضخمة من أغصان شجرته، ثمّ أشعل واحدًا منها بنارٍ زرقاء ساطعة، ورماه، فراح وله صوتٌ أزيز وسط دائرة الذئاب، فأصاب واحدًا منهم في ظهره، وعلى الفور هبّت النار في فرائه الأثعث، وراح يقفز جيئةً ونهابًا وهو يعوي بشكلٍ مروّع. ثمّ رمى كوزًا آخر وأتبعه بآخر، واحد كان بلهبٍ أزرق، وواحد بلهبٍ أحمر، واحد بلهبٍ أخضر. انفجروا كلهم على الأرض في منتصف الدائرة، وتناثرت شظاياهم بشررٍ ودخانٍ مُلَوّن.

أصاب كوزٌ كبيرٌ بشكلٍ خاصٍ زعيم الذئاب في أنفه، فقفز في الهواء عشرة أقدام، ثمّ اندفع مسرعًا يدور ويدور حول الدائرة وراح يعضّ وينهش في أجساد بقية الذئاب من شدّة غضبه وألمه.

في أثناء ذلك كان بيلبو والأقزام يهتفون ويصرخون. كانت رؤية الذئاب الغاضبة أمرًا مُرعبًا، والفوضى التي أحدثوها ملأت الغابة بأكملها. معروفٌ أن الذئاب تخاف النار دائمًا، لكن هذه كانت أفظع النيران وأغربها بالنسبة إليهم. إذا علق شرر منها في فرائهم فإنها تعلق وتحترق فيه، وما لم يتدحرج الذئب منهم بسرعة فسوف تهبّ النار فيه كله. وسرعان ما راحت كلُّ الذئاب القريبة من الفسحة بالتدحرج مرارًا وتكرارًا لتُخمد النار عن ظهورها، بينما أولئك الذين اشتعلت النيران بهم وراحوا لهم عواءً يركضون، فقد تسبّبوا في إشعال النيران في الآخرين، إلى أن لاحقهم أصدقاؤهم وطردوهم بعيدًا، فهربوا نازلين المنحدرات وهم يصرخون وينتحبون باحثين عن الماء.

ما كلُّ هذه الضجّة في الغابة هذه الليلة؟ قال سيدُ النسور. الذي كان يجلس في ضوء القمر، ككتلة سوداء على رأس قمّةٍ وحيدةٍ من الصخور عند الحافة الشرقية للجبال. إنني أسمع أصوات الذئاب!

- هل يكون الجوبلن يُفسدون في الغابة؟

اندفع بخفّةٍ في الهواء، وعلى الفور قفز اثنان من حُرَّاسِهِ عن الصخور وتبعاه واحداً عن يمينه والآخر عن يساره، حلّقوا عاليًا في السماء ونظروا إلى الأسفل على حلقة الوارج، صحيحٌ أنها مجرد بقعة صغيرة بعيدة جدًا هناك بالأسفل، لكن النسور تملك أعينًا حادّة ترى بها الأشياء الصغيرة من مسافاتٍ بعيدة. يملك سيد النسور في الجبال الضبابية عينان تنظران إلى الشمس دون أن ترمش، ويمكنه رؤية أرنبٍ يتحرّك على الأرض عن بعد ميل، حتّى في ضوء القمر. لذلك، وعلى الرغم من أنه يستطيع رؤية الناس في الأشجار، فإنه استطاع أن يميّز الفوضى بين الذئب ورؤية الومضات الصغيرة للنار، ويسمع عواءً ونحيبًا خافتًا يأتي من تحته. استطاع كذلك رؤية بريق ضوء القمر على رماح وخوذات الجوبلن، كصفوفٍ طويلة من الشعب الشرير، الذين كانوا قد تسلّلوا نازلين إلى سفوح التلال من خلال بوابتهم وتوغّلوا في الغابة. النسور ليست طيورًا لطيفة على الأغلب، فمنها الجبان ومنها القاسي. لكنّ السلالة القديمة للجبال الشمالية كانت من أعظم الطيور، كانوا أباءً أقوىاء وكرام النفوس. لم تكن هذه السلالة تُحب الجوبلن أو تخاف منهم. بل على العكس تمامًا، فكلما لمحوا هؤلاء الجوبلن (وهو أمرٌ نادر الحدوث، لأنهم لا يأكلون مثل هذه المخلوقات). كانوا ينقضُّون عليهم ويطردونهم، فيعود الجوبلن إلى كهوفهم صارخين، ويتوقّفون عن الأعمال المؤذية التي يقومون بها. أمّا الجوبلن فكانوا يكرهون النسور ويخافون منهم، لكنهم لا يستطيعون بلوغ أماكنهم العالية، أو طردهم من الجبال.

في هذه الليلة كان سيد النسور فضوليًّا أكثر من المعتاد وأراد معرفة ما يجري، ولأجل هذه الغاية قام باستدعاء العديد من النسور الأخرى، وحلّقوا جميعهم فوق الجبال. كانوا يطيرون ببطء عبر حلقاتٍ دائرية هابطة نحو الأرض، إلى أن اقتربوا من دائرة الذئب ومكان التقائهم بالجوبلن.

شيءٌ جيد جدًا أيضًا! تحدث أشياء مرّوعة هناك بالأسفل. الذئب التي اشتعلت فيها النيران وهربت إلى الغابة، كانت قد ساهمت بإشعال عدّة أماكن، وساعدها على ذلك حرارة الصيف العالية والجفاف الذي سبّبته قلة الأمطار

إبان فصل الشتاء على هذا الجانب الشرقي من الجبال. لذلك سرعان ما اشتعلت النار في السراخس اليابسة، والأغصان المتساقطة، والأكوام المتراكمة لأوراق الصنوبر الإبرية، وبعض الأشجار الميتة هنا وهناك.

طوّقت هذه النيران الفسحة وكل الذئاب اشتعلت فيها النيران وولّت هاربة. لكن الذئاب الموكّون بحراسة الأشجار لم يبارحوا أماكنهم. كانوا ساخطين وغاضبين بجنون وهم يقفزون ويصرخون حول جذوع الأشجار، يلعنون الأقرام بلغتهم المروّعة، كانت أسننتهم متدلّية من أفواههم، وأعينهم حمراء تلمع بشراسةٍ مثل اللهب.

فجأةً وصل الجوبلن يركضون ويصرخون. ظنّوها معركةً دائرة مع الحطّابين، لكنّ عندما علم هؤلاء الحمقى بما حدث بالفعل. جلس بعضهم على الأرض يضحك. ولوّح الآخرون برماحهم ودقّوا على دروعهم بكعوب الرماح. الجوبلن لا يخافون النار، وسرعان ما كانت لديهم خطةً بديلةً بدت لهم أكثر تسليّة.

قام بعضهم بجمع الذئاب معًا في مجموعة، والبعض الآخر راح يكدّس النباتات والأغصان اليابسة حول جذوع الأشجار. واندفع البقية حول المكان يركلون ويدوسون حتّى أخمّدوا كل النيران المشتعلة تقريبًا، لكنهم لم يطفئوا النار القريبة من الأشجار التي كان موجودًا عليها الأقرام، بل راحوا يغذّونها بأوراق الأشجار والأغصان الميتة والنباتات اليابسة. وسرعان ما تشكّلت حلقة من الدخان واللهب أحاطت بالأقرام. كان الجوبلن قد منعوا الحلقة من الانتشار إلى الخارج، ودفعوها ببطء إلى الداخل، حتّى اشتعلت النيران بالأكّاداس المتراكمة تحت الأشجار. دخل الدخان إلى عينيّ بيلبو وكان يشعر بحرارة اللهب، وكان يستطيع رؤية الجوبلن من خلال الدخان، وهم يرقصون متحلّقين حولهم بدوائر، مثل تجمّع الناس في دوائر حول النار المشتعلة في حفلة ليلة منتصف الصيف. خارج حلقة رقص المحاربين برماحهم وفؤوسهم وقفت الذئاب على مسافةٍ محترمة، تراقب وتنتظر.

رغم كل ذلك فقد تمكَّن بيلبو من الاستماع إلى الجوبلن عندما بدؤوا بأغنية رهيبة:

خمسة عشر عصفورًا في خمس شجرات تنوب  
ريشهم يرفرف في نسيمٍ ملتهب!  
لكن، هذه العصافير الصغيرة المضحكة، لا تملك  
أجنحة!

أوه، ماذا سنفعل بالأشياء الصغيرة المضحكة؟  
نشويهم أحياء، أو نطبخهم في قدر،  
نقليهم، نسلقهم ونأكلهم كوجبةٍ ساخنة؟ .

ثمَّ توقَّفوا وصرخوا: حلَّقني بعيدًا أيتها العصافير الصغيرة! حلَّقني بعيدًا  
إن استطعتِ! هيا انزلي أيتها العصافير الصغيرة، أم تُفضِّلني أن نشويك في  
أعشاشك! غردي، غردي أيتها العصافير الصغيرة! لماذا لا تغردي؟  
ردَّ عليهم جاندا لف صارخًا: ابتعدوا! أيها الأولاد الصغار! هذا ليس وقت  
تعشيش الطيور. كما أنَّ الأولاد الصغار المشاغبين الذين يلعبون بالنار  
يعاقبون. قال كلُّ ذلك ليغضبهم، وليظهر لهم أنه لم يكن خائفًا منهم - مع  
العلم أنه ساحر لكنه كان خائفًا بالتأكيد، لكنهم لم يعيروه بالًا وتابعوا غناءهم.

أشعلِ الشجر، أشعلِ القش!  
بشعلةٍ تطلق، تلفح، وتُجعد!  
فتضيء الليل لفرحتنا  
يا هيه!  
اخبزهم وحمصهم، اشويههم واقليهم

حَتَّى تَحْتَرِقَ لِحَاهِمِ، وَتَتَوَهَّجَ أَعْيُنُهُمْ  
وَتَفُوحَ رَائِحَةَ شَعْرِهِمْ وَيَتَشَقَّقَ جُلْدُهُمْ  
وَتَذُوبَ الدَّهُونِ، وَتَسْوَدُّ العِظَامَ  
أَلْقِهِمْ فِي الجَمْرِ  
تَحْتَ السَّمَاءِ!  
هَكَذَا سَيَمُوتُ الأَقْرَامُ  
وَنُضِيءُ اللَّيْلَ لِفَرِحَتِنَا  
يَا هِيَه!  
يَا هِيَه، أَسْرِع!  
يَا هُوِي!

وعندما وصلوا في الأغنية إلى كلمة يا هوي! كانت النيران قد وصلت إلى تحت شجرة جاندالف، وفي خلال لحظات انتشرت إلى بقية الأشجار. فاشتعلت النار باللحاء، وتصدعت الأغصان السفلية.

صعد جاندالف مسرعاً إلى قمة الشجرة، والوميض المفاجئ الصادر عن عصابه لمع مثل البرق، بينما كان يستعد للقفز من قمة الشجرة إلى الأرض بين رماح الجوبلن. كان من الممكن أن تكون تلك نهايته، رغم أنه من المحتمل أن يقتل العديد منهم في اندفاعه نحو الأسفل كالصاعقة. لكنه لم يقفز قط. في تلك اللحظة بالذات انقضت سيد النسور من الأعلى، وأمسكه بمخالبه، وذهب به.

كانت هناك صدمة مفاجئة وعواء من الغضب بين الجوبلن. صاح سيد النسور بصوت عالٍ، بعد أن أخبره جاندالف بوجود الأقرام. فانطلقت الطيور العظيمة التي كانت ترافقه عائداً إلى الفسحة، نزلوا عليهم كظلال سوداء ضخمة. مهممت الذئاب وكزت على أسنانها، صرخ الجوبلن وخبطوا بأرجلهم على الأرض، وعبثاً أطلقوا رماحهم الثقيلة نحو النسور، التي انقضت عليهم.

إنَّ الاندفاع العنيف لخفق الأجنحة، سدَّد ضربات قوية للذئاب والجوبلن فطردهم بعيدًا، وأنشبت بعض النسور مخالبيها في وجوه الجوبلن، والبعض الآخر طار إلى قمم الأشجار وأمسكوا بالأقزام، الذين كانوا يتزاحمون متسلِّقين إلى الأعلى بقدر ما يستطيعون.

كادوا أن يتركوا المسكين بيلبو الصغير وراءهم مرَّة أخرى! لكنه تصرَّف في الحال ونجح في التعلُّق بساقي دوري، عندما حُمِلَ كآخر واحدٍ بين الأقزام، فغادرا معًا فوق الاضطراب والحريق. كان بيلبو يتأرجح في الهواء بذراعيه اللتين كانتا على وشك الانقطاع.

تناثرت البقية القليلة من الذئاب والجوبلن على نطاقٍ واسعٍ من الغابة. وكانت بعض النسور لا تزال تحلِّق هناك فوق ساحة المعركة.

ارتفعت ألسنة اللهب بسرعةٍ إلى قمم الأغصان العالية، كان صوت النار يقطع وهي تشتعل بالأغصان، ثمَّ هاجت بشكل مفاجئٍ على شكل كتلةٍ من الشرر والدخان. لقد نجا بيلبو في الوقت المناسب!

سرعان ما خَفَّت ضوء الحرائق بالأسفل ولم يتبقَّ هناك سوى وميض أحمر على الأرضية السوداء. وما زالت النسور ترتفع عاليًا في السماء خارقةً عباب الفضاء عبر دوائر كبيرةٍ نشطة. لن ينسى بيلبو تلك الرحلة أبدًا، فقد أمضاها متشبُّبًا بكاحلي دوري. كان يئنُّ: ذراعي، ذراعي! أمَّا دوري فكان يتأوَّه: ساقي المسكينة، ساقي المسكينة!

في أحسن الأوقات كانت الارتفاعات تصيب رأس بيلبو بالدوار. والذي كان يخاف عادةً من النظر إلى حافة جرف صغير فيتحوَّل بعدها إلى أخرقٍ تمامًا، لذلك لم يكن يحب السلال، ناهيك بتسلُّق الأشجار (فهو لم يضطرُّ من قبل إلى الهروب من الذئاب). لذا يمكنكم أن تتخيَّلوا كيف كانت رأسه تسبح، عندما كان ينظر إلى الأسفل من بين أصابع قدميه المتدلية، فيرى الأراضي المعتمة تفتح من تحته باتساع، ويلمح هنا وهناك ضوء القمر المنعكس عن صخور جانب التل أو عن صفحة مياه جداول السهول.

كانوا يقتربون أكثر من قمم الجبال الشاحبة، حيث كانت مسلاتها الصخرية المضاءة بنور القمر تبرز خارجة من الظلال السوداء. هل هذا فصل الصيف أم لا، يبدو أن الجوَّ باردٌ جدًّا. أغلق بيلبو عينيه وتساءل إن كان بإمكانه الصمود أكثر من ذلك. وتخيل ما سيحدث له لو أنَّ قواه خارت ولم يعد قادرًا على الإمساك أكثر بساقي دوري. فشعر بالغثيان. لكن الرحلة انتهت بالنسبة إليه في الوقت المناسب، وقبل أن تتمزق ذراعاها، أرخى قبضته عن كاحل دوري بشهقةٍ وسقط على سطح خشن لوكر نسر. هناك استلقى من دون أن يتكلم. حيث كانت أفكاره مزيجًا من الدهشة لنجاته من النار، وخشية السقوط من ذلك المكان الضيق إلى الظلال العميقة على كلا الجانبين. كان لديه شعورٌ مليء بالغرايبة حقًا، حيث كان يتساءل في سرِّه وفي هذا الوقت بالذات، أي بعد المغامرات المرؤعة التي خاضوها في الأيام الثلاثة الماضية من دون أن يأكلوا أيَّ شيء. ووجد نفسه يقول بصوت عالٍ: الآن عرفت كيف يكون شعور قطعةٍ من لحم الخنزير المقدد عندما تُرفع بالشوكة فجأةً من المقلاة وإعادتها إلى الرِّفِّ!

سمع دوري يجيبه: ليس بالضرورة! لأن قطعة لحم الخنزير المقدد تعرف أنها ستعود إلى المقلاة عاجلاً أم آجلاً. أمَّا نحنُ فنأمل ألا نعود إليها ثانيةً.

أضف إلى أنَّ النسور ليست شوَّك طعام!

قال بيلبو وهو جالسٌ ينظر بقلقٍ إلى النسور الذي كان يجثم على مقربةٍ منه: أوه، لا! أبداً لم أكن أعني التشبيه بين النسور وشوَّك الطعام إنما قصدت طيور اللقلق. وتساءل ما هذا الكلام الفارغ الذي كان يقوله. ماذا لو ظنَّ النسور أنها وقاحة. يجب ألا تكون وقحًا مع النسور، خاصةً إذا كُنْتَ بحجم الهوبيت، وأنت جالسٌ في وكره عند الليل!

في هذه الأثناء كان النسور يشحذ منقاره على حجر ويشدُّ ريشه ولم ينتبه إلى شيء ممَّا قاله.

في الحال حامَ نسرٌ آخر فوق الوكر وصاح: سيِّد النسور يطلب منك إحضار سجنائك إلى الرِّفِّ العظيم، وعاد من حيث أتى بعدما أبلغ الرسالة.

نهض النسور واستولى على دوري بمخاليه، وطار به بعيدًا في الليل، تاركًا بيلبو لوحده. كانت لدى بيلبو القوة فقط للتساؤل، عمًا قصده الرسول بكلمة سجناء. راح يفكر كيف سيمزقونه مثل الأرنب على طبق العشاء عندما يأتي دوره. عاد النسور فأمسكه بمخبله من ظهر معطفه، وطار به من الوكر.

هذه المرّة طار فقط لمسافة قصيرة، وسرعان ما أنزل وهو يرتجف من الخوف على رفّ صخريّ عريض، يقع على جانب الجبل، فلا يمكن الوصول إليه إلا بالطيران. ولا مغادرته إلا بالقفز فوق الهوة السحيقة. هناك وجد الجميع جالسين وقد أسندوا ظهورهم إلى جدار الجبل. وجد هناك أيضًا سيّد النسور الذي كان يتحدّث مع جاندالف.

يبدو أن بيلبو لن يؤكل بعد كل هذا، ومن الواضح أن الساحر وسيّد النسور يعرفان بعضهما نوعًا ما، أو ربما بينهما علاقة وديّة. في واقع الأمر، كان جاندالف، الذي غالبًا ما يتجوّل في الجبال، قد قدّم خدمةً للنسور، حين عالج سيّدهم من جرح سهم. لذلك فإن كلمة سجناء كان المقصود منها السجناء الذين أنقذوا من براثن الجوبلين، فقط، وليس أسرى عند النسور. وعندما كان بيلبو يستمع إلى حديث جاندالف حيث كان يناقش مع النسور العظيم أمر حمله هو والأقزام وبيلبو بعيدًا من هنا وإعادتهم إلى طريق رحلتهم عبر السهول. أدرك أنهم بالنهاية سيغادرون فعلاً هذه الجبال الرهيبة.

لن يأخذهم سيّد النسور إلى أيّ مكان قريبٍ من مساكن البشر، لأنهم كما قال: كانوا يرمون علينا السهام بأقواسهم الطويلة المصنوعة من خشب الطقسوس، معتقدين بأننا نريد افتراس أغنامهم، مع العلم أنهم سيكونون على حقّ في أوقاتٍ أخرى.

سنكون سعداء في خداع الجوبلين وحرمانهم من تسليحتهم، وسعداء أيضًا في ردّ جميلك، لكن لن نخاطر بأنفسنا من أجل الأقزام بالسفر إلى السهول الجنوبية.



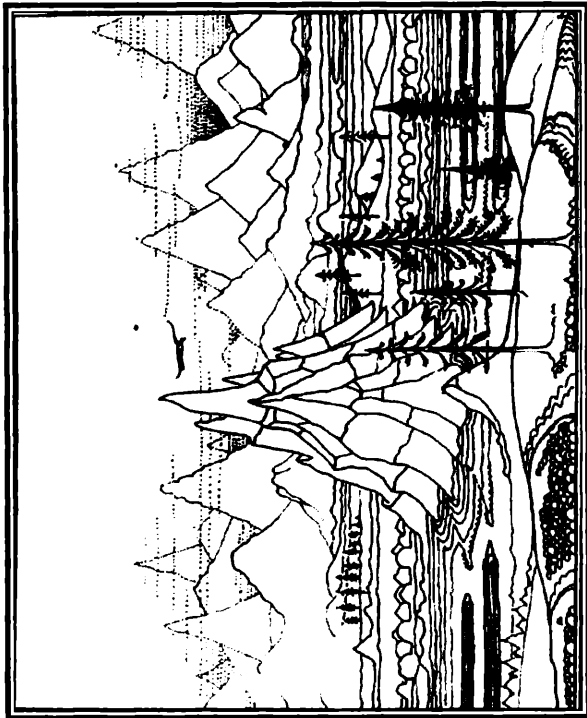
قال جانداالف: هذا جيدٌ جدًّا، خذنا إلى أبعد ما تستطيعون الوصول إليه بأمان! بالفعل نحنُ ممتنُّون لك كثيرًا. لكن للحقيقة وفي هذه الأثناء نحنُ نُعاني من الجوع.

قال بيلبو بصوت منخفض لم يسمعه أحد: أكاد أموتُ من الجوع.

قال سيِّد النسور: هذا الأمر يمكن معالجته.

وأخيرًا، ربما لو قدَّر لك المرور من هناك، كنت ستشاهدُ ناراَ ساطعةً على الرِّفِّ الصخري، وقد التفتُّ حولها أشكالٌ من الأقرام يطبخون ويعدُّون شواءً لذيذ الرائحة. كانت النسور قد أحضرت أغصانًا جافةً لإيقاد النار، وأحضروا أيضًا أرانب، وأرانب بريَّة وخروفًا صغيرًا. تولَّى الأقرام كلَّ عمليات التجهيز. كان بيلبو أضعف من أن يساعدهم في ذلك، وعلى كلِّ حال فهو ليس ماهرًا في سلخ الأرانب أو تقطيع اللحوم، فقد كان مُعتادًا على استلام اللحوم من عند الجزار جاهزةً للطبخ. أيضًا بقي جانداالف مستقلقيًا بعد أن قام بدوره بإشعال النار. لأن أوين وجلوين فقدا صناديق الصوفان الخاصَّة بهم. (في ذلك الوقت لم يكن الأقرام يستعملون أعواد الثقاب بعد).

هكذا انتهت مغامرات الجبال الضبابية. حالما شعرت معدة بيلبو بالامتلاء والراحة من جديد. وأصبح بإمكانه النوم برضا، على الرغم من كلِّ ذلك، فقد كان يُفضِّل بالفعل رغيًّا مدهونًا بالزبدة أكثر من أسياخ اللحم المشوية. نام بعمق متكوِّرًا على تلك الصخرة الصلبة، أكثر ممَّا كان ينام على فراشه المصنوع من الريش في حفرة الصغيرة في الوطن. لكنه طوال الليل كان يحلمُ بمنزله، حيث كان يتجوَّل في أحلامه بين مختلف الغرف فيه باحثًا عن شيء، لا يمكنه العثور عليه أو حتَّى تذكُّر شكله.



منظر الجبال الضبابية عندما يُنظر إليها من وكر النسور  
باتجاه الغرب نحو بؤابة الغوبلن



## الفصل السابع

### نزل عجيب

بعدما لامست عيناه خيوط الشمس الأولى، نهض بيلبو مُبَكَّرًا في صباح اليوم التالي. قفز ليلقي نظرةً على الوقت وليضع غَلَايَته على النار، لكنه لم يجد نفسه في المنزل. فجلس وقد تمنى عبثًا أن يغتسل وينظف أسنانه ويمسح شعره. لكنه لم يحصل على أيِّ منها، لا الشاي ولا الخبز المحمص ولا حتى لحم الخنزير المقدد على طعام الفطور، فقد حصل فقط على لحم الضأن والأرنب البارد. وبعد كلِّ ذلك كان عليه الاستعداد لبداية جديدة.

هذه المرّة سُمح له بالصعود على ظهر النسر والتشبُّث بالريش بين جناحيه. اندفع الهواء فوقه فأغمض عينه. صاح الأقرام مودعين وقد وعدوا بأن يردُّوا جميل سيد النسور لهم حالما يستطيعون. بينما الشمس لا تزال على مقربةٍ من حواف الجوانب الشرقيَّة للأشياء، ارتفع خمسة عشر طائرًا عظيمًا من جانب الجبل. كان الصباح باردًا والضباب يُغلف الأودية والأغوار ويلتفُّ هنا وهناك حول قمم وذُرى التلال. فتح بيلبو عينيه واختلس النظر فرأى أنَّ الطيور كانت مُرتفعةً فعلاً حيث أصبحوا بعيدين جدًّا عن الأرض،

والجبال تتراجع خلفهم عبر المسافات البعيدة. ثم أغلق عينيه ثانية وتمسك بريش النسر بقوة.

فقال له النسر: لا تفرص! فلا داعي للخوف مثل الأرنب، حتى لو كنت تشبهها، إنه صباح جميل مع رياح خفيفة، فهل هناك أحسن من الطيران؟ كان يلبو يود أن يقول: حمّام دافئ وبعده وجبة إفطار متأخرة على العشب الأخضر، لكنه اعتقد أنه من الأفضل عدم قول أي شيء على الإطلاق، وإرخاء قبضته قليلاً عن ريش النسر.

بعد فترة جيدة، لا بد أن النسور رأوا الموقع الذي كانوا يرنون إليه، حتى من ارتفاعاتهم الشاهقة تلك. فقد بدؤوا بالنزول في طيرانٍ لولبي كبير، استمروا على هذا المنوال لفترةٍ طويلة. وفي النهاية فتح الهوبيت عينيه مجدداً. كانت الأرض أقرب بكثير، وظهرت من تحتهم أشجاراً تبدو وكأنها أشجار بلوط ودردار، وأراضٍ عشبية واسعة، يعبرها نهرٌ جارٍ. وكانت هناك صخرة ظاهرة من الأرض، تقع تماماً ضمن مسار مجرى النهر الذي يلتف حول نفسه. ولضخامتها كانت وكأنها تل من الحجارة أو قاعدة أمامية للجبال البعيدة أو كأنها قطعة ضخمة ألقيت أحياناً في السهل من قبل عملاق كان يتقاذف الصخور مع عمالقة آخرين.

انقضت النسور بسرعة على قمة الصخرة واحداً تلو الآخر وأنزلوا رُكائبهم. ثم قالوا: رافقتكم السلامة! أينما ارتحلتم، حتى تستقبلكم أوكاركم في نهاية الرحلة! كانت تلك هي الصيغة المهذبة لكلمات الوداع بين النسور.

أجابهم جاندالف الذي كان يعرف الرد المناسب: عسى أن تحملكم الرياح من تحت أجنحتكم حيثما أبحرت الشمس وسار القمر.

وهكذا افترقوا. على الرغم من أن سيد النسور أصبح بمرور الأيام ملك الطيور، ولبس تاجاً ذهبياً، وارتدى الزعماء الخمسة عشر للنسور الأطواق الذهبية (المصنوعة من الذهب الذي أهداه إليهم الأقرام)، فلم يشاهدهم يلبو مرة أخرى سوى في أثناء معركة الجيوش الخمسة فقد رآهم من بعيد وعلى

ارتفاع شاهق. لكن بما أن ذكر معركة الجيوش الخمسة سيأتي في نهاية الحكاية، فلن نقول عنها المزيد الآن.

على قمة تلّ الحجارة كانت هناك مساحة مسطحة ودرّب مهترئ به عدّة درجات تنزل إلى النهر، تقود إلى مخاضة عبر النهر مبنية من الحجارة الضخمة المسطحة والتي تؤدّي بدورها إلى الأراضي العشبية التي تقع وراء الجدول. هنالك عند آخر الدرجات السفلى وبالقرب من نهاية المخاضة الحجرية كان يوجد كهفٌ صغير (واحدٌ من الكهوف المفيدة بأرضية حصوية). في ذلك الكهف اجتمعت المجموعة وناقشوا ما يجب القيام به.

قال الساحر: قصدتُ دائماً أن تكونوا جميعاً بأمان عبر الجبال (إن أمكن)، وقد قمت بذلك بفضل التوفيق الجيد والحظّ السعيد.

في الواقع لقد توغلنا بعيداً في الشرق، أبعد ممّا نويتُ إن أكونَ معكم، فوق كل هذا، فهذه ليست مغامرتي، من يعرف، قد أعود إليها قبل أن تنتهي، لكن في الوقت الراهن لديّ بعض الأعمال الطارئة التي تتطلب منّي الاعتناء بها.

تأوّه الأقرام وبدوا أكثر حزناً، أمّا بيلبو فبكى. لقد بدؤوا يفكّرون بأن جاندالف وإن كان غير موجود بينهم لكنه سيأتي إليهم وسيكون دائماً معهم ليساعدهم على تخطّي الصعوبات. أكمل جاندالف حديثه: أنا لن أختفي هكذا بشكلٍ فوري وفي هذه اللحظات بالذات، من الممكن أن أبقى معكم ليومٍ أو اثنين. ربما يمكنني مساعدتكم على الخروج من مأزقكم الحالي، وأنا أحتاج أيضاً إلى بعض المساعدة لنفسى. لا نملك طعاماً، ولا أمتعة ولا مهور لنركبها، حتّى أنتم لا تعرفون بعد أين أنتم. لكن الآن أستطيع إخباركم بذلك. لا تزالون على بُعد أميالٍ قليلةٍ إلى الشمال من الطريق الذي كان يجب أن نسلكه لو لم نغادر الممرّ الجبلي على عجل. قلة قليلة من الناس تسكن في هذه النواحي، ما لم يكونوا أتوا بعدما كُنْتُ آخر مرّة هنا، أي منذ بضع سنواتٍ مضت. لكن هناك شخصٌ ما أعرفه يعيش في مكانٍ غير بعيد. ذلك الشخص هو مَنْ قام بتركيب الدرجات على الصخرة الكبيرة التي يسمّيها "الكاروك" على ما أعتقد.

إنه لا يأتي إلى هنا كثيرًا، وبالتأكيد لا يأتي بالنهار، وليس من الجيد انتظاره هنا. لأنه في الحقيقة سيكون خطيرًا جدًا. علينا أن نذهب من هنا ونجده، وإذا سارت الأمور على ما يرام في اجتماعنا معه، أعتقد أنني سأكون بعيدًا عنكم ولكنني سأتمنى لكم كما تمننت النسور. لتصبحكم السلامة أينما ارتحلتم!

توسَّل إليه الأقزام كي لا يتركهم، وقدَّموا له عرضًا بأن يكون له نصيبٌ من كنز التنين من ذهبٍ وفضَّة وجواهر. لكنه لم يغيِّر رأيه..

وقال: سنرى، سنرى! أعتقد أنني أستحقُّ فعلًا أن تكون لي حصَّة من كنز التنين عندما تحصلون عليه.

بعد ذلك توقَّفوا عن التضرُّع. ثمَّ خلعوا ملابسهم واستحمُّوا في ماء النهر، الذي كان ضحلًّا وصافيًّا، وأرضيته حجريَّة عند المعبر. بعد أن جفَّفوا أنفسهم وملابسهم بأشعة الشمس التي كانت قويَّة ودافئة، انتعشوا وإن كانوا يعانون من الألم والجوع بعض الشيء. في الحال عبروا المخاضة (حاملين الهوبيت)، ومن ثمَّ بدؤوا بالسير بين العشب الأخضر الطويل وتحت صفوف أشجار البلُّوط وارفة الظلال وأشجار الدردار الطويلة.

بينما كان يسير بجانب الساحر سأله بيلبو: ولماذا سُمِّيت تلك الصخرة كاروك؟

لقد أطلق عليها اسم الكاروك، لأن لفظة كاروك تعبرُّ عنها تمامًا. فهو عادةً يسمِّي الأشياء التي مثلها كاروكات، وهذه الصخرة هي الكاروك لأنها الوحيدة القريبة من منزله وهو يعرفها جيدًا<sup>(1)</sup>.

سأل بيلبو مجددًا: مَنْ الذي سمَّاها؟ ومن الذي يعرفها؟ من يكون هذا؟

---

(1) (Carrock): كاروك: لم يشرح تولكين معنى هذه الكلمة في أي مكان، ويعتقد أنه لم يقصد بها أيُّ معنى على الإطلاق، وربما استعار تولكين كلمة كاروك من اللغة السلتيَّة، والتي تدل على أسماء حقيقيَّة للجزر الصخرية قبالة سواحل كورنوال (Cornwall). أمَّا كورنوال: فهي مقاطعة تاريخية تقع جنوب غرب إنكلترا، عرفت بأنها كانت إحدى المقاطعات السلتيَّة. وبالنهاية يمكن أن نعتبر أنَّ المقصود من كلمة كاروك هنا، هو الجزيرة النهرية الصغيرة. \*المترجم\*

- هذا الشخص الذي تحدّثت لكم عنه هو شخصٌ عظيمٌ جدًّا. يجب أن تكونوا جميعكم مهذّبين جدًّا في حضرته عندما أقدمكم له. سأقدمكم له ببطء، اثنان، اثنان على ما أعتقد، ويجب أن تحرصوا على عدم إزعاجه، لأن السماء وحدها أعلم بما سيحدث. يمكن أن يكونَ مُرعبًا إن كانَ غاضبًا، على الرغم من أنه لطيفٌ بما يكفي إذا لاطفتموه. ما زلت أحذركم أنه يغضب بسهولة.

عندما سمع الأقرام الساحر يتحدّث هكذا إلى بيلبو اجتمعوا إليه وسألوه: هل هذا هو الشخص الذي تأخذنا إليه الآن؟ ألا يُمكنك العثور على شخصٍ آخر أكثر هدوءًا؟ ألم يكن من الأفضل لو تشرح لنا كلُّ ذلك بشكل أكثر وضوحًا؟ وما إلى ذلك.

أجابهم الساحر بشيء من التهريج: نعم هو بالتأكيد! لا، لا أستطيع! لقد كنت أشرح بدقة تامّة. وإذا كنتم تريدون معرفة المزيد، فاسمه: بيورن، وهو قويٌّ جدًّا، وهو مُبدّل الجلد!

سأل بيلبو: ماذا! فَرَأَ، الرجل الذي يستدعي فراء الأرناب، عندما لا يحوّل جلودهم إلى سناجب؟

قال جاندالف: يا إله السماوات الرحيم، لا، لا، لا، لا! لا تكن أحمق يا سيّد باجينز، إذا كُنْتَ تريد المساعدة. أستحلفك باسم كلِّ الأعاجيب ألا تذكر كلمة فَرَأَ ثانية ما دُمت على بعد مئة ميل من بيته، ولا الغطاء، ولا الرداء، ولا الوشاح، ولا الرِّعْبَ ولا أي كلمة مشؤومة! مبدّل الجلد، يعني أنه هو يُبدّل جلد نفسه، فأحيانًا يكون على هيئة دبٍّ أسود ضخم، وأحيانًا يكون على هيئة رجل قويّ بشعرٍ أسود وسواعد ضخمة ولحية كبيرة. ولا أستطيع أن أخبركم أكثر من ذلك بكثير، رغم أن هذا يجب أن يكون كافيًا. يقول البعض إنه دبٌّ ينحدر من السلالات العظيمة القديمة لدبية الجبال والتي عاشت هناك قبل مجيء العمالقة. ويقول آخرون بأنه رجلٌ ينحدرُ من سلالات البشر الأوائل الذين عاشوا قبل أن يأتي سموج أو بقية التنانين الآخرين إلى هذا الجزء من العالم، وقبل أن يأتي الجوبلين من الشمال ويسكنوا داخل التلال. لا أعرف أيهما الأصحُّ

بالنسبة إلى أصله، على الرغم من أنني أميل إلى تصديق الحكاية الثانية فهي حقيقية أكثر. هو ليس ذلك النوع من الأشخاص الذي تُطرحُ عنه الأسئلة. على أي حال هو لا يقع تحت تأثير أي سحر سوى سحره الخاص فقط. ويعيش في غابة بلوط ولديه منزلٌ خشبيٌّ عظيم، وكإنسانٍ يربِّي الماشية والخيول والتي تكاد تكون رائعةً مثله، إنهم يعملون عنده ويتحدَّثون إليه. هو لا يأكلهم ولا يصطاد أو يأكل الحيوانات البرِّيَّة، يربِّي الكثير من خلايا النحل الكبير الشرس. وأكثر معيشته تكون على القشدة والعسل. عندما يكون في هيئة الدُّبِّ فإنه يتجوَّل في نطاقٍ واسعٍ وبعيد. رأيته ذات مرَّة يجلسُ على قَمَّة الكاروك في الليل لوحده، كان يراقب القمر وهو يغيب خلف الجبال الضبابية، وسمعته يُدمم بلغة الدببة: سيأتي اليوم أعود به عندما يموتون! لهذا السبب، أعتقد أنه في يومٍ من الأيام جاء بنفسه من الجبال.

لم يطرح بيلبو والأقزام المزيد من الأسئلة، إذ أصبح لديهم الكثير ليفكِّروا فيه. ما زال الطريق طويلًا أمامهم. صعدوا المنحدر ونزلوا الوادي يتهادون في مشيتهم، لقد أصبح الجوُّ حارًا جدًّا. فكانوا يرتاحون لبعض الوقت تحت الأشجار.

شعر بيلبو بالجوع الشديد لدرجة أنه فكَّر بأكل جوز البلوط، إذا كانت ناضجة بما فيه الكفاية لتسقط على الأرض.

كان ذلك الوقت في منتصف فترة ما بعد الظهر، وقبل أن يلاحظوا أنَّ رُقْعًا كبيرةً من الزهور قد بدأت بالظهور، كل نوعٍ منها نما مع بعضه على حدة كما لو أنها كانت مزروعة وليست برِّيَّة. كان هناك على وجه الخصوص نبات النَّفْل، بقعٌ متموجة من نَفْل عُرف الديك، والنَّفْل البنفسجي، ومسافاتٍ شاسعة من النَّفْل الأبيض الحلو القصير برائحة العسل. كان هنالك أزيز وطنين وهدير في الهواء. كان النحل مشغولاً في كلِّ مكان. أمَّا بيلبو فكان مدهوشًا لأنه لم يرَ مثل هذا النحل من قبل! وفكَّر بينه وبين نفسه، لو أنَّ واحدة منهن لسعتني، فسينتفخ حجمي للضعف!



كانوا أكبر من الدبابير، والذكور من بينهم كانوا أكبر من حجم إبهامك بكثير، والشرايط الصفراء على أجسادهم القاتمة السوداء كانت تتألق مثل الذهب المتوهج.

قال جاندالف: إننا نقترب لقد أصبحنا على حافة مراعي النحل الخاصة به.

بعد فترة من المسير وصلوا إلى زنار من أشجار البلوط الطويلة والقديمة جداً، وخلفهم سياج مرتفع من الشوك الذي لا يمكن تخطيه أو الرؤية من خلاله.

قال الساحر للأقزام: من الأفضل أن تنتظروا هنا، وعندما أنادي أو أصفر، تتبعوني، يجب أن تراقبوني لتتعرفوا على الطريق الذي سأسلكه، لكن لا تأتوا إليّ فرادى بل أزواجاً، ولا تنسوا! ترك فترة خمس دقائق بين كل زوج وآخر. بومبور الأكثر بدانة بينكم، يمكن اعتباره شخصين، ومن الأفضل أن تأتي لوحك في الأخير. تعال معي يا سيد باجينز!

هناك بوابة في مكان ما من هذا الطريق المحيط، إليها انطلق على طول السياج أخذاً معه الهوبيت المرعوب.

بعد قليل وصلا إلى بوابة خشبية عالية وعريضة، حيث يمكن رؤية الحداثق ومجمعات من المباني الخشبية المنخفضة خلفها. بعضها كان مباني من الخشب غير المشكّل والمسقوفة بالقش، كالحظائر والإسطبلات والزرائب، ومنزل خشبي طويل ومنخفض.

على الجانب الجنوبي من السياج الكبير كانت تتموضع صفوف وصفوف من خلايا النحل ذات قعم مصنوعة من القش على شكل الجرس. كانت الضوضاء التي يصدرها طنين النحل العملاق جيئةً وذهاباً أو وهو يدخل ويخرج من خلاياه تملأ المكان.

دفع الساحر والهوبيت البوابة الثقيلة فانفتحت مُصدرةً صريراً عالياً، ثم انطلقا عبرها نازلين في مسارٍ واسعٍ نحو المنزل. هرولت نحوهما عبر العشب

الأخضر بعض الخيول طويلة الشعر والمُدْرِيَّة بشكلٍ جيد والتي يبدو عليها ملامح الذكاء الشديد، وقفت ونظرت إليهما باهتمام. ثم انطلقوا نحو المباني.

قال جاندالف: لقد ذهبوا ليخبروه بوصول غرباء.

بعد قليلٍ وصلا إلى فناءٍ مسوّرٍ من ثلاث جهات يشكّلها البيت الخشبي وجناحاه الطويلان. ينتصب في منتصف الفناء جذعٌ بلُوطية كبيرةٍ وبجانبه العديد من الأغصان المقطّعة. كان يقف بالقرب منه رجلٌ ضخم ذو لحية سوداء كثيفة وشعرٍ فاحم. وسواعد وأرجل عارية وضخمة وذات عضلات ظاهرة ومكتنزة. كان يرتدي سترةً قصيرةً من الصوف تصل إلى رُكبتيه، ويتكى على فأس كبيرة.

كانت الخيول تقف بجانبه وأنوفها على كتفه.

فخاطب الخيول قائلاً: أه! ها هُما! لا يبدوان خطرین.

- يمكنكم الابتعاد! ضحك ضحكة متموجة قوية، ووضع فأسه أرضاً وتقدّم نحوهما.

ثمّ سأل بفضاطة: مَنْ أنتما وماذا تُريدان؟

كان يقفُ أمامهما بطوله الفارع الذي يزيد على طول جاندالف.

أمّا بالنسبة إلى بيلبو، فقد كان بإمكانه اجتياز الفرجة التي بين ساقَي بيورن بسهولةٍ دون أن يطأطأ رأسه ليتفادى الاحتكاك بطرف سترة الرجل البنيّة.

قال الساحر: أنا جاندالف.

دمدم الرجل: لم أسمع به من قبل. ثمّ انحنى ونظر نحو الهوبيت وهو يُقطّب حاجبيه الكئيبين. وقال: ما هذا الرفيق الصغير؟

قال جاندالف: هذا هو السيّد باجينز، هوبيت من عائلةٍ طيبةٍ وسُمعةٍ لا تشوبها شائبة. انحنى بيلبو أمام الرجل، ولم يكن يرتدي قبعة لخلعها، وقد شعر بالإحراج لفقدانه الكثير من أزرار صدريته. تابع جاندالف: أنا ساحر،

وقد سمعت بك. إن لم تكن قد سمعت بي، ربما تكون سمعت بابن عمّي الطيب، راداجاست، الذي يسكن بالقرب من الحدود الجنوبية لغابة ميركوود؟ قال بيورن: نعم، أعتقد أنه ليس صاحبًا سيئًا وفقًا لتصانيف السحرة. لقد اعتدت رؤيته بين الحين والآخر. حسنًا أصبحت أعرف من أنت، أو من تدّعي أنك هو. والآن ماذا تريد؟

- في الحقيقة، لقد فقدنا أمتعتنا وكدنا نفقد طريقنا، بالأحرى نحن بحاجة إلى المساعدة، أو على الأقل نحن بحاجة إلى النصيحة. في الواقع ما أريد قوله، إننا أمضينا مدةً سيئةً مع الجوبلن في الجبال. قال الرجل الكبير متسائلًا بفضاضة أقل من السابق: الجوبلن؟ أوه، هكذا إذن لقد واجهت مشكلات معهم، أليس كذلك؟ وما الذي دعاكم إلى الاقتراب منهم؟

أجاب جاندالف: لم نقصد ذلك. لقد باغتونا ليلاً في ممرٍّ كان علينا عبوره، كناً خارجين من أراضي الغرب إلى هذه البلاد -إنها قصةٌ طويلة. قال الرجل: من الأفضل أن تدخلنا وتخبراني شيئاً من تلك القصة، وأتمنى ألا يستغرق الأمر اليوم كله، ثم تقدّمهما على الطريق من خلال بابٍ أسود يُفضي من الفناء إلى المنزل.

تبعاه فوجدا نفسيهما في قاعةٍ واسعة في منتصفها نُقرة<sup>(1)</sup>، على الرغم أن الوقت كان في فصل الصيف، لكن الحطب كان مشتعلًا في النُقرة والدخان يتصاعد إلى العوارض المسوّدة في بحثه عن مخرجٍ من خلال فتحةٍ في السقف. مرّوا عبر هذه القاعة المعتمة والمضاءة بالنار والفتحة التي فوقها فقط، ودخلوا من بابٍ أصغر، يُفضي إلى نوعٍ من الشرفات الأرضية المستندة إلى أعمدةٍ خشبيةٍ مصنوعةٍ من جذوع شجرةٍ واحدة. كانت الشرفةُ تتجه صوب الجنوب، ولا تزال دافئةً ومليئةً بنور الشمس المائلة نحو الغرب، التي

(1) النُقرة: هي تجويف في أرضية الغرفة يوضع فيه الجمر أو الحطب بغية التدفئة.

سقطت أشعتها الذهبية على الحديقة المليئة بالزهور الواصلة إلى درجات السلم تمامًا.

هناك على مقاعد خشبية جلسوا وبدأ جاندالف يحكيته، أما بيلبو فراح يورجح ساقيه المتدلّيتين وينظر إلى الزهور في الحديقة، متسائلًا عمّا يمكن أن تكون أسماؤها، فهو لم يرَ يصفهم في حياته.

قال الساحر: كُنت قادمًا عبر الجبال مع صديق أو اثنين....

قال بيورن: أو اثنين؟ لكنني لا أرى سوى واحدٍ فقط، وفوق ذلك، واحد صغير.

قال جاندالف: حسنًا في الحقيقة، لم أكن أرغب في إزعاجك أكثر بسببنا، قبل أن أرى إن كُنت مشغولًا. وإذا سمحت لي، سأناديه.

قال بيورن: تفضّل، نادي.

أطلق جاندالف صافرةً حادّةً وطويلة، وفي الحال دار ثورين ودوري حول المنزل بجانب ممرّ الحديقة ووقفوا بانحناءٍ أمامهم.

قال بيورن: هل كنت تقصد واحدًا أو ثلاثة، وأرى أن هؤلاء ليسوا من الهوبيت، إنهم أقزام!

فقال الاثنان: ثورين أوكنشيلد في خدمتك! دوري في خدمتك! وانحنى القزمان أمامه مرّة ثانية.

قال لهما بيورن: شكرًا، لا حاجة لي إلى خدماتكما، لكن أتوقّع أنكم تحتاجون إلى خدماتي، لستُ مُغرماً بالأقزام، لكن إذا كان ما قلته حقيقةً فهذا يعني أنك أنت هو ثورين بن ثرين بن ثور على ما أعتقد. ومن ثمّ سيكون رفيقك محترمًا، وأنكما من أعداء الجوبلن، ولم تأتيا إلى هنا لتُحدثا أي أذيّة في أراضي، بالمناسبة، لماذا أتيتم إلى هنا؟

تدخّل جاندالف وقال: إنهم في زيارةٍ لأرض أبائهم في الشرق البعيد، هناك خلف ميركوود، والمصادفة المحضة قادتنا للوجود في أراضيكم. كنّا

نعبر الممرَّ العالي، الذي كان ينبغي أن يقودنا إلى الطريق الذي يقع جنوب أرضك، عندما هاجمنا الجوبلن، كما كنت على وشك إخبارك قبل قليل.

قال بيورن الذي لم يكن مهذبًا قط: تابع حكايتك إذن!

- كانت هناك عاصفة رهيبية، وكان عمالقة الحجارة يتراشقون الصخور، فلجانا أنا والهوبيت وبعض الرفاق إلى كهفٍ في أعلى الممرِّ.

قال بيورن مقاطعًا: وهل تسمي الشخصين بعض؟

قال جاندالف: حسنًا، لا، في الواقع، كان هناك أكثر من اثنين.

قال بيورن: وأين هم؟ هل قتلوا أم أكلوا أم عادوا إلى ديارهم؟

قال جاندالف: حسنًا، لا، لكن لا يبدو أنهم جاؤوا كلهم عندما صَفَرْت، اعتقد أنهم خلجوا. كما ترى، فنحن نخشى كثيرًا أن يكون عددنا أكثر ممَّا تستطيع استضافته.

دمدم بيورن: هيَّا، صَفِّر مرَّةً أخرى! على ما يبدو أنني أقيم حفلًا، فواحد أو اثنان إضافيان لن يشكِّلا ذلك الفرق الكبير.

صَفَّر جاندالف مرَّةً أخرى. لكن نوري وأوري كانا هناك قبل أن يتوقَّف عن الصفير تقريبًا. لأنه كما تذكرون فقد طلب منهم جاندالف أن يأتوا في أزواج كل خمس دقائق.

قال بيورن: يا مرحبًا! لقد أتيتما بسرعةٍ خارقة، أين كنتما تختبآن؟ تعاليا إليَّ يا عفاريت اللعبة<sup>(1)</sup>.

باشرا في الكلام، نوري في خدمتك، أوري في... لكن بيورن قاطعهما: شكرًا لكم! عندما أحتاج إلى مساعدتكم، سأطلبها، والآن اجلسا، ودعوه يُكمل هذه الحكاية، وإلا سنصل إلى وقت العشاء قبل أن ينهياها.

(1) (jack-in-the-boxes). عفريت اللعبة: وهي لعبة تتكوَّن من دمية شبيهة بالمهرج أو أي شخصية أخرى تتصل بصندوق عبر نابض، وعند فتح الغطاء تنطلق هذه الشخصية مباشرة. \*المترجم\*

تابع جانداالف: بمجرد أن أصبحنا نيامًا، انفتح صدعٌ في الجدار الخلفي للكهف، وخرج منه الجوبلين وأمسكوا بالهوبيت والأقزام وقطيع مهورنا..

قاطعهم بيورن مستغربًا: قطعٌ من المهور؟ ماذا تعملون، هل أنتم سيرك متنقل؟ أم تحملون الكثير من البضائع؟ أم أنك تسمي المهور الستة قطيعًا؟ - أوه، لا! في حقيقة الواقع كان هناك أكثر من ستة مهور، لأنه كان هنا أكثر من ستة منًا. حسنٌ، هذان اثنان آخران! وفي تلك اللحظة ظهر بالين ودوالين وانحنيا كثيرًا، لدرجة أن لحيتيهما كنستا حجارة الأرضية. في البداية كان الرجل الضخم عابسًا، لكنهما بذلا قصارى جهدهما ليكونا في غاية التهذيب، واستمرًا في تنكيس رأسيهما والانحناء والركوع وخلق قلنسوتييهما والتلويح بها ووضعها أمام الركبة (وفق الطريقة الأصلية للأقزام)، حتى توقّف الرجل عن العبوس، وانفجر في ضحكةٍ مجلجلة، فقد كانا مُضحكين جدًّا.

ثمّ قال: إذن كلمة قطع، كانت دقيقة. أشخاصٌ فكاهيون، تفضّلوا أيها المرحون، وما اسماكما؟ أنا لا أريد خدماتكما الآن، فقط اسميكما، وبعدها اجلسا وتوقّفا عن التهريج! فقللا دون أن يجرؤا على الإساءة له: بالين ودوالين، ثمّ ارتميا على الأرض جالسين، تبدو عليهما علامات الدهشة نوعًا ما. عندها قال بيورن للساحر: الآن تابع لنا سرد الحكاية!

تابع جانداالف: إلى أين وصلت..؟ أوه نعم، لم يقبضوا عليّ وقد قتلت واحدًا أو اثنين من الجوبلين بومضةٍ خاطفة... دمدم بيورن مقاطعًا: جيد! إذن، من الجيد أن تكون ساحرًا... تابع جانداالف: وانزلت داخل الصدع قبل أن ينغلق، وتبعتهم إلى القاعة الرئيسية، التي كانت تعجُّ بالجوبلين، وكان هناك أيضًا زعيم الجوبلين مع ثلاثين أو أربعين حارسًا مسلحًا. قلت في نفسي، حتى لو لم يكونوا مقيدّين بالسلاسل معًا، فما الذي يمكن أن تفعله دزينة مع كلِّ هذا العدد الكبير؟

قال بيورن مستغرباً: دزينة! هذه أول مرّة أسمع فيها أن ثمانية أشخاص نطلق عليهم اسم دزينة. أو هل ما زالت تمتلك المزيد من المهرّجين الذين لم يخرجوا من العلبة بعد؟

قال جاندالف: حسناً، نعم، يبدو أن هناك زوجاً آخر هنا الآن، وهما على ما أعتقد كيلى وفيلي، وهكذا ظهر الاثنان ووقفنا مبتسمين وانحنينا. فقال لهما بيورن: هذا يكفي، اجلسا صامتين! أكمل يا جاندالف!

تابع جاندالف سرد الحكاية، حتّى وصل إلى مرحلة قتالهم مع الجوبلن في الظلام، واكتشاف البوّابة السفلية، والخوف الذي انتابهم عندما علموا أنهم أضاعوا السيّد باجينز. وهكذا عندما أحصينا أنفسنا لم نجد الهوبيت. لقد كنّا فقط أربعة عشر!

قال بيورن مستغرباً كالعادة: أربعة عشر! هذه أول مرّة أسمع أنّ عشرة ناقص واحد، يُساوي أربعة عشر. ربما تقصد تسعة، أو أنك لم تُخبرني بعد بكلّ أسماء مجموعتكم.

قال جاندالف: حسناً، فلتباركني السماء! أنت لم ترَ بالطبع بعد أوين وجلوين. ها هما، أتمنى أن تُسامحهم على إزعاجك.

قال بيورن: أوه، دعهم يأتون جميعاً! أسرعوا! تعالوا أنتما الاثنان واجلسا! لكن انظر هنا يا جاندالف، حتّى الآن لدينا هنا فقط، أنت وعشرة أقزام والهوبيت الذي ضاع. ويصبح عددكم بعد إضافة الذي كان ضائعاً، أحد عشر، وليس أربعة عشر، إلا إذا كان السحرة يَعدُّون بشكل مُختلف عن بقية الناس. لكن الآن من فضلك تابع الحكاية. لم يُظهر له بيورن قدرته على المساعدة أكثر من ذلك، لكنه في الحقيقة بدأ يُظهر اهتماماً واضحاً. وكما ترون، كان بيورن يعرف في الأيام الخوالي كلّ المناطق الجبلية التي كان يصفها جاندالف. فقد أوماً برأسه ودمدم، عندما سمع بعودة ظهور الهوبيت، وعن تراحمهم في أثناء انزلاق الحجارة بهم على المنحدر، وعن إحاطة الذئاب بهم في الغابة. وعندما وصل جاندالف إلى مرحلة تسلُّق الأشجار والذئاب على الأرض تحتهم. نهض

بيورن وراح يسير بخطوات واسعة حولهم وكان يتمتم: كم أتمنى لو كنتُ هناك وقتها! كنت سأمنحهم أكثر من مجرد ألعاب نارية!

- حسنًا! قال جاندالف، وقد بدا سعيد جدًا لأن حكايته تركت انطباعًا جيدًا لدى بيورن. وتابع يقول: لقد بذلتُ قصارى جهدي. كنّا هناك مع الذئب المسعورة من تحتنا، وقد بدأت الغابة تشتعل في بعض الأماكن، وعندما نزل الجوبلن من التلال، وبعد اكتشافهم لأماكننا. راحوا يصرخون بسرور ويسخرون منّا عبر أغنياتهم التي تقول: خمسة عشر عصفورًا في خمسة عشر شجرة تنوب....

هدر بيورن: يا إلهي! لا تزعم بأنّ الجوبلن لا يعرفون العدّ أيضًا، إنهم يعرفون وبشكل جيد، فهم يميزون تمامًا بين الاثني عشر والخمسة عشر.

- وهكذا كان، حيث وصل إلى هناك بيفور وبوفور، لم أكن أجرؤ على تقديمهما لك قبل الآن، لكن ها هما.

مع مجيء بيفور وبوفور، صاح بومبور وهو يجري لاهثًا خلفهما: وهأنذا! كان سمينًا وغاضبًا من تركه بمفرده حتّى النهاية، حيث رفض الانتظار خمس دقائق، بل تبع الاثنين الآخرين مباشرةً.

قال بيورن: حسنًا، الآن يوجد هنا خمسة عشر شخصًا منكم، وبما أنّ الجوبلن يمكنهم العدّ بشكل جيد، أفترض أن هؤلاء هم كلُّ من كان هناك فوق الأشجار. والآن، ربما يمكننا إنهاء الحكاية دون المزيد من الانقطاعات.

بعد ذلك، أدرك السيّد باجينز، كم كان جاندالف ذكيًا. حيث كان للانقطاعات دورٌ في جعل بيورن يُبدي اهتمامًا أكثر بالقصة. والقصة من ثمّ هي ما جعلت بيورن يبدي شيئًا من التسامح مع الأتزام ولم يطردهم كالمسؤولين المشبوهين. كان بيورن يتجنّب دائمًا دعوة الناس إلى بيته قدر المُستطاع. كان لديه القليل من الأصدقاء الذين يعيشون في أماكن بعيدة عنه، وحتّى هؤلاء الأصدقاء لم يكن يدعو إلى بيته منهم، أكثر من اثنين في وقت واحد. والآن لديه خمسة عشر غريبًا يجلسون في شرفة المنزل.



بحلول ذلك الوقت الذي أنهى فيه الساحر حكايته، وأخبر كيف أنقذتهم النور وأحضرتهم إلى الكاروك، كانت الشمس قد غابت خلف قمم الجبال الضبابية، وتناولت الظلال في حديقة بيورن.

قال بيورن: قصة جيدة جدًا!! إنها أفضل قصة سمعتها منذ فترة طويلة. إذا كان بإمكان كل المتسولين أن يقصوا عليّ مثل هذه الحكايات الجيدة، فسيجدونني أكثر لطفًا. بالطبع، ربما تكون قد اختلقت الحكاية بأكملها اختلاقًا، لكنك مع ذلك تستحقّ عشاءً من أجل هذه القصة. دعونا نجد شيئًا نأكله!

قالوا جميعًا: نعم من فضلك! وشكرًا جزيلاً لك!

كان الظلام دامسًا داخل القاعة، صفق بيورن بيديه، فهولت نحوه أربعة مهورٍ بيضاء جميلة والكثير من الكلاب الرمادية ذات الأجسام الطويلة.

قال لهم بيورن شيئًا ما بلغةٍ غريبةٍ تُشبه أصوات الحيوانات التي تحوّلت إلى كلام. فخرجوا جميعًا وفي الحال عادوا يحملون المشاعل في أفواههم التي كانوا قد أشعلوها من نار النُّقْرة، وعلقوها على رفوفٍ منخفضة موجودة على أعمدة القاعة التي حول النُّقْرة.



الصالة الرئيسية في بيت بيورن

كان بإمكان الكلاب الوقوف على أرجلها الخلفية عندما تُريد، وتحمل الأشياء بأطرافها الأمامية. أخرجوا الموائد وركائزها بسرعة من جوانب الجدران ونصبوها بالقرب من النُقرة.

سُمع صوتُ ثغاءٍ بالقرب من القاعة! ثمَّ دخلت مجموعة من الأغنام البيضاء بلون الثلج، يقودها كبشٌ كبير بلونٍ أسود فاجم. كان أحدهم يحمل قطعة قماشٍ بيضاء مُطرَّزة على الحوافِّ بأشكال الحيوانات، وحمل آخرون على ظهورهم العريضة صوانٍ عليها زبادي وأطباق وسكاكين وملاعق خشبية. أسرعَت الكلاب لأخذ الشراشف والأواني وقامت بفرشها على الطاولات المنخفضة. كانت الطاولات منخفضة بما فيه الكفاية حتَّى يلبو كان يُمكنه الجلوس إليها بشكلٍ مريح. إلى جانبهم قام أحد المهور بالدفع بكرسيين قصيرين لهما مقاعد عريضة من القصب وأرجل صغيرة سميكة وقصيرة لكلٍّ من جاندالف وثورين، بينما وضع المهر كرسي بيورن الأسود الكبير والذي كان من الطراز نفسه عند نهاية الطاولة. جلس بيورن برجليه الكبيرتين وقد حشرهما تحت الطاولة. تلك كانت كلُّ الكراسي التي كانت لديه في القاعة. وربما جعلها هي والطاولات منخفضة هكذا لتكون ملائمةً لحيواناته الرائعة التي كانت تقوم على خدمته. وعلى ماذا جلس الباقون؟ لم ينسَ المهور أحد. فقد جاءت البقية منهم بلفائف مدورة على شكل أسطوانات مقطوعة من الخشب، مصقولة ومُنعمّة، كانت قصيرة بما يكفي حتَّى بالنسبة إلى بيلبو. وسرعان ما جلسوا جميعًا إلى طاولة بيورن، في القاعة التي لم تشهد مثل هذا التجمُّع منذ عدَّة سنوات.

هناك تناولوا عشاءً أو غداءً، لم يتناولوا مثله منذ أن غادروا آخر بيتٍ عائلي في الغرب وقالوا وداعًا إلى إيلروند. كان ضوء المشاعل والنار يتراقص حولهم، وعلى الطاولة وضعت شمعتين حمراوين طويلتين مصنوعتين من شمع العسل. طوال الوقت الذي تناولوا فيه الطعام، كان بيورن يحكي لهم بصوته العميق المدوّي، حكايا عن الأراضي البريَّة على هذا الجانب من الجبال، وبشكلٍ خاص عن الغابة المظلمة الخطرة. التي تمتدُّ أمامهم إلى الشمال

البعيد والجنوب على مسافة مسير يومٍ للخيال، والتي تعترض طريقهم إلى الشرق، وهي غابة ميركوود المُرعبة.

كان الأقرام يستمعون وهم يهزؤون لحاهم، لأنهم كانوا على علمٍ، بأنهم عمّا قريب سيجازفون بعبور تلك الغابة، وأنه بعد تلك الجبال كان عليهم أن يمرّوا بأسوأ الأخطار قبل أن يصلوا إلى معقل التنين. عندما انتهى العشاء بدأ الأقرام يروون حكاياتهم الخاصّة، لكن بيورن بدأ يشعر بالنعاس فلم ينتبه كثيرًا لما قالوه. كانت معظم أحاديثهم عن الذهب والفضّة والجواهر وعن صناعة الأشياء ضمن ورش الحدادة، لم يُبدِ بيورن أي اهتمام بمثل هذه الأشياء، إذ لم يكن في صالته أي شيء مصنوعٍ من الذهب أو الفضة أو حتّى المعدن على الإطلاق، سوى بعض السكاكين.

جلسوا طويلاً على الطاولة مع أوعية الشرب الخشبية المملوءة بنبيد العسل. حلّ الليل المُظلم في الخارج، عُزّزت نار النُقرة في وسط الصالة بحطبٍ جديد وانطفأت المشاعل، وما زالوا جالسين على ضوء ألسنة اللهب المتراقص، وأعمدة المنزل التي تقف شامخةً من خلفهم. ونهاياتها القاتمة التي تُشبه أشجار الغابة.

سواءً أكان ذلك سحرًا أم لا، فقد بدا ليبلبو وكأنه يسمع أصواتًا تأتي من العوارض الخشبية للسقف، كانت تشبه صوتَ هُبوب الرياح على الأغصان. ونعيب البوم. وسُرعان ما غالبه النعاسُ فغفا. بدت له الأصوات في النوم وكأنها أخذت في الابتعاد، إلى أن استيقظ مع صوت صرير الباب الكبير ثمّ انغلاقه بقوة. كان بيورن قد ذهب. أمّا الأقرام فقد جلسوا القرقصاء على الأرض متحلّقين حول النُقرة، وفي الحال بدؤوا بالغناء، واستمرّوا فيه لفترةٍ طويلة. كان في جعبتهم الكثير من القصائد، وبعضها كان على هذا النحو:

كانت الريح تهبُّ على الأراضي البور الذابلة  
لكنها لم تُحرِّك وريقةً شجريًّا في الغابة  
كانت الظلال تتمدّد في الليل والنهار

ومن خلالها تسَلَّلت المخلوقات الشريرة

نزلت الريح باردةً من الجبال  
تتدفَّق هادرةً مثل المياه الجارية  
أنت الأغصان، وناحت الغابة  
وسقطت الأوراق الأرض

ذهبت الريح من الغرب إلى الشرق  
وانقطعت كلُّ حركةٍ في الغابة  
لكنها عبر المستنقع كانت قاسية وصاخبة .  
فقد تحرَّر صوت صفيروها

هَمَسَ العشب، ومالت سُرايته  
كان القصب يقعقع حين ذهب  
يا لارتعاش بحيرةٍ تحت سماءٍ باردة  
حيث السُّحبُ المتسابقة كانت ممزَّقة ومشقَّقة

تمرُّ على الجبل الوحيد الأجرد  
فتكنس سطح عرين التنين  
هناك تستلقي جلاميد صلبة قاتمة السواد  
وفي الهواء كان، يتطاير الدخان

تركت العالم وأخذتها بجولة تحليق

فوق ليلٍ من البحار الواسعة  
ما زال القمر يبهر رغم العاصفة  
والنجوم ترقص على قفزات الضوء

عاد النعاس يغلب بيلبو من جديد. فجأة نهض جاندالف واقفاً يقول: حان وقت النوم بالنسبة إلينا، ولكن لا أعتقد أنه الوقت المناسب لبيورن. في هذه القاعة يمكننا أن نرتاح وننام بأمان، لكنني أحذركم جميعاً بألا تنسوا ما قاله بيورن قبل أن يغادرننا: يجب ألا تتجولوا في الخارج قبل شروق الشمس، لأنكم ستكونون في خطر.

وجد بيلبو أن الأسرّة قد وُضعت بالفعل في طرف الصالة، على ما يشبه المنصّة المرتفعة بين الأعمدة والجدار الخارجي. وبالنسبة إليه كان هناك فراشٌ صغير من القنّس وبطّانياتٍ صوفية. دخل بينهم وتكوّر على نفسه مستجمعاً أطرافه بسرور بالغ، واستغرق في النوم. مع أنه كان فصل الصيف، إلا أن النُقرة بقيت مُشتعلةً بنارٍ هادئة.

لكنه استيقظ في الليل، حيث كانت بعض الجمرات قد اتقدت بالنار. كان جاندالف والأقزام نائمين، وقد حكم على ذلك من خلال تنفسهم. انعكست على الأرضية بقعة بيضاء من ضوء القمر العالي، الذي كان يُحدّق إليهم من خلال فتحة الدخان في السقف.

كان هناك في الخارج صوت هدير وصخب وكأنه شجارٌ بين بعض الحيوانات الكبيرة بالقرب من الباب. تساءل بيلبو، عمّا يكون ذلك الضجيج، وما إن كان يمكن أن يكون بيورن في شكلٍ مسحور، وما إن كان سيدخل عليهم بهيئة دَبٍّ ويقتلهم. فأخفى رأسه وغاص تحت البطانيات، ثم غرق في النوم من جديد بالرغم من مخاوفه.

استيقظ بيلبو في تمام الصباح، عندما وقع عليه أحد الأقزام حيث كان يرقد في الظلال، بعد أن تدحرج جرّاء اصطدام قدمه بنتوء من المنصّة الموضوعية على الأرضية. كان ذلك القزم هو بوفور، والذي راح يتدّمّر جراء

ذلك. وعندما فتح بيلبو عينيه قال له: انهض أيها الكسول، وإلا فلن يتبقي لك فطور. قفز بيلبو وهو يصرخ: فطور! أين الفطور؟

أجابته بقية الأقرام الذين كانوا يتنقلون في القاعة: لقد أصبح معظمه في بطوننا، لكن هناك بقية منه على الشرفة. كنّا نبحث عن بيورن منذ طلوع الشمس، لكن لا وجود لما يدل عليه في أيِّ مكان، مع أننا وجدنا وجبة الإفطار جاهزة بمجرد خروجنا. فسألهم بيلبو: أين جاندالف؟ ثمَّ خرج بأسرع ما يمكن علَّه يجد شيئًا يأكله.

قالوا له: أوه، قد يكون في الخارج في مكانٍ ما حولنا. لكنه لم يرَ أي علامة على وجود الساحر طوال ذلك اليوم حتَّى المساء.

قبل غروب الشمس تمامًا، دخل جاندالف إلى الصالة، حيث كان الهوبيت والأقرام يتناولون العشاء، وقد قام على خدمتهم حيوانات بيورن الرائعة، كما كانوا يفعلون طوال اليوم. مع كلِّ ذلك فلم يروا أو يسمعوا شيئًا عن بيورن منذ الليلة الماضية، وكانوا مُحتررين من ذلك.

صاحوا جميعًا يسألون جاندالف: أين مُضيفنا، وأين كنت أنت أيضًا طوال اليوم؟ فقال لهم جاندالف ببرود: سؤالٌ واحدٌ في كلِّ مرَّة، ولن أُجيب على أيِّ منهما قبل أن أتناول العشاء! فلم أتناول لقمة واحدة منذ وجبة الفطور.

أخيرًا، دفع جاندالف صحنه وإبريقه من أمامه، بعد أن تناول رغيفين كاملين (مع كُتل من الزُبدة والعسل والقشدة المتخثِّرة) وشرب ما لا يقلُّ عن ربع جالونٍ من نبيذ العسل ثمَّ أخرج غليونه وقال: سأجيب على السؤال الثاني أولًا، لكن يا إلهي! هذا مكانٌ رائع لنفت حلقات الدُخان!

في الواقع، لم يتمكَّنوا من الحصول على أيِّ معلومة منه لفترةٍ طويلة، إذ كان مشغولًا للغاية بإرسال حلقات الدخان لتدور حول أعمدة الصالة، وتقلَّبها إلى مُختلف الأنواع والأشكال والألوان، وجعلها في النهاية تطارد بعضها بعضًا للخروج من ثقب في السقف.

لا بدُّ أن شكل حلقات الدخان قد بدا غريبًا جدًّا في الخارج، إذ فرقعوا في الهواء واحدًا تلو الآخر، أخضر، أزرق، أحمر، رمادي، فضِّي، أصفر، أبيض،

كبَارًا وصغَارًا، وكانت الحلقات الصغِيرَة تنفجر وتفرقع ضمن الحلقات الكبيرة ثم تنضمُّ معها ليشكّلوا معًا الرقم ثمانية، ومن ثمَّ ينطلقوا كسرِبٍ من الطيور لمسافاتٍ بعيدة.

وأخيرًا تكلم وقال: لقد كُنْتُ أفتني أثر الدببة، لا بدُّ أنه كان هنا في الخارج، اجتماعٌ دوريٌّ للدببة في الليلة الماضية. سرعان ما اكتشفت أن هذه الآثار لا يمكن أن يكون بيورن صنعها لوحده، فقد كان هناك الكثير منهم، وكانوا بأحجامٍ مُختلفة أيضًا. وأستطيع القول كان بينهم دببة صغيرة، ودببة كبيرة، ودببة عادية، ودببة كبيرة ضخمة. كلهم كانوا يرقصون في الخارج منذ حلول الظلام وحتى طلوع الفجر تقريبًا. لقد جاؤوا من كلِّ الاتجاهات، إلا من الغرب، أي من الجبال عبر النهر، حيث لم أعثر في هذا الاتجاه سوى على أثرٍ لمجموعةٍ واحدةٍ من الأقدام. ولم تكن آتية، بل كانت مُبتعدةً من هنا. لقد تبعت هذه الآثار حتى الكاروك، هناك اختفت آثار الأقدام في النهر، لقد كان قاع النهر عميقًا وتدققُ الماء وراء الصخرة قويًّا جدًا فلم أستطع عبوره. كما تذكرون كان سهلًا بما فيه الكفاية عبور النهر والانتقال من هذه الضفة إلى الكاروك بجوار المعبر الحجري، ولكن هناك على الجانب الآخر يوجد جرفٌ يقف في وسط قناة دوامية، كان عليَّ السير لأميالٍ، قبل أن أجد مكانًا كان فيه النهر عريضًا وضحلًا بما يكفي لكي أخوض وأسبح، وأميالًا أخرى كي أعود وألتقط المسارات ثانيةً. بحلول ذلك الوقت، كان الوقت قد تأخَّر كثيرًا بالنسبة إليَّ لمتابعة هؤلاء لمسافات أبعد. لقد ذهبوا مباشرةً في اتجاه غابات الصنوبر على الجانب الشرقي للجبال الضبابية، حيث كان لدينا حفل صغير مع الوارج في الليلة قبل الماضية. وبهذا أعتقد أنني أجبتكم على السؤال الأول أيضًا. انتهى جاندالف من الحديث وجلس صامتًا لفترةٍ طويلة.

ظنَّ بيلبو أنه عرف ما كان يعنيه الساحر فصرخ: ماذا سنفعل إذا قاد الجوبلين والوارج ونزلوا إلى هنا؟ سيُقبض علينا جميعًا ونُقتل! أعتقد أنك قلت إنه لم يكن صديقًا لهم.



قال جاندالف: نعم لقد قلت ذلك، لا تكن سخيًّا! من الأفضل أن تذهب إلى الفراش، لأن مواهبك ناعسة.

شعر الهوبيت بأنه مُحطَّم تمامًا، وبما أنه لا يوجد لديه شيء ليفعله فقد ذهب إلى الفراش. وبينما الأقزام ينشدون الأغاني، غطَّ في نومٍ عميق. وما زال رأسه الصغير يشعر بالغموض حول بيورن، حتَّى حلم بمئات الدببة السوداء ترقص رقصاتٍ ثقيلاً وبطيئة، وكانت تدور وتدور في فناء المنزل تحت أضواء القمر. ثمَّ استيقظ عندما كان الجميع نيامًا وسمع أصوات الاحتكاك نفسها، العراك، الحنق، والهدير كما كان في الليلة السابقة. وفي صباح اليوم التالي أيقظهم بيورن بنفسه.

وقال: إذَنْ ما زلتُم جميعًا هنا! أمسك بالهوبيت وضحك، ثمَّ تابع يقول: أرى أنك لم تؤكل من قبل الوارج أو الجوبلن أو الدببة الشريرة حتَّى الآن، ثمَّ لكز صدرية السيد باجينز بأكبر قدرٍ ممكن من عدم الاحترام، وتابع ضاحكًا: لقد أصبح الأرنب الصغير لطيفًا وبيدنيًا من جديد بفضل الخبز والعسل. تعالٍ وخُذ المزيد منه!

وهكذا ذهبوا لتناول الفطور معه. ومن باب التغيير كان بيورن أكثر مرحًا. في الواقع بدا وكأنه يتمتع بروح الدعابة الرائعة، إذ جعلهم يضحكون بقصصه الهزلية، ويجب ألا يطيلوا التساؤل أين كان ولماذا هو لطيفٌ معهم، لأنه أخبرهم بنفسه. لقد عبر النهر عائداً نحو الجبال. (على أي حال يمكنكم التخمين بأنه يستطيع التنقل بسرعة أكثر بشكلٍ الدبِّ). إلى فسحة الذئاب المحترقة، وهناك اكتشف في الحال أنَّ جزءًا من قصَّتهم كان صحيحًا، لكنه وجد هناك أكثر من ذلك، كان قد أمسك واحدًا من الوارج وآخر من الجوبلن يتجولان في الغابات. ومن هؤلاء حصل على الأخبار، حيث كانت لا تزال دوريات الجوبلن مع الوارج تطارد الأقزام، وكانوا غاضبين بشكلٍ عنيفٍ بسبب موت زعيم الجوبلن، وكذلك بسبب احتراق أنف زعيم الذئاب وموت العديد من خدامه الأساسيين بنيران الساحر. لقد أخبراه بالكثير بعد أن أجبرهما على ذلك، لكنه افترض بأنَّ شرًّا أكثر من ذلك يجري الاستعداد له

على قدمٍ وساقٍ، وهناك غارةٌ كبيرةٌ لكامل جيش الجوبلين مع حلفائهم من الذئاب، ستسُنُّ قريبًا على الأراضي التي تظللها الجبال من أجل العثور على الأقرام، أو لأخذ الثأر من البشر والمخلوقات التي تعيش هناك، ومَن ظنُّوا بأنها ستحمي الأقرام.

قال بيورن: كانت قصَّتكم قصَّةً جيدة، لكنني الآن أصبحت أحبها بشكلٍ أفضل لأنني متأكِّدٌ أنها صحيحة. ويجب أن تغفروا لي عدم أخذ كلامكم على محمل الجدِّ. لأنك إن كنت تعيش بالقرب من حافة ميركود، فلن تصدِّق كلام أي شخص لا تعرفه مثل أخيك أو أفضل منه. وهكذا كان، لا يسعني إلا أن أقول إنني عدت إلى المنزل بأقصى سرعة لأطمئن أنكم بأمان، ولأعرض عليكم أيَّ مساعدةٍ ممكنة، وبعد هذه الحادثة عليَّ أن أقدر الأقرام بالكثير من الاحترام. لقد قُتل زعيم الجوبلين، لقد قُتل زعيم الجوبلين! وضحك بعنف بينه وبين نفسه.

وفي الحال سأله بيلبو: ماذا فعلت بالجوبلين والوارج؟

قال بيورن: تعال وانظر! وتبعه الجميع حول المنزل. كان رأس الجوبلين معلقًا على الجهة الخارجية للبوابة، وتُبتَّ جلد الوارج على الشجرة التي خلفها مباشرةً.

كان بيورن خصمًا شرسًا للأقرام، أمَّا الآن فقد أصبح صديقًا لهم. رأى جانداelf أنه من الحكمة إخباره بقصَّتهم الكاملة وعن سبب رحلتهم، حتَّى يتمكنوا من الحصول على أكبر قدرٍ ممكن من المساعدة التي يمكن أن يقدمها لهم بيورن.

وهذا ما وعد بتقديمه من أجلهم. توفير مُهرٍ لكل شخصٍ منهم وحصانًا لجانداelf، من أجل رحلتهم عبر الغابة، إمدادهم بالطعام الذي يدوم معهم لأسابيع إن حافظوا عليه، التعبئة والتوضيب لسهولة الحمل قدر الإمكان، مثل، الجوز، الدقيق، جرازٍ محكمة الإغلاق تحتوي على الفواكه المجفَّفة، وقدرٍ خزفية حمراء مليئةٌ بالعسل، والكعك المخبوز مرَّتين الذي يمكن أن يبقى جيدًا لفترةٍ طويلة، إذ إنَّ تناول كمية قليلة من هذا الكعك تمدُّهم بالطاقة

اللازمة للسير لمسافاتٍ بعيدة. وطريقة صناعته كان سرًّا من أسرار بيورن، لكن العسل كان موضوعًا ضمن الكعك، كما هي الحال في كلِّ أطعمة بيورن، التي تميّز بالطعم الجيد، مع أنها كانت تسبّب العطش. أمّا بالنسبة إلى الماء فقال لهم أنه لا حاجة إلى حمليه، بسبب كثرة الجداول والينابيع على طول طريقهم في هذا الجانب من الغابة. لكن لطريقكم عبر غابة ميركوود، فهي مظلمة وخطرة وصعبة وليس من السهل إيجاد الماء هناك، ولا حتّى الطعام. فلم يجن وقت نزوح الجوز بعد (على الرغم من أنه يمكن أن يحين موسمه وينتهي قبل أن تتمكّنوا من العبور إلى الجانب الآخر منها)، لأن الجوز هي الثمرة الوحيدة الصالحة للأكل ضمن كل ما ينمو في تلك الغابة. هناك توجد المخلوقات البريّة الشريرة والغريبة والهمجية المتوحّشة. لذلك سأوفّر لكم قِربًا لحمل الماء، وسأعطيكم بعض الأقواس والسهام. لكنني أشكّ في أن تجدوا أيّ شيء في ميركوود صالحًا للأكل أو الشرب. على حدّ علمي أنه يوجد هناك جدول واحد، قويّ وشرير يتقاطع مع الطريق. إياكم أن تشربوا منه أو تستحموا فيه، فقد سمعت بأنّ سحرًا كبيرًا يستولي عليه فيصيب من يمسه بالنعاس الشديد والنسيان. وفي تلك الظلال القاتمة لذلك المكان، لا أعتقد أنك تستطيع اصطياذ أيّ شيء، نافعًا كان أو ضار، دون الابتعاد عن المسار. وذلك ما لا يجب أن تفعلوه مهما كانت الأسباب. هذه هي كلُّ النصائح التي يمكنني أن أقدمها لكم. خارج حافة الغابة لا أستطيع مساعدتكم كثيرًا، عليكم الاعتماد على حظّكم وشجاعتهم والطعام الذي أرسلته معكم. وعندما تصلوا إلى بوابة الغابة عليكم أن تعيدوا إليّ حصاني ومهوري. أتمنّى أن تسرعوا في الذهاب، وسيبقى منزلي مفتوحًا لكم إذا عدتم ومررتم بهذا الطريق مرّة أخرى.

بالطبع لقد شكروه كثيرًا، بالكثير من الانحناءات، وخلع القلائس، وبالكثير من كلمات "في خدمتك يا سيّد القاعات الخشبيّة الواسعة!" لكنّ معنوياتهم انهارت بسبب كلماته الخطيرة، وشعروا جميعهم بأن المغامرة كانت أكثر خطورة ممّا كانوا يتوقّعون، لكن حتّى لو قدّر لهم اجتياز كلِّ أخطار الطريق، سيبقى هناك وعلى الدوام، تنين ينتظرهم في نهاية المطاف.

أمضوا كل ذلك الصباح مشغولين في إكمال التحضيرات للرحلة، وبعد فترة وجيزة من منتصف النهار، تناولوا الطعام مع بيورن للمرة الأخيرة. بعد الوجبة ركبوا جيادهم التي أعارها لهم. ثم تبادلوا معه تحيات الوداع، وانطلقوا عبر بوابته بخبب سريع.

وبمجرد أن غادروا أسواره العالية في شرق أراضيهِ المسيجة، استداروا شمالاً ثم اتجهوا نحو الشمال الغربي، وبفضل نصيحته، لم يقصدوا الطريق الرئيسي للغابة الذي يحاذي أرضه من الجنوب. لو اتبعوا المسار، لكان سيقودهم الطريق في النهاية، إلى النقطة التي يلتقي فيها الجدول النازل من الجبال مع النهر العظيم، على بعد أميالٍ إلى الجنوب من الكاروك. في تلك المرحلة يوجد المعبر العميق، الذي كان من الممكن عبوره لو كانت لا تزال لديهم مهورهم الخاصّة بهم، وخلف كل ذلك يوجد مسارٌ يؤدّي بالنهاية إلى أطراف الغابة ومنه إلى مدخل الطريق القديم للغابة.

لكنّ بيورن حذّرهم من أنّ الجوبلن يستخدمون هذا الطريق في كثيرٍ من الأحيان، في حين إنّ النهاية الشرقية لطريق الغابة نفسه -كما سمع- أصبحت مُهملة وغازتها النباتات، وهو يؤدّي إلى مستنقعاتٍ وعرة صعبة الاجتياز، حيث ضاعت كلُّ معالم الطريق هناك منذ مدّة طويلة. كان مدخله الشرقي سيوصلهم إلى مكانٍ يبعد مسيرة طويلة جنوب الجبل المنعزل. وذلك سيعرّضهم لأخطار رحلة طويلةٍ وصعبةٍ باتجاه الشمال عندما يصلوا إلى الجانب الآخر.

شمال الكاروك، تقترب حافّة ميركوود من حدود النهر العظيم، وعلى الرغم من أنّ تلك المنطقة قريبة من الجبال أيضاً. لكنّ بيورن نصحهم بهذا الطريق. فبعد مسيرة أيامٍ شمال الكاروك بؤابةٍ لطريقٍ غير معروفٍ عبر ميركوود يؤدّي مباشرةً إلى الجبل المنعزل. وأوضح بيورن لهم: الجوبلن لا يجرؤون على عبور النهر العظيم لمئة ميلٍ إلى الشمال من الكاروك ولا للاقتراب من بيتي، لأنه محمّيٌ جدّاً في الليل! لكن عليكم الركوب بسرعة. لأنهم إذا قاموا بغزوتهم قريباً، فسوف يعبرون النهر ويتجهون جنوباً ويمشّطون

حوائف الغابة حتى يقطعوا الطريق عليكم، وكما تعلمون فإن الوارج تجري أسرع من المهور. لذلك ستكونون في أمانٍ أكثر إذا اتجهتم صوب الشمال، على الرغم من أنه يبدو لكم وكأنكم تعودون إلى الاقتراب من معاقلهم، لكن سيكون هذا آخر شيء يتوقَّعون. وستكون أمامهم رحلة أطول للإمساك بكم. والآن انطلقوا بأسرع ما يُمكن!

لهذا ساروا في صمت، وحيثما الأرض عشبية ناعمة يحثون الخطى مسرعين. عن يسارهم كانت الجبال المظلمة، وعلى مسافة بعيدة أمامهم ظهر خط النهر بأشجاره التي أصبحت تقترب أكثر من أي وقت مضى. كانت الشمس قد بدأت بالميل نحو الغرب عندما بدؤوا مسيرهم، وبقيت ترسل أشعتها الذهبية على الأرض من حولهم حتى المساء. كان من الصعب عليهم التفكير في ملاحقة الجوبلن لهم، وبعدها قطعوا عدَّة لُميال عن بيت بيورن، بدؤوا في التحدُّث والغناء ثانيةً لنسيان أمر طريق الغابة المُظلم الذي ينتظرهم. وفي المساء عند حلول الغسق، حيث كانت قمم الجبال تُحدِّقُ إلى الشمس الغاربة. أقام الأتزام مخيمهم ونظَّموا الحراسة. نام مُعظمهم بقلق مع أحلامٍ زار أغلبها عواء الذئاب التي تلاحقهم مع صرخات الجوبلن. لكن حين بزغ فجر اليوم التالي كان مُشرقًا جميلًا من جديد.

كان هناك ما يشبه ضباب الخريف الأبيض يغطِّي وجه الأرض، وكان الهواء باردًا. سُرعان اختفى ذلك الضباب عندما أشرقت الشمس باللون الأحمر من الشرق، وبينما كانت لا تزال الظلال طويلةً، اختفت ثانيةً.

بعد ذلك ساروا لمدَّة يومين آخرين، وطوال الوقت لم يروا سوى الأعشاب والزهور والطيور والأشجار المتناثرة، وأحيانًا كانوا يرون أسرابًا صغيرة من الغزلان الحمراء ترعى أو تقبل ظهرًا في الظل. رأى بيلبو في بعض الأحيان قرون الإيل تبرز من بين الأعشاب الطويلة، في البداية ظنَّ أنها أغصان الأشجار اليابسة. في ذلك المساء الثالث، كانوا متحمسين جدًّا للتقدُّم بسرعة، لأن بيورن قال لهم: إنه ينبغي لهم الوصول إلى بوابة الغابة في وقتٍ مُبكرٍ من اليوم الرابع، لذلك لا زالوا مع حلول الغسق وفي أثناء الليل يتقدِّمون إلى الأمام

تحت أنوار القمر. وعندما تلاشى الضوء اعتقد بيلبو أنه رأى بعيدًا إلى اليمين أو اليسار، شكلًا غامضًا لدبٍ كبيرٍ يتحرَّك خلسةً في اتجاههم نفسه. وكلما تجرَّأ وذكر ذلك لجاندالف، كان الساحر يقول له: صه! لا تنتبه!

في اليوم التالي بدؤوا بالمسير قبل الفجر، رغم أن ليلتهم قد قُصرت. وبمجرّد انبلاج الضوء، تمكَّنوا من رؤية الغابة وكأنها قادمةٌ لملاقاتهم، أو كأنها تنتظرهم كسورٍ أسودٍ عابِسٍ يقف أمامهم. بدأت الأرض تأخذ منحنيًا صاعدًا شيئًا فشيئًا، وبدأ للهوبيت بأنَّ الصمت يُخيِّم عليهم. أصبح غناء الطيور أقل، لم يعد هناك غزلان، ولا يمكن حتَّى رؤية الأرناب.

بحلول فترة ما بعد الظهر وصلوا إلى مشارف ميركوود، هناك استراحوا لبعض الوقت تحت ظلال الأغصان الكبيرة البارزة لأشجارها الخارجية، كانت جذوعها ضخمة وكثيرة العُقد، وأغصانها مُتشابكة، وأوراقها قاتمة وطويلة. وقد نما عليها اللبلاب وتدلَّى منها حتَّى لامس الأرض.

قال جاندالف: حسنًا، هذه هي ميركوود! أعظم غابات العالم الشمالي. أتمنَّى أن يُعجبكم شكلها، أمَّا الآن فعليكم إعادة هذه المهور الفاخرة، لأنها كانت معكم على سبيل الإعارة.

جنح الأقرام إلى التذمُّر من هذا الطلب، لكنَّ الساحر أخبرهم بأنهم سيكونون حمقى لو احتفظوا بها، لأن بيورن ليس بعيدًا كما تعتقدون، ومن الأفضل أن تقفوا بوعودكم مهما كانت الظروف، فهو خصمٌ مؤدِّب. أعين السيِّد باجينز أكثر حدَّةً من أعينكم، لأنَّ أعينكم لم ترَ كلَّ ليلة بعد حلول الظلام دُبًا كبيرًا يرافقنا، أو يجلسُ بعيدًا في ضوء القمر، حيث كان يراقب مخيِّماتنا. ليس فقط من أجل إرشادكم وحراستكم، لكن ليبقي عينيه على مهوره أيضًا. قد يكون بيورن صديقًا لكم، لكنه يحبُّ حيواناته كثيرًا، فهمُ كالأولاد بالنسبة إليه. ولكم أن تُحْمَنوا مقدار حُسن الخُلق الذي أظهره، ليسمح للأقرام بامتطائها كلُّ هذه المسافة، وبأقصى سرعة ممكنة. على الجانب الآخر لكم أن تتخيَّلوا أيضًا ماذا سيحدث لكم، إن حاولتم اصطحابها إلى الغابة.

قال له ثورين: وماذا عن الحصان إذن؟ فلم تذكر أنك ستعيده.

قال جاندالف: لم أذكر شيئاً عنه، لأنني لن أعيده.

قال ثورين: وماذا عن وعدك إذن؟

قال جاندالف: سأحافظ على وعدي، لكن لن أعيده الحصان، لأنني سأبقى مُمتطيه!

عندما أدرك بيلبو والأقزام أن جاندالف سيتركهم عند حافة ميركوود، وكانوا في حالة من اليأس. لأنه لن يغيّر رأيه مهما ألحوا عليه.

قال لهم جاندالف: لقد تحدّثنا في هذا الموضوع مسبقاً، عندما نزلنا على كاروك. ولا فائدة من الجدل الآن. كما أخبرتكم في السابق، لديّ بعض المهام المُلحّة هناك في الجنوب، لقد تأخّرتُ بالفعل بسبب المشكلات التي حدثت معكم أيها الناس. قد نلتقي مرّة أخرى قبل أن ينتهي كلُّ شيء، وبالطبع قد لا نلتقي ثانيةً أيضاً. هذا يعتمد على حظّكم وشجاعتكم وحُسن تقديركم. وما أنا أرسل السيّد باجينز معكم. ولقد قُلت لكم من قبل، بأن لديه من الإمكانيات أكثر ممّا تتخيّلون، وستكتشفون ذلك قبل انقضاء فترةٍ طويلة. لذا تشجّع يا بيلبو ولا تبدو متجهّماً.

تشجّع يا ثورين أنت والصحبة! أولاً وأخيراً فهذه البعثة تخصّكم وحدكم، فكّروا بالكنز عند النهاية، وانسوا أمر الغابة والتنين، وعلى أيّ حال سأبقى معكم حتّى صباح الغد!

وعندما جاء صباح الغد، قال لهم الكلام نفسه.

وهكذا لم يبقَ لهم سوى ملء قريتهم من نبع صافٍ وجدوه بالقرب من بوابة الغابة، وتفريغ حمولة المهور. وقاموا بتوزيع الحزم عليهم، كلٌّ بحسب استطاعته، على الرغم أنّ بيلبو ظن أنّ نصيبه ثقيلٌ مضمّن، ولم تعجبه بتاتاً فكرة السير لأميال وأميال مع كلِّ هذه الأثقال على ظهره.

فقال له ثورين: لا تقلق! سيخفُّ وزن أحمالك عمّا قريب. وذلك عندما يبدأ الطعام في النفاذ، أتوقّع أننا سنتمنّى لو أن أحمالنا كانت أثقل.

في النهاية قالوا وداعاً لمهورهم، فأدارت المهور رؤوسها صوب المنزل، وراحوا يركضون بمرح، يبدو أنهم كانوا سعداء للغاية، لأن ذبولهم كانت تتجه

نحو ظلال ميركوود. ومع ابتعادهم. كان بإمكان بيلبو أن يُقسم بأنه رأى شيئاً مثل الدبّ يغادر ظلال الأشجار ويمشي مُسرّعاً خلفهم.

الآن جاء دور جاندالف ليقول لهم وداعاً. جلس بيلبو على الأرض وهو يشعر بالحزن الشديد، متمنياً لو يبقى بجانب الساحر على حصانه الطويل. فقد ذهب مباشرةً إلى الغابة بعد وجبة إفطارٍ شحيحة للغاية، بدا الظلام في كلِّ مكانٍ من الغابة فالصباحُ مثل الليل في الظلمة أضفّ إلا أنها ظلمة غامضة جدًّا. فقال في نفسه: كأنها نوعٌ من المراقبة والشعور بالانتظار.

قال جاندالف لثورين: إلى اللقاء! رافقتكم السلامة، وإلى لقاءٍ قريب!

طريقكم الآن يسير مباشرةً وبشكل مستقيم عبر الغابة. لا تبتعدوا عن المسار! وإذا جدتم عن المسار وضللتكم الطريق، فالرهان ألف إلى واحد ألا تعثروا عليه ثانيةً، ولن تخرجوا من ميركوود أبداً. وبعدها أعتقد أنه، لا أنا ولا أي شخصٍ آخر سيراكم مرّةً أخرى.

تأوه الهوبيت: وهل من الضروري عبور الغابة؟

قال الساحر: نعم، عليكم فعل ذلك! إذا كنتم تريدون الوصول إلى الجانب الآخر. عليكم المضي قُدماً أو التخلّي عن هذه المهمة نهائياً، وأنا لن أسمح لك بالتراجع الآن يا سيّد باجينز. وأنا خجلٌ بالفعل لأنك فكّرت بهذا الأمر. ثمّ تابع حديثه مبتسماً: عليك الاعتناء بهؤلاء الأقزام من أجلي.

قال بيلبو: لا! لا! لم أكن أقصدُ ذلك، بل ما قصدته هو، ألا يوجد طريق آخر يلتفُّ حول الغابة بدلاً من عبورها؟

أجاب جاندالف: نعم يوجد طريقٌ آخر، لكن عليك الابتعاد عن الطريق نحو الشمال لمسافةٍ منتهي ميل أو أكثر، أو ضعف تلك المسافة باتجاه الجنوب. وفي كلتا الحالتين لن تحصل على طريقٍ آمن. لا وجودٍ للطرقِ الآمنة في هذا الجزء من العالم يا صديقي الصغير.

هنا بدأ جاندالف يحذرهم من فكرة الالتفاف حول ميركوود والمصاعب التي ستلاقيهم لو فكروا بذلك: تذكّروا بأنكم تجاوزتم الآن حافة البرية، وأعدكم -قالها ساخراً- بأن تستمتعوا بشئى أنواعٍ المرح أينما ذهبتم.



قبل أن تتمكّنوا من الالتفاف حول ميركوود من الشمال، عليكم المرور مباشرةً بين منحدرات الجبال الرمادية، وهي ببساطة تعجُّ بنوع عنيف جداً من الجوبلن. وهو نوع الـ "هوب جوبلن" أو الجوبلن المُصَفَّح. بالإضافة إلى مخلوقات أخرى بتفاصيل أسوأ من ذلك بكثير.

أمّا إذا فكّرتم بالالتفاف حول ميركوود من الجنوب، فقبل أن تتمكّنوا من الالتفاف حولها من الجنوب، عليكم عبور أرض مستحضر الأرواح "نيكرومانسر". وحتىّ أنت يا بيلبو لست بحاجة إلى أن أخبرك بالمزيد عن حكايات ذلك الساحر الأسود. لذلك لا أنصحكم بالاقتراب من أيّ مكانٍ يُطلُّ عليه بُرجه الأسود! التزموا بمسار الغابة، وحافظوا على معنوياتكم مرتفعة، وتأملوا بالأفضل، مع نصيبٍ وافرٍ من الحظ قد تخرجون من هناك ذات يوم، لتجدوا أمامكم "لونج مارشيز" المستنقعات الطويلة واسعة الإمتداد، وخلفها في أعالي الشرق ستجدون الجبل المنعزل حيث يسكن العزير سموج العجوز. ومع ذلك أتمنى ألا يكون بانتظاركم هناك.

تذمّر ثورين وقال بسخرية: يجب أن تكون على يقين بأن حديثك هذا مُطمئن جداً. إذا كنت لا تنوي المجيء معنا فمن الأفضل أن تذهب دون المزيد من الكلام! الوداع يا جانداالف!

قال جانداالف: إلى اللقاء إذن، أتمنى لكم السلامة بالفعل! ثمّ أدار لجام حصانه وانطلق نحو الغرب. لكنه لم يستطع مقاومة إغراء أن تكون الكلمة الأخيرة له دائماً. وقبل أن يرحل عنهم ويصبح خارج نطاق السمع تماماً، استدار ووضع يديه حول فمه وناداهم، لكنهم سمعوا صوته خافتاً: إلى اللقاء! كونوا بخير، حافظوا على أنفسكم، ولا تحيدوا عن الطريق!

ثمّ تابع الجري بسرعة، وفي الحال خرج عن نطاق الرؤية. دمدم الأقرام متعزين: اذهب مع السلامة، كانوا غاضبين أكثر لأنهم شعروا فعلاً بالفراغ لفقدانه. فقد بدأ الآن الجزء الأخطر في الرحلة. تحمّل كلُّ واحدٍ منهم عبء ثقل الحزمة وقربة الماء اللتين كانتا من نصيبه، ثمّ استداروا تاركين خلفهم الضوء المنتشر على الأرض في الخارج، وغاصوا في غياهب الغابة.



## الفصل الثامن

### • ذباب وعناكب

ساروا في طابورٍ واحد. كان مدخل الطريق أشبه بقوس يؤدّي إلى نفقٍ كثيب صنعته شجرتان ضخمتان تميلان على بعضهما، كانتا قديمتين مخنوقتين باللباب، وقد تعلّقت الإشنيات على جذوعهما وأغصانهما فأنتجت أكثر من بضع أوراق ملوحة بالسواد. كان الطريق نفسه ضيقًا ويغور بين الأغصان من الداخل والخارج. بعد قليل أصبح الضوء عند البوابة خلفهم مثل ثقبٍ صغيرٍ يلمع من بعيد، كان السكون عميقًا لدرجة أنّ وقع أقدامهم بدا وكأن يضرب الأرض بقوة إلى الأمام، بينما كلُّ الأشجار كانت تميل لتستمع إليهم.

لم تلبث أعينهم مسلوحة الرؤية أن اعتادت العتمة، فأصبح بإمكانهم رؤية نطاق صغير في كلا الجانبين كبصيصٍ أخضر داكن.

من حينٍ لآخر وبيعض الحظ كان يتسلّل من خلال الفتحات الموجودة بين الأوراق في الأعلى شعاعٌ رفيعٌ من نور الشمس. أمّا من كان لديه الحظ الأكبر

فكان ينزل رقيقًا مشرقًا أمامهم دون أن تحجبه الأغصان المتشابكة والفروع المتعرجة التي تحتها. لكن هذا كان نادرًا، وسرعان ما توقف كليًا.

كانت هناك أيضًا سناجب سوداء. بما أن أعين بيلبو الحادة المحببة للاستطلاع متمرسة على رؤية الأشياء الدقيقة. فقد استطاعت التقاط لمحات من حركة هذه السناجب وهي تبتعد عن الطريق لتغيب خلف جذوع الأشجار. كانت هناك أصوات غريبة أيضًا، همهمات، شجارات، وتحركات سريعة بين الشجيرات الصغيرة وأوراق الأشجار المتراكمة بكثافة لا نهائية على أرضية الغابة. لكنه لم يرَ من الذي كان يصنع تلك الضوضاء.

أما بيوت العناكب فكانت من أبغض الأشياء التي رأوها في الغابة، حيث كانت كثيفة قاتمة وذات خيوطٍ غليظةٍ للغاية، وغالبًا ما كانت تمتدُّ من شجرةٍ لأخرى، أو تتشابك مع الأغصان السفلية من كلا الجانبين. مع ذلك فلم تمتدَّ أي شبكة منها لتعترض الطريق، لكنهم لم يعرفوا إن كانت قد أبعدت عن الطريق هكذا، بسبب سحرٍ ما، أو لأيِّ سببٍ آخر.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتَّى كرهوا الغابة من صميم قلوبهم كما كرهوا من قبلها أنفاق الجوبلن، بل بدت أكثر امتدادًا وأقل أملًا من أيها. لكن كان عليهم أن يستمرُّوا. بعد فترةٍ طويلة أصبحوا متلهِّفين لنظرةٍ نحو الشمس أو السماء، وتواقين إلى الإحساس بنسمات الهواء وهي تُداعب وجوههم ثانية. فلم يكن هناك أي حركةٍ للهواء تحت سقف الغابة، إذ لا يزال قاتمًا، خانقًا، وساكنًا على نحوٍ مُملٍّ. حتَّى الأقرام المعتادون على الأنفاق، والعيش لفتراتٍ طويلةٍ تحت الأرض من دون ضوء الشمس، شعروا بضيق الهواء وقلة ضوء الشمس. أما الهوبيت، الذي يُحبُّ الحُفْر ليصنع منها منزلًا، إلا أنه لم يكن يمضي فصل الصيف فيها، فقد شعر أنه يختنق ببطء.

كانت الليالي أسوأ، فقد أصبحت حالكة، ليس كتلك التي تسودها ظلمة حالكة، إنما كانت بالفعل سوداء كالقار، سوداء لدرجة أنك لا تستطيع فعلًا رؤية أي شيء.

حاول بيلبو تحريك يده من أمام أنفه، لكنه لم يستطع رؤيتها على الإطلاق، حسناً، ربما ليس صحيحاً إذا قلنا إنهم لا يستطيعون رؤية أي شيء، كان يمكنهم رؤية الأعين. كانوا ينامون متجمّعين قرب بعضهم، ويتناوبون على الحراسة، وعندما جاء دور بيلبو، كان يرى ومضاتٍ في الظلام تُحيطُ بهم، وفي بعض الأحيان كانت أزواجاً من الأعين الصفراء أو الحمراء أو الخضراء تُحدّق إليهم من مسافةٍ قريبة، ثمّ تتلاشى ببطء وتختفي ومن ثمّ تلمع ببطء ثانية، لكن من مكانٍ آخر. وأحياناً كانت تلك الأعين تلمع من الأغصان التي فوقهم مباشرة. كان ذلك الأمر مُرعباً جداً. لكن الأعين التي لم يرَ مثلها من قبل أقلُّ ما يُقال عنها إنها نوعٌ من الأعين الفظيعة الشاحبة المنتفخة. فكّر بينه وبين نفسه، إنها أعين حشرات، وليست أعين حيوانات، لأن أعين الحيوانات أكبر بكثير.

على الرغم من أنّ الجوَّ لم يكن بارداً بعد، فقد جرّبوا إشعال نارٍ للحماية في الليل، لكن سرعان ما تخلّوا عن تلك الفكرة، لأنها جلبت مئات ومئات الأعين التي أحاطت بهم، مع العلم -أيّاً كانت هذه المخلوقات- فقد حرصت على عدم إظهار أجسادها ضمن دائرة الضوء المنبعث من ألسنة اللهب الصغيرة. والأسوأ من ذلك كلّهُ أن النار جلبت عليهم الآلاف من الفراشات الرمادية الغامقة والسوداء، بعضها كان تقريباً بحجم اليد، حيث كانت ترفرف وتدور حول آذانهم، فلم يتمكّنوا من تحمّل ذلك، ولا تلك الخفافيش السوداء الضخمة والتي كانت بحجم القبعة أيضاً، لذلك أطفأوا النار وجلسوا وقد غلبهم النعاس في الظلمة الهائلة لذلك الليل الخارق للطبيعة.

استمرَّ كلُّ هذا لما بدا للهوبيت وكأنه قد مرّت عليهم عصورٌ وعصور وهم في الغابة، وكان جائعاً دوماً، لأنهم كانوا حريصين على ألا يُفِرطوا في مؤونتهم. مع ذلك، ومع تعاقب الأيام، بقيت الغابة تبدو على حالها، وبدأ القلق يتسرّب إليهم. فالطعام لن يدوم إلى الأبد، بل بدأ -بالفعل- بالانخفاض. حاولوا اصطياد بعض السناجب، لكنهم أضاعوا العديد من السهام قبل أن ينجحوا في إسقاط أحدها على الطريق. لكن بعد الشواء تبين لهم أن طعمه سيئٌ للغاية، ومن بعدها لم يحاولوا اصطياد السناجب قط.

كانوا عطشى أيضًا، فلم يكن لديهم الكثير من الماء، وفي خلال فترة وجودهم في الغابة لم يروا فيها نبعًا ولا جدولًا. هذه كانت حالتهم عندما وجدوا في أحد الأيام أنّ مياهًا جاريةً تقطع طريقهم، كان نهرًا يتدفق بقوة وبسرعة، لكنه لم يكن بذلك الاتساع في المنطقة التي يقطع فيها الطريق، كان نهرًا أسود، أو هكذا بدا لهم في الظلمة. من الجيد أن بيورن كان قد حدّثهم منه، وإلا لكانوا شربوا منه، مهما كان لونه، وملأوا بعض قربهم الفارغة على ضفافه. لذلك فلم يفكروا سوى في كيفية عبوره دون أن يبللوا أجسادهم بمياهه. في ما مضى كان هناك جسرٌ خشبي منصوبٌ فوقه، لكنّ السوس والعفن كانا قد نخرًا لبَّ أخشابه فسقط جزء كبيرٌ منه ولم يبقَ منه سوى الأعمدة المُتكَسِّرة بجانب الضفة.

ركع بيلبو على حافة النهر ونظر محدقًا إلى الأمام ثمّ صاح: هناك قاربٌ مقابل الضفة الأخرى! ثمّ تابع كلامه بشيءٍ من التمني: لماذا لم يكن على هذا الجانب الآن!

سأله ثورين: باعتقادك كم يبعد عنّا؟ فقد أيقنوا الآن أنّ بيلبو أخذهم بصرا. أجابه بيلبو: ليس بعيدًا على الإطلاق، ولا أعتقد أنه يزيد على اثنتي عشرة ياردة!

قال ثورين: توقّعت أن يكون على بُعد ثلاثين ياردة على الأقل، لكنّ عيني لم تعدوا تُبصران كما كانتا قبل مئة سنة. مع ذلك لا تزال مسافة اثنتي عشرة ياردة كبيرة، فهي بالنسبة إلينا الآن وكأنها ميل، فلا قدرة لنا على قفز كل هذه المسافة، ولا نجرؤ بالمقابل على محاولة الخوض في الماء أو حتّى السباحة.

قال بيلبو: هل يوجد بينكم من يمتلك مهارةً في رماية الحبل؟

قال ثورين: وما الفائدة من ذلك؟ من المؤكّد أنّ القارب مربوط، حتّى لو تمكّنًا من تعليق الحبل به، لذلك أنا أشكّ في جدوى هذه الفكرة.

قال بيلبو: لا أعتقد أنه مربوط، على الرغم من أنني لا أستطيع التأكّد بالطبع في هذا الضوء الشحيح، لكنه يبدو لي كما لو أنه سُحِبَ فقط نحو تلك الضفة المنخفضة هناك فقط، حيث ينخفض المسار ليلاقى المياه.

قال ثورين: دوري هو الأقوى، لكنَّ فيلي هو الأصغر سنًا وما زال يتمتّع بأفضل بصر بيننا. تعالَ إلى هنا يا فيلي، وانظر إذا كان بإمكانك رؤية القارب الذي يتحدّث عنه السيّد باجينز.

اعتقد فيلي أنه يستطيع الرؤية، لذلك عندما حدّق لفترة طويلة فقط ليأخذ فكرة عن الاتجاه الصحيح، أحضر له الآخرون حبلًا. كان معهم الكثير من الحبال، وعلى النهاية الممدودة للحبل قاموا بتثبيت واحدٍ من الخطّافات الحديدية الكبيرة التي كانوا يستخدمونها في تعليق حقايبهم بالأحزمة حول أكتافهم. أخذ فيلي هذا الحبل في يده، وازنه للحظة، ثمّ قذفه فوق الجدول.

فحاض الحبل ساقطًا في الماء! قال له بيلبو الذي كان يحدّق إلى الأمام: لم يكن بعيدًا كثيرًا، لقد وقع على بعد قدمين من القارب. حاول مرّةً أخرى. ولا أعتقد أن السحر الموضوع عليه قويٌّ بما يكفي ليؤدّيك، إذا لمست القليل من الحبل المُبلّل.

سحب فيلي الحبل إلى الخلف والتقط الخطّاف، بشيءٍ من الريبة مثله مثل الآخرين. وفي هذه المرّة ألقى به بقوة أكبر.

قال بيلبو: ثبّته هكذا! لقد تعدّى القارب ووصل إلى الضفّة الأخرى. والآن اسحبه برفق. سحب فيلي الحبل ببطء، وبعد فترةٍ قال له بيلبو: انتبه! إنه يتسلّق على القارب، دعونا نأمل أن يتعلّق الخطّاف بالقارب.

لقد تعلّق الخطاف بالقارب فعلاً، ولكن عبثًا حاول فيلي سحبه، جاء كيلى لمساعدته ثمّ أوين وجلوين. شدّوا وسحبوا، ثمّ فجأة سقطوا جميعًا منقلبين على ظهورهم. في تلك الأثناء كان بيلبو يراقب، لذلك استطاع الإمساك بالحبل، وصدّ القارب المندفع نحوه عبر الجدول بعضًا صغيرة وهو يصيح: ساعدوني! وفي الوقت المناسب تمكّن بالين من الاستيلاء على القارب قبل أن تسحبه مياه التيار.

قال بيلبو وهو ينظر إلى الحبل المقطوع المتدلّي من القارب: لقد كان مربوطًا بالفعل. لقد كانت عملية السحب جيدة يا رفاقي، وعملٌ جيدٌ أنّ حبلنا كان الأقوى.

ثمَّ سأل بيلبو: مَنْ سيَعبر أولاً؟

قال ثورين: سأعبر أنا، وستأتي معي أنت وفيلي وبالين. هذا هو العدد الذي يستطيع القارب حمله في كلِّ مرّة. بعدنا يأتي كيلبي وأوين وجلوين ودوري، ومن بعدهم أوري ونوري، بيفور وبوفور، وبالأخر يأتي دوالين وبومبور.

قال بومبور متذمّراً: دائماً أكون الأخير، أنا لا أحبُّ هذا، اليوم يجب أن يكون الدور على شخصٍ آخر غيري.

قال له ثورين: يجب ألا تكون سميناً جداً كما هو حالك الآن، حتّى لا تكون مع آخر حمولة للقارب وأخفّها. لا تبدأ بالتذمّر ضد الأوامر، وإلا سيحدث لك شيء سيئ.

سأل بيلبو: كيف سندفع القارب إلى الضفّة البعيدة ولا توجد معنا أي مجاديف؟

قال فيلي: أعطوني حبلاً آخر أطول من الأول وأعطوني معه خطأفاً آخر أيضاً، وعندما جهّزوه، رماه بأقصى ما يستطيع إلى الأمام باتجاه الظلمة. ونظراً لأنهم لم يسمعوا صوت سقوطه على الأرض، فقد أدركوا بأنه يجب أن يكون قد علق في الأغصان.

قال فيلي: الآن انزلوا إلى القارب، وليسحب أحدكم الحبل العالق في الشجرة على الجهة الأخرى. وعلى شخصٍ آخر الاحتفاظ بالخطّاف الذي استخدمناه في البداية. فعندما نصل بأمانٍ إلى الضفّة الأخرى، يقوم بتثبيت الخطّاف بالقارب لكي يتمكّن الباقون هنا من سحب القارب وإرجاعه ثانيةً. بهذه الطريقة وصلوا جميعاً بأمان وفي خلال فترةٍ قصيرة إلى الضفّة البعيدة إلى الجدول المسحور.

بينما كان دوالين يشقُّ طريقه نحو القارب بسحب الحبل الملفوف على ذراعه، وبومبور الذي ما زال يتذمّر وهو يستعدُّ للحاق به، حدث شيء سيئ. كان هناك على الطريق أمامهم صوت حوافر طائرة. وفجأة ظهر من العتمة جسد غزالٍ طائر، انقضّ على الأقزام فأوقعهم أرضاً، ثمَّ استجمع نفسه وقفز.



انطلق عاليًا وقد اجتاز الماء بقفزة عظيمة. لكنه لم يصل إلى الضفة الأخرى بأمان.

كان ثورين هو الوحيد الذي بقي مُحافظًا على قدميه وفطنته. بمجرد هبوطه على الأرض كان قد ثنى قوسه ووضع سهمًا تحسبًا لأي ظهور مفاجئ لحارس مخفيٍ للقارب. فأرسل في الحال رمية سريعة وناجحة صوب هذا الوحش القافز. لذلك عندما وصل الغزال إلى الضفة الأخرى ترنح في مشيته وابتلغته الظلال. إلا أنهم سمعوا صوت حوافره تتعثر بسرعة ثم تهدأ.

قبل أن يتمكنوا من الإشادة برمية ثورين، كان يبلبو يُخرج عويلاً مروّعًا، جعلهم يزيلون لحم الغزال من أذهانهم، حيث صرخ: لقد سقط بومبور! بومبور يفرق! وبالفعل كان ذلك. إذ لم يكن بومبور قد وضع سوى قدم واحدة على الأرض عندما نطحهم الأيل وهو يقفز من فوقهم. فتعثر بومبور، دافعًا القارب بعيدًا عن الضفة، وانقلب ساقطًا في الماء المُظلم، ولم تتمكن يده من التمسك بالجذور اللزجة عند الحافة، بينما انسحب القارب ببطء واختفى عن الرؤية.

وعندما ركضوا نحو حافة الضفة، كان لا يزال بإمكانهم رؤية قلسوته تعوم فوق الماء.

وفي الحال ألقوا نحوه حبلاً بخطاف، فأمسكته يده، ثم سحبوه إلى الشاطئ. لقد كان مبللًا من رأسه حتى أخمص قدميه، لكن بالطبع لم يكن هذا هو الأسوأ. عندما وضعوه على الضفة كان غارقًا في النوم، وكانت إحدى يديه مطبقة على الحبل بقوة لدرجة أنهم لم يستطيعوا تخليصه من قبضته، بقي غارقًا في النوم بالرغم من كلِّ محاولاتهم الفاشلة لإيقاظه.

كانوا لا زالوا متحلقين فوقه، يلعنون سوء حظهم وحماقات بومبور، متأسفين على فقدان القارب الذي جعل من المستحيل عليهم العودة والبحث عن الأيل. في تلك الأثناء سمعوا أصواتًا خافتة لأبواقٍ تُنفخ في الغابة بالإضافة إلى صوت كلابٍ تنبح من بعيد.

عندها جلسوا لفترةٍ طويلةٍ ولم يجرؤوا على التحرك. بينما بومبور كان يغطُّ في نومه العميق والابتسامه تملو وجهه السمين، وكأنه لم يعد يهتمُّ بكلِّ المشكلات التي تُزعجهم.

فجأة ظهر على الطريق أمامهم بعض الغزلان البيضاء، كانت غزالة مع ظبائها بلونهم الأبيض كالثلج، كما كان لونُ الأيل أسود، كانوا يلمعون في الظلال. انتبه ثورين لهم وقبل أن يتمكَّن من قول شيء، كان ثلاثةٌ من الأقرام قد وقفوا على أقدامهم وأطلقوا السهام من أقواسهم. لكن يبدو أنَّ أحدًا لم يُصب الهدف. فاستدار الغزلان واختفوا بين الأشجار بصمتٍ كما جاؤوا، وعبثًا أطلق الأقرام السهام خلفهم، فصرخ عليهم ثورين: توقّفوا! توقّفوا! لكن بعد فوات الأوان، فقد أهدر الأقرام المتحمِّسون سهامهم الأخيرة دون جدوى، والآن أصبحت الأقواس التي أعطاها إياها بيورن بلا فائدة.

كانوا مجموعة كئيبة في الليل، حيث ما زالت العتمة تتجمّع متكاثفةً عليهم في الأيام التالية. لقد عبروا الجدول المسحور، وبدا المسار بعده مُتشابكًا كما كان من قبل، ولم يروا أي تغيير في الغابة من حولهم. مع ذلك، لو كانوا يعرفون أكثر عن الغابة، وتمعنوا في دلالة رحلة الصيد والغزلان البيضاء التي ظهرت لهم على الطريق، لكانوا عرفوا أنهم يتجهون نحو الحافة الشرقية للغابة، وبأنهم كانوا سيصلون قريبًا - لو استطاعوا المحافظة على شجاعتهم وآمالهم- إلى أشجارٍ أقلُّ ضخامةً وأماكن مضاءةً بالشمس من جديد.

لكنهم لم يكونوا على درايةٍ بكلِّ ذلك، أضف إلى أنهم كانوا مثقلين بجسد بومبور الثقيل، الذي كان عليهم أن يحملوه بأفضل ما في وسعهم، وقد تناوب أربعةٌ منهم في كلِّ مرّةٍ على هذه المهمة المُرهقة، بينما كان الآخرون يتقاسمون حقائبهم وأحمالهم. والتي لو لم تكن انخفضت أوزانها في الأيام الماضية لكان من الصعب عليهم التصرّف فيها بهذا الوضع. لكن حمل بومبور المبتسم النائم لا يمكن مقارنته مع حمل الحقائب المملوءة بالطعام مهما كانت ثقيلة. في غضون أيامٍ قليلة، جاء الوقت الذي لم يتبقَّ فيه عمليًا أي شيءٍ للأكل أو الشرب.

على الرغم من أنه، لا يمكن رؤية أي شيء مُفيد ينمو في الغابة، فلم يكن هناك سوى الفطريات والأعشاب ذات الأوراق الشاحبة والروائح الكريهة.

تقريبًا بعد مرور أربعة أيام على عبورهم للجدول المسحور، وصلوا إلى الجزء الذي كانت معظم الأشجار فيه من نوع الزان. في البداية كانوا مياّلين إلى مشاعر الفرح بسبب التغيير، فلم يكن هناك شجيرات صغيرة ولم تكن الظلال عميقة جدًا.

كان يحيط بهم ضوء أخضر، وكان بإمكانهم رؤية الأماكن المحيطة بالمسار من كلا الجانبين وعبر مسافة جيدة. لكن هذا الضوء لم يظهر لهم سوى عددٍ لا نهائي من صفوف الجذوع الرمادية المستقيمة التي تُشبه أعمدة إحدى القاعات الضخمة الغامضة.

كانت هناك نسمة في الهواء وصوت ريح حزينة. سقطت بعض أوراق الشجر بخفةٍ لتُذكّرهم بقدم فصل الخريف. كانت خطوات أقدامهم تخشخش بين أعدادٍ لا نهائيةٍ من الأوراق الميتة للكثير من فصول الخريف السابقة، التي كنست الريح أوراقها فوق ضفافٍ طريقيٍ من بساطٍ أحمر داكن في الغابة.

ما زال بومبور نائمًا وأصبح البقية مرهقين جدًا. أحيانًا كانوا يسمعون أصوات ضحكاتٍ مُقلقة. وفي أحيانٍ أخرى كانت هناك أيضًا أصوات غناء بعيد. كان الضحك يأتي من أصواتٍ جميلة لا يبدو أنها للجوبلن، والغناء جميلٌ أيضًا، لكن بدا وكأنه غريبٌ وغير معروف، مع ذلك لم يشعروا بالراحة، بل أسرعوا بالخروج من هذه الأنحاء بما تبقى لديهم من قوة.

بعد يومين وجدوا أن طريقهم يتجه نزولًا نحو الأسفل، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى وجدوا أنفسهم ضمن وادٍ ممتلئٍ عن آخره تقريبًا بأشجار البلوط الهائلة الحجم.

قال ثورين غاضبًا: أليس هناك نهاية لهذه الغابة اللعينة؟ ليتسلق أحدكم شجرة ما، ويرى إن كان بإمكانه رفع رأسه فوق السطح لإلقاء نظرةٍ إلى ما حولنا. والطريقة الوحيدة هي في اختيار أطول شجرةٍ تُشرف على المسار.

بالطبع بما أنه قال أحدكم، فهذا يعني أنَّ المقصود هو بيلبو، لقد اختاروه، لأنَّ المُتسلِّق يجب أن يكون قادرًا على رفع رأسه فوق الأوراق العلوية، ولتكون مغامرته ذات فائدة. لذا يجب أن يكون خفيفًا بدرجة كافية لكي تتحمَّله الأغصان الرفيعة في الأعلى. لم يكن لدى السيِّد باجينز المسكين الكثير من الخبرة في تسلُّق الأشجار، لكنهم رفعوه إلى أدنى أغصان شجرة بلوطٍ ضخمة نمت في الطريق، وما فوق ذلك كان عليه الذهاب لوحده بأفضل ما في وسعه. شقَّ طريقه بين الأغصان المتشابكة بعد أن تلقَّى الكثير من وخز أغصانها في عينيه، أصبح بيلبو مُتسخًا باللون الأخضر من اللحاء القديم للأغصان الأكبر، وفي أكثر من مرَّة انزلقت قدمه لكنه كان يتمسِّك بالأغصان في الوقت المناسب، وأخيرًا، بعد كِفاحٍ مرير في مكانٍ صعب، حيث بدأ أنه لا توجد هناك قرب القمة أغصان مناسبة على الإطلاق للوقوف عليها، وطوال الوقت كان يتساءل عمَّا إذا كان هناك عناكبٌ في الشجرة، وكيف سينزل عن الشجرة (باستثناء السقوط طبيعيًا).

في النهاية قام بحشر رأسه فوق سقف الأوراق، فوجد عناكب بالفعل. لكنها كانت عناكب صغيرةً بأحجامٍ طبيعية، وكانوا يلاحقون الفراشات. كاد الضوء يعمي عينيه. ومن مكانه كان يستطيع سماع الأقرام وهم يصرخون له من تحت، لكنه لم يستطع الردَّ عليهم، فقط تمسَّك جيدًا وأغمض نصف عينيه. كانت الشمس متألقة الإشراق، ومضى الكثير من الوقت حتَّى استطاع تحمُّل أشعتها. وعندما استطاع فتح عينيه أكثر رأى نفسه مُحاطًا ببحرٍ من اللون الأخضر الداكن، يتلاطم هنا وهناك بفعل النسيم، وكان هناك الكثير من الفراشات في كلِّ مكان. أتوقَّع أنهم من أنواع الإمبراطور الأرجواني، فذلك النوع يحبُّ قمم أشجار البلوط، لكن ليس كلهم بلونٍ أرجواني، بل كانوا أغمق، أسود مخملي غامق من دون علامات أخرى يمكن رؤيتها عليهم. راح ينظر لفترةٍ طويلة إلى فراشات الإمبراطور الأسود، مستمتعًا بمداعبة النسيم لوجهه وشعره، لكن نداءات الأقرام أيقظته من غفلته، بعد أن كانوا ببساطة، يحتجُّون بفارغ الصبر وهم ينتظرونه هناك بالأسفل، ويذكِّرونه بمهمته الأساسية التي سعد من أجلها، لم يكن ما شاهده جيدًا. حدِّق بأقصى ما يستطيع، لكنه لم يرَ

نهايةً لتلك الأشجار والأوراق في أيّ اتجاه. كان قلبه قد انتعش لرؤية الشمس وملامسة نسائم الهواء. فغرق مرّةً أخرى في الاسترخاء حتّى أخمص قدميه وقال محدثًا نفسه: لا يوجد طعام للعودة إليه هناك في الأسفل.

في الواقع كما أخبرتكم من قبل، لم يكونوا بعيدين عن حافة الغابة. فلو كان لدى بيلبو الموقع الصحيح لكان شاهدها، فالشجرة التي تسلّقها، صحيح أنها كانت طويلةً بحدّ ذاتها، لكنها كانت تقف بالقرب من قاع وادٍ واسع، لذلك بدا منظر بقية الأشجار من قممتها وهي ترتفع إلى الأعلى من كلّ الجهات المحيطة بها مثل حواف وعاء كبير، ولم يكن بإمكانه توقّع رؤية مدى استمرارية الغابة. ومع ذلك لم يرها، فنزل يائسًا. وصل إلى القاع أخيرًا مليئًا بالخدوش والحرارة الزائدة والبؤس. ولم يستطع رؤية أي شيء في العتمة عندما وصل إلى هناك. وسرعان ما أصبح الآخرون بائسين مثله بعد أن سمعوا تقريره حول المنظر هناك في الأعلى.

صاحوا به وكأن ذلك ذنبه: مهما فعلنا، فالغابة تستمرُّ بلا نهاية في كلّ الاتجاهات! وماذا كانت الفائدة من إرسال الهوبيت إلى الأعلى! ولم يعطوا بالألبنة إلى حديثه عن الفراشات، ولم يعضبوا إلا عندما أخبرهم عن نسمات الهواء العليل هناك في الأعلى، فقد حالت أوزانهم الثقيلة بينهم وبين التسلّق إلى قمة الأشجار للحصول على هذا الإحساس.

في تلك الليلة أكلوا آخر فتات الطعام المتبقية معهم، وفي الصباح التالي عندما استيقظوا من النوم، أول شيء لاحظوه هو أنهم لا زالوا يعانون من الجوع الشديد، والشيء الثاني هي أنها كانت تُمطر، كانت قطرات المطر هنا وهناك تتساقط بغزارة على أرض الغابة. وذلك ذكّرهم بأنهم عطشى أيضًا، دون أن يكون بمقدورك فعل شيء للتخفيف من حدّة هذا العطش، فلا يمكنك إرواء ظمأ رهيب بالوقوف فقط تحت أشجار البلوط العملاقة وانتظار الفرصة لتسقط قطرة ماء من خلالها على لسانك. أمّا الراحة الوحيدة التي حصلوا عليها في ذلك الصباح فقد جاءت بغنّة من بومبور.

استيقظ فجأة وجلس يحكُّ رأسه. لم يستطع تحديد مكانه مُطلقاً، ولا سبب شعوره بالجوع الشديد، لأنه نسي كلَّ ما حدث معه منذ بداية الرحلة في صبيحة ذلك اليوم من شهر أيار الماضي. آخر شيء تذكَّره هو الحفلة في بيت الهوبيت، وواجهوا صعوباتٍ كبيرة في محاولة إقناعه بحكاية كلِّ المغامرات التي مرُّوا بها منذ ذلك الحين وإلى الآن.

جلس يندب وينوح عندما علم أنه لا يوجد معهم أي شيء للأكل، فقد كان يشعر بضعف شديد ورجفة في ساقيه. ثمَّ صرخ: لماذا استيقظت! لقد كنت أحلم بأشياء جميلة. لقد حلمت بأنني أسير في غابة مثل هذه، لكنها كانت مضادةً بالمشاعل المعلقة على الأشجار، والمصابيح المُدلاة من الأغصان، والنار الموقدة على الأرض، كانت تُقام هناك وليمة عظيمة مستمرة، مستمرة إلى الأبد. كان هنالك أيضاً ملك الغابة الذي يضع على رأسه تاجاً من أوراق الأشجار، وكان هناك غناءً ومرحٌ كثير، لم أستطع عدُّ أو وصف كلِّ أصناف الطعام والشراب الموجودة هناك.

فقال له ثورين: لست بحاجة إلى العدِّ أو الوصف، في الحقيقة، إذا كنت لا تستطيع التحدُّث عن شيء آخر، فمن الأفضل أن تبقى صامتاً. نحن مُزعجون منك ومن نومك بما فيه الكفاية. لو لم تستيقظ، كنَّا سنتركك في الغابة لأحلامك البلهاء، لم يكن حملك بالأمر الهينَّ خاصَّة بعد أسابيع من شح الطعام.

لم يكن أمامهم سوى شدِّ الأحزمة حول البطون الفارغة، وحمل أكياسهم وصُررهم الفارغة. مشوا بتناقلٍ على طول المسار دون أملٍ كبير في الوصول إلى النهاية، قبل أن يموت جميعهم من الجوع. بقوا على هذه الحال طوال اليوم، حيث كانوا يسرون بضجرٍ وبطءٍ شديدين. بينما ظلُّ بومبور ينوح من أنَّ ساقيه لم تعودا تحملانه وأنه يريد الاستلقاء والنوم.

قالوا له: لا تفعلها! دع ساقيك تأخذ نصيبهما، لقد حملناك بما فيه الكفاية. على الرغم من كلِّ ذلك فقد رفض فجأة أن يخطو خطوة أبعد وألقى بنفسه على الأرض. ثمَّ قال: إذا كان عليكم المسير هكذا فتابعوا لوحكم، أمَّا

أنا فسأستلقي هنا وأنام وأحلم بالطعام، فإذا لم أستطع الحصول عليه بأي طريقةٍ أخرى، فأتمنى ألا أستيقظَ مرّةً أخرى.

في تلك اللحظة صاح بالين الذي كان متقدّمًا عنهم قليلاً: ما هذا؟ أعتقد أنني رأيت وميضًا من الضوء في الغابة.

نظر الجميع، فرأوا وميضًا أحمر في العتمة يلمع من جهة بعيدة نوعًا ما. ثمّ ظهر بجانبه بريق آخر وآخر. حتّى إنّ بومبور نهض، وأسرعوا كلهم باتجاه الضوء، غير مهتمّين، أكان ذلك ضوء غيلان أو جوبلن. كان الضوء يأتي من أمامهم عن يسار الطريق، وعندما وصلوا أخيرًا إلى سويته، بدا واضحًا أن تلك المشاعل والنيران كانت تشتعل تحت الأشجار، لكنها كانت على مسافةٍ جيدةٍ منهم.

قال بومبور وقد جاء لاهثًا خلفهم: يبدو أن آحلامي أصبحت حقيقة. كان يريد الاندفاع مباشرةً باتجاه الأنوار. لكنّ الآخرين تذكّروا تحذيرات بيورن والساحر لهم، فقال ثورين: لن تكون الوليمة جيدة إذا لم نعد منها أحياء.

لكن من دون وليمة لن نبقى على قيد الحياة لفترة أطول على أي حال، هذا ما قاله بومبور وكان يلبو قد وافقه بقوة. تجادلوا كثيرًا مع أو ضد تلك الفكرة، حتّى اتفقوا بعد مدّة على إرسال اثنين منهم للتجسس، مهمّتهما هي في التسلّل بالقرب من الأضواء واستكشاف المزيد عمّا يجري هناك. لكن بعد ذلك لم يتمكّنوا من الاتفاق على مَنْ سيُرسل، فلم يكن أحدًا من بينهم مثلهنّما هي لفرصة الضياع وعدم العثور على أصدقائه مرّةً أخرى. في النهاية، ورغم التحذيرات، كان الجوع حاسمًا، إذ استمرّ بومبور في وصف كل الأطعمة الشهية -وفقًا لحلمه - في وليمة الغابة. لذلك ترك الجميع طريقهم وغاصوا في الغابة معًا.

بعد قدرٍ كبيرٍ من التسلّل والزحف حول جذوع الأشجار والنظر إلى فسحةٍ مسطحةٍ وخاليةٍ من الأشجار. كان هناك أناسٌ كُثُر، يبدو أنهم من شعب الجان، يرتدون ملابس خضراء وبنية، يجلسون بحلقةٍ دائريةٍ كبيرة على دوائر مقصوفة من جذوع الأشجار. كان هناك نارٌ في وسط الحلقة ومشاعل

مُنْبَتة على بعض الأشجار المحيطة بهم، لكن أروع مشهدٍ على الإطلاق، كان رؤيتهم وهم يأكلون ويشربون ويضحكون بسعادة.

رائحة اللحم المشويِّ كانت ساحرةً للغاية، لدرجة أنهم لم ينتظروا للتشاور مع بعضهم بعضاً، بل نهض كلُّ واحدٍ منهم مندفعاً باتجاه الحلقة الكبيرة وفي رأسه فكرة واحدة تتمثل فقط في طلب بعض الطعام. لم تكد تدخل أولى خطواتهم ضمن الفسحة الدائرية جئى انطفأت جميع الأنوار كما لو كان ذلك بفعل السحر.

قام أحدهم بركل النار، فانطلقت كأسهم نارية متلائيةً بالشرر ثم اختفت. لقد اختفوا في الظلمة الحالكة ولم يتمكّنوا من العثور على بعضهم بعضاً، لم يستمر هذا الوضع لفترةٍ طويلةٍ على أي حال. فبعد التخبُّط بشكلٍ محمومٍ في الظلام، والسقوط فوق الحطب، والارتطام المفاجئ بالأشجار، والصراخ والنداء التي ربما أيقظت كل شيءٍ حيٍّ في الغابة على بعد أميالٍ منهم. أخيراً تمكّنوا من تجميع أنفسهم في حزمة واحدة وأحصوا أنفسهم عن طريق اللمس. في ذلك الوقت كانوا قد نسوا تماماً في أي اتجاه يكمن المسار. فقد كانوا ضائعين بشكلٍ ميؤوس منه، بقوا على تلك الحال على أقل تقدير حتّى الصباح.

لم يفعلوا شيئاً حيال ذلك، سوى الجلوس طوال الليلة التي وصلوا فيها إلى الفسحة، لم يجرؤوا حتّى على البحث عن بقايا الطعام على الأرض خوفاً من الانفصال عن بعضهم مرّةً أخرى. لكنهم لم يستلقوا لفترةٍ طويلة، فقط يلبو هو من كان يشعر بالنعاس، عندما همس دوري والذي كان دوره في المراقبة أولاً، بصوتٍ مسموع: الأضواء تشتعل ثانيةً من هناك، وهناك أيضاً أضواء أخرى كثيرة. حتّى قفزوا جميعاً، هناك بالتأكيد، كانت هناك عشرات الأضواء المتلائية غير البعيدة عنهم، فقد كان بإمكانهم سماع الأصوات والضحكات بوضوح تام.

تسلّلوا ببطء نحوهم، في خطٍ واحد، وكلُّ واحدٍ منهم كان يلامس ظهر الذي يسير أمامه. وعندما اقتربوا منهم قال ثورين: لا داعي للتسرّع هذه



المرّة! لا يأت أحد منكم بحركة حتّى أتكلّم. سأرسل السيّد باجينز لوحده أولاً للتحدّث معهم، فلن يخافوا منه (فكّر بيليو: وماذا عنّي أنا، ألن أخاف منهم؟)، وعلى أي حال أمل أن لا يسيئوا إليه.

عندما وصلوا إلى حافّة دائرة الأضواء دفعوا بيليو فجأة من الخلف، وقبل أن يتاح له الوقت للبس الخاتم، تعثّر مندفعاً إلى الأمام داخل لهيب النار والمشاعل، ولم تكن هذه المرّة أحسن من سابقتها، فقد خرجت كلّ الأنوار مرّة أخرى وحلّ الظلام الدامس. وإذا كان من الصعب تجميع أنفسهم مع بعضهم في المرّة السابقة، ففي هذه المرّة كان الأمر أسوأ بكثير. ببساطة لأنهم لم يستطيعوا العثور على الهويةت. وفي كلّ مرّة كانوا يعدّون أنفسهم يكون العدد ثلاثة عشر فقط. راحوا ينادونه: بيليو باجينز! هوبيت! أيها الهويةت المزعج! هيه! هوبيت، لقد حيرتتنا معك، أين أنت؟ وأشياء أخرى من هذا القبيل، لكن لم يكن هناك أي إجابة.

كادوا يفقدون الأمل، لولا أن عثر عليه دوري بالمصادفة. عندما وقع عليه في الظلام وقد ظلّ قطعاً من الحطب، لقد وجد الهويةت مُنكمشاً على نفسه ومستغرماً في النوم، أخذ وقتاً طويلاً من الهزّ لإيقاظه، وعندما استيقظ لم يكن ممنوناً منهم على الإطلاق.

فقال متدبّراً: كُنْتُ في حلمٍ جميل، كلّ شيء فيه يتعلّق بتناول عشاءٍ رائع. قالوا: يا إلهي! لقد أصابه ما أصاب بومبور، لا تحك لنا عن الأحلام، فعشاء الأحلام ليس جيّداً، لأنّه لا يمكننا مشاركتك فيه.

بينما كان مستلقياً بين الأقمّام راح يتمتم ويقول: الأحلام أفضل شيء في هذا المكان الموحش، ثمّ حاول العودة إلى النوم من أجل العثور على حلمه مرّة أخرى. لكن الأضواء التي ظهرت لهم قبل فترة لم تكن آخر الأضواء في الغابة.

في وقتٍ لاحق، عندما جنّ الليل، جاء كييلي الذي كان يقوم بالحراسة في ذلك الوقت وأيقظهم جميعاً، قائلاً:

- هنالك شعلةٌ منتظمة من الضوء بدأت من مكانٍ غير بعيد، لا بُدَّ أن  
مئات المشاعل والكثير من النيران أوقدت فجأة عن طريق السحر. ألا  
تسمعون أصوات الغناء والعزف!

بعد الاستلقاء والإنصات لفترةٍ من الوقت، لم يستطيعوا مقاومة رغبتهم  
في الاقتراب والمحاولة مرّةً أخرى للحصول على المساعدة.

وصلوا مرّةً أخرى. لكن في هذه المرّة كانت النتيجة كارثية. فالوليمة التي  
رأوها الآن كانت أعظم وأجمل من ذي قبل، وعلى رأس سلسلة طويلة من  
الموائد جلس ملك الغابة بتاجٍ مشغولٍ من أوراق الأشجار وُضع فوق شعره  
الذهبي، وهو الشكل نفسه الذي وصفه بومبور في حلمه تمامًا. كان شعب  
الجان يمرّرون الأطباق من يدٍ إلى يدٍ وعبر النار، بعضهم كان يعزف والكثير  
منهم كانوا يغنون. كان شعرهم المتلألئ مضمفّرًا بالورود، وكانت قلائدهم  
وأحزمتهم تلمع بالأحجار الكريمة الخضراء والبيضاء. وقد امتلأت وجوههم  
وأغانيهم قرحًا. كانت تلك الأغاني عاليةً وجميلةً وواضحة. تقدّم ثورين  
بخطواتٍ نحوهم ووقف في وسطهم.

وقبل أن ينطق أي كلمة وقع صمّتٌ قاتل، ذهب كلُّ الضوء، قفزت النار  
في دخانٍ أسود. ونُبِّرُ الرماد والجمر في أعين الأقرام، وامتلات الغابة من  
جديد بصخبهم وصراخهم. وجد بيلبو نفسه يدور ويدور (كما كان يعتقد)  
وينادي، وينادي: دوري، نوري، أوري، أوين، جلوين، فيلي، كيلي، بومبور،  
بيفور، بوفور، دوالين، بالين، ثورين أوكنشيلد. في حين أنّ هؤلاء الأشخاص  
الذين كان ينادي عليهم، ولا يراهم أو يشعر بوجودهم، كانوا يفعلون الشيء  
نفسه من حوله (بالإضافة إلى خروج كلمة بيلبو! من أفواههم بشكلٍ متقطّع).  
لكن صيحات الآخرين كانت تتلاشى وتبتعد بشكلٍ منتظم، وبعد فترةٍ بدا له  
أنّ نداءاتهم تغيّرت إلى عويلٍ وصُراخٍ من مسافةٍ بعيدة طلبًا للمساعدة. وفي  
النهاية كلُّ تلك الضوضاء قد اختفت تمامًا، وبقي هو وحيدًا في صمّتٍ وظلامٍ  
تام.

كانت تلك من أكثر اللحظات بؤساً في حياته، لكنه سرعان ما قرّر أنه من غير الجيد محاولة فعل أي شيء قبل مجيء الصباح ببعض الضوء، ومن غير المجدي أن يتخبّط ويرهق جسده من دون أملٍ بأي فطور ينعشه. لذلك جلس وأسند ظهره إلى شجرة. ولن تكون تلك المرّة الأخيرة التي يسقط فيها بالتفكير في حفرة البعيدة عنه، ومخازنها الجميلة. راح يفكّر بلحم الخنزير المقدّد والبيض والخبز المحمّص والزبدة عندما شعر بشيء ما يلمسه. كان هناك مثل خيط قوي ملصق على يده اليسرى، وعندما حاول التحرك، وجد أن ساقيه قد لُفّتا بالفعل بنفس تلك الأشياء، لذلك عندما حاول الوقوف، سقط من جديد.

ثمّ جاءت العنكبوت الكبيرة التي كانت مشغولة بربطه من الخلف والأمام بينما كان نائمًا. كان بإمكانه فقط رؤية أشياء كالأعين، لكنه أحسّ بأقدامها المشعرة وهي تكافح لترمي خيوطها البغيضة حوله. كان من حُسن حظّه أنه عاد إلى رُشدِه في الوقت المناسب، وإلا لكان قد فقد في الحال قدرته على الحركة نهائيًا. وهكذا كان، عندما خاض معركة يائسة قبل أن يُطلق سراحه، حيث قام بضرب ذلك المخلوق بيديه، والذي كان يحاول تسميمه لإبقائه هادئًا تمامًا، كما تفعل العناكب الصغيرة مع الذباب. ثمّ تذكّر سيفه فسحب من غمده. عندها قفزت العنكبوت إلى الخلف، وكان لديه الوقت ليقطع رباط ساقيه ويطلق سراحهما. بعد ذلك جاء دوره بالهجوم. من الواضح أنّ العنكبوت لم تكن معتادةً على الفرائس التي تحمل معها أشياء تلسعها بها على جوانبها، وإلا لكانت قد هربت بسرعة. جاء إليها يلبو قبل أن تختفي من أمامه وطعنها بسيفه في عينها تمامًا. جُنّ جنونها وقفزت ودفعت أرجلها برعشة رهيبة، حتّى قضى عليها بضربةٍ أخرى. بعدها سقط على الأرض ولم يتذكّر شيئاً آخر لفترةٍ طويلة.

كان حوله هناك الضوء الرمادي الخافت المعتاد لنهار الغابة عندما عاد إلى وعيه. وكانت العنكبوت الميتة ملقاة بجانبه، وسيفه ملطّخًا باللون الأسود. إن عملية قتله للعنكبوت العملاقة في الظلام بمفرده من دون مساعدة الساحر أو الأقزام أو أي شخصٍ آخر أحدثت في نفسية السيّد باجينز فرقًا كبيرًا، شعر

بأنه أصبح شخصًا مختلفًا، أكثر شراسةً وأكثر جرأةً على الرغم من معدته الفارغة.

وعندما كان يمسح سيفه بالعشب ويعيده إلى غمده. قال له: سأعطيك اسمًا، من الآن فصاعدًا سأناديك ستينج (أي اللاسع).

بعد ذلك شرع في الاستكشاف، كانت الغابة قاتمةً وصامتة، لكن من الواضح أنه كان عليه أولًا أن يبحث عن أصدقائه، والذين من المرجح أن يكونوا بعيدين جدًا، إلا أن يكونوا قد أُسروا من قبل الجان (أو حدث لهم أشياء أسوأ من ذلك).

شعر بيلبو بأنه لن يكون بأمان لو صرخ أو نادى. وقف طويلًا يتساءل، في أي اتجاه يكمن المسار، وفي أي اتجاه يجب أن يذهب أولًا للبحث عن الأقرام. أوه! لماذا لم نتذكّر نصائح بيورن وجاندالف! وراح يندب: يا لها من فوضى تلك التي نحن فيها الآن! انتبه إلى نفسه أنه قال كلمة نحن! فتحسّر أكثر وقال: أتمنى فقط أن نبقى نحن، إنه لأمر مروّع أن أكون بمفردي.

في النهاية قدّر بشكل جيد على قدر استطاعته الاتجاه الذي كانت تأتي منه صرخات المساعدة في الليل، وبالحظ فقط (لقد وُلدَ ومعه نصيب جيد منه) يمكن أن يكون تقديره صح أو خطأ، كما سترون.

بعد أن اتخذ قراره، تسلّل بذكاء بقدر ما يستطيع. عادة ما يتمتّع الهوبيت بذكاء هادئ، وخاصّة في الغابات، كما أخبرتكم من قبل، كما أن بيلبو كان قد لبس خاتمه قبل أن يبدأ، وهذا ما يفسّر عدم قدرة العناكب على رؤيته أو سماعه وهو يأتي نحوهم.

لقد اختار طريقه خلسةً لمسافة ما، عندما لاحظ وجود مكانٍ من الظلال الكثيفة السوداء أمامه، كان سواده قاتمًا أكثر من الغابة نفسها، وكأنه قطعة من منتصف الليل قد نسي النهار أن يطلع عليها. وبينما كان يقترب رأى أنها مصنوعة من شباك العناكب، وكلُّ شبكة منها متشابكة مع الأخرى من فوقها ومن خلفها.

ورأى فجأة هناك عناكب ضخمة ومخيفة تجلس على الأغصان التي فوقه، وسواء كان يلبس الخاتم أو لا فقد انتابه خوف شديد من انكشاف أمره، لذلك وقف خلف شجرة وراح يراقب مجموعة منهم لبعض الوقت. بعد ذلك، وفي صمت وسكون الغابة أدرك أن هذه المخلوقات المُقرفة كانت تتحدّث مع بعضها. كانت أصواتهم نوعٌ من الهسهسة والصرير، لكنه استطاع تمييز بعض الكلمات التي قالوها، حيث كانوا يتحدّثون عن الأقرام!

قالت واحدة منهنّ: صحيحٌ أنه كان صراعًا قاسيًا لكنه يستحقُّ كل هذا العناء، يجب أن نتأكّد من ماهية جلودها السميقة المُقرفة، لكنني سوف أراهن على وجود عصارةٍ جيّدةٍ في أجوافهم.

قالت أخرى: نعم أوافق، سوف يشكّلون وجبة جيدة، عندما يُعلّقون لفترة قليلة.

وقالت الثالثة: لا تعلّقوهم لفترةٍ طويلة، إنهم ليسوا بتلك البدانة التي يجب أن يكونوا عليها، أعتقد أنهم لم يتغذّوا بشكل جيد في الآونة الأخيرة.

هسهست الرابعة وقالت: أرى بأن نقلتهم، نعم نقلتهم الآن ونعلّقهم أمواتًا لبعض الوقت.

قالت الأولى: أوكدّ لكم أنهم أمواتٌ الآن.

قالت إحداهنّ: لا ليسوا أمواتًا، لقد رأيت للتوّ واحدًا منهم وهو يكافح للخروج من الشبكة، وأودُّ أن أقول لكم، بأنني سأعود إليه مرّةً أخرى. بعد أن أخذ قسطًا هنيئًا من النوم. سأريكم.

مع ذلك، ركضت إحدى العناكب السمينة على أحد الحبال، حتّى وصلت إلى عشرات الحزم المعلّقة على التوالي على غصنٍ مُرتفع. دُعر بيلبو فقد انتبه لأول مرّة إلى حزمٍ تتدلى في الظلال، ورأى فيها قدمٍ واحدٍ من الأقرام وهي تخرج من قيعان إحداها، أو لرؤيته لطرف أنفٍ، أو لشيءٍ من لحية أو قلنسوة أحد الأقرام، تخرج من حزمةٍ هنا وأخرى هناك.

اتجهت العنكبوت نحو أسمن الحزم... (فكّر بيلبو بينه وبين نفسه، أراهن أن العجوز المسكين بومبور، في داخل هذه الحزمة)... وقرصت أنفه -الذي

كان يبرز خارج الشبكة- بشدة، فخرجت صرخة مكتومة من داخل الحزمة، وأخرج أصابع قدمه من بين الحبال وركل العنكبوت بقوة. ما زال بومبور هياً. وفي أثناء ركلها سُمِعَ صوتٌ مثل صوتِ ركلِ كرة القدم الرخوة المترهلة. فسقطت العنكبوت الغاضبة عن الغصن، وأمسكت نفسها بخيط كانت قد غزلته للتوّ وأصقته على الشجرة في الوقت المناسب.

ضحكت منها الأخريات وقلن: لقد كنتِ مُحَقَّةً تماماً، ما زال اللحم حياً ويركلُ أيضاً!

هسهست العنكبوت الغاضبة وهي تتسلَّق الغصن ثانيةً: سأضع حدًا لهذه المهزلة قريباً.

رأى بيلبو بأن الوقت قد حان ليقوم بعمل شيء ما. فهو لا يستطيع النهوض ومهاجمة هذه الكائنات المتوحشة، ولا يمتلك أي شيء ليضربهم به. لكنه نظر حوله فوجد أنَّ المكان مليء بالحجارة، على ما يبدو أنه كان هناك مجرى مائي صغير لكنه جافُ الآن. كان بيلبو يُجيد رمي الحجارة بشكلٍ مُذهل، ولم يستغرق الكثير من الوقت حتَّى عثر على حجرٍ ناعمٍ على شكل بيضة ويناسب يده بشكلٍ مُريح.

عندما كان صبيّاً كان يتدربُ على رمي الحجارة على الأشياء، حتَّى إن الأرناب والسناجب والطيور كانت تهرب من طريقه بأسرع ما يُمكن عندما كانت تراه ينحني على الأرض ليلتقط حجراً، وبعدها كبر، بقي يقضي الكثير من وقته في لعبة رمي الحلقات، ورماية السهام الصغيرة على قرصٍ دائري، والرماية بالعصا على شريحة ضيقة، ولعبة الكره الخشبية والمسامير التسعة، وغيرها من الألعاب الهادئة في التصويب والرماية. يمكنه نوعاً ما فعل الكثير من الأشياء، إلى جانب نفخ حلقات الدخان، وطرح الألغاز والطبخ، والكثير من الأشياء التي لا مجال لذكرها لكم الآن بسبب ضيق الوقت.

بينما كان يجمع الحجارة، كانت العنكبوت قد وصلت إلى بومبور، وفي الحال ماتت، لأن بيلبو كان قد رماها بحجرٍ غاص في رأسها، فسقطت عن الشجرة بلا وعي وخبطت على الأرض، وقد انعقدت كلُّ أرجلها.

راح الحجر الثاني وله أزيز باتجاه الشبكة الكبيرة، فقطع حبالها، وخلع العنكبوت الجالسة في وسطها فأرداها قتيلة. بعد ذلك حدث اضطرابٌ كبير في جماعة العناكب، ونسوا قليلاً أمر الأقرام، يمكنني إخباركم أيضاً، أنهم حتّى الآن لم يروا بيلبو، لكن أمكنهم تحديد الاتجاه الذي أتت منه الحجارة. وبسرعة البرق جاؤوا راكضين يتدلّون من الأعلى نحو الهوبيت، وهم ينسجون خيوطهم الطويلة ويرمونها في كلّ الاتجاهات، حتّى بدا الجو مليئاً بالفخاخ المائجة. وفي الحال انتقل بيلبو إلى مكانٍ مختلف. وقد خطرت على باله فكرة استدراج العناكب الغاضبة لتبتعد أكثر فأكثر عن مكان وجود الأقرام، إن استطاع، بتحريضهم على أن يصبحوا فضوليين وانفعاليين وغاضبين في الوقت نفسه. وعندما تجمّعت هنالك في المكان الذي كان يقف فيه أكثر من خمسين عنكبوتاً، ألقى عليهم بعض الحجارة، وعلى الآخرين الذين كانوا يقفون من خلفهم. ثمّ بدأ يرقص ويغني بين الأشجار لكي يغضبهم ويجعلهم يركضون خلفه، وأيضاً يسمح للأقرام بسماع صوته.

وهذا ما غناه:

عنكبوت عجوز سمين يغزل على شجرة!

عنكبوت عجوز سمين لا يمكنه رؤيتي!

رأس السّم! رأس السّم!

ألا تريد التوقّف،

توقّف عن الغزل وابحث عني!

عجوز أحرق، بجسيم كبير،

عجوز أحرق لا يستطيع مراقبتني!

رأس السّم! رأس السّم!

انزل إلى الأسفل!  
فشجرتك لن تلحق بي أبدًا!

ربما لم تكن أغنية جيدة، لكن عليكم أن تتذكروا بأنه ارتجل كلماتها في لحظة حرجة للغاية. على كل حال فقد أدت غرضها، وبينما كان يغني ضربهم بالمزيد من الحجارة. عملياً، كانت جميع العناكب الموجودة في المكان قد لحقت به، بعضهم قفز إلى الأرض والبعض الآخر ركض على الأغصان، متأرجحاً من شجرة إلى أخرى، أو ملقياً بخيوط جديدة عبر المساحات المظلمة، لقد أحدثوا ضجيجاً أسرع بكثير ممّا كان يتوقّع. كانوا غاضبين بشكلٍ مخيف. وبصرف النظر عن الحجارة، فإن العنكبوت لا يحب أن تطلق عليه لقب رأس السم، وأحمق فهي بالطبع إهانة لأي شخص.

شتتهم بيلبو عندما ذهب إلى مكانٍ جديد، لكن العديد من العناكب ركضت إلى نقاطٍ مختلفة في الفسحة حيث كانوا يعيشون، وأصبحوا منشغلين بغزل شبكاتٍ جديدة فوق كل المساحات وبين سيقان الأشجار. وكاد الهوبيت أن يعلق بحاجزٍ سميك مصنوع من هذه الخيوط التي كانت تحيط به. هذه على الأقل كانت فكرة العناكب لاصطياده. وبينما كان يقف في منتصف منطقة صيد وغزل هذه الحشرات، استجمع شجاعته وبدأ في أغنية جديدة:

كسول أخرق وزعيم مجنون  
هل تنسح شباكك لتلتف عليّ  
أنا أحلى بكثير من اللحوم الأخرى  
لكنهم لحدّ الآن لم يجدوني!

هأنذا، ذبابة صغيرة شقية،  
وأنت كسول وسمين.



## لا يمكنك محاصرتي، رغم محاولتك في شبكاتك مجنون.

مع استدارته وجد بأن آخر مساحة بين شجرتين طويلتين خلفه قد أُغْلِقَتْ بشبكة، لكن لحسن الحظ، لم تكن شبكةً متينةً، كانت مجرد ضفائر ضخمة من خيوط سميكّة مزدوجة، نُسجت بسرعةٍ حول بعضها ولُفّت من جذعٍ إلى جذع. أخرج سيفه الصغير، وقطع الخيوط إلى أشلاء ثم انطلق من بينها وهو يغني.

رأت العناكب السيف، مع العلم أنني أفترض بأنهم لم يعرفوا ما هو هذا الشيء. وفي الحال جاء الكثير منهم خلف الهوبيت مسرعين إمّا على الأرض وإمّا على الأغصان، أرجل مُشعرة تلوح، كلابات ومغازل تعضّ وتنهش، أعين تتطاير شرر، مليئة بالغيظ والزبد. كلهم تبعوه إلى الغابة حتى ابتعد بمقدار ما تجرّأ على الابتعاد.

بعدها وبأهدأ من الفأر تسلّل عائداً، كان يعلم أن لديه القليل من الوقت الثمين، قبل أن تعود العناكب المقرفة إلى أشجارها حيث عُلق الأقرام. في غضون ذلك كان عليه إنقاذهم. الجزء الأسوأ من العمل يتمثّل في الصعود إلى الغصن الطويل حيث كانت تتدلى الحزم.

ولا أظن أنه كان بإمكانه الصعود إلى هناك لولا أن أحد العناكب ولحسن الحظ ترك أحد الحبال يتدلى إلى الأسفل، وبمساعدة هذا الحبل، على الرغم من أنه كان يلتصق في يديه ويؤذيهما، فإنه تسلّق فقط لمقابلة عنكبوت عجوز بطيئة شريرة وذات جسم سمين، وهي التي بقيت هنا في الخلف، لحراسة السجناء، حيث كانت مشغولةً في قرصهم لتعرف من يكون بينهم أكثر امتلاء بالعصارة لتأكله. لقد فكّرت بالابتداء بالوليمة قبل أن يأتي الآخرون. لكن السيّد باجينز كان في عجلة من أمره، وقبل أن تعرف العنكبوت ما يجري حولها، شعرت بلسعة جعلتها تتدحرج من الغصن وتقع على الأرض ميتة. عمل بيلبو التالي كان تحرير واحدٍ من الأقرام. ماذا سيفعل؟ إذا قطع الخيط

الذي عُلقوا فيه، فإن الأقرام التعساء سيقعون ويرتطمون بالأرض بطريقة جيدة هناك بالأسفل. زحف متلوياً على طول الغصن (وهو ما جعل الأقرام المساكين يتراقصون ويتدلون مثل الثمار الناضجة) حتى وصل إلى الحزمة الأولى.

فيلي أو كيلبي، خمن من طرف القلنسوة الزرقاء التي كانت تبرز خارج الشبكة، على الأرجح أنه فيلي، خمن ذلك من طرف أنفه الطويل الذي خرج من بين الخيوط الملتفة. لقد تمكّن من خلال الميل فوقه من قطع معظم الخيوط اللزجة القوية التي كانت تربطه من كل الجهات، وبعد ذلك بالتأكد، مع بعض الركل والكفاح ظهر معظم جسد فيلي. أخشى أن يكون يبلبو قد ضحك بالفعل لمنظره وهو يهزُّ ذراعيه وساقيه المتببستين، كما لو كان يتراقص وهو مستندٌ إلى خيوط العنكبوت من تحت إبطيه. تمامًا مثل إحدى تلك الألعاب المسلية التي يتمايل فيها المهرج على السلك.

بطريقة أو بأخرى تمكّن فيلي من النجاة والصعود إلى الغصن، ثمّ بذل قصارى جهده لمساعدة الهوبيت، على الرغم من أنه كان يشعر بالمرض الشديد والاضطراب جرّاء سُمِّ العنكبوت والتعليق طوال الليل واليوم الذي يليه، والأذى الذي لحق به من خيوط العنكبوت الملتفة حوله من كلِّ الجهات ولم تترك سوى أنفه الذي يتنفس منه. استغرق الأمر منه وقتاً طويلاً ليخرج الأشياء البغيضة من عينيه وحاجبيه، أمّا بالنسبة إلى لحيته فقد اضطرَّ إلى قصِّ معظمها. حسناً، باشراً بسحب الأقرام واحداً واحداً وذلك عن طريق شقِّ الخيوط حولهم وتحريرهم. لم يكن معظمهم بأحسن حالاً من فيلي. فبعضهم كانت حالته أسوأ. كان البعض بالكاد قادراً على التنفُّس (وكما ترون فإن الأنف الطويل قد يكون مفيداً أحياناً)، والبعض الآخر كان قد تأثر جسمه بالسُّمِّ كثيراً.

بهذه الطريقة أنقذوا كلُّ من: كيلبي، بيفور، بوفور، دوري ونوري، والعجوز المسكين بومبور الذي كان مُنهكاً جداً، فهو الأسمن وقد تعرّض للقرص وغرز إبرهم فيه باستمرار، لدرجة أنه لم يستطع التمسُّك على الغصن

فتدحرج وسقط إلى الأرض، ولحسن الحظّ فقد وقع على أوراق الأشجار، وبقي ممدداً عليها. لكن كان لا يزال هناك خمسة أقزام معلّقين في نهاية الغصن عندما بدأت العناكب بالعودة، وهي مليئة بالغضب أكثر من قبل. أسرع بيلبو على الفور نحو نهاية الغصن الأقرب لجذع الشجرة، وراح يبعد أولئك العناكب الذين كان يزحفون نحوهم. كان قد نزع الخاتم من يده عندما أنقذ فيلي ونسي أن يلبسه مرّة ثانية. لذلك بدأت جميع العناكب الآن بالغمغمة والهسهسة:

- الآن نراك أيها المخلوق الصغير القذر! سنأكلك ونترك عظامك وجلدك معلّقين على الشجرة. يا للقرف! هل لديه ما يلسع به؟ حسناً، على أي حال سنمسك به بكلّ ما فيه، وسنعلقه من قدميه ليوم أو اثنين.

بينما كانت العناكب تهدّد بيلبو، كان الأقزام الآخرون يعملون على تحرير بقية الأسرى، بقطع الخيوط بسكاكينهم. قريباً سيصبح الجميع أحراراً، مع أنه لم يكن من الواضح ماذا سيحدث بعد ذلك. لقد أمسكتهم العناكب بسهولة في الليلة الماضية، لكن ذلك الأمر كان في الظلام وعلى حين غرّة، أمّا الآن فيبدو أنّ معركة مروّعة على وشك الحدوث.

فجأة لاحظ بيلبو أن بعض العناكب قد تجمّعت على الأرض حول العجوز بومبور، وتمكّنوا من ربطه ثانيةً وسحبه بعيداً. فأطلق صرخةً واتجه نحوهم جارحاً بسيفه من كان يقف في طريقه من العناكب التي أمامه، وسرعان ما أفسحوا له الطريق، فزحف نازلاً ثمّ قفز عن الشجرة بين أولئك المتجمّعين على الأرض. كانت اللسعات من سيفه الصغير شيئاً جديداً بالنسبة إليهم. كيف كان يتحرّك بخفة جيئةً وذهاباً! وكيف كان يشرقُ بالسعادة وهو يطعنهم. قتل منهم ستّ عناكب قبل أن ينسحب الباقون ويتركون بومبور وشأنه.

نادى الأقزام الواقفين على الغصن: انزلوا! انزلوا! لا تبقوا واقفين هناك لئلا تصبّحوا محاصرين بشباكهم من جديد! لأنه رأى العناكب تتجمّع فوق الأشجار المجاورة، وترحف على طول الأغصان التي فوق رؤوس الأقزام.

نزل الأقرام زحفًا أو قفزًا أو سقوطًا، كان أحد عشر قزمًا في كومة واحدة، معظمهم يرتعش للغاية ولا قدرة له على الوقوف على رجليه، وأخيرًا أصبحوا اثني عشر قزمًا بعدما عدّوا بومبور المسكين، فقد كان يسنده من الجانبين كلُّ من ابني عمِّه بيفور وأخيه بوفور. كان يبلبو يرقص حولهم ويلوِّح بسيفه ستينج، وكانت المئات من العناكب الغاضبة تحمق فيهم من حولهم ومن فوقهم. بوضع بدا وكأنه ميؤوس منه تمامًا. ثمَّ بدأت المعركة. كان بعض الأقرام يحمل السكاكين، والبعض الآخر يحمل عصيًا، وجميعهم كانوا يجيدون رمي الحجارة، أمَّا يبلبو فكان معه خنجره المصنوع من قبل الجان.

ضربت العناكب مرارًا وتكرارًا وقُتل الكثير منهم، لكن لا يمكن للمعركة أن تستمرَّ بهذا الشكل لفترةٍ طويلة. بدأ يبلبو يشعر بالتعب تقريبًا، وكان أربعة من الأقرام فقط قادرين على الوقوف بثبات، لذلك سرعان ما سيتم التغلُّب عليهم مثل الذباب المُنهك. وبالفعل فقد بدأت العناكب بنسج شباكها ثانيةً من الأشجار المحيطة بهم. في النهاية لم يكن أمام يبلبو أي خطة سوى الإفصاح للأقرام عن سرِّ خاتمه، لقد كان يشعر بالأسف حيال ذلك، لكن لم يكن أمامه وسيلةٌ أخرى للمساعدة.

فقال لهم: سأخفي، وأجذب العناكب إن استطعت، أمَّا أنتم فعليكم الحُفاظة على تماسككم معًا والتحرُّك في الاتجاه المُعاكس. إلى اليسار هناك، يوجد الطريق الذي يؤدي -بالكثير أو القليل- إلى المكان الذي رأينا فيه نار الجان آخر مرَّة.

كان من الصعب إفهامهم بخطته، حيث كانت رؤوسهم تعاني من التشويش وسط تلك الحالة من الضرب بالعصي والحجارة. لكنه أخيرًا شعر بأن الوقت لم يعد في صالحه فقد كانت العناكب تقترب من دائرتهم أكثر فأكثر. فجأة لبس الخاتم في إصبعه، وكانت الدهشة عظيمة الوقع على الأقرام عندما اختفى من أمامهم.

سرعان ما سُمع صوتٌ يقول: "أخرق كسول" و"رأس السُّم"، من بين الأشجار الموجودة على اليمين. وهذا ما أزعج العناكب بشكلٍ كبير. فتوقَّفوا

عن التقدُّم باتجاه الأقدام، وانطلق بعضهم في اتجاه الصوت. إطلاق لقب "رأس السُّم" يزعجهم كثيرًا لدرجة أنهم فقدوا عقولهم. عندها قاد بالين الهجوم، لأنه استوعب خطة بيلبو أكثر من البقية. احتشد الأقدام مع بعضهم في زمرة واحدة، وأرسلوا وأبلاً من الحجارة مبعدين به جماعة العناكب عن يسار الطريق، فانفردت حلقة العناكب حولهم، وفجأة توقَّف خلفهم الصراخ والغناء.

استمرَّ الأقدام في سيرهم، على أملٍ يائسٍ بألا تكون العناكب قد قبضت على بيلبو.

استمروا في سيرهم، ليس بالسرعة الكافية، فقد كانوا مرضى ومرهقين، ولم يكن بإمكانهم المسير أفضل بكثير من العرج والتمايل، على الرغم من أن الكثير من العناكب كانت قريبةً منهم من الخلف، لذلك كان عليهم بين الفينة والأخرى الالتفات إلى الخلف وقتال هذه المخلوقات التي تتفوق عليهم، وبالفعل فقد تسلَّقت بعض العناكب إلى الأشجار وراحت تطرح خيوطها الطويلة المتشابكة.

كانت الأمور تبدو سيئةً مرَّةً أخرى، عندما ظهر بيلبو وهاجم العناكب المذهولة بشكل غير متوقَّع من الجانب.

صرخ بيلبو: هيا! هيا! أنا سألسعهم! وقد فعل. اندفع إلى الأمام وإلى الخلف، مدمرًا شبَّاك العناكب، قاطعًا أرجلهم، طاعنًا أجسادهم السمينة إذا اقتربوا منه أكثر. انتفخت العناكب من الغيظ، وغمغمت وأزبدت، وهسهست باللعنات الفظيعة، لكنهم لم يجرؤوا على الاقتراب، لأنهم أصبحوا خائفين من ستينج بشكل قاتل، بعد أن عاد إلى الظهور مرَّةً أخرى. بينما استمرَّت العناكب في إطلاق اللعنات على بيلبو، كانت فرائسها تتعدد ببطء، لكن بثبات. لقد كان عملاً فظيعةً بالفعل، بدا وكأنه استغرق ساعاتٍ من الوقت. لكن أخيرًا، عندما شعر بيلبو أنه لم يعد قادرًا على رفع يده وتسديد ضربةٍ أخرى، استسلمت العناكب فجأةً، وتوقَّفت عن ملاحقتهم. وعادت إلى مستعمرتها المظلمة بخيبة أمل كبيرة.

لاحظ الأقرام أنهم وصلوا إلى حافة إحدى الحلقات حيث كانت توقد نيران الجان. لم يتمكّنوا من معرفة إن كانت هي واحدة من تلك الحلقات التي رأوها في الليلة الماضية أم لا. لكن يبدو أن هناك بقيةً من بعض السحر الجيد في مثل هذه الأماكن التي لا تُحبها العناكب. على أي حال، كان الضوء هنا أكثر خضرة، والأغصان أقلُّ سُمكًا وتهديدًا، وكان لدى الأقرام فرصة للراحة والتنفّس.

استلقوا هناك لبعض الوقت، ينفخون ويلهثون، وسرعان ما تعيّن عليهم طرح الأسئلة. كان عليهم أن يطلّعوا على شرح كامل وبأدقّ التفاصيل لعملية الاختفاء، لقد أثار اكتشاف أمر الخاتم اهتمامهم لدرجة أنهم نسوا مشكلاتهم لفترة من الوقت. أصرّ بالين على وجه الخصوص على إعادة سرد قصّة غولوم والألغاز وكل شيء، مع وضع الخاتم في القصّة في سياقه الصحيح. لكن بعد فترة من الوقت بدأ الضوء بالخفوت، ثمّ طرحنا أسئلة أخرى. أين هم الآن، وأين هو طريقهم، وأين يمكن أن يجدوا أي طعام، وماذا سيفعلون بعد ذلك؟ طرحوا أسئلة كثيرة مرارًا وتكرارًا، حيث كانوا يتوقّعون الحصول على إجابات عنها من بيلبو الصغير. من خلال ذلك يمكنكم أن تروا أنهم قد غيروا نظرتهم كثيرًا في السيّد باجينز. وأصبحوا يحترمونه أكثر (كما قال جاندالف بأنهم سيفعلون).

بالفعل كانوا الآن ينتظرون منه خطّة رائعة لمساعدتهم، ولم يكونوا مجرد متذمّرين منه. كانوا على يقين بأنهم كانوا في عدادا الأموات الآن، لولا مساعدة الهوبيت، لذلك شكروه مرّات عديدة. حتّى إنّ بعضهم نهض وانحنى على الأرض أمامه، على الرغم من سقوطهم جرّاء بذل هذا الجهد، ولم يستطيعوا الوقوف على أرجلهم مرّة أخرى لبعض الوقت.

إن معرفة حقيقة اختفاء بيلبو لم يقلل من رأيهم فيه على الإطلاق، فقد رأوا فيه بعض الذكاء، بالإضافة إلى الحظّ والخاتم السحري، إن امتلاك جميع هذه الأشياء الثلاثة شيء مفيد جدًّا. في الواقع، لقد أشادوا به كثيرًا لدرجة

أَنَّ بيلبو بدأ يشعر حقًا بأن شيئًا من المغامر الجريء يكمن في داخله، على الرغم من أنه كان سيسعر بجرأة أكبر لو كان هناك شيئًا للأكل.

لكن لم يكن هناك شيء، لا شيء على الإطلاق، ولم يكن أيًا منهم لائقًا لمهمة البحث عن أي شيء أو البحث عن الطريق الضائع. الطريق الضائع! لم تأتِ أي فكرة أخرى على رأس بيلبو المتعبة. لقد جلس فقط يحدق أمامه إلى الأشجار التي لا نهاية لها، وبعد فترة صمتوا جميعهم مرة أخرى. توقّف الجميع عن الكلام وأطبّقوا أعينهم. ما عدا بالين، الذي بقي مستمرًا في الغمغمة والضحك بينه وبين نفسه: غولوم! حسنًا أنا مُبارك! إذن بهذه الطريقة استطعت التسلّل دون أن أراك، أليس كذلك؟ الآن عرفت! لقد تسلّلت فقط بهدوء، أليس كذلك يا سيّد باجينز؟ هل سقطت كل الأزرار على عتبة الباب؟ حسنًا يا بيلبو الخبير، بيلبو، بيلبو، بو، بو، بو. بعدها غرق بالين في النوم، وبقي الصمت مخيمًا عليهم لفترة طويلة.

فجأة فتح دوالين عينيه ونظر حوله، ثمّ سأل: أين ثورين؟ كانت صدمة مروّعة. بالطبع لم يكن هناك سوى ثلاثة عشر منهم، الهوبيت واثنان عشر قزمًا، أين كان ثورين بالفعل؟ تساءلوا ما هو المصير الشرير الذي حلّ به، سحر أم وحوش ظلامية، وارتعدوا لمجرّد التفكير بذلك وهم تائهون في الغابة. وبينما كان المساء يلبس أودية الليل السوداء، سقطوا واحدًا تلو الآخر في نوم كريبه مليء بالأحلام المروّعة. هنا يجب أن نتركهم في الوقت الحاضر، لأنهم مرضى ومرهقين للغاية فلا يمكنهم تعيين الحراس أو التناوب على المراقبة.

ألقى القبض على ثورين قبلهم بكثير. تتذكّرون عندما سقط بيلبو نائمًا كقطعة الحطب، عندما مشى من خلال دائرة الضوء؟ في المرّة التالية ثورين هو من تقدّم، وعندما ذهب الضوء سقط ثورين مسحورًا كالحجر. ضاع كل ضجيج الأقزام في الليل، صراخهم عندما هاجمتهم العناكب وربطتهم، كل أصوات المعركة في اليوم التالي، مرّت من دون أن يسمع بها. بعد ذلك جاء جان الغابة ربطوه وحملوه بعيدًا. كان أولئك الناس الذين يقيمون الولايم هم جان الغابة، طبعًا. ليسوا شعبًا شريرًا، لكن عيبتهم الوحيد أنهم لا يتقنون

بالغرباء. على الرغم من أنَّ سحرهم قوي، حتَّى في تلك الأيام بقوا متحفَّظين. لكنهم يختلفون عن الجان الساميين في الغرب، كونهم أكثر خطورةً وأقلَّ حكمةً. بالنسبة إلى معظمهم (ومعهم أيضًا أقرباءهم المتناثرين في التلال والجبال) ينحدرون من القبائل القديمة التي لم تذهب إلى فييري (أرض الجان) في الغرب. هنالك حيث ذهب جان النور والجان العميقون وجان البحر وعاشوا هناك على مرَّ العصور، فأصبحوا أكثر جمالاً وحكمةً وأكثر علمًا، هناك ابتكروا سحرهم وحرفهم البارعة، في صناعة الأشياء الجميلة الرائعة قبل أن يعود بعضهم إلى العالم الواسع ها هنا.

في العالم الواسع ها هنا، تخَلَّف جان الغابة عن الرحلة إلى الغرب وبقوا هنا في شفق شمسنا وقمرنا لكنهم كانوا يفضلون النجوم أكثر. تجوَّلوا هنا في الغابات العظيمة التي نمت أشجارها عاليًا في الأراضي التي ضاعت الآن. يسكن الجان غالبًا على أطراف الغابات، حيث يمكنهم الخروج منها أحيانًا للصيد، أو لركوب الخيل والجري فوق الأراضي المفتوحة تحت ضوء القمر أو أضواء النجوم. وبعد مجيء البشر إلى هذا العالم الواسع، فقد أُخِذُوا أكثر فأكثر نحو الغسق والعتمة.

ما زال الجان -الذين كانوا والذين بقوا، وأولئك الذين رحلوا- شعبًا طيبًا محبًّا للخير.

في كهفٍ كبير يقع على بعد أميالٍ عند حافةٍ ميركوود الشرقية، عاش أعظم ملوكهم في ذلك العصر، يجري نهرٌ أمام أبوابه الحجرية الضخمة، ينبع من مرتفعات الغابة ويتدفَّق عابِرًا المستنقعات ثمَّ يخرج منها عند سفوح أراضٍ الأشجار المرتفعة. يتفرَّع من هذا الكهف العظيم عدد لا يُحصى من الكهوف الصغيرة تفتح عليه من الجانبين. يغور الكهف عميقًا تحت الأرض، ويحتوي على الكثير من الممرَّات والقاعات الواسعة، لكنه أكثر إنارةً، وصحيُّ أكثر من مساكن الجوبلن. لا هو عميق جدًّا ولا خطير جدًّا. في الواقع، يعيش أغلب رعايا الملك ويصطادون في الغابات المكشوفة، حيث يمتلكون منازل وأكواخ على الأرض أو على أغصان الأشجار. حيث يعتبر الزان الشجر المفضَّل



عندهم. أمّا قصر الملك فهو الكهف العظيم، وهو بالوقت نفسه حصن كنوزه وقلعة شعبه في وجه أعدائهم.

وهو أيضًا زنانة لسجنائه. لذلك جرّوا ثورين بشكلٍ غير لائق إلى ذلك الكهف، لأنهم لا يحبّون الأقرام، ويحسبونهم أعداء. ففي الزمان القديم وقعت حروب بينهم وبين بعض الأقرام، بعد أن اتهمهم الجان بسرقة كنوزهم. لكن من العدل أن نقول بأنّ الأقرام قدّموا روايةً مختلفة، حيث قالوا بأنهم أخذوا فقط أجور عملهم المستحق لهم عند الجان. لأن ملك الجان كان قد اتفق معهم على تشكيل وصياغة خامات الذهب والفضة، وبعدها انتهوا من عملهم، امتنع عن دفع أجورهم.

إذا كان لملك الجان نقطة ضعف فهي الكنز، خاصّة بالنسبة إلى الفضة والأحجار الكريمة البيضاء، على الرغم من وفرة خزائنه، إلا أنه كان حريصًا على امتلاك المزيد. لأنه لم يمتلك حتّى الآن كنزًا عظيمًا مثل سائر أسياد الجان في الزمان القديم، لم يستخرج شعبه المعادن أو الجواهر ولم يعملوا في تشكيلها، لم يهتموا قط لا بالتجارة ولا في حراثة الأرض. كلُّ هذا كان معروفًا بشكلٍ جيد لكلّ قزم، على الرغم من أنّ عائلة ثورين لا علاقة لها بالنزاع القديم الذي تحدّث عنه قبل قليل، ونتيجة لذلك كان ثورين غاضبًا من معاملتهم له، فعندما أزالوا تعويذتهم عنه وعاد إلى رُشدِه، كان عازمًا أيضًا على ألا يسحبوا منه أي كلمة حول الذهب أو الجواهر.

لذلك عندما أحضروا ثورين للمثول بين يده، نظر الملك بصرامةٍ نحو ثورين، وسأله عدّة أسئلة. لكنّ ثورين قال فقط إنه كان يتضوّر جوعًا.

سأله الملك: لماذا حاولت أنت وقومك مهاجمة شعبي ثلاث مرّات في فرحهم؟ أجابه ثورين: لم نهاجمهم، جنننا نتسوّل، لأننا كنّا نتضوّر جوعًا.

- أين أصدقاؤك الآن وماذا يفعلون؟

- لا أعرف، لكنني أتوقّع أنهم يتضوّرون جوعًا في الغابة.

- ماذا كنتم تفعلون في الغابة؟

- كنّا نبحث عن طعامٍ وشراب، لأننا كنّا نتضوّر جوعًا.

سأله الملك بغضب: لكن ما الذي دفعك إلى دخول الغابة بالأساس؟  
عند ذلك أغلق ثورين فمه ولم يقل أي كلمة أخرى.  
قال الملك: حسناً! خذوه بعيداً، وأبقوه بأمان، إلى أن يشعر برغبة في قول  
الحقيقة، حتّى لو انتظر مئة عام.

عندها قيده الجان بحزام، وأقفلوا عليه في أحد الكهوف الداخلية ذات  
الأبواب الخشبية القوية، وتركوه. أعطوه كميات كبيرة من الطعام والشراب.  
وإذا لم يكن هناك شيء جيد في هذا السجن، سوى أنّ جان الغابة لم يكونوا  
مثل الجوبلن. كانوا يحسنون التصرف حتّى مع أسوأ أعدائهم، عند الأسر.  
والعناكب العملاقة هي الكائنات الحيّة الوحيدة التي لا تنال لرحمتهم أبداً.  
هنالك في زنزانة الملك رقد المسكين ثورين. وبعد أن شفي وتعافى، قدّم  
شكره للخبز واللحم والماء، وبدأ يتساءل عمّا حلّ بأصدقائه التعساء، ولم  
يمض الكثير من الوقت قبل أن يكتشف ماذا حلّ بهم، لكن هذا كله ينتمي إلى  
الفصل القادم مع بداية مغامرة أخرى، أظهر فيها الهوبيت مرّة أخرى مدى  
فائدته.

## الفصل التاسع

### براميل كُرّة

في اليوم التالي للمعركة مع العناكب، بذل بيلبو والأقزام آخر محاولة يائسة لإيجاد مخرج من الغابة قبل أن يموتوا من الجوع والعطش. تقدّموا مترنّحين إلى الاتجاه الذي حُمّنه ثمانية من أصل ثلاثة عشر منهم، عسى أن يكون هو الاتجاه الصحيح الذي يقع فيه الطريق، لكنهم لم يكتشفوا قط إن كانوا على حقٍّ أم لا.

كان يوماً كباقي الأيام التي مرّت عليهم في الغابة، وعندما أخذ بالتلاشي مرّة أخرى ضمن ظلمة الليل، ظهرت فجأة أضواء مشاعل كثيرة من حولهم، كأنها مئات من النجوم الحمراء. قفز من خلف تلك المشاعل جان الغابة بأقواسهم ورماحهم وطلبوا من الأقزام التوقّف.

لم يكن في نيّة الأقزام المواجهة. حتّى ولو لم يكونوا بتلك الحالة المزرية التي جعلتهم سعداء فعلاً بالأسر، فإن سكاكينهم الصغيرة، وهي السلاح الوحيد الذي يمتلكونه الآن، لا يمكنها مواجهة سهام الجان، القدرة على إصابة عين الطائر في الظلام. لذلك فضّلوا التوقّف ببساطة على أن يصبحوا

أموثًا، جلسوا كلهم بانتظار أوامر الجان، باستثناء بيلبو الذي عاد بسرعة إلى خاتمه وانزلق إلى جانب الطريق.

لذلك عندما ربط الجان الأقدام في سلسلة طويلة، واحدًا تلو الآخر، لم يكن الهوبيت بينهم فلم يحصوه ضمن الأسرى. ولم يسمعوها أو يشعروا بصوت هرولته على طول الطريق خلف أضواء مشاعلهم وهم يقودون سجناءهم من خلال الغابة. كان كلُّ الأقدام معصوبي الأعين، لكن ذلك لم يكن ليحدث فرقًا، حتَّى بالنسبة إلى بيلبو الذي كان يستطيع النظر لم يكن قادرًا على معرفة إلى أين يذهبون بهم، لا هو ولا الآخرين كانوا يعرفون في أيِّ مكان من الغابة أُسروا، على أي حال. فعل بيلبو كلَّ ما بوسعه ليبقى قريبًا من المشاعل، لأن الجان أُجبروا الأقدام على السير بأسرع ما يستطيعون، ولم يعطوا بالآ لإصابتهم أو تعيهم، فقد أمرهم الملك بأن يُسرعوا.

فجأة توقَّفت المشاعل، وبالكاد لحق الهوبيت بهم قبل أن يعبروا الجسر. كان هذا الجسر الذي يعبر النهر ويؤدِّي إلى أبواب الملك، والمياه تجري معتمَّة ومسرعة وقوية تحته، وفي نهايته البعيدة حيث تعلقو البوابات أمام مدخل الكهف الضخم، الذي يلتقي مباشرة مع جانب المنحدر الشاهق المُغطى بالأشجار. هنالك كانت أشجار الزان الكبيرة تمتدُّ لتصل إلى ضفَّة النهر، حتَّى إن جذورها وصلت إلى مجراه. دفع الجان سجناءهم عبر هذا الجسر، لكن بيلبو تردَّد وتباطأ قليلًا في المؤخرة إذ لم يُعجبه على الإطلاق مشهد فوهة الكهف. إلا أنه لم يرغب بالتخلِّي عن أصدقائه، فأسرع في أعقاب الجان السريعين في الوقت المناسب، قبل أن تُغلق بوابات الملك العظيمة خلفهم بققعةٍ عظيمة.

أضِيئت الممرَّات في الداخل بمشاعل ذات ضوء أحمر، وكان حُرَّاس الجان يغنون وهم يسرون وصوتهم يتردَّد على طول الممرَّات والمنعطفات والمفارق. لم تكن تلك الممرَّات تشبه ممرَّات أنفاق الجويلن، فقد كانت أصغر، وأقلَّ عمقًا تحت الأرض، والهواء فيها نقيٌّ.

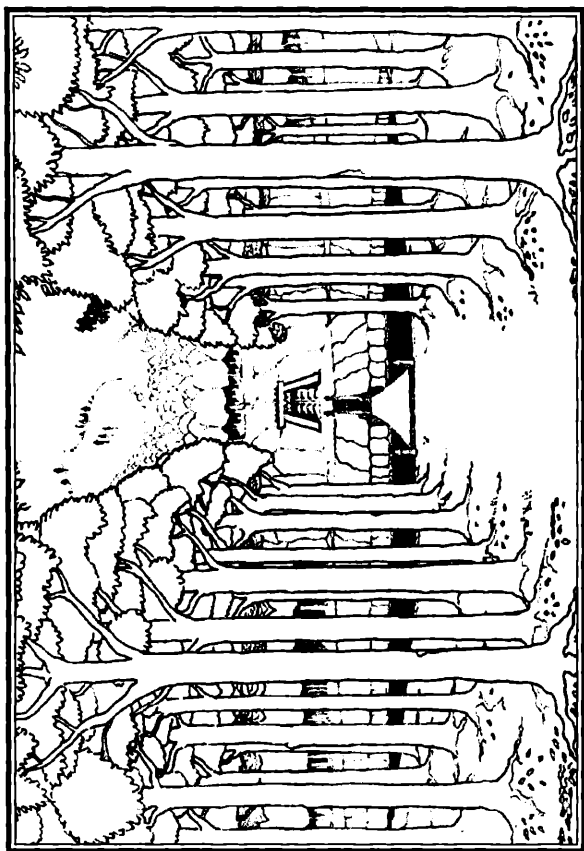
ضمن قاعة كبيرة بأعمدة منحوتة من الحجر، جلس ملك الجان على كرسي من الخشب المنحوت، يضع على رأسه تاجاً من الثمار والأوراق الحمراء، لأن الوقت كان في فصل الخريف، أما في فصل الربيع فقد كان يرتدي تاجاً من أزهار الغابات. ويحمل في يده عصاً منقوشة من خشب البلوط.

عُرِضَ الأسرى أمام الملك، ورغم نظرتهم المتجهمة لهم، فقد أمر رجاله بأن يفكوا قيودهم، لأنهم كانوا مرهقين وثيابهم ممزقة، ثم قال: أضف إلى أنه لا حاجة لنا بالقيود هنا. فلم يكن هنالك من مفر للخروج من بين أبواب السحرية لأولئك الذين أدخلوا في السابق إليها.

استجوبهم الملك لفترة طويلة وبتحرق دقيق، حول شأنهم، وإلى أين هم ذاهبون، ومن أين أتوا، لكنه حصل منهم على معلومات أقل من تلك التي حصل عليها من ثورين. كانوا فظين وغاضبين ولم يتظاهروا حتى بالتهذيب أمام الملك.

قال بالين وهو الثاني في تسلسل العمر بينهم بعد ثورين: ماذا فعلنا أيها الملك؟ هل الضياع في الغابة جريمة، هل الجوع والعطش جريمة، هل الوقوع في شرك العناكب جريمة؟ هل العناكب حيواناتك الأليفة أم هي حيواناتك المدللة، هل قتلها يغضبك؟ مثل هذه الأسئلة طبعاً ستجعل الملك أكثر غضباً بكثير، فأجابهم: الجريمة هي أن تتجولوا في أرضي من دون إذن، أم هل نسيتم بأنكم في مملكتي، وتستعملون تلك الطرق التي بناها شعبي؟ ألم تلاحقوا وتزعجوا شعبي ثلاث مرّات في الغابة، أثرت العناكب من أماكنها بسبب شغبكم وصخبكم؟ بعد كل هذا الإزعاج الذي أحدثتموه، ألا يحق لي أن أعرف ما الذي أتى بكم إلى هنا، وإذا لم تُخبروني الآن، فسأبقيكم جميعاً في السجن حتى تتعلموا التهذيب والأخلاق.

ثم أمر بوضع كل قزم في زنزانية منفردة، وإعطائهم الطعام والشراب، لكن لم يسمح لهم بالخروج خلف أبواب زنازينهم الصغيرة، إلى أن يبدي واحد منهم على الأقل رغبته في إخبار الملك بكل ما كان يودُّ معرفته. لكنه لم يخبرهم بأن ثورين هو الآخر سجينٌ عنده، فقد كان يلبو هو من اكتشف ذلك.



بوابة ملك الجان

مسكين السيد باجينز، كانت فترةً طويلةً مرهقةً تلك المدّة التي عاشها بمفرده في ذلك المكان، حيث بقي دائماً مختبئاً، ولم يجرؤ قط على خلع خاتمه، وبالكاد كان يجرؤ على النوم، حتّى إنه ابتعد إلى أبعد وأحلك الزوايا التي يمكن أن يجدها، كلما لفعل شيء ما، ثمّ راح يتجوّل في قصر ملك الجان. تُفْتَح وتُغلق البوابات عن طريق السحر، لكنه أحياناً كان يستطيع الخروج منها إذا كان سريعاً.

كانت سرايا من جان الغابة، تنطلق من وقتٍ لآخر من أجل الصيد وأعمالٍ أخرى في الغابة وفي أراضي الشرق، وأحياناً يكون الملك على رأس هذه السرايا. وإذا كان بيلبو حاذقاً جداً، فإنه سيتمكّن من الانزلاق خلفهم مباشرةً، على الرغم من خطورة الأمر. أكثر من مرّة كاد أن يُقبَض عليه في الأبواب، لأنها كانت تغلق وتتشابك دفتاها مع بعضهما بعد عبور آخر جنّي مباشرةً. مع ذلك لم يجرؤ على السير بينهم بسبب ظلّه (مع أنه بالمجمل يكون ظلُّ نحيف ومتذبذب على ضوء المشاعل)، أو لخوفه من الاصطدام به واكتشاف أمره. وفي المرّات القليلة التي خرج فيها من الأبواب، لم يفعل شيئاً مجدياً.

لم يكن يرغب في ترك الأقزام، وبالفعل لم يكن يعرف أين يذهب في هذا العالم من دونهم، لم يستطع مواكبة حملات صيد الجان طوال الوقت الذي يبقون فيه بالخارج، لذلك لم يكتشف قط طرق الخروج من الغابة، كان يبقى متجوّلاً في الغابة على نحوٍ بائس، خائفاً من الضياع، إلى أن تأتيه فرصة ثانية للعودة. كان جائعاً جداً في الخارج، لأنه لم يكن صياداً، لكن في داخل الكهوف كان يمكنه كسب لقمة عيشه من خلال سرقة الطعام من المخزن أو من المائدة عندما لا يكون أحد قريب منها. وكان يقول بينه وبين نفسه: أنا مثل لصٍّ لا يستطيع الهروب، لكن يجب أن أستمرّ في هذه السرقات البائسة ومن المنزل نفسه يوماً بعد يوم. كان هذا هو الجزء الأكثر كآبةً وملأ في كل هذه المغامرة التّعسة المزعجة المُتعبية! أتمنّى لو أعود إلى هوبيتول الخاصّة بي بجانب موقدي الدافئ والمصباح المُضاء! وغالباً ما كان يتمنّى أيضاً لو يتمكّن من إرسال رسالة إلى الساحر يطلب فيها المساعدة، لكن هذا بالطبع

مستحيل تمامًا، وسرعان ما أدرك بأنه إذا كان يتعيّن القيام بأي شيء، فيجب أن يتمّ ذلك من قِبَل السيّد باجینز وحده، ومن دون مساعدةٍ من أحد.

في النهاية، وبعد أسبوعٍ أو اثنين من عيش حياة التسلّل، تمكّن من معرفة محبس كلّ قزم، بعد أن قام بمراقبة الحُرّاس ومتابعتهم واغتنام الفرص الممكنة، وجد زنازينهم الاثنتي عشرة في أجزاء مختلفة من القصر. وبعد فترةٍ أصبح يعرف طريق الوصول إليهم جيدًا. كم كانت دهشته ذات يومٍ عندما سمع بعض الحُرّاس يتحدّثون، فعلم بأن قزمًا آخر غير هؤلاء مسجون في مكانٍ مظلمٍ للغاية، وبالطبع فقد خَمّن على الفور، أن ذلك القزم ليس سوى ثورين، وبعد فترةٍ وجد أن تخمينه صحيح. أخيرًا وبعد الكثير من الصعوبات نجح في العثور على مكانه. وعندما لم يكن أحدٌ هناك، تمكّن من الحديث مع زعيم الأقسام. كان ثورين يائسًا جدًّا، أنعس من أن يلوم سوء حظّه، بل بدأ بالتفكير في إخبار الملك بكلّ شيء حول كنزهِ ومساعاه (مما يدلُّ على وصوله إلى الحضيض)، وعندما سمع صوت بيلبو الصغير من ثقب الباب. بالكاد صدّق أذنيه. لكنه أدرك فورًا أنه لا يمكن أن يكون مخطئًا، فاقترب من الباب وتهامس طويلًا مع الهوبيت على الجانب الآخر.

هكذا تمكّن بيلبو من نقل رسالة ثورين سرًّا إلى كلّ واحدٍ من الأقسام المسجونين، فقد أخبرهم بأن زعيمهم ثورين مسجونٌ هو الآخر في زنزانه قريبةٍ منهم، وأخبرهم بألا يكشف أحد منهم شيئًا حول مهمّتهم، ليس الآن، ليس قبل أن يسمح له ثورين. فقد عادت معنويات ثورين لترتفع، خاصّةً بعد معرفته بكيف خلّص الهوبيت رفاقه من العناكب، وقرّر مرّةً أخرى ألا يَعدّ الملك بنصيب من الكنز إن أخرجه من السجن، حتّى زوال آخر أملٍ لهم في الهروب. في الحقيقة حتّى يفشل الاستثنائي السيّد باجینز الخفي (والذي بالفعل بدأ يحظى بتقديرٍ عالٍ) في إيجاد فكرةٍ ذكيّةٍ ما لهروبهم.

وافق بقية الأقسام عندما تلقّوا الرسالة، لقد اعتقدوا جميعًا بأن حصصهم من الكنز (والتي اعتبروها ملكًا لهم، رغم مأزقهم الحالي وأنهم لم يتغلّبوا بعد



على التنين) ستتدهور فعلاً إذا ادعى جان الغابات بأن لهم نصيباً فيه، أضف إلى أنهم جميعاً كانوا يتقون ببيلبو.

حدث تماماً ما أخبرهم به جاندالف. كما ترون، لعل ذلك هو السبب الذي دعاه إلى الذهاب وتركهم وحدهم.

مع ذلك لم يكن ببيلبو متفائلاً كثيراً مثلهم، فهو لم يكن يحب أن يعتمد عليه الجميع، وتمنى في قرارة نفسه لو أن الساحر قريب منه. لكن هذه الأمنية صعبة التحقيق، ربما كانت كل هذه المسافات المظلمة من غابة ميركوود تحول بينهما. لذلك جلس وفكر كثيراً وحده، حتى كاد رأسه ينفجر، ولم تأت على باله أي فكرة لامعه. إن خاتم الإخفاء هذا شيء جيد جداً، لكنه ليس جيداً على الإطلاق عندما يطلب منه حل مشكلة أربعة عشر شخصاً. لكنه بالطبع كما خمنتم فقد أنقذ أصدقاءه في النهاية، وهذا ما حدث.

في أحد الأيام، راح ببيلبو يتجول حوله ويتجسس فاكتشف شيئاً مثيراً للاهتمام، بأن البوابة العظيمة ليست هي المدخل الوحيد للكهوف. هناك تحت أخفض مكان في القصر يجري تيار مائي، ويلتقي مع نهر فوريست في نقطة ما في الشرق، خلف المنحدر الحاد الذي يفتح منه المدخل الرئيسي. يخرج هذا المجرى الجوفي من سفح التل حيث توجد هناك بوابة مائية. هناك يهبط السقف الصخري مقرباً من سطح الجدول، ومن هذا السقف يمكن إنزال البوابة الحديدية التي تنزل لتصل إلى قاع النهر لمنع أي شخص من الدخول أو الخروج من هذا الطريق. لكن هذه البوابة الحديدية تبقى مفتوحة في كثير من الأحيان، لأن كمية كبيرة من الحركة التجارية الخاصة بالقصر تخرج وتتدخل عبر هذه البوابة. لو جاء أحد من هذا الطريق فإنه سيجد نفسه في نفق مظلم وعر، يقوده إلى أعماق قلب التل. لكن عند إحدى النقاط التي تمر فيها تحت الكهف، قُطِعَ السقف وغطى بأبواب سحرية كبيرة مصنعة من خشب البلوط، والتي تؤدي إلى مخزن خمر الملك. هناك تخزن الكثير من البراميل. كان جان الغابة وملكهم بشكل خاص مغرمون جداً بالنبيذ، وبسبب عدم وجود كروم للعنب في تلك الأنحاء، فقد جلب لهم النبيذ وبقيّة البضائع

الأخرى من أماكن بعيدة، إمّا من عند أقاربهم في الجنوب، وإمّا من كروم عنب البشر في البلاد البعيدة.

كان بيلبو مختبئاً خلف واحدٍ من أكبر البراميل عندما اكتشف وجود الأبواب المسحورة واستعمالاتها، فتربّص هناك يصغي إلى أحاديث خدم الملك، وعلم كيف يأتي النبيذ وبقية البضائع الأخرى عبر النهر، أو البر، إلى "لونج ليك"، والتي يبدو أنها بلاد للبشر ولا تزال مزدهرةً هناك. بُنيت "لونج ليك" على جسورٍ طويلة فوق الماء لتؤمن لها الحماية من جميع أنواع الأعداء، وبشكلٍ خاص من تنين الجبل.

كانت البراميل تأتي من ليك تاون وترسَل عبر نهر فوريسْت. غالباً ما تكون البراميل مربوطة بشكلٍ وثيقٍ مع بعضها مثل عوامات كبيرة وكانت تُسحب أو تُدفع إلى تيار الماء، وأحياناً تُحمَل هذه البراميل على قواربٍ مُسطحة.

وعندما تكون البراميل فارغة، يلقيها الجان من الأبواب المسحورة ويفتحون لها البوابة الحديدية المائية، فتخرج البراميل عائمةً على وجه النهر، وتبقى تتمايل على وجه الماء حتّى ينقلها التيار إلى مكانٍ بعيد أسفل النهر حيث تبرز الضفة، القريبة جداً من الحافة الشرقية لغابة ميركود. هناك تُجمَع البراميل وربطهم مع بعض، ومن ثمّ يعيدونها إلى "ليك تاون"، القريبة من النقطة التي يتدفق منها نهر فوريسْت ليصل إلى "لونج ليك".

لبعض الوقت جلس بيلبو وفكّر في أمر هذه البوابة المائية وتساءل عمّا إذا كان بمقدوره استخدامها من أجل هروب أصدقائه، وفي النهاية كانت لديه البدايات اليائسة للخطة.

بعدما قدّم الحُرّاس وجبة العشاء للسجناء راحوا يتسكّعون بعيداً عبر الممرّات حاملين مشعلاتٍ معهم وتاركين كلّ شيء خلفهم في ظلامٍ دامس. عندها سمع بيلبو كبير خدم الملك يلقي تحية المساء على رئيس الحرس: طابت ليلتك! تعالَ معي الآن لتتدوّق النبيذ الجديد الذي وصل للتوّ. لديّ عملٌ صعب، الليلة سأعمل على تنظيف مخزن الخمر من البراميل الفارغة، لذلك دعنا نشرب في البداية ليساعدنا ذلك على تحمّل مشاق هذا العمل.

ضحك رئيس الحرس وقال: جيد جداً، سأتذوق النبيذ معك، لأرى إن كان مناسباً لطاولة الملك. هناك حفلة الليلة ولن يكون إرسال الأشياء السيئة إليها أمراً جيداً!

عندما سمع بيلبو هذا الكلام، ارتعش كامل جسمه، لأنه رأى أن الحظ يقف إلى جانبه وها هي الفرصة قد أتت له على الفور لتجربة خطته اليائسة. لذلك سار خلف الجنيان، حتى دخلا مخزناً صغيراً وجلسا إلى طاولة وضعت عليها زجاجتان كبيرتان، وفي الحال شرعا في الشرب والمزاح بسعادة.

كان حظاً غير عادي مع بيلبو في حينها، يجب أن يكون النبيذ قوي الفاعلية لكي يجعل من جان الغابة نعساناً، لكن هذا النبيذ على ما يبدو، كان خمراً معتقاً، جلب من حدائق دوروينيون العظيمة، ولم يكن مخصصاً لجنوده أو خدمه، إنما فقط من أجل حفلات وولائم الملك، وليوضع في طاسات صغيرة، ليست كزجاجة كبير الخدم الكبيرة.

سرعان ما تمايل رأس رئيس الحرس، فألقى به على الطاولة ونام بسرعة. بقي كبير الخدم يتحدث ويضحك مع نفسه لبعض الوقت دون أن يلاحظ أن زميله قد نام، لكنه أيضاً سرعان ما ألقى برأسه على الطاولة، نام بجانب صديقه وراح يشخر. عندها تسلل الهوبيت.

وفي الحال أصبح رئيس الحرس بلا مفاتيح، أما بيلبو فراح يهرول بأسرع ما يمكن على طول الممر المؤدي إلى الزنازين. بدت حزمة المفاتيح ثقيلة جداً على ذراعيه، وفي كثير من الأحيان كان قلبه يقفز من صدره خوفاً، فعلى الرغم من أنه كان يلبس الخاتم، لكنه لم يستطع منع صوت قعقعة وخشخشة المفاتيح العالي بين الحين والآخر، وهذا ما جعله يرتجف.

فتح أولاً باب زنزانة بالين، وبمجرد خروج القزم أغلقه بحذر، كان بالين متفاجئاً للغاية، ولكم أن تتخيلوا، كم كان سعيداً بخروجه من غرفته الحجرية الصغيرة المرهقة، كان يود التوقف والسؤال لمعرفة ما الذي سيفعله بيلبو، وعن كل شيء حول الخطّة.

فقال له الهوبييت: لا وقت لدينا الآن! يجب أن تتبعني! وعلينا أن نبقى جميعنا معًا وألا نُخاطر بالانفصال. إمَّا أن نهرب كلنا وإمَّا لا نهرب، وهذه هي فرصتنا الأخيرة. إذا اكتُشِفَ أمرنا، فالله أعلم أين سيضعك الملك بعد ذلك، أتوقَّع أنه سيضع السلاسل في يديك وقدميك أيضًا. فلا تجادلني، أيها الزميل الطيب!

ثمَّ ذهب من بابٍ إلى بابٍ حتَّى أصبح أتباعه اثني عشر، لم يكن من بينهم شخصٌ حاذق، ناهيك بالظلام، وعن سجنهم الطويل. كان قلب بيلبو يخفق بشدَّة كلما ارتطم أحدهم بأخر، أو شخَّر أو همس في الظلام، وكان يقول في نفسه: أتعجَّب من هذا الاستهتار عند الأقرام. مع ذلك فكلُّ شيء يسير على ما يرام، إذ لم يلتقوا أيَّ شخصٍ من الحراس، في واقع الأمر، في تلك الليلة، كانت تُقام في الغابة وفي القاعات التي فوقهم، حفلة عيد الخريف الكبير. وكان كلُّ رعايا الملك تقريبًا يحتفلون بمرح. أخيرًا وبعد ذلك بكثير وصلوا متخبطين إلى زنزانة ثورين التي كانت تغور في مكانٍ عميق، لكن لحسن الحظِّ لم تكن بعيدةً عن مخازن الخمور.

قال ثورين عندما همس له بيلبو لكي يخرج وينضمَّ إلى أصدقائه: أقسم لك بشرفي، بأن جاندالف نطق بالحقِّ، كالمعتاد. حين يحين الوقت تصبح لصًا رائعًا متمكِّنًا. أنا متأكِّد بأننا سنكون جميعًا في خدمتك إلى الأبد، مهما حدث بعد ذلك. والآن ما هي الخطوة التالية؟

رأى بيلبو بأن الوقت قد حان لشرح فكرته، بقدر ما يستطيع، لكنه لم يشعر مطلقًا بقبول الأقرام لها. كانت مخاوفه مبرِّرةً تمامًا، لأن الفكرة لم تعجبهم كثيرًا، وبدؤوا يتذمرون بصوتٍ عالٍ على الرغم من الخطر المحدق بهم.

راحوا يتمتمون: سوف نتعرَّض للكدمات والسحق إلى قطع صغيرة، وسنغرق بالتأكيد! اعتقدنا أن لديك فكرة معقولة، عندما نجحت في الاستيلاء على المفاتيح. هذه فكرةٌ مجنونة!

قال بيلبو وهو حزينٌ للغاية، أو بالأحرى حزينٌ ومنزعجٌ أيضًا: حسنًا! عودوا إلى زنازينكم اللطيفة، وسأقفل عليكم جميعًا مرّةً أخرى، ساعتها يمكنكم الجلوس هناك بشكلٍ مُريحٍ والتفكير في خطّةٍ أفضل، لكنني لا أتوقّع أنني سأكون قادرًا على الحصول على المفاتيح مرّةً ثانية، هذا إن شعرت بميلٍ إلى المحاولة.

كان هذا قاسٍ عليهم، وقد هدؤوا، وفي النهاية، كان عليهم بالطبع أن ينفذوا ما اقترحه، من الواضح أنه كان من المستحيل عليهم محاولة إيجاد طريقهم إلى القاعات العليا، أو شقّ طريقهم للخروج من البوابات التي أغلقت بواسطة السحر، ولن يكون التذمُّر في الممرّات جيدًا حتّى يلقى القبض عليهم ثانيةً. لذلك تبعوا الهوبيت، ونزلوا متسلّلين إلى أقبية أدنى. لقد عبروا من أمام الباب الذي كان يمكن من خلاله رؤية رئيس الحرس وكبير الخدم وهما لا يزالان يشخّران بسعادة والابتسامات على وجهيهما. نبّذ دوروينيون يجلب أحلامًا عميقة وممتعة. سيكون هناك تعابير مختلفة على وجه رئيس الحرس في اليوم التالي، مع العلم أن بيلبو كان قد سرق المفاتيح منه، لكنه قبل أن يذهب أعادها إليه ووضعها في حزامه بكلّ طيبة قلب. ولسان حاله يقول: هذا سيوفّر عليك بعض المشكلات التي ستواجهها، لم يكن شخصًا سيئًا، بل كان لطيفًا تمامًا مع السجناء، وذلك سيحيرهم جميعًا. سوف يعتقدون بأننا نملك سحرًا قويًا جدًّا لكي نمرّ عبر البوابات المغلقة ونختفي.

- نختفي! يجب أن نعمل بسرعة إذا أردنا أن نختفي! طُلب من بالين أن يراقب الحارس وكبير الخدم، وأن يعطي إشارة تحذير إذا تحرّكا، أمّا البقية فذهبا إلى القبو المجاور حيث الأبواب المسحورة.

لم يكن لديهم الوقت لإضاعته. قبل مُضيّ وقتٍ طويل، وكما علم بيلبو، بصدور الأوامر لبعض الجان بالنزول إلى المخزن ومساعدة كبير الخدم، في إخراج البراميل الفارغة من خلال الأبواب ورميها في النهر. وبالفعل كانت البراميل تقف في منتصف أرضية المخزن بانتظار دفعها نحو النهر. بعضها كانت براميل نبّذ، ولم تكن ذات فائدةٍ كبيرة، وبالنهاية لا يمكن فتحها بسهولة

من دون إحداث قدرٍ من الضجيج، ولا يمكن إعادة إغلاقها بسهولة ثانيةً. لكن كان بينها عدّة براميل أخرى كانت معدّة لجلب أشياء مختلفة، كالزبدة والتفّاح وأصناف أخرى متنوعة إلى قصر الملك.

وسرعان ما وجدوا ثلاثة عشر برميلاً بمساحة كافية لقزم واحد في كلّ برميل. في الحقيقة كان بعضها فسيحاً جداً، وبينما كان الأقزام يتسلّقون فكّروا بقلق في الاهتزازات والصدمات التي سيتعرّضون لها بالداخل، على الرغم من أن بيلبو كان قد بذل قصارى جهده -ضمن وقتٍ قصير- للعثور على القشّ والأشياء الأخرى ووضعها في البراميل لكي يؤمّن لهم وضعاً مريحاً قدر الإمكان. أخيراً خبئَ اثنا عشر قزماً. كان ثورين قد تسبّب في الكثير من المتاعب، عندما راح يستدير ويلتفّ في برميله ويتذمّر مثل كلبٍ كبير في وجارٍ صغير. بينما أثار بالين الذي كان آخر الواصلين، ضجّةً كبيرة حول فتحات التهوية الخاصّة به وقال بأن برميله كان خانقاً، حتّى قبل أن يُغلق غطاؤه. فعل بيلبو ما في وسعه لإغلاق الثقوب في جوانب البراميل، وإصلاح الأغطية بأمانٍ قدر الإمكان، والآن ترك بمفرده مرّةً أخرى، وهو يركض حولهم واضعاً اللمسات الأخيرة على عملية التعبئة، على أمل أن تؤتي خطّته ثمارها.

لم يمضِ الكثير من الوقت، بعد دقيقة أو اثنتين من إغلاق غطاء برميل بالين، كانت هناك مجموعة أصوات وبصيص أضواء. جاء إلى الأقبية عدد من الجان يضحكون ويتحدّثون وكانوا يردّدون مقتطفات من الأغاني. لقد تركوا حفلةً بهيجةً في إحدى القاعات وكانوا عازمين على العودة بأسرع ما يمكن.

قال أحدهم: أين العجوز غالليون كبير الخدم! لم أره على الطاولات الليلة، يجب أن يكون هنا الآن ليخبرنا ماذا سنفعل.

قال آخر: سأكون غاضباً إن تأخّر العجوز البليد، لا أرغب في إضاعة الوقت هنا بالأسفل بينما الغناء مستمرّ هناك بالأعلى.

جاءت صرخةً من الخارج: ها، ها! ها هو العجوز الوغد ورأسه على الإبريق، كان لديه احتفال صغير هو وصديقه قائد الحرس.

صرخ الآخرون بفارغ الصبر: هُزّه! أيقظه!

لم يكن غالليون مسرورًا على الإطلاق بسبب هَزْه أو إيقاظه، ولم يكن سعيدًا بالسخرية منه.

فقال شاكيًا: لقد تأخّرتم كلكم، وها أنا أنتظر وأنتظر هنا بالأسفل، بينما أنتم أيها الزملاء تشربون وتمرحون وقد نسيتم مهامكم. فلا عجب إن نمت من التعب.

قالوا له: لا عجب! مع أن التفسير يقف قريبًا، عند اليد وفي الإبريق! هات أعطنا لنتذوّق من جرعتك المنومة قبل أن نتوافق! لا حاجة لنا بإيقاظ ذلك السَّجَّان هناك، يبدو من مظهره أنه قد أخذ نصيبه من الحفلة.

شربوا رشفة واحدة فقط لكلّ منهم فأصبحوا سعداء فجأة، لكنهم لم يفقدوا وعيهم، وصاح بعضهم: ارحمنا يا غالليون! لقد بدأت حفلتك مبكرًا فأفسدت نباهتك! ها قد قمت بتكديس بعض البراميل الممتلئة هنا بدلًا من الفارغة، لقد كان فيها شيء من الوزن.

قال كبير الخدم بتذمّر: استمروا في العمل، لا يوجد أيُّ شعور بالوزن، إلا في زراعي البليدة الخاملة، ستلقون بهذه البراميل وليس غيرها، افعلوا ما أقوله لكم!

أجابوه وهم يدحرجون البراميل نحو الفتحة: حسنًا، حسنًا! سيكون ذلك على مسؤوليتك، إذا أُلقيت حاويات زبدة الملك المُملوءة، وأفضل نبيذه في النهر، ليقم بها رجال البحيرة وليمة من دون مُقابل!

دحرج، دحرج، دحرج،

دحرج، دحرج، دحرجه،

سألقي به أسفل الفتحة!

ليسقط بقوة ويطرطش

إلى الأسفل ينزلون، وبالأسفل يرتطمون

هكذا غنوا مثلما غنوا لأول واحدٍ من البرميل، وبعدها قعقع برميل آخر إلى الفتحة السوداء، ودُفع به إلى الماء البارد على بعد بضعة أقدام. كانت هناك بالفعل براميل فارغة، وبعضها كان عبارة عن حاويات موضَّبة بعناية مع وجود قزمٍ في كلِّ برميل، نزلوا كلُّهم من الفتحة واحدًا تلو الآخر، مع عدَّة ارتطامات وعدَّة كدمات. كان يصطدم البرميل النازل من الأعلى بذلك الموجود تحته، فينقلب على جانبه في الماء، ويحتكُ بجدران النفق، فيتصادم أحدهم بالآخر، ويتمايل نازلًا مع التيّار إلى البعيد.

في هذه اللحظة بالذات اكتشف بيلبو نقطة الضعف في خطَّته. على الأرجح أنكم رأيتموها منذ بعض الوقت وكنتم تضحكون عليه، لكنني لا أفترض أنكم كنتم ستفعلون نصف ما فعله لو كنتم في مكانه. بالطبع لم يَضَع نفسه في برميل، ولم يبقَ هناك مَنْ يضعه في برميل ويقفل عليه، حتَّى لو وجد الفرصة لذلك! فيبدو كما لو أنه سيفقد أصدقاءه بالتأكيد هذه المرَّة (بالفعل لقد اختفوا كلهم تقريبًا من خلال الباب السحري المعتم)، فقد تركوه خلفهم تمامًا ليبقى مختبئًا كلصٍّ دائم في كهوف الجان إلى الأبد. حتَّى لو سنحت له الفرصة للهرب الآن عبر إحدى البوابات هناك في الأعلى، فستكون لديه فرصةٌ منعدمة للعثور على الأقرام مرَّة ثانية. هو لا يعرف الطريق البرِّي الذي يؤدِّي إلى المكان الذي تتجمَّع فيه البراميل. وتساءل ماذا سيحصل لأولئك الأقرام على الأرض من دونه، فلم يكن لديه الوقت ليخبر الأقرام بكلِّ ما عرفه عن البراميل وطريقها ومكان تجمُّعها، أو ما كان ينوي فعله بمجرد خروجهم من الغابة. بينما كانت كلُّ هذه الأفكار تدور في ذهنه، بدأ الجان وهُم سعداء للغاية بإنشاد أغنية جديدة تدور معانيها حول باب النهر. فبعضهم كان قد ذهب بالفعل لسحب الحبال التي ترفع البوابة الحديدية عند البوابة المائية للنهر لإخراج البراميل بمجرد أن تكون جميعها طافيةً خلفها.

انزل إلى النهر السريع المُعْتِم وانطلق

عد إلى بلادٍ كُنْتَ تعرفها!



غادر القاعات والكهوف العميقة  
اهجر الجبال الشمالية الشاهقة

حيث الغابة رحبة ومظلمة  
تنحني في الظلال الرمادية والمتجهممة  
اطفُ خلف عالم الأشجار  
اخرج إلى همسات النسيم

بعد الصخب، بعد القصب  
بعد المستنقعات حشائش متموجة  
من خلال الضباب الذي يمتدُّ أبيض  
صاعدًا من البحيرة والبركة في الليل!

لاحق وأدرك النجوم التي تقفز  
إلى السماء الباردة والشاهقة  
انعطف عندما يطلُّ الفجر على الأرض،  
فوق المنحدر النهري، فوق الرمال

ابتعد إلى الجنوب! وإلى أقصى الجنوب!  
اطلب ضوء الشمس وضوء النهار  
ارجع إلى المروج، ارجع إلى الخمور  
حيث تتغذى الأبقار والثيران!

ارجع إلى حدائق على التلال  
حيث الفاكهة تنضج وتُعصر  
تحت ضوء الشمس وضوء النهار  
ابتعد إلى الجنوب! وإلى أقصى الجنوب!

انزل إلى النهر السريع المُعْتِمِ وانطلق  
عُد إلى بلادٍ كُنْتَ تعرفها!

مع دحرجة آخر برميل باتجاه الأبواب المسحورة! وفي حالة من اليأس  
وعدم المعرفة، تمسك المسكين الصغير بيلبو بالبرميل ودُفع عبر الحافة إلى  
الأسفل.

فسقط تحته وقد تناثر الماء المظلم البارد من حوله! صعد ثانيةً فوق  
البرميل وهو يبصق وقد تعلقُ بخشب البرميل مثل جرد، رغم كل جهوده  
لم يستطع الزحف إلى قمة البرميل. ففي كلِّ مرَّة كان يحاول، كان البرميل  
يتدحرج ويفمسه تحته ثانيةً. لقد كان فارغًا بالفعل، وقد طاف بخفَّة فوق  
الماء مثل قطعةٍ من الفلين. على الرغم من امتلاء أذنيه بالماء كان يلبو يسمع  
صوت الجان وهُم لا يزالون يغنون في القبو فوقه.

بعد ذلك وبشكلٍ فجائي، دوى هدير إغلاق الأبواب المسحورة وتلاشت  
معه أصوات غناء الجان نهائيًا.

وأصبح بيلبو وحيدًا في النفق المظلم، يطفو فوق المياه الجليدية، إذ لا  
يمكن اعتبار أن الأصدقاء المقفل عليهم في البراميل موجودين معه.

سرعان ما ظهرت بُقعة رمادية أمامه في الظلام. وقد سُمِع صوت صرير  
البوابة المائية وهو يُرفع، ووجد نفسه وسط كتلةٍ من البراميل والحاويات  
تتمايل وتتأرجح جميعها تضغط لتمرَّ من تحت قوس البوابة والخروج إلى  
النهر المفتوح. فعل كلُّ ما بوسعه ليتحاشى الاصطدام وبالبراميل الأخرى

وتفتت البرميل الذي يتمسك به إلى قطع صغيرة، وأخيرًا بدأ الحشد المتدافع بالتفكك والتأرجح، واحدًا تلو الآخر، والابتعاد من تحت القوس الحجري. أراد ركوب البرميل لكنه رأى أن ذلك لن يجدي نفعًا، حيث لم تكن هناك مسافة كافية لمرور حتى هوبيت بين سطح البرميل والسقف الذي ينخفض فجأة عند البوابة.

خرجت البراميل من تحت أغصان الأشجار المتدلّية على ضفتي النهر. تساءل بيلبو عما يشعر فيه الأقرام الآن، وما إذا كان الكثير من الماء يدخل إلى البراميل التي يجلسون فيها. بعض البراميل التي كانت تتمايل بجانبه في الظلمة بدوا وكأنهم غاطسين في الماء أكثر من غيرهم، فتوقّع أن يكون الأقرام بداخل تلك البراميل.

فكّر بينه وبين نفسه: أمل أن أكون قد أحكمت إغلاق الأغصية بشكل جيد! لكنه سرعان ما أصبح قلقه أكثر على نفسه لدرجة أنه لم يعد يتذكّر الأقرام. لقد جاهد ليبقي رأسه فوق الماء، لكنه كان يرتجف من البرد، وتساءل عما إذا كان سيموت قبل أن يبتسم له الحظُّ من جديد. وإلى متى سيبقى قادرًا على التماسك، وما إذا كان سيخاطر بفرصة ترك البرميل ومحاولة السباحة إلى الضفة.

ابتسم الحظُّ له بعد فترة طويلة، بعد أن تشكّلت دوامة في مياه النهر وحملت عدّة براميل إلى منطقة قريبة من الشاطئ، وفي تلك النقطة علقت البراميل لفترة بين بعض الجذور المغمورة في الماء. عندها انتهب بيلبو الفرصة المناسبة ليتسلّق جانب برميله بينما كان مستقرًا في الماء بسبب استناده إلى برميل آخر. وزحف مثل جرذ غارق واستلقى متمدًا على قمة البرميل ليحافظ على التوازن بأفضل ما يمكن. كان النسيم باردًا لكنه بكلّ الأحوال أفضل من برودة الماء، وتأمّل بالألا يتدحرج البرميل فجأة عندما يعودون جميعًا إلى الحركة مرّة أخرى. سرعان ما تحرّرت البراميل من جديد واستدارت منحرفة عن التيار، وعندما خرجت البراميل إلى التيار الرئيسي، وجد صعوبة كبيرة في التمسك بها كما كان يخشى، لكنه بطريقة أو بأخرى

تمكّن من البقاء على ظهر البرميل، على الرغم من أن الوضع كان مُزعجًا للغاية.

لحسن الحظّ، فقد كان بيلبو خفيّفًا جدًّا والبرميل كبيرًا جدًّا وتسرّب قليل من الماء إلى داخله فأصبح مستقرًّا، كما لو كان يجلس على قارب صغير في الماء. بدا الأمر أشبه بمحاولة ركوب مُهرٍ دائريّ البطن من دون لجامٍ أو سرجٍ وركابٍ ويُحاول دائميًا لتدحرج على العشب، وبهذه الطريقة أخيرًا، وصل السيّد باجينز إلى مكانٍ أصبحت فيه الأشجار رقيقة القوام من كلا جانبي النهر. حيث كان يرى السماء الشاحبة من بين تلك الأشجار. فجأة انفتح النهر المظلم على مجرى واسع، وهناك اتصل مع المياه الرئيسية لنهر فوربيست المتدفّقة بسرعةٍ من أبواب الملك العظيمة، كانت هناك طبقة قاتمة من الماء والتي لم تعد معتمّة مثل قبل، وعلى سطحها المنزلق كانت تتراقص انعكاساتٍ متكسّرةٍ للسحب والنجوم. جرفت المياه المتسارعة لنهر فوربيست كل البراميل والحاويات إلى الضفّة الشمالية التي ابتلعت خارج الخليج الواسع. الذي يملك شاطئًا حصويًّا تحت الضفاف المعلّقة وكان مُحاطًا من نهايته الشرقية بنتوء بارز من الصخور الصلبة الداخلة في الماء. جنحت مُعظم البراميل إلى الشاطئ الضحل، على الرغم من أن بعض البراميل استمرّت في الارتطام بالرصيف الحجري.

كان هنالك على الضفاف أناسٌ ينتظرون البراميل. قاموا بسرعةٍ بدفع كل البراميل وتجميعها في المياه الضحلة، وبعدما أحصوها قاموا بربطها مع بعضها وتركوها حتّى الصباح. يا للأقزام المساكين!

لم يكن بيلبو الآن في وضع سيئ للغاية. لقد انزلق من برميله وخاض في المياه حتّى وصل إلى الشاطئ، ثمّ تسلّل إلى بعض الأكواخ التي كان بإمكانه رؤيتها بالقرب من حافة الماء.

لم يعد يفكّر مرّتين في تناول العشاء من دون أن يُدعى إليه، كلما سنحت له الفرصة، وبقي مُجبّرًا على القيام بذلك لفترةٍ طويلة، لأنه كان يعرف بالضبط أيضًا، ماذا يعني أن تكون جائعًا بالفعل، وليس مهتمًّا فقط

بآداب الطعام اللذيذ الموجود بكثرة في حجرة المؤن. لمح نارًا مشتعلًا بين الأشجار، فذكَرته تلك النار بضرورة تجفيف ملابسه الرثة المبلّلة والملتصقة به بكلُّ برودتها ورطوبتها.

لا حاجة إلى إخباركم بالكثير من مغامراته في تلك الليلة، لأننا في الوقت الحالي أصبحنا نقترّب من نهاية الرحلة باتجاه الشرق، وسنصل بعدها إلى آخر وأكبر مغامرة، لذلك يجب أن نُسرِع. بالطبع لقد ساعده خاتمه السحري ليبقى في وضع جيد في البداية، لكنّ مساره في النهاية أصبح محدّدًا بآثار أقدامه المبلّلة وأثر قطرات الماء التي كان يتركها خلفه أينما ذهب أو جلس، بدأ أنفه يسيل، وحيثما حاول الاختباء كان الصوت الهائل لعطسته المكبوتة يفضحه. وفي الحال ساد اضطراب ناعم في القرية الواقعة قرب ضفاف النهر، لكنّ بيلبو هرب إلى الغابة يحمل معه رغيفًا من الخبز وزجاجة نبيذ مغطّاة بالجلد وفطيرة لا تخصّه. كان عليه أن يمضي بقية الليل مبتلًا كما كان وبعيدًا عن النار، لكنّ زجاجة النبيذ ساعدته على ذلك بما بثّته في جسمه من الحرارة، وقد نام في الواقع على بعض أوراق الشجر الجافّة، على الرغم من أننا وصلنا إلى آخر العام وقد أصبح الجوُّ باردًا جدًّا.

استيقظ مجدّدًا مع عطسةٍ مدوّية، كان صباحًا كثيبًا بالفعل، وكان هناك صخب مرح على ضفاف النهر، كان يصنعون طوّافة من البراميل، وسرعان ما ستنزلها طوّافة الجان مجرى النهر وتوجّهها نحو "ليك تاون". عطس بيلبو مرّة أخرى، صحيحٌ أن ملابسه لم تُعد ترشح بالماء لكنه ما زال يشعر بالبرد في كلّ مكان من جسمه. انطلق بسرعة إلى الأسفل بأسرع ما استطاعت أن تأخذه ساقاه المتيبّستان، وتمكّن في الوقت المناسب من الوصول إلى كتلة البراميل دون أن يلاحظه أحد ضمن هذا الصخب الشامل. ولحسن الحظّ، لم تكن هنالك شمس في ذلك الوقت لتلقي بظلالها المحرّجة، ومن رحمة القدر أنه لم يعطس مرّة ثانية لفترة طويلة.

كان هناك دفعٌ قويٌ بواسطة العصي، كان الجان يقفون في المياه الضحلة يرفعون ويدفعون. أصبحت كلُّ البراميل الآن مثبتةً مع بعضها وأصبح لها صريراً مزعج.

تذمَّر بعضهم: هذا حملٌ ثقيل! وقال البعض الآخر: إنها تعوم عميقاً، بعض هذه البراميل ليست فارغة، لو أنها وصلت إلى الشاطئ في وضح النهار، لكنَّنا ألقينا نظرةً عليها من الداخل.

صاح بهم قائد الطوافة: لا وقت لدينا الآن! انطلقوا!

انطلقوا أخيراً، كان سيرهم بطيئاً بالبداية حتَّى اجتازوا نتوءاً من الصخر حيث كان جان آخرون يقفون ليصرفوهم بعيداً بواسطة العصي. ثمَّ أسرع فأسرع إلى أن التحقوا بالتيار الرئيسي وذهبوا مبحرين نزولاً نحو البحيرة. لقد هرب الأقرام من زنانات الملك وعبروا الغابة، لكن يتعيَّن علينا الآن معرفة إن كانوا لا يزالون أحياء أم أمواتاً.

## الفصل العاشر

### ترحيب حارّ

في أثناء طوافهم أصبح النهار مضيئاً وأكثر دفئاً. وبعد مدّة، دار النهر حول كتفٍ شديد الانحدار من الأرض التي تنخفض عن يسارهم. تحت قعره الصخري الذي يشبه جرفاً داخلياً، كان التيار الأعماق يفور ويلتفُّ، فجأة اختفى الجرف وغرقت الشواطئ، وانتهت الأشجار.

بعدها رأى بيلبو مشهداً: انفتحت الأرض أمامه وأصبحت من حوله عريضةً ومليئةً بمياه النهر التي تفرّقت وطافت بمئة مسارٍ متعرّجٍ، أو توقّفت في مستنقعاتٍ وبركٍ منقّطةٍ بجُزُرٍ صغيرةٍ من كل جانب. مع ذلك لا يزال الماء القوي يتدفّق بثباتٍ وسط كلِّ ذلك. وفي البعيد هناك يلوح الجبل في الأفق، حيث تغطّي رأسه قطع ممزّقة من السحاب الداكن، وأقرب جيرانه من الشمال الشرقي والأراضي القفر التي تصله بهم، لم تكن مرئيةً. إنه الجبل المنعزل! من بين الجميع نهض وحده مُطلاً على كل هذه الأنحاء من المستنقعات إلى الغابة. لقد جاء بيلبو من البعيد وبعد الكثير من المغامرات ليراه، لكن منظر الجبل لم يعجبه الآن على الأقل.

بينما كان يستمع إلى حديث قادة الطوَّافات ويجمع قصاصات المعلومات التي تناثرت من بين كلامهم، وفي الحال أدرك بأنه كان محظوظاً للغاية بمجرد مشاهدته للجبل، حتَّى من هذه المسافة. كثيباً كما لو كان في سجنه، وكربهاً مثل موضعه (كي لا نقول شيئاً عن الأقزام المساكين تحته)، فما زال محظوظاً أكثر ممَّا توقع. كان حديث قادة الطوَّافات كله عن التجارة التي تأتي وتذهب عبر الممرَّات المائية وتزدهر حركتها بشكلٍ خاص على هذا النهر. حيث اختفت كلُّ الطرق القادمة من الشرق باتجاه ميركوود أو هُجرت وبطل استخدامها، وعن النزاعات القائمة بين رجال البحيرة وجان الغابة حول صيانة نهر فوريسست ومراقبة ضفافه.

لقد تغيَّرت تلك البلاد كثيراً منذ الأيام التي سكن فيها الأقزام في الجبل، وهي الأيام التي يتذكَّرها معظم الناس الآن على أنها تراث غامض للغاية. لقد تغيَّرت حتَّى عن السنوات السابقة، ومنذ آخر الأخبار التي تلقَّها جاندالف عنهم. أدَّت الفيضانات والأمطار الغزيرة إلى تضخُّم المياه المتدفِّقة شرقاً، وكان هنالك زلزال أو اثنين (والتي كان يميل بعض الناس إلى أن المتسبَّب فيها هو التنين فيشيرون إليه باللعنة بشكل مباشر، وإلى الجبل كعلامة على الشؤم). انتشرت المستنقعات والأهوار على نطاقٍ واسع من كلا الجانبين. اختفت المسارات، واختفى أيضاً الكثير من الفرسان والجوَّالون، عندما حاولوا العثور عبرها على الطرق الضائعة. وطريق جان الغابة الذي يعبر الغابة وهو الطريق الذي اتبعه الأقزام بناءً على نصيحة بيورن فقد وصلت الآن إلى نهاية مشكوك فيها وقليلة الاستخدام عند الحافة الشرقية للغابة. بقي النهر فقط هو ما يُقدِّم طريقاً آمنهً من حواف ميركوود في الشمال إلى السهول المظلَّلة بالجبل والواقعة خلفها، وكان النهر محميّاً بواسطة ملك جان الغابة.

لذلك نرى بأن بيلبو جاء بالنهاية من الطريق الوحيد الصالح للاستخدام. ربما كان من المريح للسيد باجينز، أن يرتجف على ظهر البرميل، إذا كان يعلم أن هذه الأخبار قد وصلت إلى جاندالف في البعيد وجعلته يشعر بقلق كبير، حيث كان يُنهي مهمَّةً أخرى (والتي لا تخصُّنا في هذه الحكاية) ويستعدُّ للحضور بحثاً عن صُحبة ثورين. لكن بيلبو لم يكن يعرف ذلك.



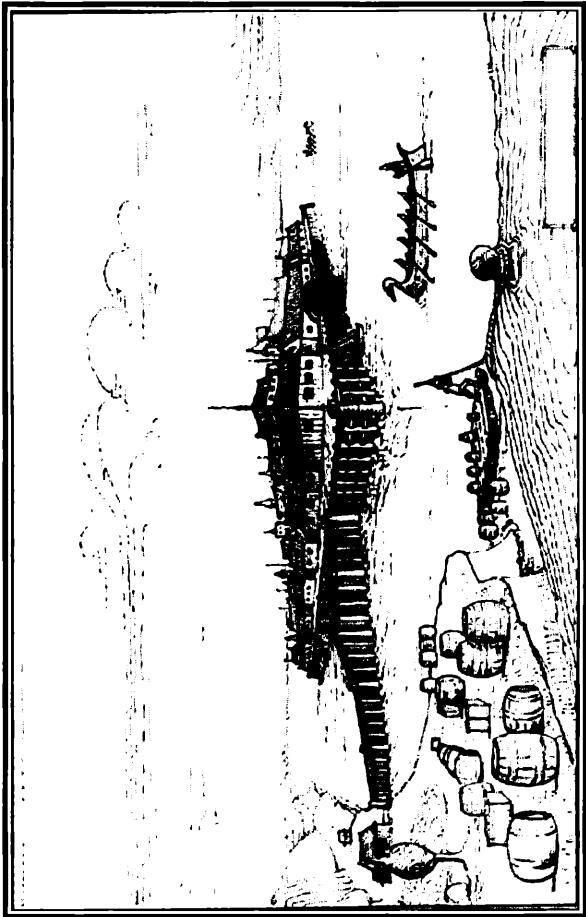
كلُّ ما كان يعرفه، أن النهر بدا له وكأنه يستمرُّ بلا نهاية، وكان جائعًا ويعاني نزلةً برد في أنفه، ولم تُعجبه الطريقة التي بدا فيها الجبل وكأنه يعبس في وجهه ويهدده كلما اقترب منه أكثر وأكثر.

لكن، بعد فترة، مال النهر بمساره أكثر نحو الجنوب، وانحسر الجبل عن الرؤية ثانيةً، وأخيرًا وفي وقتٍ متأخِّرٍ من اليوم، أصبحت الشواطئ صخرية. وجمع النهر كلَّ مياهه الهائلة معًا في فيضانٍ عميقٍ وسريع، وتدفَّقوا بسرعةٍ كبيرة.

كانت الشمس قد غابت عندما استدار النهر في اندفاعٍ آخرٍ باتجاه الشرق. حيث يندفع نهر فوريسْت إلى لونج ليك. هناك يوجد مصبٌ عريضٌ مع جرف صخري مثل البوابات على الجانبين حيث يتراكم الحصى في قعره.

لم يكن بيلبو يتخيَّل قط أن أي مياه غير البحر يمكن أن تبدو بهذا الاتساع، إنها بحيرة «لونج ليك»! كانت البحيرة عريضةً جدًا لدرجة أن الشواطئ المقابلة كانت تبدو صغيرةً وبعيدة، لكنها كانت طويلة جدًا، بحيث لم يكن ممكنًا على الإطلاق رؤية نهايتها الشمالية التي تتجه صوب الجبل. فقط من خلال معرفته بالخرائط كان بيلبو يعلم أنها تقع بعيدًا هناك، حيث تتلأأل بالفعل مجموعة نجوم «الدب الأكبر»، وينزل نهر «رانينج» إلى البحيرة قادمًا من «ديل» ليتجمَّع مع الكميات الكبيرة لمياه نهر فريست العميقة عندما كان في يومٍ من الأيام واديًا صخريًا عميقًا جدًا. عند الطرف الجنوبي تتضاعف كمية المياه المتدفِّقة حيث تخرج منها ثانيةً لتسقط من فوق شلالات عالية ثم تسير بسرعةٍ إلى الأراضي المجهولة. في أجواء المساء الساكنة كان يمكن سماع صوت تلك الشلالات مثل هديرٍ بعيد.

ليس بعيدًا عن مصبِّ نهر فوريسْت كانت تلك المدينة الغريبة التي سمع الجان في أقبية الملك وهم يتحدثون عنها. لم تكن مبنيةً على الشاطئ، على الرغم من وجود بعض المباني والأكواخ هناك، لكنها بعيدة تمامًا على سطح البحيرة، ومحميةً من دوامات مياه النهر الداخلة إليها بواسطة نتوء صخري يشكِّل خلفه خليجًا هادئًا. كان هنالك جسر عظيم مصنوع من الخشب ينتهي إلى مدينة خشبية مزدحمة بُنيت على ركائز ضخمة من خشب أشجار الغابات، لم تكن تلك مدينة للجان إنما مدينة للبشر الذين ما زالوا يجروون على السكن



ليك تاون

هنا، تحت ظلال جبل التنين المنذر. ما زالوا ينجحون في التجارة التي تأتي عبر النهر العظيم من الجنوب وينقلونها عبر الشلالات إلى مدينتهم. لكن في الأيام العظيمة في الماضي، عندما كانت «دیل» في الشمال غنيّة ومزدهرة، كانوا هم أثرياء وأقوياء، فترسو هناك أساطيل من القوارب على شواطئ المدينة، بعضها محمّل بالذهب والبعض الآخر بالمحاربين المدرّعين، كانت هناك حروب، والكثير من الأمور التي أصبحت الآن مجرد أساطير. أيضًا لا يزال من الممكن رؤية الركائز المتعفّنة على طول الشاطئ لمدينة أكبر كانت هنا واختفت، بعد أن غارت مياهها في وقت الجفاف.

لكن البشر لا يتذكّرون إلا القليل من كل ذلك، مع العلم أنّ بعضهم ما زال ينشد الأغاني القديمة عن ملوك الأقزام لمملكة ما تحت الجبل، مثل ثرور وثرين من نسل دورين، ومجيء التنين وسقوط أسياذ «دیل». أنشد البعض أغنية تقول بأن ثرور وثرين سيعودان يومًا إلى الجبل وسيجري الذهب في الأنهار عبر بوابات الجبل. وستمتلئ كل البلاد بأغانٍ جديدة وضحكاتٍ جديدة. لكن لم يكن لهذه الأسطورة تأثير كبير على أعمال الناس اليومية.

بمجرد ما ظهرت طوافة البراميل في الأفق، انطلقت القوارب من بين ركائز المدينة، ورحبت الأصوات بقيادة الطوافات، ثم ألقيت الحبال وسُحبت المجاديف، وسُرعان ما سُحبت طوافة البراميل من تيار نهر فوريسست وأُخذت بعيدًا حول كتف الصخور العالي إلى خليج ليك تاون الصغير. هنالك رست الطوافة عند رأس الشاطئ وعلى مقربة من الجسر العظيم. وفي الحال سيصعد الرجال من الجنوب ويأخذون بعض البراميل بعيدًا، والبقية ستُملأ بالبضائع التي أحضروها معهم لتُنقل عبر التيار إلى ديار جان الغابة. في غضون ذلك، تُركت البراميل طافيةً بينما ذهب الجان الذين جاؤوا مع الطوافات، والملاحين، لتناول الطعام في ليك تاون.

كم ستكون دهشتهم لو أنهم شاهدوا ما حدث على الشاطئ بعد ذهابهم وسقوط ظلال الليل.

بادئ ذي بدء، قام بيلبو بتحرير البرميل ثم دفعه إلى الشاطئ وفتح. جاء الأئين من الداخل وتسأل خارجاً منه قزم تحس للغاية، كان القش الرطب يملأ لحيته المتدلّية، كان جسمه متقرحاً جداً ومتيبساً، كان مصاباً بكدمات وضربات شديدة لدرجة أنه استطاع الوقوف بصعوبة أو ترنح في الماء الضحل ليستلقي على الشاطئ وهو يئن. كان جائعاً ومتوحشاً ومنظره مثل كلب قيّد بالسلاسل ونُسي في وجارٍ لمدة أسبوع. إنه ثورين، لكن لم يكن بالإمكان معرفته إلا من خلال سلسلته الذهبية، ولون قطنسوته الأزرق السماوي والتي أصبحت الآن قذرة وممزقة، وشرايتها الفضيّة الملوثة. احتاج إلى بعض الوقت قبل أن يكون مؤدّباً حتى مع الهوبيت.

سأله بيلبو بمنتهى السخرية: حسناً، هل أنت حي أم ميت؟ ربما نسي أنه تناول وجبة طعام جيدة على الأقل أكثر من الأقرام، أيضاً كان قادراً على استخدام يديه ورجليه، ناهيك باستنشاقه للهواء بكميات أكبر. هل ما زلت في السجن، أم تحررت؟ إذا كنت تريد الطعام، وإذا كنت تريد الاستمرار في هذه المغامرة السخيفة، مع العلم أنها مغامرتك وليست مغامرتي، من الأفضل أن تُشمر عن ساعديك وتشدّ ساقيك وتحاول مساعدتي في إخراج الآخرين، بما أن الفرصة مواتية لنا الآن!

رأى ثورين بالطبع أن كلام الهوبيت هو عين الصواب، لذلك بعد عدّة آهات نهض وساعد الهوبيت قدر استطاعته. وبسبب الظلمة كانا يتخبطان في الماء البارد، كانت مهمّة العثور على البراميل المناسبة صعبة ومرهقة للغاية. إن طريقة الدق على البرميل من الخارج والمناداة لم تكشف سوى عن ستة أقزام تمكّنوا من الإجابة. وهؤلاء تمّ تحريرهم ومساعدتهم للوصول إلى الشاطئ حيث جلسوا أو تمددوا وهم يتأوهون، لقد كانوا مبلّلين ومصابين بكدمات، ويشعرون بالضيق لدرجة أنهم لم يتمكّنوا بعد من إدراك أنهم تحرّروا وأن يكونوا شاكرين لذلك.

كان الاثنان بالين ودوالين من أكثرهم تعاسة، ولم يكن من الجيد طلب المساعدة منهما. بيفور وبوفور كانت إصابتهما أقل وكانت ملابسهم أكثر

جفأفاً، لكنهما استلقيا ولم يفعلوا شيئاً. فيلي وكيلي وبما أنهما صغارٌ (بالنسبة إلى الأقزام)، وعبئاً بعناية أكثر ومع كمياتٍ وفيرة من القنْش في براميل أصغر، فقد خرجا مبتسمين إلى حدِّ ما، مع كدمةٍ أو اثنتين وتبيُّس سرعان ما يتلاشى.

قال فيلي: أمل ألا أشمَّ رائحة التفَّاح مرَّةً أخرى! فلقد كان برميلي ممتلئاً بها. أن تبقى تشمُّ رائحة التفَّاح إلى الأبد وأنت لا تستطيع التحرُّك إلا بشقِّ الأنفُس وتشعر بالبرد، والمرض والجوع فهذا أمر يبعث على الجنون. يمكنني الآن أكل أي شيء في هذا العالم الواسع لساعات طويلة، لكن ليست تفَّاحة! بمساعدة طوعية من فيلي وكيلي اكتشف ثورين وبيلبو أخيراً براميل بقيةِ الصحبة، فأخرجوهم منها. كان المسكين بومبور السمين نائمًا أو فاقداً للوعي، دوري، نوري، أوري، أوين وجلوين، كانوا مُشبَّعين بالرطوبة وبدوا وكأنهم نصف أحياء، كان يجب حملهم واحداً واحداً وتمديدهم كالعاجزين على الشاطئ.

قال ثورين: حسناً، ها نحن أولاء! وأفترض أننا يجب أن نشكر أقدارنا والسيد باجينز. وأنا متأكد من أنَّ له الحقُّ في توقُّع ذلك، على الرغم من أنني كنت أتمنى لو كان بإمكانه ترتيب رحلةٍ أكثر راحة. ما زلنا كلنا في خدمتك كثيراً مرَّةً أخرى، لا شكَّ في أننا سنشعر بالامتنان بشكل صحيح بعد أن نتغدَّى ونتعافى. في غضون ذلك، ما هي الخطوة التالية؟

قال بيلبو: أقترح ليك تاون، فماذا هناك غيرها؟

بالطبع، فلا يمكن اقتراح شيء آخر. لذلك ذهب ثورين وفيلي وكيلي والهوبيت عبر الشاطئ متوجِّهين إلى الجسر العظيم وتركوا الآخرين هناك، كان هنالك حُرَّاسٌ على رأس الجسر، لكنهم لم يراقبوا بحذرٍ شديد، فلقد مرَّ وقت طويل منذ أن كانت هناك حاجة حقيقية إلى وجود الحُرَّاس. باستثناء المشاجرات العرضية حول رسوم عبور النهر. كانوا أصدقاءً مع جان الغابة الأقرب إليهم، أمَّا بقية الشعوب فكانوا بعيدين عنهم، بعض سُبان البلدة شكَّك علانيةً في وجود أي تنين في الجبل، وضحكوا من الشيوخ والعجائز الذين

قالوا بأنهم رأوه في أيام صباهم وهو يحلّق في السماء. ولمّا كان الأمر كذلك، فليس من المُستغرب أن يشرب الحُرّاس ويضحكون ويشعلون النار في كوخهم، ولم يسمِعوا ضجيج الأقرام عندما خرجوا من البراميل، أو وقع خُطى الكشّافة الأربعة. فقد كانت دهشتهم عظيمة عندما دخل ثورين أوكنشيلد من الباب.

صاحوا به وهُم يقفزون على أقدامهم ويتشاجرون بحثًا عن الأسلحة: مَنْ أنت وماذا تريد؟ قال القزم بصوت عالٍ: أنا ثورين بن ثرين بن ثور ملك ما تحت الجبل! نظروا إليه بإمعان، على الرغم من ملبسه الممزّقة وقلنسوته المتهالكة، فقد كان الذهب يلمع على رقبتِه وخصره. كانت عيناه قاتمَتين وعميقتين، وهو يتابع كلامه، لقد عُدت، وأرغب في لقاء حاكم بلدتكم!

ساد صمت رهيب بين الحاضرين، واندفع بعض الحمقى خارجين من الكوخ فقد كانوا يتوقّعون أن يصبح الجبل ذهبياً في الليل وتتحوّل مياه البحيرة إلى اللون الأصفر على الفور. تقدّم قائد الحرس وسأل وهو يشير إلى فيلي وكيلي وبيلبو: ومَنْ يكون هؤلاء؟

أجابه ثورين: إنهما أبناء أختي فيلي وكيلي من نسل دورين، والسيدّ باجينز الذي سافر معنا قادمًا من الغرب.

قال قائد الحرس: إذا كنتم قد أتيتم بسلام فاتركوا أسلحتكم هنا!

قال ثورين: لا يوجد معنا أسلحة، وكان صادقاً في ذلك، فلقد أخذ منهم جان الغابة سكاكينهم وكذلك استولوا أيضًا على السيف العظيم أوركريست. أمّا بيلبو فكان لديه سيفه القصير المخفي كالمعتاد، لكنه لم يُقل شيئاً عن ذلك، وتابع ثورين كلامه: "لن نكونوا بحاجة إلى الأسلحة، أولئك الذين يعودون أخيرًا إلى وطنهم"، كما قيل في الزمان القديم. أضف إلى أننا لا نستطيع محاربة هذا العدد الكبير. خُذنا إلى سيدك!

قال القائد: إنه يشارك في وليمة.

انفجر به فيلي وقد نَفَدَ صبره من هذه الجدّيّة في التعامل حيث قال: إذَنْ هذا سبب إضافي لكي تأخذنا إليه، نحن مرهقون ومنتصرون جوعًا بعد هذا

السفر الطويل ولدينا رفاق مرضى. والآن أسرع ودعك من هذا الكلام الزائد، أو سيكون لدى سيّدك ما يقوله لك.

قال القائد: اتبعوني إذن.

وقادهم مع ستة رجالٍ حولهم، فعبر من فوق الجسر ودخلوا عبر البوابات إلى سوق المدينة. كان السوق عبارة عن دائرة عريضة من المياه الهادئة المحاطة بالركائز الطويلة التي بُنيت عليها المنازل الكبرى. وتحيط بها أرصفة خشبية طويلة تحتوي على بعض الأدرج والسلام التي تنزل إلى سطح البحيرة. أشرقت الكثير من الأضواء من واحدةٍ من تلك الصالات العظيمة وجاءت منها أصواتٌ كثيرة. عبروا أبوابها ووقفوا وأعينهم ترمش في الضوء وهم ينظرون إلى طاولة طويلة احتشد الناس حولها.

قبل أن يتمكّن القائد من قول أي شيء، صرخ ثورين من الباب بصوت عالٍ: أنا ثورين بن ثرين بن ثرور ملك ما تحت الجبل! وقد عُدت!

وقف كلُّ مَنْ في الصالة على أقدامهم، قفز حاكم المدينة من كرسيه العظيم. لكن لم تكن مفاجأة أحد في الصالة بأعظم من مفاجأة قادة الطوّافات من الجان، والذين كانوا يجلسون في الطرف السفلي من الصالة. اندفعوا مباشرةً إلى الأمام ووقفوا أمام طاولة حاكم المدينة وهم يصرخون قائلين: هؤلاء هم سجناء ملكنا الذين هربوا، الأقرام المتجولون الأفاقون الذين لم يستطيعوا تبرير أفعالهم وتسلّلهم إلى الغابة وتحرّشهم بقومنا.

سأل الحاكم: هل هذا صحيح؟

بدا له هذا أقرب إلى التصديق من عودة ملك ما تحت الجبل، وهل من المعقول وجود شخص من هذا القبيل؟!

أجاب ثورين: هذا صحيح لقد اتهمنا ملك الجان ظلمًا بأننا قُطّاع طرق فسجننا بلا سبب ونحن في رحلة العودة إلى بلادنا. "لكن الحاجز المقفل لا يمنع العودة إلى الوطن كما قيل في الزمان القديم". أضف إلى أنّ هذه المدينة لا تتبع مملكة جان الغابة، فأنا أتحدّث هنا إلى حاكم مدينة رجال البحيرة، وليس إلى رجال طوّافات الملك.

تردّد حاكم المدينة وراح ينظر من واحدٍ إلى الآخر، فسُلطة ملك الجان قويةٌ جدًّا في هذه الأثناء، ولم يكن يرغب حاكم المدينة في أيّ عداوة معه، كما أنه لا يعير الكثير من الاهتمام للأغنيات القديمة. فهو يركّز تفكيره بشكلٍ أساسي على التجارة ورسوم العبور، والبضائع والذهب، فهذه الاهتمامات هي التي يدين لها بالبقاء في منصبه. بينما الآخرين كان لهم رأيٌ مختلف، وتمتّ تسوية الأمر بسرعة من دون رأي الحاكم. كاشتعال النار في الهشيم كان انتشار الخبر من أبواب الصالة إلى المدينة كلها.

راح الناس يصرخون داخل القاعة وخارجها. وغصّت الأرصفة بالأقدام المستعجلة. وبعضهم بدأ يغنيّ مقتطفاتٍ من الأغاني القديمة المتعلقة بعودة ملك ما تحت الجبل. ولم يرتابوا على الإطلاق لأنّ الذي عاد هو حفيد ثرور وليس ثرور نفسه. والبعض الآخر حمل الأغنية فطافت صاحبةٌ وعمّت أرجاء البحيرة.

الملك تحت الجبل

ملك الحجر المنحوت

سيد ينابيع الفصّة

سيعود إلى مُلكه!

سيكون تاجه مرفوعًا

سُشدُّ أوتار قيثارته

سيكون لقاعته أثر ذهبي

سيعاد غناء أغاني الأيام الخوالي

ستتموّج الغابة على الجبل

والعشب تحت الشمس



ستفيض ثروته في يابيع

وستتدفق الأنهار ذهبية

وستجري الجداول بفرح

ستتألق البحيرات وتحترق

سيسقط الأسى والحزن

مع عودة الملك!

هكذا غنوا، أو من هذا القبيل، وسرعان ما زاد الأمر عن الغناء، فكان هنالك الكثير من الهتاف إلى جانب موسيقى القيثارات والكمانجات الممزوجة مع الأغنية. في الواقع، لم تعرف المدينة إثارة كتلك - على ما يُذكر - حتى في عهد الجدِّ الأكبر. استغرب جان الغابة بشدة ممَّا حدث حتى إنهم بدؤوا يشعرون بالخوف. لم يعرفوا بالطبع كيف تمكَّن ثورين من الهرب، لكنَّ الشكَّ بدأ يساورهم بأن ملكهم ربما يكون ارتكب خطأ بإقدامه على سجن الأقرام.

أمَّا بالنسبة إلى حاكم المدينة فلم يكن أمامه من خيارٍ سوى في إطاعة الرأي العام، في الوقت الحالي على أي حال، والتظاهر بتصديق ما قاله ثورين عن نفسه. لذلك تنحَّى له عن كرسيِّه العظيم وأجلس كلاً من كيلي وفيلي عن جانبية في منصَّة الشرف. حتى يبلبو حصل على مقعدٍ إلى الطاولة العالية، لكن لم يطلب من الهوبيت أي شرحٍ عن المكان الذي جاء منه - إذ لم تكن الأغاني قد ألمحت ولو بإشارةٍ مبهمه إلى وجوده بينهم - مع العلم أن العامَّة وضمن الصخب الدائر سألوا عنه.

بعد ذلك بوقتٍ قصير، أُحضِرَ بقية الأقرام إلى المدينة وسط حماسةٍ مُذهلة. لقد تَمَّت معالجتهم وإطعامهم وإيوائهم وتدليلهم بأفضل طريقة مفرحة ومُرضية. أُعطيَ منزل كبير لثورين وصُحبتِه، ووُضِعَت القوارب مع المجدِّفين في خدمتهم دومًا، وجلست الجماهير في الخارج تنشد الأغاني طوال اليوم أو

كانوا يهّلون إذا أظهر أي قزم منهم حتّى أنفه. بعض الأغاني كانت قديمة، وبعضها كان جديدًا تمامًا وقد تحدّثت كلماتها بثقّة عن موتٍ مفاجئٍ للتنين، وعن شحنات الهدايا السخية التي نزلت عبر النهر إلى «ليك تاون»، كانت هذه الأغاني الحديثة مستوحاة إلى حدّ كبير من قبل حاكم المدينة، لكنها لم تكن مرضيةً للأقزام بشكلٍ خاص. غير أنهم في هذه الأثناء كانوا راضين تمامًا، وسرعان ما عادت إليهم عافيتهم وقوتهم من جديد.

في الواقع لقد تعافوا تمامًا في خلال أسبوع، وقد جُهِزوا بملابس أنيقة وبالألوان التي تُناسبهم، مع اللحى المشدّبة والممشّطة والخطوات المتباهية الفخورة. بدا ثورين وهو يسير بين الناس كما لو أن مملكته قد استُعِيدت بالفعل وتمّ التخلّص من سموج وتقطيعه إربًا إربًا.

علاوة على ذلك، وكما قال الساحر، فإن شعور الأقزام الطيب تجاه الهوبيت الصغير، أخذ يزداد قوّةً يوميًا بعد يوم. لم يعد هناك الكثير من الامتعاض والتذمّر. فقد شربوا نخبه، وربّتوا على ظهره، ومدحوه وأثنوا عليه كثيرًا، لكن لم يكن هو بأحسن حالاته، لأنّه لا يشعر بالبهجة بشكلٍ خاص. فلم ينسَ بعد منظر الجبل، ولا توقّف عن التفكير في التنين، بالإضافة إلى معاناته من نزلة بردٍ شديدة لازمته لمدّة ثلاثة أيام وبقي في خلالها يعطس ويسعل، ولم يستطع لا الخروج، ولا التخلّص من الخنّة في صوته، حتّى إنه بعد ذلك أصبح يقتصر حديثه في أثناء الولائم والاحتفالات على: «شكنا جزيئنا نكم».

في هذه الأثناء عاد جان الغابة صاعدين النهر بحمولاتهم، وحدث لديهم هياج كبير في قصر ملكهم. لم أسمع قط ماذا حدث لقائد الحرس وكبير الخدم، صحيح أنه لم يُقل شيءٌ في أثناء وجودهم في «ليك تاون» عن المفاتيح أو البراميل، وحرص بيلبو ألا يصبح غير مرئيّ أبدًا. ومع ذلك يمكنني القول إن بعض التخمينات تجاوزت القليل الذي عرفوه مع ذلك فمن المؤكّد أن السيّد باجينز ظلّ سرًّا غامضًا بعض الشيء. على أي حال، عرف الملك مهمّة الأقزام، أو ظنّ أنه عرفها، وقال لنفسه:

- حسنًا! سنرى! لن يعود أي كنز عبر ميركوود دون أن يكون لي دورٌ في ذلك الشأن. لكن أتوقّع أن ينتهوا جميعهم إلى مصير سيئ. وسينالون ما يستحقونه!

على أي حال لم يكن ملك الجان ليصدّق أن الأقرام ستقاتل وتقتل التنانين خاصّةً واحداً مثل سموج، واعتقد في الأغلب أنهم سيقومون بالتلصّص أو السرقة أو شيئاً من هذا القبيل ممّا يدل على أنه جنّي حكيم وأكثر حكمةً من رجال المدينة. وإن لم يكن كذلك دوّمًا، كما سنرى في النهاية. لذلك أرسل جواسيسه للطواف حول ضفاف البحيرة وإلى الشمال البعيد نحو الجبال بقدر ما يستطيعون، والانتظار هناك.

بعد أسبوعين بدأ ثورين يفكّر في المغادرة. بينما الحماس لا يزال مستمرّاً في المدينة، كان الوقت مناسباً للحصول على المساعدة. لن يكون من المفيد ترك كلّ شيء ليبرد بسبب التأخير. لذلك تكلم مع حاكم المدينة ومستشاريه وقال بأنه عمّا قريب سيتوجّه هو وصُحبته باتجاه الجبل.

حينذاك، ولأول مرّة يتفاجأ حاكم المدينة ويخاف قليلاً، لأنه تساءل عمّا إذا كان ثورين في النهاية هو حقّاً من نسل الملوك القدامى.

لم يخطر في باله أنّ الأقرام سيجرّون حقّاً على الاقتراب من سموج، فقد ظنّ بأنهم مُخادعون وعاجلاً أم أجلاً سيتمّ اكتشافهم وطردهم. لكنه كان مُخطئاً. طبعاً لأن ثورين هو بالفعل حفيد ملك ما تحت الجبل، ولا حدود لما سيجرّو عليه القزم ويفعله من أجل الانتقام أو استرداد مُلكه. لكنّ الحاكم لم يأسف مطلقاً لتركهم يرحلون. فتكاليف إقامتهم باهظة الثمن، كما أدّى وصولهم إلى جعل كل شيء عطلةً طويلة أدّت من ثمّ إلى توقّف تامّ لجميع الأعمال.

حدّث حاكم المدينة نفسه قائلاً: دعهم يذهبون ويضايقون سموج، وترقّب كيف سيرحّب بهم! ثمّ أطلق العنان لصوته وقال: لا شكّ بأنك يا ثورين بن ثرين بن ثرور! يجب أن تُطالب بملكك. لقد أزفت الساعة كما قيل في الزمان

القديم. وأي مساعدةٍ تطلبها فنحن جاهزون لتقديمها لك، لأننا واثقون من عدم إنكارك للجميل عندما تستعيد مملكتك.

هكذا، وفي ذات يومٍ، على الرغم من اقتراب الخريف، وقد أصبحت الرياح باردة، والأوراق تتساقط بسرعة، غادرت ثلاثة قوارب كبيرة مدينة "ليك تاون"، محمّلةً بالمجدّفين والأقزام والسيدّ باجينز بالإضافة إلى الكثير من المؤن. كانت الخيول والمهور قد أُرسِلت لتلتفّ عبر مسارات دائرية ولتلاقيهم في مكان رسو قواربهم المحدّد.

تقدّم لوداعهم حاكم المدينة ومستشاريه من على الأدرج العظيمة لصالة المدينة المُطلّة على البحيرة. وغنّى الناس على الأرصفة ومن نوافذ منازلهم، انغمست المجاديف البيضاء وتناثر الماء من حولها، وبها انطلقوا شمالاً صاعدين من البحيرة في المرحلة الأخيرة من رحلتهم. كان يلبو هو الشخص الوحيد من بين كل هؤلاء الذي لم يشعر بالسعادة مطلقاً.

## الفصل الحادي عشر

### على عتبة الباب

في غضون يومين قاموا بالتجديف في مياه بحيرة «لونج ليك» وصعدوا منها خارجين باتجاه مجرى نهر رانينج، أصبح بإمكان الجميع الآن رؤية الجبل المنعزل ينتصب شامخًا متجهًا من أمامهم. كانت مياه النهر تتدفق بقوة لذلك كان سيرهم بطيئًا. وفي نهاية اليوم الثالث كانوا قد صعدوا بضعة أميال في النهر، فتوجهوا منه إلى الضفة الغربية أو اليسرى ونزلوا من قواربهم. هنا انضمت إليهم الخيول مع المؤن الضرورية الأخرى والمهور التي أرسلت لملاقاتهم في هذا المكان كي يستخدموها في رحلتهم نحو الجبل. عبّؤوا ما في وسعهم من المؤن على المهور، وخرّنوا البقية تحت خيمة. لم يقبل أحد من رجال المدينة المكوث معهم حتى الليل هنالك بالقرب من ظلال الجبل. وقالوا: بأي حال من الأحوال لن يكون ذلك حتى تتحقّق الأمانى القديمة! الأسهل عليهم كان هو التصديق بوجود التنين والأقل سهولة هو الثقة بثورين في هذه الأنحاء البريّة. بالفعل لم يكن مخزنهم بحاجة إلى الحراسة، لأن الأرض من حولهم كانت مقفرةً وخالية. لذلك تركهم مرافقيهم

ونزلوا مسرعين إلى النهر والممرّات الساحلية على الرغم من أن الليل كان يقترب بالفعل.

أمضوا ليلة باردةً منعزلة وانخفضت معنوياتهم. وفي اليوم التالي انطلقوا مرّةً أخرى. ركب بيلبو وبالين في المؤخّرة، وكلُّ منهما يقود مهراً آخر بجانبه محملاً بالأثقال، كان الآخرون متقدّمين بعض الشيء وقد اختاروا طريقاً بطيئاً، لأنه لم تكن هناك ممرّات، لقد اتخذوا طريقاً باتجاه الشمال الغربي منحرفين بعيداً عن نهر رانينج، ومقتربين أكثر فأكثر من نتوء صخريّ في ظهر الجبل والذي كان يندفع بارزاً ناحية الجنوب باتجاههم.

كانت رحلة مرهقةً وهادئةً وخفيّة. حيث لم يكن هناك ضحك أو أغانٍ أو صوت قيثارة، وتلاشى الفخر والأمل اللذين خفقا في قلوبهم عندما أُنشدت الأغاني القديمة على ضفاف البحيرة وتحولاً إلى كآبة متناقلة، كانوا يعلمون أنهم يقتربون من نهاية رحلتهم، والتي من الممكن أن يكون ختامها مروّعاً. أصبحت الأرض حولهم كثيبيّةً وقاحلة، على الرغم من أنها كانت ذات مرّة خضراء وجميلة، كما أخبرهم ثورين. كان هناك القليل من العشب وقريباً لن يكون هناك لا شجرة ولا شجيرة، فقط بقايا جذوع أشجارٍ مكسورة وسوداء لتحكي لهم عن تلك الأشجار التي اختفت منذ فترة طويلة. لقد وصلوا إلى خرائب التنين، وكان قدومهم إلى هناك في نهاية تلك السنة.

وصلوا إلى أطراف الجبل دون مواجهة أي خطر أو أي أثر للثنين، بخلاف القفر الذي صنعه حول عرينه. تمدّد الجبل قائماً صامتاً من أمامهم وأعلى بكثير من فوقهم. أقاموا أول مَحِيْمٍ لهم هناك على الجانب الغربي للمتّن الجنوبي العظيم والذي ينتهي بقمة اسمها ريقنهيل. أقيم عليها في القديم نقطة مراقبة، لكنهم لم يجرؤوا على تسلُّقها بعد، فقد كانت مكشوفةً للغاية.

قبل الانطلاق للبحث في المتّن الغربي للجبل عن الباب المخفي، حيث كانت كلُّ آمالهم معلّقة عليه، أرسل ثورين حملة استكشافية لتتجسّس الأرض حتّى الجنوب حيث كانت البوابة الأمامية. واختار لهذه المهمة بالين وفيلي وكيلي وذهب معهم بيلبو. ساروا تحت المنحدرات الرمادية الصامتة حتّى

سفوح ريفنهيل. هناك كان النهر، فبعد أن يلتف بحلقة واسعة فوق وادي ديل، ينقلب من الجبل في طريقه إلى البحيرة، بتدفق سريع وصاحب. كانت ضفافة صخرية جرداء، عالية وحادة فوق المجرى، ومن فوق مضيق المياه حيث الرغوة وقطرات الماء المتناثرة بين الصخور كان بإمكانهم رؤية الأنقاض الرمادية للمنازل والأبراج والأسوار القديمة في الوادي الواسع المظلل بأذرع الجبل. قال بالين: هناك يستلقي كل ما تبقى من ديل. كانت جوانب الجبل خضراء في السابق من كثرة الأشجار والغابات وكل الوادي المحمي كان غنياً وممتعاً في تلك الأيام التي دقت فيها الأجراس في تلك المدينة. بدا حزيناً ومتجهماً عندما قال إنه كان أحد رفاق ثورين يوم جاء التنين.

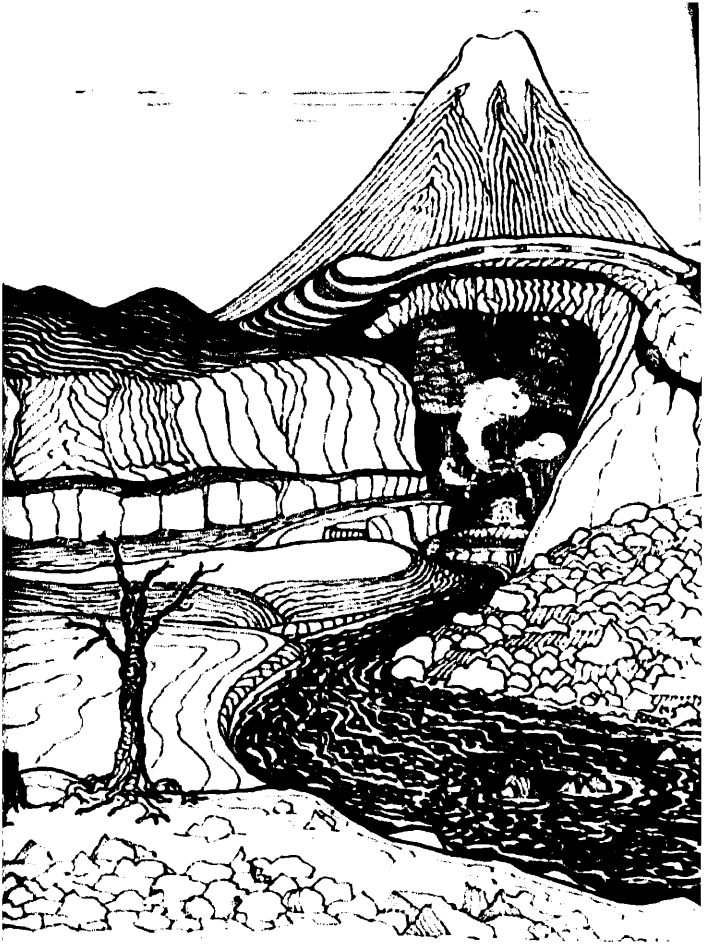
لم يجرؤوا على اتباع مسار النهر باتجاه البوابة أكثر من ذلك، لكنهم تابعوا مسيرتهم الاستكشافية إلى ما بعد نهاية الطرف الجنوبي، إلى أن تواروا مختبئين خلف صخرة. نظروا من خلفها فتمكّنوا من رؤية فتحة كهفية مظلمة في جدار منحدر كبير يقع بين أذرع الجبل. كانت مياه نهر رانينج تنبثق من تلك الفتحة ويخرج معها أيضاً بخارٌ ودخان أسود.

لا شيء يتحرك في هذا الخراب القاحل سوى البخار والماء، وبين الحين والآخر يتحرك غراب أسود يبعث على الشؤم. الصوت الوحيد الذي يمكن سماعه هناك هو صوت تلاطم المياه على الصخور، وبين الحين والآخر كان يُسمع نعيقٌ مُزعجٌ لطائرٍ ما.

بدأ جسم بالين بالارتعاش فقال لهم: دعونا نعود! لا يمكننا فعل شيء جيد هنا! وأنا لا أحبُّ هذه الطيور السوداء، تبدو وكأنها جواسيس للشّر.

فقال لهم الهوبيت: إذن لا يزال التنين على قيد الحياة وهو موجود الآن في القاعات تحت الجبل، أو إنني تخيلت ذلك من خلال رؤيتي للدخان.

قال بالين: لا يعتبر ذلك دليل على وجوده، على الرغم من أنني لا أشك في أنك على صواب. لكن يمكن أن يكون قد ابتعد قليلاً لبعض الوقت، وربما يكون مستلقياً على جانب الجبل يراقب، وما زلت أترقب خروج الدخان والبخار من البوابات. لا بد أن جميع القاعات بالداخل امتلأت برائحته الكريهة.



البوابة الامامية



بمثل هذه الأفكار القاتمة متبوعة بنعيق الغربان من فوقهم شقوا طريقهم المُرهِق عائدين إلى المَخِيْم.

فقط في حزيران (يونيو) الماضي كانوا ضيوفاً في بيت إيلروند الجميل، وعلى الرغم من أن الخريف بدأ يزحف الآن نحو الشتاء، فإن ذلك الوقت اللطيف بدا وكأنه قد مرَّ عليه عدَّة سنوات. كانوا وحيدين في خرائب قفرٍ خطيرة، من دون أدنى أمل في أي نوعٍ من المساعدة. لقد أصبحوا الآن في نهاية الرحلة، لكن وبمقدار التشاؤم في الأفكار التي سيطرت على نهاية مسعاهم. لم يتبقَّ لدى أيِّ منهم شيء من الحماسة.

من الغريب أن نقول الآن بأن السيِّد باجينز كانت معنوياته أعلى من الآخرين. كان دائماً يستعير الخريطة من ثورين ويحدِّق إليها، متمعِّناً في الأحرف الرونية والرسالة المكتوبة بالأحرف القمرية التي قرأها إيلروند. وهو الذي شجَّع الأقزام لكي يشرعوا في البحث الخطير عن مكان الباب السري على المنحدرات الغربية. لذلك نقلوا مُخِيْمهم إلى وادٍ طويل، (أضيق من الوادي العظيم الموجود في الجنوب حيث بوابات النهر) محاط بنتوءات منخفضة من الجبل، اثنان من هذه النتوءات كانا يبرزان من أمام الكتلة الرئيسية باتجاه الغرب، وكان لهما أخاديد ضيقة وشديدة الانحدار تنزل هابطةً نحو السهل. على هذا الجانب الغربي كانت هناك علامات أقل لآثار أقدام التنين الغازي. وكان هناك أيضاً بعض العشب لتغذية مهورهم. من هذا المَخِيْم الغربي تعقَّبوا طوال اليوم من الجرف إلى السور حتَّى تبدأ الشمس في الغرق نحو الغابة، يوماً بعد يوم كانوا يكدحون في جماعات باحثين في الممرَّات الصاعدة إلى جانب الجبل. إذا كانت الخريطة صحيحة، فيجب أن يوجد الباب السري في مكانٍ مرتفع فوق الجرف عند رأس الوادي. وكل يوم كانوا يعودون إلى مُخِيْمهم دون أن يظفروا بشيء.

لكن في النهاية وجدوا ما كانوا يبحثون عنه بشكلٍ غير متوقَّع. في أحد الأيام عاد فيلي وكيلي والهوبيت إلى أسفل الوادي وتسَلَّقوا بين أكوام الصخور في الزاوية الجنوبية. قرابة منتصف النهار، زحفوا وراء حجر كبير

يقف بمفرده مثل عمود، تقدّم بيلبو على ما بدا أنها درجات خشنة تصعد إلى الأعلى. ثمّ تبعوا تلك الدرجات بحماس، لقد وجد هو والأقزام أثرًا لمسارٍ ضيق، كثيرًا ما كان يضيع منهم ويعيدون اكتشافه من جديد. فأخذهم إلى القمّة الجنوبية للنتوء ووصل بهم أخيرًا إلى حافةٍ أضيق، تلتف شمالًا بمواجهة الجبل. نظروا إلى الأسفل فعرفوا أنهم على قمّة الجرف عند رأس الوادي، وقد ألقوا نظرةً على المخيمّ من تحتهم. عادوا في صفٍّ واحدٍ على طول الحافةٍ بصمتٍ متشبّثين بالجدار الصخري عن يمينهم، حتّى انفتح الجدار فمالوا إلى فناء صغيرٍ محاطٍ بمنحدر، وأرضيةٍ عشبية، ساكنة وهادئة. لا يمكن رؤية مدخل الممرّ الذي وجدوه هنا من الأسفل بسبب ارتفاع الجرف، ولا يمكن رؤيته من بعيد أيضًا، لأنه كان صغيرًا جدًّا لدرجة أنه بدا وكأنه صدعٌ مظلم ليس أكثر. لم يكن كهفًا بل كان مفتوحًا من فوق على السماء، لكن عند نهايته الداخلية ارتفع جدارٌ مسطحٌ وفي جزئه السفلي القريب من الأرض، كان أملس وقائمًا وكأنه من صنع بناء، لكن من دون مفضّلات أو أي شقٍّ يمكن رؤيته.

لم يكن هناك أثرٌ لوجود عارضة أو عتبة أو حتّى حافةٍ علوية تشير إلى وجود باب، ولا أي أثرٍ مرثيٍ لفاصل أو مزلاج أو ثقبٍ مفتاح، ومع ذلك لم يشكّوا في أنهم أخيرًا عثروا على الباب.

قاموا بالضرب عليه، ودفعه والضغط عليه، وناشدوه أن يتحرّك، قرأوا عليه بعض مقاطع من تعويذات ركيكة لفتحه، لكن شيئًا لم يتحرّك. وفي النهاية تعبوا منه واستراحوا متمدّدين على العُشب عند أسفل الباب، وعندما جاء المساء، عادوا أدراجهم نازلين على طريقهم الطويل إلى المخيمّ.

كانت الإثارة حاضرة في المخيمّ تلك الليلة، وفي الصباح استعدّوا للتحرك من جديد، وتركوا وراءهم فقط بوفور وبومبور لحراسة المهور والأمتعة التي جلبوها معهم من النهر. نزل الآخرون عبر الوادي وصعدوا إلى الطريق الذي عثروا عليه بالأمس، إلى أن وصلوا إلى الحافة الضيقة. لم يكن بإمكانهم حمل ضررٍ أو حقائبٍ وجرم، على طول هذا المسار لأنه كان ضيقًا جدًّا وخانقًا، مع انحدارٍ بارتفاع مئة وخمسين قدمًا من الصخور الحادّة بجانبه، لكن كلّ واحدٍ

منهم أخذ لفّة جيّدةً من حبلٍ ملفوفٍ بإحكامٍ على خصره، وهكذا دون وقوع أيّ حادثٍ وصلوا إلى الفناء المعشوشب الصغير.

هناك أقاموا مُخيّمهم الثالث، وسحبوا ما يحتاجون إليه من الأسفل بحبالهم. بالطريقة نفسها كانوا قادرين أحياناً على إنزال القزم الأكثر نشاطاً، مثل كيلى، لتبادل الأخبار مع مَنْ بقي هناك، أو للمشاركة في الحراسة هناك بالأسفل، بينما نُقلَ بوفور إلى المخيّم الأعلى، إلا أنّ بومبور لم يكن قادراً على الصعود لا بالحبل ولا على الطريق. حيث قال: أنا سمينٌ جدّاً للقيام بهذا المسير البهلواني، سأصابُ بالدوار وأدوس على لحيّتي، وبعد ذلك سيصبح عددكم ثلاثة عشر ثانية. والحبال المُعقّدة نحيفة جدّاً بالنسبة إلى وزني. لكن ولحسن الحظّ فإنّ هذه الأفكار لم تكن صحيحة بالمطلق كما سترون.

في غضون ذلك اكتشف بعضهم الحافّة وراء الفتحة ووجدوا مساراً عاليّاً يقود إلى أعلى الجبل، لكنهم لم يجرؤوا على المخاطرة والابتعاد كثيراً على ذلك المسار، ولم يكن هنالك فائدة مرجّوة من تلك المخاطرة. سيطر على الخارج صمتٌ، لم يكسره طائر ولا صوت سوى صوت الريح في شقوق الصخور. كانوا يتحدّثون بصوتٍ منخفض، لم يصرخوا أو يغنّوا، لأنّ الخطر قابِعٌ وراء كلّ صخرة.

كان الآخرون مشغولين في حل لغز الباب لكنهم لم ينجحوا بعد.

كانوا يأملون بوجود خطأ ما في تفسير الأحرف الرونية أو الأحرف القمرية، لكنهم ودون أخذ أيّ قسطٍ من الراحة حاولوا البحث في الوجه الأملس للصخرة، لعلّهم يكتشفون أين يمكن أن يكون قد أخفي الباب بالضبط. لقد جلبوا معهم معاول ومختلف أنواع الأدوات من "ليك تاون". حاولوا استخدام تلك الأدوات في البداية. لكن عندما ضربوا بها على الحجر تشقّقت مقابضها وارتجّت أذرعهم بقسوة، وتكسّرت الرؤوس الفولاذية أو انثنت مثل الرصاص. أدركوا بوضوح أنّ المصنوعات المعدنية لا تنفع مع السحر الذي أغلق هذا الباب، أضف إلى أنّهم أصبحوا مرعوبين كذلك من ضوضاء الصدى العالي الذي قد يصل إلى آذان التنين.

وجد بيلبو الجلوس على عتبة الباب مُملًا ويوقع الوحشة في النفس، مع العلم أنه لم تكن هناك عتبة باب حقيقية بالطبع، لكنهم وعلى سبيل المُزاح اعتادوا إطلاق اسم عتبة الباب، على المساحة العشبية الصغيرة الواقعة بين الجدار والفتحة. متذكِّرين كلمات بيلبو منذ فترة طويلة في الحفلة غير المتوقَّعة التي أقيمت في هوبيتول الخاصَّة به، عندما قال إنه يمكنكم الجلوس على عتبة الباب حتَّى تفكِّروا في شيء ما. جلسوا متخيَّلين أنهم فعلوا ذلك، أو طافوا حولهم بلا هدف، فأصبحوا أكثر حزنًا وكآبة.

ارتفعت معنوياتهم قليلًا عند اكتشاف الطريق، لكنهم الآن أصبحوا يائسين جدًّا ومع ذلك لم يتخلَّوا عن هدفهم ويتركوه. لم يعد الهوبيت أكثر إشراقًا من الأقرام. إذ لم يكن يفعل شيئًا سوى الجلوس وإسناد ظهره لوجه الصخرة، سارحًا بناظره من خلال الفتحة بعيدًا نحو الغرب، من فوق الجرف، وفوق الأراضي الواسعة إلى السور الأسود لغابة ميركوود، وإلى الأراضي التي خلفها، حيث كان يعتقد أحيانًا أنه يستطيع التقاط لمحاتٍ من الجبال الضبابية التي بدت بعيدةً وصغيرة. وإذا سأله الأقرام عمَّا يفعله، يجيبهم: لقد قُلتُم إنَّ الجلوس على عتبة الباب والتفكير ستكون مهمَّتي، ناهيكم بالدخول، لذلك أنا جالسٌ وأفكِّر الآن.

لكن أخشى ما أخشاه، أنه لم يكن يفكِّر كثيرًا في مهمَّته، بل بما يتمدَّد هناك خلف تلك المسافة الزرقاء، أي كان يفكِّر في الأراضي الغربية المطمئنَّة وفي التل وهوبيتول التي تحته.

كان هناك حجرٌ رمادي وسط الأعشاب، راح بيلبو يتفرَّس فيه بمزاجية أو كان يراقب حلزونات ضخمة. يبدو أنهم يحبون هذا الفناء الصغير المغلق بجدرانه الصخرية الباردة، كان هناك الكثير منهم، من ذوات الأحجام الضخمة التي كانت تزحف ببطء ولزوجة على جانبيه.

قال ثورين ذات مرَّة: غدًا يبدأ الأسبوع الأخير من الخريف، فقال بيפור: والشتاء يأتي بعد الخريف. قال دوالين: وبعدهم يأتي العام القادم، ستنمو لحانا حتَّى تتدلى من الجرف وتصل إلى الوادي قبل أن يحدث أي شيء. ما

الذي يفعله لُصُنَا من أجلنا؟ نظرًا لأنه حصل على خاتم يجعله غير مرئي، فمن المفترض أن يكون أداؤه ممتاز بشكل خاص الآن. بدأت أعتقد بأن عليه أن يعبر البوابة الأمامية ويتجسّس ولو قليلاً!

سمع بيلبو هذا الكلام - إذ كان الأقرام يجلسون على الصخور فوق السياج حيث كان يجلس هو تحتهم تمامًا- ففكّر في نفسه وقال: يا إلهي! هكذا إذن، هذا ما بدؤوا يفكّرون به، أليس كذلك؟ فأنا ذلك المسكين الذي عليه دائمًا إخراجهم من الصعوبات التي يواجهونها، على الأقل منذ رحيل الساحر. ماذا عساي أن أفعل؟ ربما كنت أعرف بأن شيئًا مروّعًا سيحدث لي في النهاية. لا أعتقد أنني قادرٌ على تحمّل رؤية وادي ديل ثانية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى البوابة البخارية!

كان بائسًا جدًّا في تلك الليلة، وبالكاد استطاع النوم. في اليوم التالي ذهب جميع الأقرام للطواف في اتجاهات مختلفة، بعضهم نزل إلى الأسفل وراح يدرّب المهور، والبعض الآخر راح يتجوّل حول جانب الجبل. طوال اليوم جلس بيلبو في الفناء المعشوشب كثيبًا يحدّق إلى الحجر الرمادي، أو كان يحوّل نظره نحو الغرب عبر الفتحة الضيقة. كان لديه شعور غريب بأنه ينتظر شيئًا ما. فككّر بينه وبين نفسه، ربما سيعود الساحر بشكل مفاجئ اليوم. على أي حال رفع رأسه واستطاع أن يلمح الغابة البعيدة. عندما كانت الشمس تتجه للغروب، كان هناك وميضٌ أصفر على سطح الغابة البعيد، وكأن الضوء قد أمسك آخر أوراقها الشاحبة، وفي الحال رأى قرص الشمس البرتقالي ينخفض لمستوى عينيه تقريبًا. ذهب نحو الفتحة، كان هناك قمر شاحب وخافت، كان قمرًا رقيقًا جديدًا يظهر فوق حافة الأرض. في تلك اللحظة بالذات سمع طقطقة حادة خلفه، هناك على الحجر الرمادي الذي في العشب كان يوجد طائر سُمّنة\*<sup>(1)</sup> ضخم، لونه أسود فاحم تقريبًا، كان صدره الأصفر الشاحب منمّش بيقعٍ داكنة. وقد أمسك بجلزون وطرقه على الحجر هكذا، كراك! كراك! كراك!

(1) طائر سمنة أو الدج نوع من العصفوريات أشهره الشرور.

فجأة فهم يبليبو كل شيء.

متناسياً كل الأخطار، وقف على الحافة ونادى الأقرام ملوِّحاً بيديه صارخاً مولولاً. أولئك الذين كانوا أقرب جاؤوا يتدحرجون فوق الصخور وساروا على طول الحافة بأسرع ما يمكن نحوه، متسائلين ماذا بحق السماء حدث عنده، بينما راح الآخرون يصرخون كي يسحبونهم بالحبال (طبعاً باستثناء بومبور الذي كان نائماً).

أوضح بيلبو الأمر لهم بسرعة. بينما كانوا صامتين، وقف الهوبيت بجانب الحجر الرمادي، والأقرام بلحاهم المتمالية يراقبون بفارغ الصبر. نزلت الشمس أكثر فأكثر، وتراجعت آمالهم. لقد غرقت في حزام من السحب الحمراء واختفت. تأوّه الأقرام. لكنّ بيلبو ما زال يقف دون حراك تقريباً. كان القمر الصغير يغطس في الأفق. كان المساء قادمًا، ثمّ فجأة بينما أملهم في أدنى حضيض، هرب من الشمس شعاع أحمر وكأنه إصبعٌ اخترقت شُقًا في السحابة، وجاء وميض الضوء مباشرةً من خلال فتحة الخليج وسقط على وجه الصخرة الأملس. وطائر السُمنة الضخم الذي كان يجلس على مرتفع يراقب بأعين مثل الخرز وينظر إليهم بجانب رأسه الشامخ، أعطى فجأة صرخةً مرتعشة وفيها ترديد. وكان هناك صوت صاخب، حيث انفصلت قطعة من صخور الجدار وسقطت. فظهرت مباشرةً وعلى ارتفاع ثلاثة أقدام من الأرض، حفرة على الوجه الأملس للصخرة. وفي الحال ارتعد الأقرام خوفًا من ضياع الفرصة، فاندفعوا نحو الصخرة وراحوا يدفعون بها لكن دون جدوى. صرخ بيلبو: المفتاح! المفتاح! أين ثورين؟ أسرع ثورين، صاح به بيلبو: المفتاح! المفتاح الذي كان مع الخريطة! حاول به الآن، بينما لا يزال لدينا الوقت!

صعد ثورين وسحب المفتاح من سلسلته التي يلبسها في عنقه. أدخل المفتاح في الثقب، فركبه في مكانه وأداره! فطقطق! وانطفأ لمعان الضوء، لقد غابت الشمس، وغاب القمر، وحلّ المساء في السماء.

الآن قام الجميع معًا بدفع الباب، فتراجع ببطء جزء من الحائط الصخري، فظهرت شقوق طولية مستقيمة ثم اتسعت، كان بابًا بارتفاع خمسة أقدام وعرض ثلاثة بالمجمل. ببطء ومن دون صوت انفتح إلى الداخل، كان كفوهة تقودهم نزولًا إلى الداخل. بدا وكأن الظلام يتدفق مثل البخار من الحفرة في جانب الجبل، ظلام عميق لا يمكن فيه رؤية أي شيء موجود أمام أعينهم.





## الفصل الثاني عشر

### معلومات داخلية

لفترة طويلة وقف الأقسام في الظلام أمام الباب وتناقشوا، حتى تكلم ثورين أخيرًا: الآن جاء دور السيد باجينز المحترم، الذي أثبت أنه رفيق جيد في خلال طريقنا الطويل، هوبيت مليء بالشجاعة والعزم اللذين يفوقان حجمه بكثير، وإذا جاز لي أن أضيف يحظى بامتلاك الكثير من الحظّ الجيد فوق المعتاد. وبالنسبة إلى بدل الأتعاب، فقد حان الوقت لأداء الخدمة التي ضمنت في عهدنا. الآن حان وقته لكسب مكافأته....

لعلكم اعتدتم على أسلوب ثورين في المناسبات الهامة، لذا لن أذكر المزيد من حديثه، رغم أنه أمضى وقت أطول من هذا بكثير وهو يتحدث.

كانت بالتأكيد مناسبة مهمة، إلا أن بيلبو شعر بنفاد صبره، لكنه أيضًا كان على دراية بثورين، وكان يعرف ما الذي يرمي إليه، فقال الهوبيت بشكلٍ متقطع، محاولًا تقليد أسلوب ثورين: إذا كنت تقصد أنك تعتقد أن وظيفتي هي الدخول في الممرّ السريّ أولًا. يا ثورين بن ثرين، يا أوكنشيلد، فعسى أن تطول لحيتك أكثر من أي وقتٍ مضى. قل لي افعل كذا وأنا في الحال سأفعل!

أو ربما أرفض. لقد أخرجتك بالفعل من ورطتين، ويصعب اعتبارها ضمن الصفقة الأصلية. لذلك فإنني مستحقُّ بالفعل لبعض المكافآت. لكن الثالثة ثابتة تسدُّ الجميع كما اعتاد أبي أن يقول، ونوعًا ما أعتقد أنني لن أرفض. ربما بدأت أثق في حظِّي أكثر ممَّا كنت في الأيام الخوالي (كان يقصد الربيع الماضي قبل مغادرته للمنزل، ولكن بدا هذا الزمن كأنه منذ قرون) وعلى أي حال، سأذهب لألقي نظرة سريعة وينتهي الأمر. والآن من سيأتي معي؟

لم يكن يتوقَّع مجموعة من المتطوِّعين، لذلك لم يخب أمله.

بدا فيلي وكيلي غير مرتاحين وقد وقف كلُّ واحدٍ منهم على رجلٍ واحدة، لكنَّ الآخرين لم يتظاهروا بتقديم أي مساعدة، باستثناء العجوز بالين. كشَّاف الصحبة، والذي كان معجبًا بالهوبيت إلى حدِّ ما. فقد قال إنه مستعدُّ للدخول مع الهوبيت على الأقل، وربما يسير معه على الطريق أيضًا، ليكون قريبًا منه حين يطلب المساعدة إذا لزم الأمر.

أكثر ما يمكن أن يصف حال الأقرام هو التالي: نواوا بالفعل الدفع ليليبو بسخاءٍ مقابل خدماته، لقد أحضره معهم للقيام بعملٍ قدر يعود بالنفع عليهم، ولن يمانعوا إن أراد المسكين الصغير تأدية مهمَّته، مع ذلك فإنهم على استعداد لبذل قصارى جهدهم لإخراجه من المتاعب، إن دخل فيها، كما فعلوا في حالة الغيلان في بداية مغامرتهم، من قبل أن تكون لديهم دوافع شخصية مثل إقرارهم بجميل فضله عليهم. هذا هو مختصر مشاعرهم نحو الهوبيت.

من ناحيةٍ أخرى، فالأقرام ليسوا أبطالًا بالمطلق، لكنهم شعبٌ يقظ، ويعطي قيمةً كبيرةً للمال في حياته. بعضهم مخادع وغادر وسيئ للغاية، والبعض الآخر ليسوا كذلك، لكنهم أشخاصٌ محترمون بدرجةٍ كافيةٍ مثل ثورين ورفاقه، إذا كنت لا تتوقَّع الكثير.

عندما تسلَّل الهوبيت عبر الباب المسحور، وانسلَّ إلى الجبل. كانت النجوم تظهر من ورائه في سماءٍ شاحبةٍ مظلَّلةٍ باللون الأسود، كان دخول الجبل أسهل كثيرًا ممَّا كان يتوقَّع، لم يكن مدخل جوبلن، أو كهف وعر خاص بجان الغابة. لقد كان ممرًا من صنع الأقرام في ذروة مجدهم وثروتهم ومهارتهم،

كان مستقيمًا كالمسطرة، ذا أرضية وجوانب ناعمة، يسير بمنحدر لطيف ثابت لا يتغيّر أبدًا ويمتدُّ إلى بعض المسافة وينتهي هناك بالظلمة في الأسفل. بعد فترة، قال بالين لبيلبو: حظًا سعيدًا! وتوقّف هناك حيث لا يزال بإمكانه رؤية الإطار الباهت للباب. وسماع حفيف أصوات همسات الآخرين في الخارج، عبر حيلة تردّد الصدى داخل النفق.

بعدها لبس بيلبو خاتمه، وقد نبّهه تجاوب الصدى كي يضاعف حذر الهوبيت المعتاد في التحرك من دون صوت. وهكذا تسلّل بلا ضوضاء إلى الأسفل، نزولًا إلى الظلام. كان يرتجف من الخوف، لكن احتفظ وجهه الصغير بتقطيبيه وإصراره. لقد أصبح بالفعل هوبيت مختلف تمامًا عن ذلك الذي خرج من باج إيند منذ فترة طويلة من دون منديل جيب، وكأنه لم يمتلك منديلًا في جيبه منذ عصور. سحب خنجره من غمده، وشدّ حزامه على وسطه ومضى.

قال لنفسه: ها أنت الآن بداخله أخيرًا، يا بيلبو باجينز. لقد ورطت قدمك حقًا في حفلة تلك الليلة، والآن عليك أن تسحبها وتدفع ثمن تلك المحاولة! أوه يا عزيزي، ما هذا الغباء، الذي كنت وما أزال.

هذا الكلام الأخير قاله الشطر الأقل توكيَّة منه: ما لي وللكنوز التي تحرسها التنانين، ليس لي بها أدنى حاجة، يمكن أن يبقى كلُّ هذا الكنز هنا إلى الأبد، فقط إذا استيقظت ووجدت أنّ هذا النفق البغيض لم يكن سوى الصالة الأمامية في المنزل!

لم يستيقظ بالطبع، لكنه استمرَّ في الحركة، حتّى تلاشى كل أثر للباب خلفه. كان وحيدًا تمامًا، وسرعان ما اعتقد بأنه بدأ يشعر بالدفء. فكّر في نفسه: سيكون هذا نوع من التوهج الذي تراءى لي أنني أراه قادمًا من أمامي مباشرةً هناك بالأسفل، إنه وهج بالفعل، وكلما كان يتقدّم إلى الأمام كان الوهج يزداد أكثر فأكثر، حتّى انتفى عنده أي شكٍّ بوجوده. كان ضوءًا أحمر يزداد احمراره بشكلٍ طردي، بلا شك قد أصبح الجوُّ حارًّا الآن في النفق. طفت خيوط من البخار إلى الأعلى فتجاوزه وبدأ في التعرُّق، بدأ يسمع أيضًا صوت

الخفقان في أذنيه، وكأنه نوع من صوت الفقاعات التي يصدرها غليان وعاء كبير أوقدت تحته نار حامية، وقد خلطت مع خرخرة تشبه همهمة قطّ ضخم. ثمّ اتضح بما لا يدع مجالاً للشكّ بأن هذه القرقررة ما هي إلا صوت شخير حيوانٍ ضخم في أثناء نومه هنالك بالأسفل ضمن هذا التوهّج الأحمر الموجود أمامه.

عند هذه المرحلة توقّف بيلبو. كان تقدّمه ثانية من هناك هو أشجع شيء فعله على الإطلاق. والأمور الهائلة التي حدثت بعد ذلك لا يمكن مقارنتها به. لقد خاض المعركة الحقيقية في النفق وحده، قبل أن يرى الخطر الهائل القابع هناك بانتظاره. على أي حال، بعد فترة توقّف قصيرة، تابع ما جاء من أجله، ولكم أن تتخيّلوه وهو يقترب من نهاية النفق، الذي كان له فتحة لها حجم وشكل الباب في الأعلى نفسه. أطلّ بيلبو من خلالها برأسه الصغير. كان يقع أمامه القبو السفلي أو القاعة المحصّنة القديمة للأقزام عند جذر الجبل. ومن شدّة الظلمة الموجودة هناك فلم يكن بالإمكان تقدير اتساع تلك القاعة بدقّة. لكن ارتفع من الجانب القريب من الأرضية الصخرية وهج كبير. وهج سموج!

كان مستلقياً هناك، تنين ضخم لونه ذهبي متوهّج بالحمرة، يغطّ في نوم عميق وتخرج القاذورات من فكّيه وأنفه وخيوط من الدخان، لكن نيرانه كانت هاجعة.

تحته وتحت جميع أطرافه وذيله الضخم الملفوف، وحوله من جميع الجوانب الممتدة بعيداً عبر الأرضيات غير المرئية، كانت توجد أكوام لا تُحصى من الأشياء الثمينة، الذهب المشغول والذهب الخام، الأحجار الكريمة والجواهر، والفضّة المشوبة بالاحمرار في الضوء الأحمر.

استلقى سموج، مع أجنحة مطوية مثل خفّاش كبير جدّاً، وقد انقلب جزئياً على جانب واحد، لذلك استطاع الهوبيت أن يرى أجزاءه السفلية وبطنه الطويل الباهت المكسوّ بقشرة من الأحجار الكريمة وفتات الذهب جزّاء نومه الطويل على سريره النفيس.

خلفه حيث كانت الجدران الأقرب كان يمكن أن يرى بخفوتِ الدروع الواقية، الخوذ، الفؤوس، السيوف والرماح المعلقة، وهناك وقفت في صفوف جرائٍ وأوعيةٍ كبيرة مملوءة بثروات لا يمكن تقديرها. إن القول بأن أنفاس بيلبو قد سُلبت منه لا يعتبر وصفًا دقيقًا على الإطلاق. فلا وجود لكلمات يمكنها أن تعبر عن مدى ذهوله منذ بدّل البشر اللغة التي تعلّموها من الجان، في تلك الأيام التي كان فيها العالم كله رائعًا. سمع بيلبو من قبل حكايات وأغاني عن خزائن التنين، لكنّ الروعة والشهوة والمجد الموجودين في كنز كهذا، لم تأتِ إلى أسماعه قط. امتلأ قلبه وأدرك ماهية الفتنة والرغبة عند الأرقام، فكان يُحدّق بلا حراك، على هذا الذهب الذي لا يُحصى ولا يُقدر بثمن، متناسيًا تقريبًا الحارس المُربع.

بقي يُحدّق إلى ما بدا كأنه دهر من الزمان. وقبل أن ينسحب متراجعًا رغمًا عنه تقريبًا، انسلّ من ظلال المدخل وعبر الأرضية إلى أقرب حافة من أكوام الكنز، التي يرقد فوقها التنين النائم، ذو الخطر الرهيب حتى في أثناء نومه. وأمسك بكوبٍ كبيرٍ بمقبضين والذي كان ثقيلًا على الحمل، وألقى بنظرة خائفة إلى الأعلى. حرّك سموج جناحًا، وفتح مخلبًا، وتغيّرت نغمة همهمة شخيره.

حينذاك هرب بيلبو. لكن التنين لم يستيقظ، ليس بعد، لكنه انتقل إلى أحلامٍ أخرى من الجشع والقوة والبطش. يرقد هناك في قاعته المسروقة بينما الهوبيت الصغير يكافح راجعًا عبر النفق الطويل. كان قلبه يخفق بقوة وساقيه ترتجفان أكثر ممّا كانتا عليه عندما كان ينزل، لكنه ما زال مُسكًا بالكوب، وكان تفكيره الرئيسي: لقد فعلت ذلك! هذا سيربهم حقًا! من هذا الذي قالوا عنه إنه أشبه ببقال أكثر من كونه لصًا. حسنًا، بعد الآن لن نسمع المزيد من ذلك الكلام.

ولم يسمعه. شعر بالين بسعادة غامرة لرؤية الهوبيت مرّة أخرى، كان سعيدًا بقدر ما كان متفاجئًا. فأمسك ببيلبو ورفعته إلى الأعلى ثمّ حمّله وخرج به إلى الهواء الطلق.

كان الليل قد انتصف، والغيوم غطت النجوم، إلا أن بلبو استلقى مغمض العينين، يلهث مُستمتعًا بإحساسه بالهواء النقي ثانيةً، وبالكاذ لاحظ انفعال وحماسة الأقرام، أو كيف أثنوا عليه، وربتوا على ظهره، ووضعوا أنفسهم وكلُّ عائلاتهم على مدى أجيالٍ في خدمته.

كان لا يزال الأقرام يمررون الكأس من يدٍ إلى يدٍ ويتحدّثون بسعادة عن استعادة كنزهم، عندما استفاق فجأةً هدير كبير في أسفل الجبل، كما لو أن بركانًا قديمًا قد اتخذ قراره ببء الثوران مرّةً أخرى. كان الباب قد انترع من خلفهم تقريبًا، لكن حبرًا سقط هناك حال دون إغلاقه، لكن إلى أعلى النفق الطويل وصلت أصداء مروعة، من أعماقٍ بعيدةٍ في الأعماق، لخوارٍ وسحقٍ جعل الأرض تهتز من تحتهم.

نسي الأقرام فرحتهم وتباهيهم بثقةٍ قبل لحظات، وسقطوا منكمشين من الخوف. كان سموج لا يزال يُحسب له حساب. لا يجب أن تترك تنينًا حيًّا خارج حساباتك إذا كنت تعيش بالقرب منه. قد لا تكون التنانين في حاجةٍ حقيقيةٍ إلى كلِّ ثروتهم، لكن وكقاعدةٍ عامّةٍ، فإنهم يعرفون هذه الثروة تمامًا حتّى أصغر مقدارٍ منها، خاصّةً بعد حيازتها لفترةٍ طويلة، ولن يكون سموج استثناء. كان قد انتقل من حلمٍ مزعجٍ (حيث رأى فيه، محاربًا ضئيل الحجم، لكنه كان مزودًا بسيفٍ لاذعٍ وشجاعةٍ كبيرة، ولم يكن مظهره مبهجًا قط)، إلى غفوةٍ، ومن غفوةٍ إلى استيقاظ تام. كانت هناك نسمةٌ من هواءٍ غريبٍ في كهفه. أيكون هنالك تيارٌ هوائيٍ من تلك الفتحة الصغيرة؟ لم يشعر بالسعادة مطلقًا حيال ذلك، مع أنها كانت صغيرةً جدًّا، حدّق إليها بغضبٍ وامتسائلًا في شكٍّ، لماذا لم يغلقها نهائيًّا؟

في الآونة الأخيرة، كان قد التقط -في ما يشبه الخيال- أصداء خافتةٍ لأصوات طرقات بعيدةٍ كانت تنزل إلى عرينه من خلال هذه الفتحة. راح يقلّب رقبته ويمدّها ليشمّ، وعندها افتقد الكأس!

لصوص! قتله! مجرمون! مثل هذا الشيء لم يحدث منذ أن جاء إلى الجبل لأول مرّة! فاق غضبه الوصف، وهو نوعٌ من الغضب الذي تراه فقط عند

الأثرياء الذين لديهم أكثر ممَّا يستطيعون الاستمتاع به، ويفقدون فجأة شيئاً كان لديهم منذ فترة طويلة، مع أنهم لم يستخدموه أو يريدوه من قبل. قذف نيرانه فانتشر الدخان في القاعة، واهتزت جذور الجبل. وعبثاً راح يدفع رأسه ضمن الحفرة، ثمَّ استجمع نفسه وأطلق من تحت الأرض صرخةً مثل الرعد، انطلق من عرينه العميق عبر بابهِ العظيم، خارجاً عبر الممرَّات الضخمة للقصر الجبلي وصعد باتجاه البوابة الأمامية. كان همُّ الوحيد مركزاً على تفتيش الجبل كله إلى أن يقبض على السارق ويمزِّقه ويسحقه. انبثق من البوابة، فارتفعت المياه بصافرات البخار العنيف، وحلَّق إلى الأعلى متوهِّجاً في الهواء ثمَّ استقرَّ على قمَّة الجبل في تدفقٍ من اللهبِ الأخضر والقرمزي. سمع الأقرام ضجَّة مفزعة من تحليقه، فربضوا قبالة أسوار الشرفة العشبية التي راحت تنكمش تحت الصخور، على أمل الهروب بطريقة ما من الأعين المربعة للتنين المُطارِد.

هناك كانوا سيقتلون جميعاً لولا بلبو مرَّة أخرى، فقد صرخ لاهتاً: بسرعة! بسرعة! إلى الباب! إلى النفق! فالمكان ليس آمناً هنا.

كلماته تلك أيقظتهم من غفلتهم، وعندما كانوا على وشك التسلُّل إلى داخل النفق صرخ ببفور: أبناء عمي! بومبور وبوفور، لقد نسيناهم، إنهما هناك في الوادي!

صاح الآخرون بنواح: سيقتلان، هما وكلُّ مهورنا أيضاً، وسنفقد كل مؤونتنا. لكن لا يمكننا فعل شيء.

قال ثورين الذي استعاد وقاره: هذا كلامٌ فارغ، لا يمكننا تركهم، ادخل يا سيد باجينز أنت وبالين وأنتما الاثنان فيلي وكيلي، فلن نسمح للتنين بأن يقضي علينا كلنا. والآن أنتم أيها الآخرون، أين الحبال؟ بسرعة!

ربما كانت تلك أسوأ اللحظات التي مرُّوا بها حتَّى الآن. كانت الأصوات الرهيبة لسموج الغاضب يتردَّد صداها في التجاويف الحجرية بالأعلى، ففي أي لحظة قد ينزل ملتهباً أو يطير ويلتفُّ من حولهم فيجدهم هناك، بالقرب من حافة الجرف المحفوفة بالأخطار يسحبون الحبال بجنون. صعد بوفور

وما زال كلُّ شيءٍ بأمان. صعد بومبور وهو ينفخ ويلهث بينما كانت الحبال تصرُّ وتكاد تتشقق، وما زال كلُّ شيءٍ بأمان. سحبوا بعض الأدوات وبعض حزم المؤن، عندها جاءهم الخطر. سُمِعَ دويٌّ طنينٍ ولامس ضوءٍ أحمرٍ رؤوس الصخور القائمة هناك. لقد وصل التنين. وبالكاد كان لديهم الوقت ليطيروا عائدين إلى النفق ساحبين خلفهم بعض المؤن. عندما وصل سموج مندفعًا من الشمال، يجلد جوانب الجبل باللهب، ضاربًا جناحيه العظيمين بصخبٍ مثل ريحٍ عاصفه. أذبلت أنفاسه الحارَّة العشب أمام الباب، ودخلت النيران من خلال الشقِّ الذي تركوه وأصابتهم ببعض الحروق بينما كانوا مختبئين. تفافزت ومضات النيران إلى الأعلى، فتراقصت معها ظلال الصخور السوداء. ثمَّ عادت الظلمة لتخيِّم من جديد عندما ابتعد.

صاحت المهور من الرعب، وقطعت حبالها وهربت بعنف، انقضَّ التنين واستدار لملاحقتهم. فقال ثورين: ستكون هذه نهاية حيواناتنا المسكينة! فلا شيءٍ يمكنه أن يفلت من سموج بمجرد أن يراه. ها نحن هنا وعلينا أن نبقى هنا، ما لم يتوهم أي شخص بالعودة إلى النهر بأمان، قاطعًا كلُّ تلك المسافة الطويلة المفتوحة مع مراقبة سموج!

لم تكن فكرةً لطيفة قط! تسلَّلوا أكثر إلى أسفل النفق، وهناك استلقوا يرتجفون رغم أنَّ الجوّ كان دافئًا وخانقًا، حتَّى طلع الفجر الشاحب من شقِّ الباب. وفي خلال الليلة الماضية كانوا يسمعون، بين الحين والآخر، هدير طيران التنين يقترب ثمَّ يعود ويختفي، بينما كان يدور ويلفُّ مُفتِّشًا حول جوانب الجبل.

لقد خَمَّن من خلال المهور، وآثار المخيِّمات التي كان قد اكتشفها، بأنَّ الرجال قد جاؤوا صاعدين من البحيرة والنهر وبأنهم قد تسلَّقوا جانب الجبل من الوادي حيث كانت تقف المهور. لكنَّ الباب صمد أمام عينه الفاحصة، لأنَّ الغناء الصغير ذا الجدران العالية حفظه من أسنة لهبه العنيفة. ظلَّ يطارد ويفتِّش لفترةٍ طويلةٍ دون جدوى حتَّى برَّد الفجر من حدة غضبه قليلًا وعاد إلى أريكته الذهبية لينام وليستجمع قواه من جديد.



ما كان لينسى السرقة أو يغفرها، ولا إذا حوَّله الألف سنة إلى حجرٍ خامد، لكنه يستطيع تحمُّل الانتظار. بهدوء وبطء تسلُّ عائداً إلى عرينه وأطبق عينيه نصف إطباقه.

قلَّ رُعب الأقزام مع مجيء الصباح. لقد أدركوا بأن هذا النوع من الأخطار لا مفرَّ منه في التعامل مع هكذا حارس. ومن غير الجيد التخلي عن مسعاهم، بعد أن تعدَّرت إمكانية هربهم الآن، كما أشار ثورين. فقد ضاعت مهورهم أو قُتلت، وعليهم الانتظار لبعض الوقت قبل أن يخفَّف سموج من مراقبته بما يكفي لكي يجرؤوا على المشي لمسافات طويلة. لحسن الحظِّ، كانوا قد وفَّروا ما يكفي من مؤونتهم لتستمرَّ معهم لبعض الوقت.

تناقشوا لفترةٍ طويلةٍ في ما يجب القيام به، لكنهم لم يفكِّروا في أي طريقةٍ للتخلُّص من سموج، والتي كانت نقطة ضعف دائمة في كلِّ خططهم، فقد شعر بيلبو بأنهم يميلون إلى تجنُّب الإشارة إلى تلك النقطة. وكما هي طبيعة الناس عندما يشعرون بالحيرة الشديدة، فقد بدؤوا يتذمَّرون من الهوبيت، ملقين عليه اللوم لما أسعدهم به في البداية، لأنه جلب الكأس وأثار غضب سموج مبكِّراً.

سألهم بيلبو غاضباً: ماذا تفترضون أن يفعل اللصُّ غير هذا؟ فأنا لست مُلزماً بقتل التنانين، هذا عمل مُحارب، لكن من أجل سرقة كنز. فقد صنعت أفضل بداية ممكنة. هل كنتم تتوقَّعون منِّي أن أهرول عائداً إليكم وكنوز ثرور على ظهري؟ وإن كان لا بُدَّ من التذمُّر، فأعتقد بأن لي رأي في ذلك. كان عليكم جلب خمسمائة لَصٍّ وليس واحداً. أنا واثقٌ بأن هذا الكنز يعتبر مفخرة لجدك، لكن لا يمكنك التظاهر بأنك أوضحت لي مطلقاً هذا النطاق الواسع لثروته. فأنا بحاجةٌ إلى مئة عام حتَّى أحضر كلُّ ذلك الكنز، وهذا بشرط أن أكون أكبر من حجمي بخمسين ضعفاً، وأن يكون سموج وديعاً مثل أرنب.

بعد هذا الكلام بالطبع، طلب الأقزام العفو منه.

وسأله ثورين بأدب: إذن، ماذا تقترح علينا أن نفعل، يا سيِّد باجينز؟

فأجابه بيلبو: ليس لديّ أي فكرة في الوقت الحالي إذا كنت تقصد إخراج الكنز.

من الواضح أنّ الأمر يعتمد كلياً على منعطف جديد للحظّ، يساعدنا على التخلّص من سموج. عملية التخلّص من التنانين لا تدخل ضمن اختصاصي مطلقاً، لكن سأبذل قصارى جهدي للتفكير في الأمر. أنا شخصياً ليس لديّ أي أملٍ على الإطلاق، وأتمنّى العودة بأمانٍ إلى وطني.

قال له ثورين: لا تهتمّ لهذا في الوقت الحالي! وأخبرني ماذا سنفعل الآن، اليوم؟

قال بيلبو: حسناً، إن كنت تريد نصيحتي حقاً، فسأقول لك بأنه لا يمكننا فعل أي شيء سوى البقاء حيث نحن. وفي خلال النهار سنكون قادرين بلا شك على التسلّل بأمانٍ كافٍ لاستنشاق الهواء. وربما في خلال وقت قصير سنختار واحداً أو اثنين ليعودا إلى المخزن بجانب النهر وتجديد إمداداتنا. لكن وفي خلال ذلك يجب أن يبقى الجميع داخل النفق ليلاً. والآن سأقدّم لكم عرضاً. بما أن خاتمي معي فسوف أستخدمه لأتسلّل إلى الأسفل في ظهيرة هذا اليوم -بينما يكون سموج في فترة القيلولة- لأرى ما ينوي القيام به. ربما سيظهر شيء ما، وعلى رأي أبي «كل دودةٍ ولها نقطة ضعف»، على الرغم أنني متأكّد من أن مقولته تلك لم تنبع عن تجربة شخصية.

من الطبيعي أن يتقبّل الأقرام العرض بلهفة. ويقدموا في الحال الكثير من الاحترام إلى بيلبو الصغير. فقد أصبح الآن هو القائد الحقيقي لمغامرتهم، وقد بدأ يأخذ الأفكار والمخططات من تلقاء نفسه. وعندما انتصف النهار استعدّ للنزول في رحلة أخرى لباطن الجبل. وبالطبع لم يكن راغباً بتلك الرحلة، لكنها لن تكون بذلك السوء الآن، بعد أن صار يعرف إلى حدّ ما، ماذا يوجد أمامه. فلو كان يعرف أكثر عن التنانين وأساليبهم الماكرة، ربما كان أكثر خوفاً وأقلّ أملاً في اقتناص هذه الغفوة.

كانت الشمس مشرقةً عندما بدأ في النزول، أمّا في النفق فقد كان الظلام مثل الليل. فالضوء الذي كان يأتي من الباب شبه المغلق، تلاشى في الحال

عندما نزل. كان هادئاً جداً وهو ينزل، لدرجة أن الدخان المحمول على نسمة لطيفة لا يمكنه التفوق عليه في هدوئه. كان ميالاً إلى الشعور بالفخر بنفسه مع اقترابه من الباب السفلي. فلم يكن هناك سوى الوهج الخافت الذي يمكن رؤيته.

فكّر بينه وبين نفسه: سيكون العجوز سموج مرهق ونائم. وبذلك فلن يراني أو يسمع صوت حركتي، فلتبتهج يا بيلبو! لكنه إمّا نسي وإمّا لم يسمع قط عن حاسة الشم عند التنانين. هنالك حقيقة أخرى أيضاً لا تلائم أفكار بيلبو، وهي، بأن التنانين تنام بأعين نصف مفتوحة إذا كانوا مرتابين من أمر ما. عندما اختلس بيلبو نظرة خاطفة من المدخل، من المؤكد أن سموج بدا له وكأنه نائم بعمق، فقد كان مظلماً وشبه ميت، مع القليل من الشخير الذي لم يكن أكثر من نفخة من بخار غير مرئي. وكان على وشك أن يخطو باتجاه أرضية القاعة عندما لمح وبشكل مفاجئ شعاعاً أحمر حاداً ورفيعاً يأتي من تحت الجفن المتدلي لعين سموج اليسرى. لقد كان يتظاهر بالنوم فقط! فهو يراقب مدخل النفق! تراجع بيلبو إلى الوراء على عجل وبارك الحظ الذي جاءه من الخاتم. عندها تحدّث سموج.

- حسناً أيها اللص! أنا أشم رائحتك وأشعر بهالتك. أنا أسمع أنفاسك. هيّا تعال! اخدم نفسك بنفسك، فهنالك الكثير ممّا أستطيع الاستغناء عنه!

مع ذلك، لم يكن بيلبو يفتقر إلى معرفة التنانين لهذه الدرجة، وإذا أراد سموج أن يجعله يقترب بهذه السهولة فإنه سيصاب بخيبة أمل.

أجابه بيلبو: لا، شكراً لك، يا سموج. الهائل! لم آت للحصول على الهدايا. كنت أرغب فقط في إلقاء نظرة عليك ومعرفة ما إذا كنت بتلك العظمة التي تقولها الحكايات عنك. فأنا لم أكن أصدّقهم.

- وهل صدقتهم الآن؟

قال التنين هذه الكلمات بشيء من الخيلاء، برغم أنه لم يصدّق أي كلمة من كلمات بيلبو.

أجابه بيلبو: في الحقيقة، تعجز الأغاني والحكايات أن ترقى إلى مستوى الواقع نهائيًا. يا زعيم الزعماء سموج، الأعظم من بين كل الكوارث.

قال التنين: لديك أخلاق لطيفة على الرغم من أنك لصٌ وكذّاب. يبدو بأن اسمي مألوفٌ لديك، لكن لا يبدو أنني أتذكّر رائحتك من قبل. فهل لي أن أسأل: مَنْ أنت، ومن أين أتيت؟

أجابه بيلبو: يمكنك طبعًا! لقد جئت من تحت التل، وقد قادتني الطرق إليك من تحت التلال ومن فوق التلال. وعبر الهواء، أنا هو الذي يسير غير مرئي.

قال سموج ساخرًا: ذلك يمكنني أن أصدّقه حقًا.

تابع بيلبو: لكن كل ذلك بالكاد يعبر عن اسمنا المعتاد. فأنا حلّال الألغاز، وقاطع الشباك، اللاسع الطائر. لقد اخترتُ لأكون رقم الحظّ.

قال التنين هازئًا: ألقابٌ جميلة! لكن أرقام الحظّ لا تؤتي ثمارها دائمًا.

عاد بيلبو من جديد ليقول: أنا ذلك الذي يدفن أصدقاءه أحياء، ويغرقهم في الماء ثمّ ينتشلهم أحياء ثانية. لقد أتيت من قعر الحقيقة\*<sup>(1)</sup>، لكن لا وجود لحقيقة تستطيع احتوائني.

سخر منه سموج مجددًا وقال: هذه لا تبدو جديرةً بالثقة.

تابع بيلبو وقد بدأ يشعر بالرضا عن هذه الألغاز: أنا صديق الدببة وضيف النسور. أنا الفائز بالخاتم، ولبس الحظّ. أنا هو خيال البراميل.

قال سموج: هذا أفضل! لكن لا تدع تخيلاتك تأخذك بعيدًا!!

هذه بالطبع هي الطريقة المثلى للتحدّث مع التنانين إذا كنت لا تريد الكشف عن اسمك الحقيقي (وهذا أمرٌ حكيم)، ولا تريد بالمقابل إثارة غضبهم برفضك القاطع لذكر ذلك الاسم (وهذا أيضًا حكيم جدًا). لا يمكن لأيّ تنين مقاومة الافتتان بأحاديث الألغاز وإضاعة الوقت في محاولة فهمها.

(1) يعيش بيلبو في هوبيتول يسمى باج إيند BAG-END وتعني حرفيا قعر الحقيقة فهو هنا يتلاعب بالألفاظ.

كان هنالك الكثير من الذي لم يفهمه سموج على الإطلاق (على الرغم من أنني أتوقّع أنكم تفهمون ذلك جيدًا، لأنكم تعرفون كل شيء عن مغامرات بيلبو التي كان يُشير إليها)، لكنني أعتقد أنه فهم بما فيه الكفاية، وضحك في قرارة نفسه الشريرة. وقال مخاطبًا نفسه: لقد توقّعت ذلك في الليلة الماضية، وابتسم لنفسه: رجال البحيرة، مكيدة قذرة من هؤلاء البائسين تُجَارِ الحاويات، رجال البحيرة. أم يحسبونني سحليّة. لم أنزل هناك منذ عصورٍ وعصور، لكنني سأغير ذلك قريبًا! ثم قال بصوتٍ عالٍ:

- حسنًا يا خيال البراميل! ربما كان البرميل هو اسم المُهر الخاص بك، وربما لا، على الرغم من أنه كان سمينًا بما فيه الكفاية. قد تمشي غير مرئي، لكنك لن تمشي طوال الطريق. دعني أخبرك بأنني أكلت ستة مهورٍ في الليلة الماضية، ولن يتأخّر الوقت حتّى أقبض على البقية وأكلهم. وفي مقابل هذه الوجبة الممتازة سأقدّم لك نصيحة واحدة من أجل مصلحتك: لست مضطرًا إلى الاهتمام بالأقزام كثيرًا، أكثر ممّا تستطيع المساعدة!

قال بيلبو متظاهرًا بالدهشة: الأقزام!

فقال له سموج: لا تقل لي! أستطيع تمييز رائحة وطعم القزم جيدًا، أكثر من أي شيء آخر. فلا تقل لي بأنه يُمكن أن أكل مهرًا قد امتطاه قزم ولا أعرف! ستصل إلى نهاية سيئة، إذا ذهبت مع هؤلاء الأصدقاء. ولا أمانع، أيها اللصُّ يا خيال البراميل، إذا عُدت وأخبرتهم بذلك مني.

لكنه لم يخبر بيلبو بأنّ هنالك رائحة واحدة لم يستطع تمييزها تمامًا من بين كل الروائح، وهي بالطبع رائحة الهوبيت. لقد كانت خارج نطاق تجربته من قبل وقد أصابته بحيرة كبيرة.

وتابع يقول: أفترض أنك حصلت منهم على سعرٍ جيد لتلك الكوب التي أخذتها في الليلة الماضية؟ تعال الآن، وقُل لي، لا شيء على الإطلاق! أليس كذلك؟ حسنًا، فهذه هي عادتهم دائمًا. أعتقد بأنهم يتوارون هنالك بالخارج، ومهمّتك هي القيام بالأعمال الخطرة والحصول على ما تستطيع من الكنز

عندما أغفل عنه؟ وسوف تحصل بعدها على حصّة جيدة؟ لا تصدّق ذلك! فستكون محظوظًا، إذا عُدت من هنا حيًّا.

بدأ بيلبو الآن يشعر فعلاً بعدم الارتياح. كلما جالت عين سموج للبحث عنه في الظلال، لقد عبره وميض عين سموج فارتجف واستولت عليه رغبة غير قابلة للتفسير بأن يُسرّع ويظهر نفسه ويخبر سموج بكلّ الحقيقة، كان في خطر شديد من أن يقع تحت سحر التنين، لكنه استجمع شجاعته وتكلّم مع سموج من جديد، حيث قال: أنت لا تعرف كل شيء، يا سموج العظيم. لم يكن الذهب وحده هو من جاء بنا إلى هذه الأنحاء.

ضحك سموج: ها! ها! ما أنت تعترف الآن وتقول نحن، لماذا لا تقول نحن الأربعة عشر وتنتهي من كلّ ذلك. يا سيد رقم الحظّ؟ يُسعدني أن أسمع بأنّ لديكم أعمالاً أخرى في هذه الأنحاء بالإضافة إلى ذهبي. ففي هذه الحالة ربما لن تضيعوا كلّ وقتكم. لا أعرف ما إذا كان قد خطر في بالكم، فحتّى لو كان بإمكانكم سرقة الذهب شيئاً فشيئاً - في غضون مئة عامٍ أو نحو ذلك - فهل ستمتكنّون من الذهاب به بعيداً جدًّا؟ هل سيكون ذا فائدة كبيرة على جانب الجبل؟ وهل سيكون ذا فائدة كبيرة في الغابة أيضاً؟ فلتباركني! ألم تفكّر في التحصيل؟ أعتقد بأنه سيكون هناك أربعة عشر حصّة، أو شيء من هذا القبيل، ألم تكن تلك هي الشروط، إيه؟ أيضاً ماذا عن التسليم؟ وتكاليف النقل؟ ماذا عن الحراسة المسلّحة والرسوم؟ ثمّ ضحك سموج بصوت عالٍ. كان لديه قلبٌ خبيث ومُراوغ، وهو يعلم أنّ تخميناته لم تكن بعيدة، مع العلم أنه اشتبه في أنّ رجال البحيرة كانوا وراء تلك المخططات، وإنّ معظم عمليات النهب كان من المُفترض بها أن تتوقّف هناك في تلك المدينة بجانب الشواطئ، تلك المدينة التي كانت تُدعى في أيام شبابه «إيسجاروث».

بالكاد صدّقتم ذلك، لكنّ المسكين بيلبو كان ذاهلاً جدًّا. حتّى الآن كلُّ ما كان لديه، من أفكار وطاقت كانت تتركّز على الوصول إلى الجبل وإيجاد المدخل السريّ. لم يكفّ نفسه عناء التفكير في كيفية نقل الكنز، وبالتأكيد

لم يفكر في كيفية إعادة كامل حصّته على كامل الطريق إلى باج إيند تحت التل.

الآن بدأ الشكّ المؤذي بالتسلّل إلى ذهنه، فهل نسي الأقرام هذه النقطة المهمة أيضًا، أم كانوا يخفون تلك الحيلة في أكمامهم طوال الوقت؟ ذلك هو تأثير حديث التنين على عديمي الخبرة. بالطبع كان على بيلبو أن يأخذ حذره، لكن سموج كان يتمتّع بشخصية ساحقة.

في محاولته للبقاء وفيًا لأصدقائه وللحفاظ على حياته، قال بيلبو: أقول لك، لم يكن هذا الذهب سوى مجرد فكرة ثانوية خطرت لنا مؤخرًا. لقد أتينا من فوق التل ومن تحت التل، بالموجة والرياح، من أجل الانتقام. بلا شك عليك أن تدرك، يا سموج يا فاحش الثراء، بأنّ نجاحك هذا قد خلق لك بعض الأعداء الأشداء؟

عندها ضحك سموج بالفعل بصوتٍ مدمرٍ اهتزّ معه بيلبو ومال على الأرض، بينما هناك في الأعلى فقد تجمهر الأقرام في آخر النفق معًا متخيّلين بأنّ الهوبيت قد انتهى به الأمر فجأة إلى مصير سيئ.

قال سموج بصوتٍ يشبه الشخير: الانتقام! وأنار ضوء عينيه الصالة من الأرض إلى السقف بضوء مثل برقٍ قرمزي. الانتقام! لقد مات ملك ما تحت الجبل فأين هم أهله الذي يجروون على الانتقام؟ لقد مات جيريون سيّد ديل، وأكلت شعبه مثل الذئب بين الغنم، فأين هم أبناؤه الذين يجروون على الاقتراب منّي؟ أنا أقتل حيث أريد ولا يجروؤ أحد على المقاومة. لقد أسقطت المحاربين القدامى وهؤلاء ليس لهم مثل في العالم اليوم. حينذاك كنت لا أزال صغيرًا وليّنًا. أمّا الآن، فقد أصبحت خبيرًا وقويًا قويًا جدًا. أيها اللصّ المختفي في الظلال! ثمّ تابع كلامه متباهيًا: درعي يساوي عشرة أضعاف الدروع العادية، أسناني سيوف، مخالبي رماح، ضربة ذيلي ساعة، أجنحتي إعصار، وأنفاسي هلاك!

قال بيلبو في صرير مرعوب: أعلم بأن التنانين دائماً تكون أكثر ليونة من جانبها السفلي خاصة عند منطقة الصدر. ولا شك بأن شخصاً شديد التحصين مثلك قد فكّر في ذلك.

توقّف التنين عن التباهي فجأة وقال: معلوماتك عتيقة جداً، ثمّ عضّ على أسنانه وتابع يقول: أنا مدرّعٌ من فوق ومن تحت بحراشف من الحديد والأحجار الكريمة الصلبة. فلا يمكن لأي نصل اختراقي.

قال بيلبو: حقيقةً ربما خمنّت ذلك، حتما لا يوجد في أي مكان من يقدر على اختراق دروعك. لا يمكن العثور على نظير للسيد سموج المنيع. يا لها من فخامة، لتمتلك صديراً من الماس الفاخر!

قال سموج بسرور سخيّف: نعم، إنه أمرٌ نادرٌ ورائعٌ فعلاً.

فهو لم يكن يعلم بأنّ الهوبيت كان ألقى نظرةً بالفعل على غطائه السفلي الغريب في زيارته السابقة، وكان يتوق إلى إلقاء نظرةٍ أقرب لأسباب خاصةً به. انقلب التنين على جانبه وقال: انظر! ماذا تقول في ذلك؟

هتف بيلبو بصوتٍ عالٍ: باهر! بديع! مثالي! بلا عيوب! مذهل! لكنه كان يقول في سرّه: عجوز أحمق! لماذا توجد بقعةٌ كبيرة عارية في تجويف صدره الأيسر وكأنها حلزون خارجٌ من قوقعته!

بعدما رأى كلّ ذلك، كانت الفكرة الوحيدة للسيد باجينز تنحصر بالابتعاد، لذلك قال: حسناً، للحقيقة عليّ ألا أعوق فخامتكم أكثر من ذلك، أو أن أمنعك من الراحة التي تحتاج إليها كثيراً. أعتقد بأنّ المهور قد التقطت بعض أنفاسها، بعد جولةٍ طويلة. وكذلك يفعل اللصوص، أضاف هذه الكلمة في لحظة مغادرته، بينما كان يندفع هارباً عبر النفق.

كانت ملاحظة غير ملائمة، لأن التنين أطلق لهباً رهيباً خلفه، وعلى الرغم من سرعته فقد أسرع أكثر في صعود المنحدر، لم يكن قد ابتعد بما فيه الكفاية قبل أن يحشر سموج رأسه الشنيع في الفتحة خلفه. ولحسن الحظّ بأنه لم يستطع حشر كامل رأسه وفكيه داخل الفتحة، لكن خياشيمه أطلقت نارا وبخاراً لتلاحق الهوبيت، وكاد يهزمه بعد أن تعثّر على نحوٍ أعمى من أمه



وخوفه العظيمين. لقد كان يشعر بالسعادة نوعًا ما من براءة محادثته مع سموج، لكن خطأه في النهاية دفعه إلى إدراك أفضل.

ثم قال لنفسه: بيلبو أنت أحمق! لا تسخر أبدًا من تنين حي. وفي ما بعد أصبحت هذه مقولته المفضّلة، وتحولت إلى مثل أو قول مأثور. وأضاف: لم تكذ تنتهي من هذه المغامرة بعد، وهذا صحيح أيضًا.

كانت الوقت يتحوّل إلى المساء عندما خرج للمرّة الثانية وتعرّث ثم سقط مغشيًا عليه عند عتبة الباب. قام الأزام بإنعاشه، وعالجوا حرقه قدر المُمكن، لكن مضت فترة طويلة قبل أن ينمو الشعر كما ينبغي على مؤخّرة رأسه وكعب قدميه. حيث كانت آثار الحريق قد وصلت إلى حدود الجلد. وفي غضون ذلك بذل رفاقه قصارى جهدهم لتشجيعه، وكانوا متحمّسين جدًّا لسماع قصّته، لا سيما الرغبة في معرفة سبب إحداث التنين لمثل تلك الضوضاء الفظيعة، وكيف هرب بيلبو.

لكنّ الهوبيت كان مهمومًا ومتضايقًا، وكانوا يجدون صعوبة في الحصول على أي معلومة منه. بعد التفكير في الأمر، كان نادماً على بعض الأشياء التي قالها للثنين، ولم يكن متحمّسًا لتكرارها. كان طائر السُمنة العجوز يجلس على صخرة بالقرب منه مظهرًا أحد الجانبين من رأسه المنتصب. مُصغياً إلى كلّ ما كان يُقال. ولمعرفة مدى سوء المزاج الذي كان يُعانيه بيلبو، فقد التقط حجرًا من الأرض ورمى به طائر السُمنة، فما كان منه إلا أن رفرف قليلاً ثم عاد.

قال بيلبو بشكلٍ عرضي: سُحقًا لهذا الطائر! أعتقد أنه يستمع لنا، ولم يعجبني مظهره قط.

قال ثورين: دعه وشأنه! طيور السُمنة طيبة وودودة، وهذا الطائر بالذات كبيرٌ جدًّا، ربما يكون آخر ما تبقى من سلالة الطيور القديمة التي كانت تعيش هنا، وقد رُوّضت على يدَي أبي وجدي. لقد كانوا من نسلٍ سحري طويل العمر، فقد يكون واحدًا من أولئك الذين كانوا على قيد الحياة في ذلك الوقت. قبل بضع مئاتٍ من السنين أو أكثر، اعتاد أهالي ديل على امتلاك حيلة

ما لفهم لغة هذه الطيور، وقد استخدموها كمراسلين لنقل الرسائل إلى أهالي البحيرة وإلى أماكن أخرى.

حسنًا، ستكون لديه أخبار ليأخذها إلى ليك تاون، إذا كان هذا ما يسعى إليه، هل هذا جيد؟ على الرغم من كل ذلك فلا أعتقد بأنه بقي أي شخص هناك قد يكلف نفسه عناء فهم لغة طيور السُّمنة.

صاح به الأقزام مندهشين: ما الذي حدث؟ تابع سرد قصّتك!

وهكذا أخبرهم بيلبو بكل ما يمكن أن يتذكّره، واعترف بأن لديه شعورًا سيئًا بأن التنين قد حَمَّن الكثير من الألغاز بالإضافة إلى آثار المخيمّات والمهور. أنا على يقين من أنه يعلم بأننا أتينا من ليك تاون وتلقينا المساعدة من هناك، ولديّ شعورٌ رهيب بأن خطوته التالية قد تكون بذلك الاتجاه. أتمنّى من الرب لو أنني لم أقل أي شيء عن خيال البراميل، فذلك من شأنه أن يجعل أيّ شيء حتّى ولو كان أرنبا أعمى يسكن هذه الأنحاء لأن يوجّه تفكيره نحو أهالي البحيرة.

قال بالين الحريص على تهدئة بيلبو: حسنًا، حسنًا! لم تكن أنت من ساعده، من الصعب ألا يزلّ لسانك عندما تتحدّث مع تنين، أو هكذا كنت أسمع دائمًا. وإذا أخذت رأيي، أعتقد أنك أبليت بلاءً حسنًا، لقد كشفت عن واحدٍ من الأشياء المهمة جدًّا على أي حال، وعدت حيًّا، وهذا بحدّ ذاته إنجازٌ كبير وأكثَر ممّا يمكن أن يحصل لمعظم الأشخاص الآخرين الذي تكلموا مع أمثال سموج. قد يكون ذلك من دلائل النعمة والبركة لكي نعلم الآن بشأن البقعة العارية في الدرع الماسي لتلك الدودة العجوز.

أدّت مداخلة بالين إلى قلب مسار هذا الحوار، حيث بدأ الجميع في مناقشة جميع الوقائع التاريخية، المشكوك فيها والأسطورية لعمليات ذبح التنانين. ومختلف أنواع الطعنات واللكمات وقطع الأجزاء السفلية، والطرق المختلفة، والأدوات والحيل التي أنجزت بواسطة هذه الأدوات. واتفق الجميع على أن محاولة اصطياد التنين في أثناء غفوته ليس بالأمر السهل على ما يبدو. وأنّ محاولة ضربه أو طعنه وهو نائم كان من المرجّح أن تنتهي بكارثة أكثر

من الهجوم الجريء المباشر. طوال الوقت الذي كانوا يتحدثون به كان طائر السُّمنة يستمع إليهم. وأخيرًا عندما بدأت النجوم بالبروز، فرد جناحيه بهدوء وحلّق بعيدًا. ظلُّوا يتحدثون طوال الوقت وقد تناولت الظلال حتّى أصبح بيلبو أكثر تعاسةً وازداد تشاؤمه أكثر.

في النهاية قاطعهم قائلاً: أنا متأكد أننا سنكون غير آمنين، ولا أعرف ما هي غاية جلوسنا هنا. لقد أذبل التنين كل العشب الأخضر اللطيف، وعلى كلِّ حال فقد جاء الليل وسيكون الجوُّ باردًا هنا. لكن ما أشعر به في داخلي بأن هذا المكان سيتعرّض للهجوم مرّة أخرى. أصبح يعرف سموج الآن كيف نزلت إلى قاعته، ويمكنكم أن تثقوا به في تخمين مكان الطرف الآخر من النفق. ولكي يسدّ علينا هذا المدخل، سيسعى إلى تحطيم كلِّ هذا الجانب من الجبل إلى أجزاء صغيرة إذا لزم الأمر، وإذا سُحقنا مع هذا الحطام سيكون ذلك أفضل ما يتمنّاه.

قال ثورين: يبدو أنك متشائمٌ جدًّا يا سيّد باجينز! لماذا لم يُغلق سموج النهاية السفلية للنفق إذن، إذا كان حريصًا بالفعل على إبعادنا؟ هو لم يفعل ذلك، وإلا كنّا قد سمعناه.

أجابه بيلبو: لا أعرف، لا أعرف، أعتقد لأنه بالبداية أراد المحاولة واستدراجي للنزول مرّة أخرى. والآن ربما لأنه ينتظر ريثما ينتهي من مطاردته لنا هذه الليلة. أو لأنه لا يريد إتلاف غرفة نومه، إذا كان بإمكانه تلافى ذلك. لكن أتمنّى ألا تجادل. سوف يخرج سموج في أي لحظة من الآن، وأملنا الوحيد هو أن ندخل إلى النفق ونُغلق الباب.

لقد بدا جادًا جدًّا لدرجة أنّ الأقرام فعلوا ما قاله أخيرًا، على الرغم من أنهم أجّلوا فكرة إغلاق الباب، فقد بدت لهم بأنها خطة يائسة، فلا أحد يعرف ما إذا كان بإمكانهم فتحه مرّة أخرى من الداخل أو كيف يمكنهم ذلك. وفكرة أن تكون محبوبًا في مكانٍ والطريق الوحيد الذي يقودك إلى الخروج منه سيمرُّ عبر عرين التنين، فتلك الفكرة لم تعجبهم قط.

بدا كلُّ شيءٍ هادئًا تمامًا من كلا الجانبين إن كان في الخارج أو في أسفل النفق. لذلك ومع طول المدة التي جلسوا فيها بالداخل غير بعيدين عن الباب نصف المفتوح، استمرُّوا في الحديث. وتحوَّل الحديث إلى كلمات التنين الخبيثة التي قالها عن الأقرام. وتمنَّى بيلبو لو لم يسمعهم من التنين، على الأقل كان سيُشعر باليقين التامَّ بأنَّ الأقرام كانوا صادقين تمامًا عندما أعلنوا بأنهم لم يفكِّروا مطلقًا في ما سيحدث بعد الفوز بالكنز.

قال ثورين: كُنَّا نعلم بأنها مُغامرةٌ يائسة، وما زلنا نُقرُّ بذلك، وما زلت أعتقد بأنه عندما نفوز سيكون لدينا الوقت الكافي للتفكير في ما يجب فعله حيال ذلك. وبالنسبة إلى حصَّتك يا سيِّد باجينز، نوَكِّد لك بأننا أكثر من ممتنِّين وسوف تختار نصيبك منه بنفسك، بمجرد أن يكون لدينا أي شيء لتقسيمه، أنا أسف إذا كنت قلِّقًا بخصوص عملية النقل، واعترف بأنَّ الصعوبات كبيرة، فالأراضي لن تصبح أقل وحشية مع مرور الوقت، بل العكس هو الأرجح. لكننا سنفعل ما في وسعنا من أجلك، ونأخذ نصيبنا من التكلفة عندما يحين الوقت. ولك أن تصدِّقني أو لا، فهذا شأنك.

من هناك تحوَّل الحديث إلى الكنز العظيم نفسه ولبعض الأشياء التي تذكَّرها ثورين وبالين. حيث تساءلوا عمَّا إذا لا تزال تلك الأشياء باقية هناك في القاعة على حالها ولم تتعرَّض للأذى، مثل الرماح التي صُنعت لجيوش الملك العظيم بلادورثين (الذي مات منذ فترةٍ طويلة)، كان لكلِّ واحدٍ منها رأسٌ مُقسَّى ثلاث مرَّات وكانت نصالها مُرصَّعةً بالذهب ببراعة. لكن لم تُسَلِّم أو يُدْفَع ثمنها. والدروع التي صُنعت لمحاربين ماتوا منذ فترةٍ طويلة. الكأس الذهبية العظيمة للملك ثور ذات الأذنين المطروقتين والمنحوت عليها أشكال طيور وأزهار كانت أعينها وبتلاتها من الجواهر، وأغطية من الدروع المذهبة والمفضضة غير القابلة للاختراق. عقد جيريون سيِّد ديل المصنوع من خمسمائة زمرديَّة خضراء مثل العشب، والذي تخلَّى عنه مقابل تحصين ابنه الأكبر بدرعٍ من حلقات الزرد التي لم يصنع مثله من قبل، فقد كانت حلقاته مصنوعة من الفضة النقية والتي تعادل قوتها ثلاثة أمثال الفولاذ. لكن الأجمل

من ذلك كله هو: الجوهرة البيضاء العظيمة، قلب الجبل، التي وجدها الأقزام تحت جذور الجبل، وهي أركنستون الخاصة بالملك ثرين الأول.

همس ثورين في الظلام، بأحلام اليقظة وهو يسند ذقنه إلى ركبتيه: الأركنستون! الأركنستون! يشبه كرة بألف وجه، كان يلعب كالفضة في ضوء النار، وكالماء في الشمس، وكالثلج تحت النجوم، كلمعان المطر في ضوء القمر!

لكن الرغبة المسحورة في امتلاك الكنز كانت قد غادرت بيلبو. وطوال حديثهم كان نصف مستمع لهم. جلس بالقرب من الباب وقد شئف أذناً واحدة لأي بداية صوت تأتي من الخارج، والأذن الأخرى كانت يقظة لأي صدى خلف همسات الأقزام، أو أي همسة أو حركة تأتي من الأسفل.

ازدادت الظلمة عمقاً وأصبح يشعر بالقلق أكثر من قبل. ثم قال متوسلاً: أغلقوا الباب! لقد بتُّ أخاف من هذا التنين حتى النخاع، إن هذا الهدوء أقل طمأنينة لي من ضجة ليلة أمس. أغلقوا الباب قبل فوات الأوان!

شيء ما في صوته جعل الأقزام يشعرون بالقلق. تخلّص ثورين من أحلامه ببطء، وقام بركل الحجر الذي وضعوه ليمنع انغلاق الباب. ثم دفعوه فانغلق محدثاً صوت قرعقة. ولم يبق هناك أي أثر لثقب المفتاح من الداخل. قد أصبحوا محتجزين داخل الجبل!

بعد لحظات قليلة. وكانوا بالكاد قطعوا خطوات داخل النفق، ضرب جانب الجبل، بضربة وكأنها اصطدام دبابة خارقة للحصون مصنوعة من أشجار سنديان الغابة سددها عملاق. انفجر الصخر، تشققت الجدران وتساقتت الحجارة من السقف على رؤوسهم. ماذا كان سيحدث لو بقي الباب مفتوحاً، هذا ما لا أحب التفكير به الآن.

فرّوا إلى أسفل النفق فرحين بأنهم ما زالوا على قيد الحياة، بينما خلفهم في الخارج كانوا يسمعون هدير وقعقة غضب سموج. كان يُفَتَّت الصخور، ويحطّم الجدار والجرف بذيله الضخم، حتى مخيمهم العالي الصغير، والعشب المحروق، وحجر طائر السمنة، والجدران المغطاة بالحلزونات،

والحافة الضيقة، كلها تلاشت في رُكامٍ من القطع الصغيرة، وانهارٍ من الحجارة المتناثرة التي سقطت من فوق الجرف إلى الوادي تحته.

كان سموج قد تسلل من عرينه خلسةً، وحلّق بهدوء في الهواء، طاف ثقيلًا بطيئًا في العتمة مثل غراب رهيب، ثم هبط كالريح على الجانب الغربي للجبل، على أمل الإمساك فجأةً بشيء أو شخصٍ ما هناك، والتجسس على منفذ الممر الذي استخدمه السارق. فكانت فورةً غضبه عندما لم يجد أحدًا ولم يرَ شيئًا هناك، في المكان الذي خمن أن المنفذ فيه بالفعل.

شعر بتحسُّنٍ بعد أن أطلق العنان لغضبه بهذه الطريقة، واعتقد في نفسه بأنه لن ينزعج مرّةً أخرى من هذا الاتجاه من الجبل. لكن الآن فلديه المزيد من الانتقام ليووقعه. فزمجر بصوتٍ عالٍ: يا خيال البراميل! لقد ساقتك أقدامك من جهة الماء ومن دون شك فقد أتيت فوق الماء، أنا لا أعرف رائحتك، لكن إن لم تكن واحدًا من أولئك الرجال من شعب البحيرة، فقد حصلت على مساعدتهم. سوف يرونني ويتذكّرون مَنْ هو ملك ما تحت الجبل الحقيقي!

ارتفع كشمعةٍ من نار وانطلق بعيدًا نحو الجنوب باتجاه نهر رانينج.

## الفصل الثالث عشر

### ليس في البيت

في غضون ذلك، جلس الأقرام في الظلمة بصمتٍ مطبق، لم يأكلوا ولم يتكلموا إلا قليلاً، لم يستطيعوا احتساب الوقت، ولم يجرؤوا على الحركة إلا بشقِّ النفس، لأن همسات صوتهم كان تتردّد كصدى وخشخشة في النفق. كلما غفوا، استيقظوا ليجدوا بأنهم لا زالوا في الظلام مع استمرار ذلك الصمت الذي لم يُكسر. أخيراً بعد أيامٍ وأيامٍ من الانتظار، كما بدأ، أصيبوا بالدوار والاختناق بسبب نقص الهواء ولم يعد بإمكانهم تحمله. كانوا غالباً في انتظار أصواتٍ تأتي من الداخل، من تحتهم جرّاء عودة التنين. وفي ذلك الصمت كانوا يخافون من مكائده الشريرة. لكنهم لن يجلسوا هناك إلى الأبد.

تكلم ثورين وقال: دعونا نجرّب الباب! يجب أن أشعر ببعض الهواء على وجهي في الحال وإلا فإنني سأموت. أفضل أن يسحقني سموج هناك في العراء على أموت مُختنقاً هنا!

لذلك نهض بضعة أقرام يتلمّسون طريقهم إلى حيث كان الباب، لكنهم وجدوا أنّ الطرف العلوي من النفق قد حُطّم بالكامل وسُدَّ بقطع الصخور

المتكسرة. فلا المفتاح ولا السحر الذي أطاعه ذات مرّة كانا قادرين على فتح ذلك الباب مرّة أخرى.

فتأوّهوا قائلين: بتنا محاصرين تمامًا! هذه هي النهاية، سنموت كلنا هنا. لكن وبطريقة ما، عندما أصبح الأقرام يائسين تمامًا. شعر بيلبو براحة غريبة في قلبه، وكأن حملًا ثقيلًا قد نزل من تحت سترته.

فقال لهم: تعالوا، تعالوا! أينما توجد الحياة يوجد الأمل! كما اعتاد أبي على القول، والمرّة الثالثة ثابتة تدفع للجميع. سأنزل في هذا النفق مرّة أخرى. لقد فعلتها مرّتين من قبل، عندما كنت على علم بوجود تنين هناك على الطرف الآخر، لذلك سأخاطر بزيارةٍ ثالثة، وأنا غير متأكّد من وجوده. على أي حال، فالسبيل الوحيد للخروج من هنا يمرّ من الأسفل. ولتوفير الوقت عليكم أعتقد أنه من الأفضل أن تأتوا معي كلكم.

ضمن حالة اليأس التي كانوا فيها فقد وافقوا، وكان ثورين أول واحدٍ يذهب بجانب بيلبو.

همس الهوبيت: كونوا حذرين! وهادئين على قدر ما تستطيعون! قد لا يكون سموج هناك في القاع ولكن أيضًا قد يكون هناك من جديد. لذلك لا تدعونا نتحمّل أي أخطار لا داعي لها!

هكذا نزلوا. بالطبع لا يمكن مقارنة التخفي الحقيقي بين الأقرام والهوبيت، فقد أصدروا كمية ضخمة من اللهاث والتخبُّط والتي تردّد صداها بضخامةٍ تنذر بالقلق. لكن على الرغم من أنّ بيلبو كان يتوقّف من حينٍ لآخر خائفًا ويستمع، لكنه لم يسمع أي صوت حركةٍ قادمةٍ من الأسفل بالقرب من القاع، على الأقل في حدود ما ظهر له. لبس بيلبو خاتمه وتقدّم إلى الأمام. لكنه لم يحتج إليه لأن الظلمة كانت دامسة وكانوا جميعًا غير مرئيين، بخاتم أو من دون خاتم. في الحقيقة كانت الظلمة حالكة السواد لدرجة أنّ الهوبيت وصل إلى الفتحة بشكلٍ مفاجئ ووضع يده في الهواء، فترنّح إلى الأمام، وتدحرج متهورًا لداخل القاعة!



بقي مستلقياً هناك ووجهه على الأرض ولم يجرؤ على النهوض، أو حتى على التنفّس بالكاد. لكن لم يتحرّك أي شيء حوله. لم يكن هناك وميض من الضوء، إلا كما بدا له عندما رفع رأسه ببطء، أخيراً. كان هناك بريق أبيض شاحب، فوقه يأتي من البعيد وسط الظلام. لكنه من المؤكّد أنه لم يكن شرارة من نيران التنين. على الرغم من أنّ رائحة الدودة كانت ثقيلةً في المكان، وطعم البخار كان على لسانه.

لم يستطع السيّد باجينز التحمّل أكثر من ذلك فصرخ بصوتٍ عالٍ: تعال! لقد وجدتك يا سموج أيتها الدودة! توقّف عن لعبة الغمّيضة! أظهر لي ضوءاً ما، وبعدها كلني إن تمكّنت من الإمساك بي!

تردّدت أصداء كلماته خافتة في القاعة غير المرئية حوله، لكن لم يكن هناك جواب. نهض بيلبو، ووجد بأنه لا يعرف إلى أي اتجاهٍ يجب أن يتجه.

فقال: أتساءل بِمَ يتسلّى سموج على الأرض الآن، هو ليس في المنزل اليوم (أو الليلة، أو أيّاً يكن)، على ما أعتقد. لو لم يفقد أوين وجلوين صناديق الصوفان، ربما كان من الممكن أن يصنعا لنا بعض الضوء، وإلقاء نظرة حولنا قبل أن ينقلب الحظّ. ثمّ صرخ: ضوء! هل يمكن لأي شخصٍ أن يصنع لنا ضوءاً؟

بالطبع لقد دُعر الأقرام كثيرًا عندما زلّت قدما بيلبو وسقط إلى الأمام وكان صوت ارتطامه بأرضية القاعة واضحًا، لذلك جلسوا في المكان نفسه الذي تركهم فيه عند نهاية النفق منكمشين على بعضهم من الخوف.

همسوا عندما سمعوا صوته: صه! صه! وعلى الرغم من أن ذلك الهمس قد ساعد الهوبيت على معرفة مكانهم، فإنه استغرق بعض الوقت قبل أن يتمكّن من الحصول على أي شيء آخر منهم. لكن في النهاية، عندما بدأ بيلبو بالفعل يدوس على الأرض بقوة ويصرخ أين الضوء! وفي قمّة صراخه المنفعل، استسلم ثورين وأرسل أوين وجلوين إلى حزمهم في أعلى النفق. وبعد فترةٍ من الوقت ظهر تلالوٌ بصيص يشير إلى عودتهما، فقد كان في يد أوين مشعلًا صغيرًا من خشب الصنوبر، أمّا جلولين فكان يتأبّط مجموعة

أخرى -غير مضاءة- تحت ذراعه. هرول بيلبو مسرعًا نحو الباب وأخذ المشعل، لكنه لم يستطع إقناع الأقزام بإضاءة بقية المشاعل، أو أن يأتوا لينضمُّوا إليه بعد. لأنَّ ثورين كان قد شرح لهم بدقَّة: بأنَّ السيِّد باجينز لا يزال رسميًا هو الخبير المتخصِّص والكشَّاف. وإذا كان يرغب بالمخاطرة بإشعاله للضوء، فهذا شأنه.

بينما كانوا جالسين في النفق قرب الباب يراقبونه وينتظرون تقريره. رأوا هيئةً داكنةً صغيرةً للهوييت عندما بدأ يعبر على الأرض رافعًا ضوءه الصغير إلى الأعلى. وبين الحين والآخر، عندما كان قريبًا بما فيه الكفاية، كانوا يلمحون تألُّق ورنين شيء ذهبي كلما تعثَّر أو ترنَّح.

بدأ الضوء يصغر شيئًا فشيئًا كلما كان يتجوَّل مبتعدًا في القاعة الفسيحة، ثمَّ راح الضوء يرتفع متراقصًا في الهواء. لقد كان بيلبو يتسلَّق الكومة العظيمة للكنز.

سرعان ما توقَّف على القمة وما زال مستمرًّا في السير. ثمَّ رأوه ينحني ويتوقَّف للحظة. لكنهم لم يعرفوا السبب. لقد كان الأركنستون، قلب الجبل، أو هكذا حَمَن بيلبو من وصف ثورين. في الواقع لا يمكن أن يكون هنالك نوعان من هذه الحجارة الكريمة، حتَّى في كنز رائع كهذا الكنز، وحتَّى في العالم كله، كلما كان يتسلَّق كان يرى اللمعان الأبيض نفسه يتألَّق أمامه، وعندما سحب قدميه ببطء نحوه فقد رأى التألُّق يتحوَّل إلى كرة صغيرة من الضوء الباهت. وكلما اقترب منه أكثر كان يشوبه بريقٌ لامعٌ على السطح متلَوَّن بألوان البشر، وكانت هذه الألوان تنعكس وتنشطر من الضوء المتذبذب لمشعله. وأخيرًا التقط أنفاسه ونظر إلى الأسفل نحوها. أضاءت الجوهرة العظيمة أمام قدميه من نورها الداخلي.

كانوا قد استخرجوها من قلب الجبل منذ زمنٍ بعيد، وقاموا بقطعها وتشكيلها، فكانت تأخذ كلَّ ضوء يسقط عليها وتعكسه إلى عشرة آلاف بريقٍ من الإشعاع الأبيض مع لمعانٍ من ألوان قوس قزح.

فجأة توجَّهت ذراع بيلبو نحوها وقد جذبته سحرها، لم تتمكَّن يده الصغيرة من الإطباق عليها كلها فقد كانت جوهرةً كبيرةً وثقيلةً ولكنه أغمض عينيه ورفعها ووضعها في جيبه العميق. وقال في نفسه: الآن أصبحت لصًا بالفعل! لكن من المفترض أن أخبر الأقرام بذلك، بعد بعض الوقت. لقد قالوا بأنه يمكنني اختيار حصَّتي وانتقائها، وأعتقد أنني سأختار هذه، وليأخذوا الباقي كلُّه! على الرغم من ذلك، كان لديه شعورٌ مقلقٌ بأنَّ الانتقاء والاختيار لم يكن المقصود منه حقًا تضمين هذه الأحجار الكريمة الرائعة. ومن ثمَّ ستنشأ مشكلة جِراء هذا الاختيار.

تابع مسيره من جديد. ونزل من الجانب الآخر للكومة العظيمة التي تسلَّقها، واختفت شرارة مشعله عن أنظار الأقرام المراقبين. لكن في الحال رأوه على مسافةٍ بعيدةٍ منهم، حيث كان بيلبو يعبر أرضية القاعة.

استمرَّ في السير حتَّى وصل إلى الأبواب العظيمة على الجانب الآخر، كان هناك تيارٌ من الهواء الذي أنعشه، لكنه كاد أن يطفئ ضوء مشعله. اختلس النظر عبر الأبواب العظيمة بخوفٍ وألقى نظرةً أخرى على الممرَّات العظيمة والبدائيات الغامضة للأدراج العريضة التي تصعد نحو الظلمة. وما زال الأمر على حاله فلم يكن هناك أي أثرٍ من منظور أو مسموعٍ لسموج. وبينما هو يستدير ليعود أدراجه انقضَّ عليه شكلٌ أسودٍ ومسَّ وجهه برفق. فصرخ وراح يركض إلى الوراء حتَّى تعثَّر وسقط. فوق المشعل من يده وجاء وجهه باتجاه الأرض فانطفأت ناره.

قال بيأس: مجرد خفَّاش، هذا ما أفترضه وأمله! لكن ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟ أين يكون الشرق، الجنوب، الشمال، الغرب؟

صرخ بأعلى ما يستطيع: ثورين! بالين! أوين! جلوين! فيلي! كيللي! لقد انطفأ الضوء. بدا صوته مثل ضجيجٍ ضعيفٍ في الظلمة الواسعة.

١) - فليأت شخصٌ ما منكم إليَّ ليجدني ويساعدني! وفي ذلك الوقت كانت قواه وشجاعته قد خارتا تمامًا. سمع الأقرام صرخاته الصغيرة بصوتٍ

خافت، على الرغم من أن الكلمة الوحيدة التي استطاعوا التقاطها هي كلمة مساعدة!

قال ثورين: والآن ماذا يحدث على الأرض أو تحتها؟ بالتأكيد أن ذلك ليس من التنين، وإلا فلن يستمرّ في الصراخ.

لقد انتظروا للحظةٍ أو اثنتين، ومع ذلك لم يكن هناك ضوضاء تنين، في الواقع لم يكن هناك أي صوت سوى صوت بيلبو البعيد. أمرهم ثورين: فليأت أحدكم وليجلب معه ضوءًا أو اثنين! يبدو أنه يتعيّن علينا الذهاب ومساعدة اللصّ.

قال بالين: لقد حان دورنا لتقديم المساعدة، وأنا على استعداد تامّ للذهاب. على أي حال أتوقّع أنّ الوضع آمن في الوقت الحالي.

أشعل جلويين عدّة مشاعل، ثمّ تسلّوا جميعًا واحدًا تلو الآخر، وذهبوا على طول الجدار بأسرع ما يمكن. لم يمض وقت طويل قبل أن يقابلوا بيلبو نفسه عائدًا نحوهم. وسرعان ما عادت له فطنته بمجرد رؤيته لوميض أنوارهم. قال بيلبو مجيبًا على أسئلتهم: مجردّ خفّاش وسقوط للمשל، ولا شيء أسوأ.

بالرغم ارتياحهم الشديد، إلا أنهم مالوا إلى الغضب لأنه جعلهم يخافون من دون سبب. ولا أعرف ما الذي كانوا سيقولونه لو أخبرهم في تلك اللحظة عن الآركنستون. مجردّ اللمحات العابرة للكنوز التي عثروا عليها في أثناء سيرهم قد أشعلت النيران في قلوبهم القزمية، وعندما يوقظ قلب القزم -حتّى القلوب الأكثر احترامًا- بالذهب والجواهر، فإن جراته تزداد فجأةً ويصبح شرّسًا.

لم يعد الأقزام بحاجةٍ إلى من يحنّهم. كان الجميع حريصين على استكشاف القاعة ما دامت الفرصة مؤاتيه، وعلى استعدادٍ للتصديق بأنّ سموج بعيدٍ عن المكان في الوقت الحاضر. أمسك كلُّ واحدٍ منهم بمشعلٍ مضاء، وبينما كانوا ينظرون أولاً على جانب واحد ومن ثمّ على الجانب الآخر، نسوا الخوف وحتّى الحذر. فقد تحدّثوا بصوتٍ عالٍ، وصرخوا لبعضهم

بعضًا، وهُم يرفعون الكنوز القديمة من الكومة ومن الجدار يحملونها أمام الضوء ويداعبنها ويتلمسونها بأصابعهم. كان فيلي وكيلي في مزاجٍ مرحٍ تقريبًا، فقد وجدا الكثير من القيثارات الذهبية ذات الأوتار الفضيَّة والتي لا تزال معلقةً هناك، فأخذها وباشرا العزف، وكون تلك القيثارات سحرية (ولم يمسهما التنين الذي كانت اهتماماته الموسيقية قليلة جدًا)، فقد بقيت نغماتها مضبوطةً. امتلأت القاعة المظلمة بالألحان بعد أن بقيت صامتةً لفترةٍ طويلة. لكن معظم الأقرام كانوا عمليين أكثر، فقد جمعوا الأحجار الكريمة وحشوا جيوبهم، وتركوا ما لم يستطيعوا حمله بعيدًا بأيديهم والحسرة في قلوبهم. لم يكن ثورين من بين هؤلاء، لكنه كان يبحث دائمًا من جانبٍ إلى آخر عن شيءٍ لا يمكن العثور عليه. كان يبحث عن الأركنستون لكنه لم يتحدث عنه لأحد حتى الآن.

أنزل الأقرام الدروع والأسلحة عن الجدران وسلَّحوا أنفسهم بها. وبالفعل فقد كان لثورين مظهرًا ملكيًّا فخمًا، بمعطفٍ مغطى بطبقة من الحلقات المطلية بالذهب، وفأسٍ ذات مقبض من الفضة، وحزامٍ مكسوَّ بالحجارة القرمزية.

صاح ثورين: يا سيِّد باجينز، ها هي الدفعة الأولى من مكافأتك! تخلَّص من معطفك القديم وارتنِّ هذا!

وبذلك يكون قد ألبس بيلبو معطفًا صغيرًا مدرعًا، كان قد صنَّع لأجل أحد أمراء الجان الصغار منذ فترةٍ طويلة. كان مصنوعًا من الفولاذ الفضي وهو الذي يسمِّيه الجان ميثريل، وأعطاه معه أيضًا حزامًا مرصعًا باللؤلؤ والكريستال. وخوذة خفيفة من الجلد المدبوغ المشكَّل، مقوَّاة من الأسفل بأقواس من الفولاذ، ومرصعةٌ حول الحافة بجواهر بيضاء. كانت قد وُضعت على رأس الهوبيت.

قال الهوبيت في نفسه: أشعر بالفخامة، لكنني أتوقَّع بأنني سأبدو سخيًّا فيما لو رأوني بهذا المنظر. كيف كانوا سيضحكون عليَّ في التلِّ هنالك في الوطن، رغم ذلك لا زلت أتمنَّى وجود مرآة في متناول يدي!

مع ذلك فقد بقي رأس السيّد باجينز خاليًا من سحر الكنز، أكثر من الأقسام. لذلك جلس على الأرض وقد أصبح أكثر حذرًا منهم، وقال في نفسه: ما زال الوقت طويلًا حتّى يسأم الأقسام من فحص الكنوز. ثمّ بدأ يتساءل بعصبية، كيف ستكون نهاية كلّ ذلك. أعتقد بأنني كنت سأمنح الكثير من هذه الكؤوس الثمينة، مقابل شرب أي شيء منعش من أحد آنية بيورن الخشبية!

ثمّ صاح بصوت عالٍ: ماذا بعد يا ثورين؟ نحن مسلّحون الآن، لكن هل كانت لأي درع فائدة في ما مضى ضد سموج الرهيب؟ هذا الكنز لم يُستردّ بعد. لسنا هنا لنبحث عن الذهب، بل عن وسيلة للهرب. ولقد اختبرنا حظنا لفترة طويلة!

أجابه ثورين بعد أن استعاد فطنته: لقد نطقت بالحقّ! دعونا نذهب من هنا!

سوف أرشدكم أنا. فلن أنسى طرق هذا القصر ولو بعد ألف عام. ثمّ نادى الآخرين، وتجمّعوا معًا حاملين مشاعلهم فوق رؤوسهم، مرّوا عبر الأبواب المفتوحة، لكن لا يخلوا الأمر من الالتفات إلى الخلف وإلقاء الكثير من نظرات الشوق والحنين.

لقد غطّوا دروعهم المتلألئة ثانية بعباءاتهم القديمة، وخوذاتهم اللامعة بقلانسهم الممزّقة، وساروا خلف ثورين واحدًا تلو الآخر، كسلسلة من الأضواء الصغيرة في الظلام، والتي كثيرًا ما توقّفت لتنصت بخوف لأي ضجّة آتية من التنين. على الرغم من أنّ الزخارف القديمة كانت قد تهدّمت وحُطّمت منذ فترة طويلة، وعلى الرغم من أنّ كلّ شيء كان ملوثًا وذابلًا جرّاء مجيء الوحش وذهابه. إلا أنّ ثورين كان يعرف كلّ ممّرٍ وكلّ منعطف. صعّدوا أدراجًا طويلة، واستداروا ونزلوا في طريقٍ واسعةٍ يتردّد فيها الصدى، واستداروا مرّة أخرى، وصعدوا المزيد من الأدراج، والمزيد من الأدراج مرّة أخرى. كانت هذه الأدراج ناعمةً ومنحوتةً من الصخر الحي الواضح والمُخبأ. استمرّ صعود الأقسام إلى الأعلى لكنهم لم يقابلوا أي علامة على وجود أي كائن حي، سوى بعض الظلال الماكرة والتي كانت تهرب مرفرفةً في مجموعاتٍ مع اقتراب

مشاعلهم. مع ذلك، لم تكن الدرجات مصممة لتناسب أرجل الهوبيت، وبالكاد شعر بيلبو أن بإمكانه المضي قدماً. عندما ارتفع السقف إلى الأعلى فجأة وكان بعيداً عن متناول ضوء المشعل، حيث كان يمكن رؤية بصيص أبيض قادم من خلال فتحة أعلى بكثير، وكانت رائحة الهواء هناك أكثر حلاوة. جاء من أمامهم ضوء خافت مرّ من خلال الأبواب العظيمة نصف المحترقة، والتي كانت لا تزال معلقة بميل على مَفَصَّلاتها.

قال ثورين: هذه هي الغرفة العظيمة للملك ثورور، وهي القاعة المخصصة للاحتفالات والمجلس. والبوابة الأمامية ليست ببعيدة من هنا.

مرّوا عبر الغرفة المدمّرة. كانت الطاولات متعفّنة هناك، والكراسي والمقاعد مُلقاةً هناك ومقلوبة، متفحّمة ومتحلّلة. كانت الجماجم والعظام على الأرض بين الأباريق وطاسات الخمر وأبواق الشرب المكسورة والغبار. مع عبورهم للمزيد من الأبواب في الطرف الآخر، وصل إلى أسماعهم صوت جريان الماء، واشتدّ الضوء الرمادي فجأة.

قال ثورين: هناك منبع نهر رانينج، ومن هنا يتدفّق نحو البوابة. فلنتبعه! من فتحة معتمة في جدارٍ صخري يخرج ماءٌ فوّار، فيندفّق بشكلٍ دوامي في قناةٍ ضيقة، منحوتةً بشكلٍ مستقيم وعميق بواسطة مهارة أيادٍ قديمة. بجانبها طريق مرصوف بالحجارة، كان واسعاً بما يكفي لكثير من الرجال الذين يسرون جنباً إلى جنب. على هذا الطريق ركضوا مسرعين والتفّوا حول منعطفٍ عريضٍ مائلٍ فشاهدوا! ضوء النهار ينتصب بوضوح. ومن أمامهم يرتفع قوس طويل، لا يزال يُظهِر بداخله بقايا لأعمال النحت القديمة، على الرغم من أنه كان بالياً ومتشققاً ومتفحّماً.

أرسلت الشمس أشعتها الباهتة عبر الضباب لتسقط بين أذرع الجبل، وكانت عوارض من الذهب قد سقطت على الرصيف عند العتبة.

اندفعت من فوقهم دوامة من الخفافيش المضطربة التي استفاقت من سباتها جرّاء دخان المشاعل. وبينما كانوا يقفزون إلى الأمام انزلقت أقدامهم على الحجارة التي أصبحت ملساء ناعمة جرّاء احتكاك جسم وأقدام التنين

بها في أثناء مروره من فوقها وزلقةً من سيلان لعابه عليها. ومن أمامهم كان الماء يتساقط بصخبٍ إلى الخارج وينزل مُزِيدًا باتجاه الوادي. ألقوا بمشاعلهم الشاحبة على الأرض، ووقفوا محدّقين بأعين منبهرة. لقد وصلوا إلى البوابة الأمامية، وكانوا ينظرون إلى ديل.

قال بيلبو: حسنًا! لم أكن أتوقّع قط، أن أنظر إلى الخارج من خلال هذا الباب. ولم أتوقّع قط أن أكون بهذه السعادة لرؤية الشمس ثانيةً، والشعور بهبوب النسيم على وجهي. لكن، أوه! هذا النسيم بارد!

كانت نسائم شرقية قارسة قد هبّت منذرّةً بقرب الشتاء. راحت تدور بدواماتٍ فوق وحول أذرع الجبل وإلى الوادي وتتنهّد بين الصخور. بعد قضائهم لوقتٍ طويل في الأعماق الخطرة للكهوف المسكونة من قبل التنين، كانوا يرتجفون في الشمس. وفجأةً أدرك بيلبو أنه لم يكن متعبًا فحسب، بل كان جائعًا جدًّا بالفعل. وقال: يبدو أننا في الوقت المتأخّر من الصباح، لذا أعتقد بأنه أكثر أو أقل من وقت الإفطار. فهل لديكم أي وجبة إفطار لنتناولها. لكنني لا أشعر أنّ العتبة الأمامية لسموج هي المكان الآمن لتناول وجبة. دعونا نذهب إلى مكانٍ حيث يمكننا الجلوس فيه بهدوء قليلًا!

قال بالين: معك حقٌّ تمامًا، أعتقد أنني أعرف الطريق الذي يجب أن نسلكه، علينا التوجّه إلى موقع المراقبة القديم في الركن الجنوبي الغربي من الجبل.

سأل الهوبيت: وكم يبعد هذا؟

مسير خمس ساعات على ما أعتقد. وسيكون مسيرًا صعبًا. يبدو أن الطريق من البوابة وعلى طول الحافة اليسرى للجدول مقطوع بالكامل. لكن انظر هناك! كيف يلتفّ النهر فجأةً باتجاه الشرق ويعبر ديل من أمام المدينة المدمّرة.

في ما مضى كان يوجد في تلك النقطة جسر، يؤدّي إلى درج شديد الانحدار، وكان هذا الدرج يصعد متسلّقًا الضفة اليمنى ومن ثمّ طريق يسير باتجاه ريثنهيل. هناك (أو كان هناك) المسار الذي يتفرّع من الطريق ويقود



إلى موقع المرصد، لكن الصعود إلى هناك صعب حتّى لو كانت الأدراج القديمة لا تزال موجودة.

تذمّر الهوبيت وقال: يا عزيزي! المزيد من المشي، والمزيد من التسلّق من دون وجبة إفطار! أتساءل كم عدد وجبات الإفطار والوجبات الأخرى التي فاتتنا ونحن داخل تلك الحفرة القذرة التي يتوقّف فيها الزمن؟

في واقع الأمر، لقد مرّت ليلتان والنهار الفاصل بينهما (ولم يكونوا من دون طعامٍ تمامًا) منذ أن حطّم التنين الباب السريّ، لكن يلبو فقدّ العدّ تمامًا فمرور ليلةٍ أو أسبوع كان عنده سيان.

قال له ثورين ضاحكًا، وقد بدأت معنوياته ترتفع من جديد بعد أن هزّ الأحجار الثمينة في جيوبه: تعال، تعال! ولا تُسَمِّ قصري حفرةً قذرة، انتظر حتّى يُنظّف ويُعاد ترتيبه وتزيينه!

قال يلبو بكآبة: ذلك لن يكون إلى أن يموت سموج، وبالمناسبة أين هو الآن؟ أتنازل عن فطوري جيد لأعرف أين هو. أتمنّى ألا يكون جالسًا فوق الجبل ينظر إلينا!

أزعجت هذه الفكرة الأقرام بشدّة، وسرعان ما قرّروا أنّ يلبو وبالين على حق. فقال دوري: يجب أن نبتعد من هنا، أشعر كما لو أنّ عيناه تنظر إلى قفا رأسي.

وقال بومبور: إنه مكانٌ باردٌ ومهجور. قد يكون هناك شراب، لكنني لا أرى أي علامةٍ على وجود الطعام. فالتنين دائمًا ما يكون جائعًا في مثل هذه الأثناء.

صاح الآخرون: تعالوا! تعالوا! دعونا نتبع المسار الذي قال عنه بالين!

لم يكن هناك ممرٌ تحت الجدار الصخري من جهة اليمين، لذلك ساروا بجهدٍ بين الحجارة على الجانب الأيسر من النهر، وسرعان ما أيقظ الخلاء والخراب واقعيّتهم حتّى ثورين. فقد وجدوا أنّ الجسر الذي تحدّث عنه بالين قد سقط منذ فترةٍ طويلة، وأصبحت معظم حجارته الآن مجرد صخورٍ ضمن

تيارٍ ضحلٍ صاحب، لكنهم عبروا الماء من دون صعوبات كبيرة، ووجدوا الدرجات القديمة، فتسلَّقوا الضفَّة العالية.

بعد أن قطعوا طريقًا قصيرًا، اكتشفوا فجأة الطريق القديم، وقبل مضي وقتٍ طويل وصلوا إلى وادٍ عميقٍ مستورٍ بين الصخور، هناك استراحوا لفترةٍ من الوقت وتناولوا وجبة إفطارٍ وفق الإمكانيات المتاحة. تكون ذلك الإفطار بشكلٍ رئيسي من "الكرام" والماء. (وإذا أردتم أن تعرفوا ما هو هذا "الكرام"، لا يمكنني إلا أن أقول، بأنني لا أعرف الوصفة بشكلٍ تامٍّ، لكنه من أصناف البسكويت، الذي يبقى صالحًا للأكل إلى أجلٍ غير مُسمّى، ومن المفترض أن يكون مغذيًا، وهو بالتأكيد غير ممتع، في الواقع هو غير ممتعٍ ومملٍّ إلا لمن يريد التمرُّن على المضغ. صُنِعَ من قِبَل أهالي البحيرة من أجل الرحلات الطويلة).

بعد ذلك تابعوا مسيرهم من جديد. فقد ابتعد طريقهم الآن عن مسار النهر واتجه نحو الغرب، واقتربوا أكثر من الكتف العظيم للمتن الجنوبي للجبل. بعد طول مسير وصلوا إلى مسار التلِّ. تسلَّقوا بشكلٍ حادٍّ إلى الأعلى، وتهاودوا ببطءٍ واحدًا خلف الآخر، حتَّى وصلوا أخيرًا في وقتٍ متأخِّرٍ من بعد الظهر إلى القمة. حيث كانت الشمس الشتوية في طريقها إلى الغروب.

وجدوا هنا مكانًا منبسطًا خاليًا من الأسوار من ثلاث جهات، لكنه مدعَّم من الشمال بسطحٍ صخريٍ فيه فتحةٌ مثل الباب. كانت الرؤية من ذلك الباب ممكنة وبشكلٍ واسعٍ باتجاه الشرق والجنوب والغرب.

قال بالين: اعتدنا هنا وفي الأيام القديمة على المراقبة، يؤدِّي هذا الباب الخلفي إلى غرفةٍ محفورةٍ في الصخر وقد أُنشئت هنا لتكون غرفة حراسة. كانت هناك عدَّة أماكن مثل هذا حول الجبل. ولكن في أيام ازدهارنا لم تكن هناك حاجة كبيرة إلى الحراسة، وهذا ما جعل الحراس مرتاحين وغير مباليين أحيانًا. ولولا ذلك لربما كنَّا قد حصلنا منهم على تحذيراتٍ مبكرةٍ لمجيء التنين، وربما كانت الأمور قد اختلفت نهائيًا.

ومع ذلك، فما زال بإمكاننا البقاء هنا مختبئين ومحصنين لفترة من الوقت، ويمكننا رؤية الكثير دون أن يرانا أحد.

قال دوري الذي كان ينظر دائماً إلى قمة الجبل، كما لو كان يتوقّع أن يرى سموج جالساً هناك مثل طائرٍ على قبة: لن ينفعنا لو كان رآنا قادمين إلى هنا. قال ثورين: يجب أن ننتهز فرصتنا مع ذلك، فلا يمكننا الذهاب أبعد من ذلك في هذا اليوم.

صرخ بيلبو وطرح نفسه على الأرض: اسمعوا، اسمعوا!

يوجد في الغرفة الحجرية مُتسعُ لإيواء مئة شخص، وكانت هناك حجرة أصغر في الداخل، وهي أبعد ما تكون عن البرد في الخارج. كانت الغرفة مهجورةً تماماً. ولا يبدو أن حتّى الحيوانات البرية استخدمتها في كلّ أيام سيطرة سموج. هناك وضعوا أحمالهم، وألقى البعض بأنفسهم على الفور وناموا. أمّا البقية فقد جلسوا بالقرب من الباب وناقشوا خططهم.

في كلّ أحاديثهم، كانوا يعودون دائماً إلى شيء وحيد: أين كان سموج؟ نظروا باتجاه الغرب فلم يجدوا شيئاً، وفي الشرق لم يجدوا شيئاً، وفي الجنوب لم تكن هناك أي علامة على وجود التنين. لكن كان هناك تجمّع للكثير من الطيور، وفي ذلك حدّقوا كثيراً وتساءلوا عن السبب، لكنهم لم يكونوا قريبيين منهم لكي يعرفوا، وفي تلك الأثناء ظهرت أوائل النجوم الباردة في السماء.



## الفصل الرابع عشر

### ناز وماء

إذا كنتم، مثل الأقزام، ترغبون في معرفة أخبار سموج، فما عليكم إلا العودة مرّة أخرى إلى ذلك المساء حين حطم سموج الباب السحري وطار غاضبًا، وكان ذلك قبل يومين من الآن.

كان معظم أهالي ليك تاون (إيسجاروث) داخل بيوتهم، لأن النسيم البارد كان يهبُ من الشرق الأسود، لكنّ القليل منهم، وهم المغرمون بمراقبة النجوم، كانوا يسيرون على الأرصفة، ويشاهدون تلالؤ النجوم وهي تنعكس من بقع البحيرة الملساء عندما أشرقت في السماء.

غالبًا ما يكون الجبل المنعزل محجوبًا عن الرؤية من بلدتهم، بسبب سلسلة التلال المنخفضة الموجودة على الجانب البعيد للبحيرة، ومن خلال فجوة في هذه التلال يتدفق نهر راتينج قادمًا من الشمال. يمكنهم رؤية قمّته العالية فقط، في أثناء الطقس الصافي. مع أنهم نادرًا ما كانوا ينظرون إليها، لأنها مشؤومة وكئيبة حتّى في إشراقه الصباح. أمّا الآن فهذه القمّة غائبة لقد تشرّبت بالظلام.

وفجأةً عادت لتُرى من جديد، فقد لمسها وهجُ لفترةٍ وجيزةٍ ثم تلاشى.  
قال أحد الأشخاص: انظروا! الأنوار تسطع هناك مرّةً أخرى! في الليلة  
الماضية رآها الحراس تبدأ ثم تتلاشى من منتصف الليل حتّى الفجر. شيء  
ما يحدث هناك.

قال شخصٌ آخر: لعلّ ملك ما تحت الجبل يصوغ الذهب الآن. لقد مضى  
وقتٌ طويل منذ أن ذهب شمالاً. حان الوقت لتثبت الأغاني نفسها مرّةً ثانية.  
قال ثالثٌ ذو صوتٍ متجهّم: أي ملك؟ ماذا لو لم يكن كذلك. إنها نيران  
التنين الغازي. فهو الوحيد الذي عرفناه كملكٍ لما تحت الجبل.

قال الآخرون: إنك تنذر دائماً بالأشياء القاتمة. من الفيضانات، إلى الأسماك  
المسومة. فكّر في شيءٍ مُبهج!

ثمّ ظهر فجأةً ضوءٌ عظيم في المكان المنخفض من التلال وتحول الطرف  
الشمالي للبحيرة إلى اللون الذهبي.

صاحوا قائلين: ملك ما تحت الجبل! ثروته مثل الشمس، فضّته مثل  
النافورة، أنهاره بالذهب تجري! النهر يتدفّق ذهباً من الجبل.  
فُتحت النوافذ في كلّ مكان. وأسرعت الأقدام.

من جديد كان هناك حماسٌ وانفعالٌ هائلان. لكن الرجل صاحب الصوت  
المتجهّم ركض مسرعاً نحو حاكم المدينة وصاح به: التنين قادم، إنني لأحمق  
إن لم يكن كذلك! اقطعوا الجسور! إلى السلاح! إلى السلاح!

عندها انطلقت أصوات الأبواق التحذيرية فجأةً، وتردّدت على طول  
الشواطئ الصخرية. توقّف الهتاف وتحول الفرح إلى خوف. لذلك لم  
يجدهم التنين غير مهينين تماماً. وسرعان ما أصبحت سرعته كبيرة جداً،  
كان بإمكانهم رؤيته كشرارةٍ من نار تندفع نحوهم وراحت تكبر وتتضخّم  
وتزداد إشعاعاً. لم يتبقّ شك حتّى لدى أكثرهم غيباً أنّ النبوءات تحقّقت  
بشكلٍ خاطئ. ما زال لديهم القليل من الوقت. امتلأ كل إناءٍ في المدينة بالماء،  
وتسلّح كلُّ محارب، وكلُّ سهمٍ ورمحٍ كانا جاهزين، أُسقطَ الجسر المؤدي إلى

البلدة ودُمِّرَ، قبل أن يتصاعد هدير اقتراب سموج الرهيب، ماجت البحيرة باللون الأحمر كالنار جرّاء الضربات الفظيعة لخفق جناحيه.

وسط الصراخ والنحيب وصيحات الرجال كان سموج قد أصبح فوقهم، انطلق نحو الجسور فانخذل! لأن الجسور اختفت، وأعداؤه على جزيرة في المياه العميقة، عميقة جدًا وقاتمة وباردة أكثر ممّا يحب. إذا سقط فيها فسينشأ دخان وبخار بما يكفي لتغطية كلّ الأرض بضبابٍ لعدّة أيام، ولكنّ البحيرة كانت أقوى منه. كانت ستطفئه قبل أن يتمكّن من المرور.

اجتاح المدينة مزمرًا أكثر من مرّة. انطلق وابلٌ من السهام القاتمة نحوه، كلّها قعقت وتكسّرت على حراسفه وجواهره، وسقطت نصالها مشتعلّة من أنفاسه المتقدّة وراحت تصفّر في البحيرة. لا تتخيّل أن ألعابًا نارية يمكن أن تُضاهي المشاهد في تلك الليلة. مع أزيز الأقواس ودويّ الأبواق، انفجر غضب التنين ووصل إلى أوجه، حتّى هاج وصار متهورًا بسببها. فمنذ زمنٍ طويل لم يجرؤ أحدٌ على خوض معركةٍ معه، وما كان ليجرؤ أحد الآن، لولا ذلك الرجل ذو الصوت المتجهّم (كان اسمه بارد)، الذي ركض جيئةً وذهابًا يهتف للرماة ويحثُّ حاكم المدينة ليأمرهم بالقتال حتّى آخر سهم.

انبتقت النار من بين فكّي التنين. حام عاليًا في الهواء فوقهم فأضاء البحيرة كلها، لمعت الأشجار على الشواطئ مثل النحاس ومثل الدماء عند الظلال السوداء الكثيفة المتراقصة على جذورها. ثمّ انقضّ مباشرةً عبر عاصفة السهام، متهورًا من الغضب، غير آبه بمواجهة دروعه الحرشفية ناحية أعدائه، ساعيًا فقط إلى إشعال مدينتهم.

اشتعلت النيران في أسقف القش وبنهايات العوارض الخشبية، فاندفع بعنفٍ إلى الأسفل وأعاد الكرّة من جديد. على الرغم من أنهم غمروا بالماء قبل مجيئه. وأينما ظهرت شرارة النار كان هنالك المئات من الأيدي الجاهزة لتطفأها بالماء من جديد.

استدار التنين ملتفًا إلى الوراء، ودفع بذيله، فانهار سقف البيت الكبير وتحطّم. واندلعت ألسنة اللهب التي لا تُطفأ عاليّة في الليل.

هجوم آخر وآخر، اندلعت النيران في منزل آخر فسقط وآخر فسقط. وما زال لم يوجد سهمٌ قادرٌ على إعاقه سموج أو إيذائه، فلم تكن السهام بالنسبة إليه أكثر من ذبابٍ المستنقع. في ذلك الحين كان الرجال يقفزون من كل جانبٍ إلى الماء. جمعت النساء والأطفال في القوارب المُثقلة في بركة السوق. أُلقيت الأسلحة. كان هناك حزنٌ وبُكاء، حيث كانت ومنذ فترة قصيرة تُنشد الأغاني القديمة حول الأقرام والمهللة لقدم المرح. أما الآن فقد لعن الرجال أسماء الأقرام. لجأ حاكم المدينة نفسه إلى قاربه الكبير المطلي بالذهب. على أمل الابتعاد عن الفوضى وإنقاذ نفسه.

سرعان ما ستصبح كلُّ المدينة مهجورة وتتحرق حتى تسوى بسطح البحيرة. كان هذا هو أمل التنين. يمكنهم جميعاً ركوب القوارب فهذا ما كان يريده من الجميع، عندها يمكن أن تكون لديه تسليحة رائعة في مطاردهم، أو يمكنهم التوقف حتى يموتوا من الجوع. دعهم يصلون إلى اليابسة وسيكون جاهزاً هناك. فسرعان ما سيشعل النيران في كلِّ غابات الشواطئ ويذبل كلُّ حقلٍ ومرعى. أما الآن فهو مستمتعٌ برياضة تعذيب المدن أكثر من أي شيء استمتع به منذ سنوات. لكن كانت لا تزال هنالك مجموعة من الرماة الذين تمسكوا بقاعدتهم بين المنازل المحترقة.

كان قائدهم بارد، ذو الصوت المتجهّم والوجه المتجهّم، اتهمه أصدقاؤه بالتنبؤ بالفيضانات والأسماك المسمومة، على الرغم من أنهم يعرفون قيمته وشجاعته. كان ينحدر أصله من سلالة جيرون سيد ديل. الذي هربت زوجته وابنه بسبب الخراب منذ فترة طويلة عبر نهر رانينج. الآن هو يرمي بقوسٍ عظيمٍ من خشب السرو، ظلَّ يرمي حتى نفذت كلُّ سهامه إلا واحداً. كانت النيران بالقرب منه. بدأ رفاقه يتركونه. ثنى قوسه للمرة الأخيرة، وفجأة خرج شيء من الظلام رفرق وحطَّ على كتفه. فتابع ولم يهتم كثيراً، فما كان ذلك سوى طائر السُمنة العجوز. اقترب من أذنه غير خائفٍ وجلب له الأخبار. وبأعجوبة وجد أنه قادرٌ على فهم لغته، لأنه كان من نسل ديل.



قال له طائر السُّمنة: تريث قليلاً! فالقمر مُشرقُ الآن. بينما يطير التنين ليستدير من فوقك، ابحث عن تجويف في الجهة اليسرى من صدره! وبينما توقّف بارد للحظات متعجباً، أخبره طائر السُّمنة العجوز بكل الأنباء التي سمعها في الجبل.

عندها سحب بارد وتر قوسه حتّى وصل إلى أذنه. كان التنين يدور عائداً، حلّق على ارتفاعٍ منخفض، ولمّا جاء نحوه كان القمر يُشرق من فوق الشواطئ الشرقية، فانعكس الضوء على جناحيه العظيمين باللون الفضي.

قال بارد رامي السهام: أيها السهم الأسود! لقد استبقيتك للأخير. لم تخذلني قط ودائماً ما أسترّدك. لقد ورثتك من أبي وهو ورثه من أبيه. فإذا كُنْتُ قد أتيت في ما مضى من مسابك الملك الحقيقي لما تحت الجبل، فانطلق الآن وعَجَل بالفرج!

انقضّ التنين مرّةً أخرى على ارتفاع أدنى من كل مرّة، وبينما يحوم ويغوص إلى الأسفل انعكست لمعة نارية على الأحجار الكريمة التي تُحصن صدره في نور القمر، تألّق بطنه كله متلألئاً باللون الأبيض إلا في مكانٍ واحد. حُرّز وتر القوس العظيم. وانطلق السهم الأسود من الوتر بشكلٍ مُستقيم، ومباشرةً إلى التجويف الموجود في الجهة اليسرى من صدر التنين، حيث كانت الأقدام الأمامية ممدودة باتساع. فأصابه السهم في ذلك التجويف، واختفى بعد أن غار نصله وريشته داخل جسم التنين. فاضطرب طيرانه بعنف. وبصرخة أصمّت آذان البشر، قطّعت الأشجار وشقّت الحجر، صاح سموج صيحته الأخيرة في الهواء، ثمّ انقلب وسقط هالِكاً من الأعلى.

سقط بالكامل على المدينة. وفي سكرات موته الأخيرة حطّمها إلى شرارات متطايرة محترقة. راحت تهدر في مياه البحيرة، فانطلقت كتلة هائلة من البخار الأبيض داخل الظلمة المفاجئة تحت ضوء القمر. كان هناك صوت أهسهسة ودوامة تفور، ثمّ صمت. تلك كانت نهاية سموج ونهاية إيسجاروث بالوقت نفسه، لكنها لم تكن نهاية بارد.

ارتفع القمر المتعاضم أعلى وأعلى، وأصبحت الرياح هادئة وباردة. فساعتد على التفاف الضباب الأبيض وتصاده بأعمدة ملتوية، وحثت السحاب وفرقته باتجاه الغرب، لتبعثره كأشلاء ممزقة فوق المستنقعات الموجودة أمام ميركود. عندها أصبح بالإمكان مشاهدة الكثير من القوارب المنقطة بالسواد على سطح البحيرة. مع ركود الرياح جاءت أصوات أهالي إيسجاروث يندبون مدينتهم الضائعة وأمتعتهم ومنازلهم المدمرة. لكن لو تدبروا الأمر (برغم صعوبة هذا في حالهم تلك) لكانوا شاكرين: فثلاثة أرباع سكان المدينة على الأقل هربوا أحياء، وبقيت غاباتهم وحقولهم ومراعهم وماشيتهم ومعظم قواربهم سليمة، وكذلك فقد مات التنين، وما يترتب على هذا لم يدركوه بعد.

على الشواطئ الغربية للبحيرة تجمّعوا في حشود حزينه مرتجفين من الرياح الباردة، وبدؤوا بإلقاء اللوم والغضب على حاكم المدينة الذي غادرها في وقت مبكر، بينما كان لا يزال البعض على استعداد للدفاع عنها.

حيث تتمم البعض قائلين: قد يكون لدى حاكم المدينة رأس جيد للأعمال التجارية ولتجارته بشكل خاص، لكنه يكون سيئاً عندما يحدث أي شيء خطر! وقد أثنوا جميعهم على شجاعة بارد وتسديدته الأخيرة العظيمة. وقالوا جميعهم: لو لم يُقتل لنصّبناه ملكاً علينا. بارد صائد التنين من نسل جيريون! للأسف فقد ضاع! وفي خضم حديثهم، خرج من بين الظلال شخص طويل القامة. كان مُبللاً بالماء، وشعره الأسود المبلل ينسدل على وجهه وكتفيه، وفي عينه كان ضوء عنيف.

وصاح بهم: بارد لم يضيع! لقد غاص من إيسجاروث عندما دُبِح العدو. أنا هو بارد الذي من نسل جيريون، أنا هو ذابح التنين!

صاح جميع الناس: الملك بارد! الملك بارد! لكن حاكم المدينة جزَّ على أسنانه المصطكَّة وقال: كان جيريون سيد ديل، وليس ملك إيسجاروث. ففي ليك تاون نحن نختار الحكام دائماً من بين كبار السن والحكماء، فلا نستطيع تحمّل حكم من هم ليسوا إلا رجالاً مقاتلين. دعوا الملك بارد يعود

إلى مملكته، لقد تحرّرت ديل الآن بفضل شجاعته، ولا شيء يعوق عودته. ومن أراد فليذهب معه، إذا كانوا يفضّلون الضفاف الباردة تحت ظل الجبل على الشواطئ الخضراء للبحيرة. سيبقى الحكماء هنا ويأملون في إعادة بناء مدينتنا، والتمتّع من جديد في الوقت المناسب بالسلام والرخاء.

صاح الناس القريبون ردّاً عليه: سيكون لدينا الملك بارد! لقد سئمنا من كبار السنّ وعدّادي النقود!

رفع الناس الهتاف بالتأييد وقالوا: فليحيا النّبأل رامي السهام ولتسقط أكياس النقود. حتّى تردّد صخب مطالباتهم على طول الشاطئ. فقال حاكم المدينة بحذرٍ (لأنّ بارد كان يقف على مقربةٍ منه): كنتُ آخر رجلٍ يسعى إلى التقليل من قيمة بارد النّبأل. لقد حصل الليلة على مكانةٍ مرموقةٍ ضمن قائمة المحسنين في مدينتنا، وهو جديرٌ بالكثير من الأغاني الخالدة. لكن لماذا أيها الناس؟ وهنا وقف حاكم المدينة على قدميه وتحدّث بصوتٍ عالٍ وواضح. لماذا عليّ أن أتلقّى كلّ هذا الاتهام؟ ما هو الذنب الذي ارتكبته لأعزّل؟ قد أساءل، من الذي أيقظ التنين من سباته؟ من الذي تحصّل منّا على هدايا ثمينة ومساعدات وافرة، وجعلنا نصدّق بأن الأغاني القديمة يمكن أن تتحقّق؟ من الذي لعب على أوتار قلوبنا الرقيقة وأوهامنا السارّة؟ أي نوع من الذهب أرسلوه إلينا عبر النهر ليكافئونا به؟ لقد أرسلوا نار التنين والدمار! وممّن نطالب بالتعويض عن خسائرننا ومساعدة أراملنا وأيتامنا؟

كما ترون، فإن حاكم المدينة لم يحصل على منصبه هكذا عبثاً. فقد كانت نتيجة كلماته، أن نسي الناس تمامًا في الوقت الحالي، فكرتهم حول ملكٍ جديد، ووجهوا كلّ أفكارهم الغاضبة نحو ثورين ورفاقه. أطلقت كلمات قاسية ومريرة من عدّة جهات، وبعض أولئك ممّن غنوا من قبل الأغاني القديمة بأعلى صوت، سمعوا اليوم يصرخون بصوتٍ عالٍ بأن الأرقام قد تعمّدوا تهيج التنين ضدّهم!

قال بارد: أيها الحمقى! لماذا تضيّعون الكلام والغضب على تلك المخلوقات التبعسة؟ لا شك بأنهم كانوا من أوائل الهالكين بنيران التنين، قبل أن يأتي

سموج إلينا. وفي أثناء حديثه، خطر على باله الكنز الأسطوري الراقد في الجبل دون مالك أو حراسة. فصمت فجأةً. لقد فُكّر في كلمات حاكم المدينة بإعادة بناء ديل المليئة بالأجراس الذهبية، إذا تمكّن فقط من العثور على الرجال المؤمنين بذلك.

في النهاية تحدّث مرّة أخرى وقال: هذا ليس وقت كلمات الغضب. أيها الحاكم، وليس هو الوقت المناسب للنظر في خطط التغيير المهمّة. هناك عمل يجب القيام به. لا زلت أخدمك حتّى الآن، رغم أنني قد أفكّر في كلماتك مرّة أخرى وأرحل شمالاً مع من يريد أن يتبعني. ثمّ انطلق للمساعدة في تنظيم المخيمات ورعاية المرضى والجرحى. لكنّ حاكم المدينة عبس في إثره وهو ذاهب، وبقي جالساً على الأرض. لقد فُكّر كثيراً لكنه لم يقل إلا القليل، سوى أنه كان يدعو الناس بصوت عالٍ ليحضروا له النار والطعام.

أيّما ذهب بارد كان يجد حديثاً يجري كالنار بين الناس بخصوص الكنز الهائل الذي أصبح بلا حراسة الآن. تحدّث الرجال عن التعويضات التي سيحصلون عليها قريباً بدلاً عن الأضرار التي تعرّضوا لها، وعن زيادة الثروة والفائض الذي سيمكنهم من شراء الأشياء الثمينة من الجنوب والذي كان يواسيهم كثيراً في محنتهم. وهو مناسب جدّاً، لأن الليل مُرٌّ وبائس. كان بالإمكان تأمين الملاجئ لعدد قليل من الناس، (وكان لحاكم المدينة واحداً منها). وكان هناك القليل من الطعام (حتّى حاكم المدينة عانى النقص في الطعام). وفي تلك الليلة أصيب الكثيرون بالمرض نتيجة الرطوبة والبرد والحزن، وبعد ذلك مات بالمرض من نجا سالمًا من خراب المدينة، وفي الأيام التالية، كان المرضُ كثيراً والجوعُ شديداً.

في هذه الأثناء تولى بارد القيادة، وأصدر الأوامر كما يريد، وإن كان يفعل ذلك غالباً باسم الحاكم. فقد كانت لديه مهمّة صعبة في السيطرة على الناس وتوجيههم بالشكل الصحيح نحو إسكانهم ورعايتهم. كان من الممكن أن يلقى معظمهم حتفه في ذلك الشتاء الذي أسرع بالمجيء خلف الخريف. إذ لم تكن المساعدة في تناول اليد، لكنّ المساعدة جاءت بسرعة. لأنّ بارد كان

قد بعث رسلاً على جناح السرعة عبر النهر إلى الغابة ليطلبوا العون من ملك جان الغابة، وقد وجد هؤلاء الرسل أنذاك حشدًا يتحرَّك، على الرغم أنَّ ذلك كان في اليوم الثالث فقط بعد سقوط سموج.

كان ملك الجان قد تلقَّى أخبارًا من رسله ومن الطيور التي تُحبُّ شعبه، وقد علم بالفعل عن الكثير ممَّا حدث. كان الهياج عظيم جدًّا بين كل المخلوقات ذوات الأجنحة التي سكنت على حدود خرائب التنين. وأصبح الجوُّ ممتلئًا بالأسراب المحلَّقة، وكان رسلها يحلِّقون بسرعة عبر السماء هنا وهناك.

خارج نطاق الغابة كان هناك صفير وصراخ وزعيق، فقد تجاوزت الأخبار المنتشرة عن موت سموج حدود ميركوود! حفَّت بالخبر أوراق الشجر فتلقفتها الأذان المندهشة. حتَّى قبل أن يركب ملك الجان صاعدًا باتجاه الجبل، كانت الأخبار قد عبرت إلى الغرب إلى غابات الصنوبر في جبال الضباب. فسمعها بيورن في منزله الخشبي، وجلس الجوبلن في كهوفهم للتشاور.

قال الملك: أخشى أن تكون هذه آخر مرَّة نسمع فيها باسم ثورين أوكنشيلد. كان من الأفضل له لو بقي في ضيافتني. وأضاف: ستكون رياح بلاء، مع ذلك، فهذه الضربات لن تأتي بالخير لأحد. لأنه هو أيضًا لم يكن قد نسي بعد أسطورة ثروة ثرور. لذلك وجده رُسل بارد يزحف مع الكثير من حملة الرماح ورُماة السهام. وقد تجمَّعت الغربان بكثافة فوقهم، لأنهم ظنُّوا بأن حربًا، مثل تلك الحروب التي لم تحدث في هذه الأنحاء منذ زمن طويل، قد استيقظت من جديد. لكنَّ الملك أشفق عليهم بعدما سمع توُسُّلات رُسل بارد، لأنه سيّد شعبٍ صالحٍ وكريم، لذلك حوَّل مسيرته التي كانت متجهةً في البداية نحو الجبل، وسارع بالنزول إلى أسفل النهر حتَّى يصل إلى لونج ليك. لم تكن لديه قوارب أو طوافاتٍ تكفي لجيشه، لذلك أُجبروا على اتخاذ الطريق الأبطأ سيرًا على الأقدام، لكنه أرسل أمامه مخزونًا كبيرًا من المساعدات عبر الماء. ما زال الجان رشيقيون في السير على الأقدام، على الرغم من أنهم لم يعتادوا كثيرًا في هذه الأيام على المسير في الأراضي الغادرة الواقعة بين الغابة والبحيرة، لكنهم كانوا سريعين جدًّا. فقد وصلوا إلى الشواطئ وشاهدوا

أنقاص المدينة، بعد مضي خمسة أيام فقط على موت التنين. وكما هو متوقَّع فقد حصلوا على ترحيبٍ حارٍّ، وكان أهالي المدينة وحاكمهم مستعدِّين لتقديم أي صفقة مقابل مساعدات ملك الجان.

وسرعان ما كانت خططهم جاهزة. فقد بقي حاكم المدينة مع النساء والأطفال والعجائز وغير المؤهَّلين خلفهم، وبقي معه أيضًا بعض الحرفيين والعديد من الجان البارعين في أعمال البناء، كانوا جميعهم منشغلين في قطع الأشجار، وجمع الأخشاب التي نزلت من الغابة. ثمَّ شرعوا في إنشاء الكثير من الأكواخ على الشاطئ استعدادًا لاقتراب الشتاء. وبدؤوا أيضًا وبتوجيهات من حاكم المدينة في التخطيط لمدينةٍ جديدة. صُمِّمت بشكلٍ أجمل وأكبر من ذي قبل، لكنها لم تكن في المكان نفسه. لقد ابتعدوا عن الشاطئ إلى الأعلى باتجاه الشمال. إذ أصبح لديهم خوف أبدي من المياه التي يرقد فيها التنين. فلن يعود بعد الآن إلى سريره الذهبي، بل تمدَّد متجمِّدًا مثل الحجر ملتفًا على أرضية المياه الضحلة. هنالك على مرَّ العصور سيبقى من المُمكن، في الطقس الصافي، رؤية عظامه الضخمة وسط أكوام حطام المدينة القديمة. لكن قلَّة تجرَّأت على عبور تلك البقعة الملعونة، ولم يجرؤ أحد على الغوص في المياه المرتعشة أو استعادة الأحجار الكريمة الثمينة التي سقطت من جثته المتعفُّنة.

أمَّا بقية الرجال الذين لا زالوا قادرين على حمل السلاح، ومُعظم تشكيلات ملك الجان. استعدُّوا للزحف شمالًا إلى الجبل. وهكذا كان. فبعد أحد عشر يومًا على خراب المدينة، عبرت طليعة جيشهم البوابات الصخرية عند نهاية البحيرة، ودخلوا الأراضي المهجورة.

## الفصل الخامس عشر

### تلبّد الغيوم

الآن سنعود إلى بيلبو والأقزام. طوال الليل أبقوا واحداً منهم للمراقبة، لكن عندما جاء الصباح لم يسمعوا أو يروا أي علامة على وجود الخطر.

لكنّ الكثير من أسراب الطيور كانت تتجمّع هناك بشكل كثيف أكثر من أي وقتٍ مضى. جاءت مجموعاتهم طائراً من الجنوب، ومن فوقهم كانت الغربان التي لا زالت تعيش حول الجبل، تدور وتنعق بلا كلل.

قال ثورين: هناك شيء غريب يحدث، لقد مضى وقت هجرات الخريف، وهذه من الطيور التي سكنت دائماً في هذه الأرض، هناك الزرازير وأسراب الحساسين، وهناك في البعيد يوجد الكثير من الطيور الرُميّة التي تقنات على الجثث، كما لو أن هناك معركة جارية الآن!

فجأة أشار بيلبو بيده وصاح: ها هو طائر السُمّنة العجوز ثانية! يبدو أنه هرب عندما حطّم سموج جانب الجبل، لكن لا أعتقد بأن الحلزونات قد هربت!

من المؤكّد أن من كان هناك هو طائر السُمنة العجوز. وعندما أشار بيلبو إليه، طار نحوهم وحطّ على حجرٍ بالقرب منهم. ثمّ رفرف بجناحيه وغنّى ثمّ رفع رأسه من جهةٍ واحدة وكأنه يستمع إلى شيء ما. ثمّ غنّى ثانيةً، وأصغى ثانيةً. فقال بالين: أعتقد أنه يحاول إخبارنا بشيء، لكنني لا أستطيع متابعة لغة طيور كهذه، أنها سريعة وصعبة للغاية، هل يمكنك فهمها يا سيّد باجينز؟ قال بيلبو: ليس جيّدًا (في الحقيقة هو لم يكن قادرًا على فهم أي شيء على الإطلاق). لكن هذا الرفيق العجوز يبدو متحمّسًا جدًّا.

قال بالين: أتمنّى فقط لو كان غرابًا! أعتقد أنك لا تحب الغربان! لقد كنت حذرًا جدًّا منها، عندما أتينا هذا الطريق من قبل.

قال بيلبو: تلك كانت طيور القاق! فقد بدت كمخلوقات قذرة وسيئة المظهر، ووقحة جدًّا. لا بدّ أنك سمعت تلك الأسماء القبيحة التي كانوا ينادون بها من خلفنا.

قال بالين: لكنّ الغربان مختلفة تمامًا، كانت هنالك صداقة عظيمة بينهم وبين شعب ثرور، وكثيرًا ما كانوا يجلبون لنا أخبارًا سرّيّة، وكانوا يأخذون مكافآت عليها بأشياء لامعة مثل التي يشتهونها لكي يخبئوها في مساكنهم.

إنهم يعيشون لسنوات طويلة، وذاكرتهم جيدة، ويورثون حكمتهم لأطفالهم. عندما كنت قزمًا صغيرًا كنت أعرف الكثير من بين غربان الصخور. هذا المرتفع العالي جدًّا سُمّي بالذات ريفنهيل، بسبب زوجٍ حكيم ومشهور من طيور الغراب، كانا العجوز كارك وزوجته اللذان كانا يعيشان هنا فوق غرفة الحراسة. لكن لا أعتقد أنّ أحداً من تلك السلالة القديمة باقٍ هنا الآن.

ما إن انتهى الكلام حتّى أطلق طائر السمنة العجوز نداءً عاليًا وطار بعيدًا على الفور.

قال بالين: ربما لم نفهمه، لكنني متأكّد بأن ذلك الطائر العجوز يفهمنا. تابعوا المراقبة، وشاهدوا ما سيحدث!

لم يمضِ وقتٌ طويل حتّى كانت هناك رفرقةٌ أجنحة، لقد عاد طائر السُمنة وجاء معه طائر عجوز متهاك قد أصابه العمى، وبالكاد استطاع الطيران.



كان الجزء العلوي من رأسه أصلعًا. لقد كان غرابًا كبير الحجم، نزل على الأرض أمامهم بقوة، ورفرف بجناحيه ببطء، وتمايل نحو ثورين.

نعم وقال: يا ثورين بن ثرين، ويا بالين بن فوندين (كان بيلبو يفهم ما قاله، لأنه استخدم لغة عادية وليست لغة الطيور).

- أنا راك بن كراك. لقد مات كراك، لكنه كان في ما مضى معروفًا جدًا بالنسبة إليكما، فقسست من البيضة منذ مئة وثلاثة وخمسون سنة. لكنني لم أنس ما قاله لي أبي. الآن أنا زعيم الغربان العظيمة للجبل، نحن قلّة، لكننا لا نزال نتذكّر ذلك الملك القديم. معظم شعبي مهاجرون، لأنّ هناك أخبارًا عظيمة في الجنوب، بعضها يبشّرُك بالفرح، وبعضها الآخر قد لا تعتبره جيدًا. انظروا! الطيور تتجمّع عائدةً من جديد إلى الجبل وإلى ديل قادمةً من الجنوب والشرق والغرب، لأن كلمة شاعت، وهي بأن سموج مات!

صاح الأقرام: مات! مات! مات! لقد مات! إذن لقد كنّا في خوف لا داعي له، والكنز ملكنا الآن!

قفزوا جميعًا من أماكنهم وبدؤوا يرقصون حول بعضهم فرحين. فقال راك: نعم لقد مات. طائر السُمنة الذي نرجو ألا يتساقط ريشه أبدًا، رآه يموت، وقد نثق في كلامه. لقد رآه يسقط في معركة مع رجال إيسجاروث منذ ثلاث ليالٍ مضت، عند شروق القمر.

لقد مرّ بعض الوقت قبل أن يتمكّن ثورين من إسكات الأقرام ودعوتهم إلى الاستماع إلى أخبار الغراب. وفي النهاية عندما حكى قصّة المعركة كلها. تابع يقول:

- ما زال الوقت مبكرًا على الفرح يا ثورين أوكنشيلد، يمكنكم العودة إلى قاعاتكم بأمان. فالكنز لكم في الوقت الحالي. لكن، لقد تجمّع الكثيرون هناك بالقرب من الطيور. لقد عمّ خبر موت حارس الكنز كل هذه الأرجاء، ولم تختفِ من الحكايات في خلال السنين أسطورة ثروة ثور. وكثيرون هم التواقون إلى حصّة من الغنيمة. حاليًا هناك جيش

من الجان في الطريق إلى هنا، والطيور الرُمية معهم تأمل في المعركة والمذبحة. وعند البحيرة يتذمّر البشر ويقولون بأن مأساتهم كانت بسبب الأقرام، وهُم الآن مشرّدون وقد مات منهم الكثير، ودَمّر سموج مدينتهم. وهُم أيضًا يعتقدون بأن يجدوا تعويضًا لهم من كنزكم، سواء كنتم أحياء أم أموات. حكمتك بالنهاية هي التي ستحدّد مسارك، لكن ثلاثة عشر فقط هي بقية صغيرة من الشعب العظيم لدورين الذين سكنوا هنا ذات يوم، والآن أصبحوا مشتتّين. إذا كنت ستستمع إلى نصيحتي، فإياك أن تثق بحاكم مدينة ليك تاون، بل عليك أن تثق بدلًا عنه بمن رمى التنين بقوسه، إنه بارد، أصله من ديل وهو من سلالة جيرون، صحيح أنه رجلٌ متجهّم لكنه موثوق. فقد نرى السلام مجددًا بين البشر والأقرام والجان بعد هذا الخراب الطويل. لكن قد يكلفك هذا بعض الذهب يا عزيزي. هذه هي نصيحتي.

بعد هذا الكلام، انفجر ثورين غاضبًا وقال: شكرنا الكبير لك يا راك بن كراك، ولن ننسك أنت وشعبك. لكنني أقول لك، لن يأخذ اللصوص أو الأقوياء شيئًا من ذهبنا ما دام فينا عرقٌ ينبض بالحياة. وإذا كنت ستكسب المزيد من الشكر، فاجلب لنا أيّ أخبارٍ عمّن يقتربون منّا. كما أرجو منك، إذا كان لا يزال أحد منكم شابًا وقوي الجناح، فأرجوا أن تُرسله إلى أقربائنا في الجبال التي في الشمال، الغربية منها والشرقية على حدّ سواء. وأخبرهم عن محنتنا. لكن اذهب بشكلٍ خاص إلى ابن عمّي دين في تلال الحديد، لأن لديه الكثير من المقاتلين الكفاء، ويسكن أقرب من البقية إلى هذا المكان. وادعه لكي يستعجل!

نعق راك وقال: لن أقول إن كانت هذه القرارات جيدة أم سيئة، لكنني سأفعل ما بوسعي. وبعد أن انتهى من الكلام طار ببطء.

صاح ثورين على الأقرام: عودوا الآن إلى الجبل! لا وقت لدينا لنضيعه. صرخ بيلبو: ولا طعام لناكله! دائمًا ما يكون عمليًا في هذه النقطة.

على أي حال، لقد شعر بأن المغامرة قد انتهت بموت التنين. هذا الكلام صحيح من وجهة نظرٍ منطقية، وقد كان مخطئًا كثيرًا في وجهة النظر هذه. لأنه عند النهاية سيكون على استعدادٍ لأن يضحي بكامل نصيبه من الأرباح، من أجل التصفية السلمية لهذه الأمور.

كأن الأقرام لم يسمعوا ما قاله بيلبو فنادوه: هيّا لنرجع إلى الجبل! لذلك كان عليه أن يذهب معهم.

وكما سمعتم طرأت بعض الأحداث بالفعل، سترون بأنه ما يزال أمام الأقرام بضعة أيام، ليكتشفوا الكهوف مرّة أخرى، وليجدوا كما توقّعوا بأن البوابة الأمامية هي فقط التي بقيت مفتوحة، أمّا جميع البوابات الأخرى، (طبقًا باستثناء الباب السري الصغير) قد حُطّمت وسُدّت من قِبَل سموج منذ فترةٍ طويلة، ولم يبقَ منها أي أثر.

لذا فقد بدؤوا بالعمل الجادّ في تحصين المدخل الرئيسي، وإعادة شقّ الطريق الذي يؤدّي منه. كانت الأدوات متوفّرة بكثرة وهي تلك الأدوات التي استخدمها عمال المناجم وعمال المقالع والبنّاؤون في الزمان القديم. وفي مثل هذا العمل كان الأقرام لا يزالون ماهرين للغاية.

في أثناء عملهم كانت الغربان تنقل لهم الأخبار باستمرار، وبهذه الطريقة علموا بأن ملك الجان قد استدار جانبيًا باتجاه البحيرة، وما زال لديهم متسع لالتقاط الأنفاس. والأفضل من ذلك أنهم سمعوا أن ثلاثة من مهورهم قد هربوا من سموج وكانوا يسرحون في البريّة على ضفاف نهر رانينج، ليس بعيدًا عن المكان الذي تُرِكَت فيه بقية مخازنهم. لذلك بينما استمرّ الآخرون في أعمالهم، أرسلَ فيلي وكيلي بإرشادٍ من غراب للعثور على المهور، وجلب ما في وسعهم من المخازن.

لقد مرّت أربعة أيام، وبحلول ذلك الوقت كانوا قد علموا بأن الجيوش المتحدة لرجال البحيرة والجان كانت تُسرّع نحو الجبل. لكنّ معنوياتهم الآن أعلى، فقد أصبح لديهم طعامٌ يكفيهم لأسابيع والمكوّن طبقًا وبشكلٍ رئيسي من «الكرام». لقد سئموه لكن يبقى الكرام أفضل بكثير من لا شيء، وفي

ذلك الحين كانت البوابة قد أُغلقت بجدارٍ من الحجارة المربعة التي ثبتت فوق بعضها (دون مواد رابطة لسهولة فكّها في ما بعد)، لكنها كانت سميكةً وعالية. تركوا بعض الفتحات في هذا الجدار لتمكّنهم من الرؤية (أو الرماية)، لكن لم يتركوا فيها أي مدخل. كانوا يتسلّقون منها وإليها عبر السلالم ويسحبون الأدوات بالحبال. وكانوا قد صمّموا قنطرةً منخفضة تحت الجدار الجديد لتسمح بتدفّق ماء النهر. لكن بالقرب من المدخل قاموا كذلك بتغيير الحوض الضيق بحيث أصبح عبارةً عن بركةٍ واسعة تمتدُّ من جدار الجبل إلى أعلى الشلال الذي يتدفّق النهر من فوقه زاهبًا باتجاه ديل. والآن أصبح الاقتراب من البوابة ممكنًا فقط، من دون سباحة على طول الحافة الضيقة للجرف إلى يمين الناظر للخارج من داخل الجدار. أوصلوا المهور التي جلبوها إلى رأس الدرج فوق الجسر القديم، هناك أفرغوا حمولتها، وطلبوا منها العودة إلى أسيادها، فأعادوها حرّةً إلى الجنوب.

في إحدى الليالي ظهرت أمامهم فجأةً أضواءٌ كثيرة ناتجة عن إشعال النيران والمشاعل من الجنوب البعيد في ديل.

صاح بالين: لقد وصلوا! يبدو أنّ معسكرهم كبيرٌ جدًّا. لا بُدَّ أنهم جاؤوا إلى الوادي تحت جناح الظلام وعلى طول ضفتي النهر.

لم ينم الأقرام في تلك الليلة إلا قليلًا. كان لا يزال الصباح وليدًا عندما رأوا مجموعةً تتقدّم نحوهم. من خلف الجدار كانوا يشاهدونهم وهم يصعدون إلى رأس الوادي، حيث كانوا يتسلّقون ببطء. لم يمضِ وقت طويل حتّى تمكّنوا من رؤية كلّ من رجالٍ من البحيرة مسلّحين كما لو كانوا زاهبين إلى الحرب وبينهم رماة سهامٍ من الجان. وفي النهاية تسلّق معظم هؤلاء ركام الصخور المتداعية وظهروا على الجزء العلوي من الشلالات، وكما كانت دهشتهم كبيرة عندما رأوا البركة أمامهم والبوابة مسدودة بجدارٍ من الحجارة المقطوعة حديثًا.

وبينما هم واقفون يشيرون ويتحدّثون إلى بعضهم بعضًا، حيّاهم ثورين، ثم نادى عليهم بصوت عالٍ جدًا: مَنْ أَنْتُمْ، يَا مَنْ أَتَيْتُمْ إِلَى بَوَابَاتِ ثورين بن ثرين ملك ما تحت الجبل، وكأنكم في حرب، ماذا تريدون؟

لكنهم لم يجيبوه بشيء، بعضهم استدار وعاد مسرعًا، والآخرين تبعوهم لكن بعد أن حدّقوا لفترة إلى البوابة ودفاعاتها. في ذلك اليوم نُقِلَ المُعسكر ووضع بين ذراعي الجبل تمامًا. بعد ذلك رددت الصخور أصوات وأغنيات، كما لم يفعلوا منذ أيام عديدة. كان هناك أيضًا أصوات لقيثارات الجان والموسيقى الحلوة، وبينما كان يتردد صداها إليهم بدا لهم وكأنّ برودة الهواء أصبحت أكثر دفئًا، وشعروا بشدّى من أريج زهور أرض الغابات عندما تتفتّح في فصل الربيع. عندها اشتاق بيليو إلى الهرب من الحصن المعتم والنزول للانضمام إلى الولاثم والأفراح هناك بجانب النار. تأثّر بعض شباب الأقرام في قلوبهم أيضًا، وتمتموا في ما بينهم بأنهم يتمنّون بأن تنتهي كلّ هذه الأشياء بطريقة أو بأخرى، وبأنهم يرحّبون بأناس كهؤلاء كأصدقاء لهم. أمّا ثورين فقد قطّب حاجبيه.

حينذاك جلب الأقرام القيثارات والآلات التي استعادوها من الكنز، وعزفوا ألحانًا لتهدئة مزاج ثورين، لكن لم تكن أغنياتهم مثل أغاني الجان، فقد كانت تشبه إلى حدّ كبير تلك الأغنية التي غنّوها منذ فترة طويلة منزل بيليو.

تحت الجبل الأدكن العالي  
إلى قصره كان قد جاء الملك!  
ماتت الدودة الرهيبة، عدوّته  
وأعداؤه دائمًا يسقطون

السيف حادّ، والرمح طويل  
السهم سريع، البوابة قوية

جريء القلب الناظر للذهب  
لن يعاني الأقرام بعد الآن من الظلم

أجدادك الأقرام صنعوا تعاويذ عظيمة  
بينما سقطت المطارق كرنين الأجراس  
في الأماكن العميقة، حيث تنام المخلوقات المظلمة  
في قاعات مجوّفةٍ تحت الهضاب

نظموا قلائد الفضة في سلاسل  
علّقوا ضوء النجوم على التيجان  
نار التنين من سلكٍ مجدول  
لحن قيثاراتهم عذب

عرش الجبل يتحرّر من جديد  
أبها الشعب الهائم، تنبّه للاستدعاء!  
تعالّ مسرعًا، تعالّ مسرعًا! عبر الخراب!  
الملك محتاج إلى الصديق والقريب

ننادي الآن من فوق الجبال الباردة  
عدّ إلى الكهوف القديمة!  
عند البوابة ينتظر الملك  
يداه سخية بالجواهر والذهب

إلى قاعته جاء الملك  
تحت الجبل المعتم الطويل  
الدودة المرعبة ذُبحت وماتت  
وهكذا دائماً سيسقط أعداؤنا

اتضح بأن هذه الأغنية كانت لإرضاء ثورين، والذي ابتسم من جديد وأصبح مرحاً، حيث بدأ في احتساب المسافة إلى تلال الحديد وما هو الوقت الذي سيستغرقه دين قبل الوصول إلى الجبل المنعزل. إن كان قد انطلق بمجرد وصول الرسالة إليه، لكنَّ قلب بيلبو سقط من كلِّ من الأغنية والكلام. فقد بدا عليهم وكأنهم مولعون جداً بالحروب. في وقتٍ مبكر من صباح اليوم التالي شوهدت مجموعة من الرماح تعبر النهر، وتسير في طريق الوادي، كانوا يحملون الراية الخضراء لملك الجان والراية الزرقاء للبحيرة، تقدّموا حتّى وقفوا عند البوابة وأمام الحائط مباشرةً.

حيّاهم ثورين ثانيةً بصوتٍ عالٍ: مَنْ أنتم، يا مَنْ أتيتم حاملين سلاح الحرب إلى بوابات ثورين بن ثرين، ملك ما تحت الجبل؟ هذه المرّة تم الرّدُّ عليه.

وقف رجلٌ طويلٌ داكن الشعر ذو وجه متجهّم في المقدمة، وقال: فليحيا ثورين! لماذا تحجز نفسك كلصّ في حصنه، لسنا أعداءً بعد، ويُسعِدنا أن نراك حيّاً بعد ضعف الأمل، لقد جئنا متوقّعين ألا نجد أحياءً هنا، وبعد ذلك ها نحن نلتقي هنا لأمر يتعلّق بالمفاوضات والمشاورات.

أجابه ثورين: مَنْ أنتم، وعلى ماذا ستفاوضون؟

- أنا بارد، الذي بيديه قتل التنين فتحرّر كنزك. أليست هذه مسألة تخصُّك؟ وعلاوةً على ذلك، أنا هو الوريث الحقيقي لـ جيريون من ديل، الذي اختلط مع ثروتك الكثير من ثروات قاعاته وبلدته، والتي كان قد سرقتها سموج في الزمان القديم. أليست تلك مسألة نتكلّم فيها؟ علاوةً على كلِّ ذلك، في أثناء معركته الأخيرة، دمر سموج مساكن البشر في

إيسجاروث، ولا زلت للآن أخدم حاكمها. وسأتحدّث نيابةً عنه لأسأل إن كان لديك أي فكرة عن مقدار المآسي والبؤس الذي أصاب شعبه. لقد ساعدوك في محتك، وفي المقابل لم تجلب لهم سوى الخراب، وإن كان بلا شك من دون قصد.

هذا كلام جميلٌ وصحيح، ولو أنه قيل بفخرٍ وتجهمٍ. لقد اعتقد بيلبو أنّ ثورين سيقرُّ على الفور بما كان في هذا الكلام من الإنصاف. لم يتوقَّع - طبعًا - أن يذكر أحد بأنه هو من اكتشف بنفسه نقطة ضعف التنين، وذلك كان أمرًا مهمًّا لم يفعله أحد قبله. لكنه لم يحسب حسابًا للقوة التي يتمتَّع بها الذهب والتي طالما كانت هي المسيطرة على التنين. ولا لتأثير الذهب على قلوب الأزام. في خلال الأيام الماضية كان ثورين قد قضى ساعات طويلة مع الكنز، وكانت شهوة الكنز ثقيلةً عليه. على الرغم من أنه كان يفتش بشكلٍ رئيسي عن الأركنستون، ومع ذلك، كان لديه الكثير من الأشياء الرائعة الموجودة هناك، والتي كانت حولها جراح ذكريات قديمة من الأعمال المضنية والأحزان لكامل جنسه.

أجاب ثورين: لقد أخطأت التعبير، إذ وضعت سببك الأخير - وعلى نحوٍ سيئٍ - في المقام الأول. لا يحقُّ لأي إنسان المطالبة بكنز شعبي. لأنَّ سموج كان قد سرقه منهم وسلبهم الحياة والوطن. ولم يكن الكنز ملكه حتَّى نعوض عن أفعاله الشريرة بنصيبٍ منه. ثمن الحاجيات والمساعدات التي تلقيناها من أهل البحيرة سندفعها بإنصاف في الوقت المناسب. لكن لن نعطي شيئًا، ولا حتَّى ثمن رغيف تحت التهديد بالقوة. فعندما يقف جيشٌ مسلَّحٌ أمام أبوابنا، فإننا سننظر إليهم كأعداء ولصوص. يدور سؤال في ذهني، يا ترى، ما هي الحصّة التي كنتم ستدفعونها لأقربائنا من ميراثهم، لو وجدتم الكنز من دون حراسة ونحن مقتولون؟

أجاب بارد: سؤالٌ منصف، لكنكم أحياء، ولسنا لصوصًا علاوةً على ذلك، قد يُشفق الأثرياء - وبغضّ النظر عن الحقيقة - على المحتاج الذي ناصرهم عندما كانوا في عوز. وما زالت مطالباتي الأخرى بلا إجابة.



أجابه ثورين: لن أتفاوض، كما قلت، مع رجالٍ مسلّحين يقفون أمام بوابتي. ولن أتفاوض على الإطلاق مع شعب ملك الجان. الذي لا أتذكّر منهم أي إحسانٍ بسيط. فلا مكان لهم في هذا النقاش. اذهبوا من هنا الآن قبل أن تطير سهامنا إليكم! وإذا كنت تريد التحدّث معي مرّة أخرى، فقم أولاً بصرف جيش الجان إلى الغابة إلى حيث ينتمي، ثمّ عدّ، ملقياً سلاحك قبل أن تقترب من عتبة الباب.

أجابه بارد: ملك الجان صديقي، وقد أسعف سكّان البحيرة في حاجتهم، على الرغم من أنهم لم يطالبوه إلا بالصدّاقة. سنمنحك بعض الوقت لتتوب عن كلماتك، استجمع حكمتك قبل عودتنا! ثمّ انصرف وعاد إلى المعسكر.

بعد عدّة ساعات، عاد حاملو الرايات، تقدّم عازفو الأبواق وضربوا بأبواقهم نفخة واحدة، ثمّ صاح واحد منهم: باسم إيسجاروث والغابة، نحن نتحدّث إلى ثورين أوكنشيلد ابن ثرين، والذي يطلق على نفسه اسم ملك ما تحت الجبل، ونطالبه بأن يأخذ بعين الاعتبار الادعاءات التي تمّ المطالبة بها، أو سنعلنه عدوّاً لنا. على الأقلّ عليه تسليم حصّة بمقدار واحد إلى اثنا عشر من إجمالي الكنز إلى بارد، بصفته قاتلاً للثنين، ووريثاً لعرش جيريون. وسيتبرّع بارد بنفسه بهذه الحصّة لمساعدة إيسجاروث، لكن إذا كان لدى ثورين علاقات المودّة والاحترام للأراضي المحيطة بها، كما كانت عند آبائه في الماضي، فهذا يستوجب عليه أيضاً إعطاء القليل من ماله الخاص لتعزية أهل البحيرة. عندها استولى ثورين على قويس مصنوع من القرون وأطلق سهمًا على المتحدّث، فاخترق درعه وعلق فيه وهو يهتزّ.

فعاد المتحدّث ينادي من جديد: ما دام هذا هو جوابك، فأنا أعلن بأن الجبل أصبح محاصرًا، لا يمكنكم مغادرته، حتّى تطالب من جھتك بھدنة ومفاوضات. لن نحمل السلاح ضدكم، لكننا سنترككم لذهبكم. يمكنكم أن تأكلوه، إذا أردتم!

بهذا رحل الرسل بسرعة، وتبرّك الأقزام للنظر في قضيتهم. أصبح ثورين غاضبًا جدًّا، لدرجة أن من كان منهم يرغب في معارضته لم يكن يجروء على

لومه. لكن في الحقيقة بدأ أن معظمهم يشاركونه أفكاره، باستثناء ربما العجوز السمين بومبور وفيلي وكيلي.

استنكر بيلبو بالطبع مجمل التحوُّلات. كان قد عانى الآن بما يكفي من الجبل، ولم تكن محاصرته بداخله أمرًا مرضيًا على الإطلاق، قال مخاطبًا نفسه في تدمُّر: ما زالت رائحة التنين تنبعث من المكان، وهذا يجلب لي المرض. وقد بدأ الكرام ببساطة يلتصق في حلقي.

## الفصل السادس عشر

### لص في الليل

مرّت الأيام بطيئةً مُملة. وقد أمضى العديد من الأقرام وقتهم في تكديس الكنز وتنظيمه. والآن تحدّث ثورين عن الأركنستون حجر ثرين الثمين، وطلب منهم بلهفة أن يبحثوا عنه في كلّ زاوية. حيث قال: لأنّ الأركنستون لأسلافي، وقيمته تفوق نهرًا من الذهب بحدّ ذاته، وبالنسبة إليّ فهو لا يقدر بثمن. لا أطلب لنفسني من كلّ هذا الكنز إلا ذلك الحجر، وسأنتقم من أي شخص يجده ويمنعه عنّي.

سمع بيلبو هذه الكلمات فخاف، متسائلًا عمّا سيحدث، إذا وُجد الحجر ملفوفًا في حزمة قديمة من بقايا الثياب البالية والتي يستخدمها كوسادة. على الرغم من ذلك، لم يتحدّث عنه. ولأنّ الإرهاق من الأيام أصبح ثقيلًا على الاحتمال فقد بدأت معالم خطّة جديدة تدور في رأسه الصغير.

سارت الأمور على هذا النحو لبعض الوقت، إلى أن جلبت الغريبان أخبارًا تفيد بأن دين ومعه أكثر من خمسمائة قزم، قدموا مسرعين من تلال الحديد،

وفي غضون يومين تقريبًا سيكونون على تخوم ديل، قادمين من الشمال الشرقي.

قال راك: لكنهم لا يستطيعون الوصول إلى الجبل من دون أن يلحظهم أحد. وأخشى ما أخشاه أن تكون هناك معركة في الوادي. أنا لا أَسْمِي هذه الخطةً بالجيدة. على الرغم من أنهم شعبٌ شرس، فمن غير المرجح أن يتغلبوا على الجيش الذي يحاصرك، وحتى لو فعلوا ذلك، فماذا ستكسب؟ الشتاء والثلج مسرعين من خلفهم. كيف يمكنك الحصول على الغذاء من دون مودةٍ وحسن جوار مع الأراضي المحيطة بك؟ قد يكون في الكنز هلاكك، على الرغم من أن التنين قد مات!

لم يتأثر ثورين بكل ذلك وقال: الشتاء والثلج سوف يلسعان البشر والجان على حدٍ سواء، وقد يجدون أن إقامتهم في هذه الأراضي القفر أمرٌ صعب على الاحتمال. لكن مع وجود أصدقائي من خلفهم والشتاء من فوقهم، ربما سيصبحون في مزاج أكثر ليونة للتفاوض.

في تلك الليلة اتخذ بيلبو قراره. كانت السماء معتمة وخاليةً من ضوء القمر. مع حلول الظلام، ذهب إلى زاوية غرفةٍ داخليةٍ ضمن حرم البوابة، وسحب من صُرته حبلًا، وأخذ كذلك الأركنستون ملفوفًا بخرقة. ثم صعد إلى أعلى الجدار. كان هناك بومبور وحده. فقد كانت نوبة حراسته، وكان الأقزام يُبقون حارسًا واحدًا فقط في كلِّ مرّة.

قال بومبور: الجوُّ باردٌ جدًّا! أتمنّى لو نستطيع إشعال نارٍ هنا كما يشعلون هناك في المعسكر!

قال بيلبو: الجوُّ دافئٌ بما فيه الكفاية في الداخل.

تذمّر القزم السمين وقال: أنا أجروّ على القول، لكنني مقيدٌ هنا حتى منتصف الليل. إنه عمل مؤسف تمامًا. لا يعني ذلك أن أجازف وأعارض ثورين، أرجو أن تطول لحيته أكثر، ومع ذلك فقد كان دائمًا قزمًا برقية صلبة.

قال بيلبو: ليست بصلايةٍ ساقِي. لقد تعبت من الأدراج والممرّات الحجرية، فأنا على استعداد لأضحّي بالكثير من أجل الإحساس بملامسة العشب لأصابع

قدمي. وسأضحّي بالكثير من أجل الإحساس بمشروب قوي في حلقي،  
ولسيري ناعم بعد عشاء جيد! لا يمكنني منحك هذه الأشياء، ما دام الحصار  
مستمراً. لكن لقد مرّت فترة طويلة على آخر نوبة حراسة قمت بها، سأخذ  
دورك إن أردت، فلا رغبة لي في النوم هذه الليلة.

قال بومبور: أنت رفيق صالح يا سيّد باجينز، وسأقبل عرضك بكلّ امتنان.  
إذا طرأ أي شيء، أيقظني أولاً، ولتضع في اعتبارك! بأنني سأستلقي في  
الغرفة الداخلية، إلى اليسار، وهي ليست بعيدة من هنا.

قال بيلبو: هيا اذهب! سأوقظك عند منتصف الليل، وبعدها يمكنك إيقاظ  
الحارس التالي. بمجرّد رحيل بومبور، لبس بيلبو خاتمة، وعقد حبله، وانزلق  
من فوق الجدار، وذهب. كان أمامه نحو خمس ساعات. نام بومبور (الذي  
يمكنه النوم في أي وقت، ومنذ مغامرته في الغابة، وهو يحاول دائماً لاستعادة  
الأحلام الجميلة التي رآها في ذلك الوقت). أمّا بقية الأقرام فكانوا مشغولين  
مع ثورين. من غير المحتمل أن يخرج أحدٌ -حتّى فيلي أو كيبي- إلى الجدار  
حتّى يحين دوره في الحراسة. كان الظلام شديداً، وبعد أن غادر المسار  
المعمول حديثاً، ونزل متسلّقاً باتجاه المسار السفلي للنهر، أصبح الطريق  
غريباً بالنسبة إليه. وأخيراً وصل إلى المنعطف حيث اضطرّ إلى عبور الماء،  
إذا كان يريد الوصول إلى المعسكر، كما كان يرغب. كان قاع النهر ضحلاً  
لكنه واسع تماماً، وعبوره في الظلام كان أمراً صعباً على الهوبييت الصغير.  
كان على وشك عبوره عندما زلّت قدمه عن حجر مدوّر وسقط في الماء البارد.  
بالكاد زحف ليخرج إلى الضفّة البعيدة، وهو يرتجف ويبيصق، عندما وصل  
الجان في العتمة ومعهم الفوانيس الساطعة ليبحثوا عن سبب الضوضاء.

قال أحدهم: لم تكن سمكة! هنالك جاسوس حولنا، أطفئوا أنواركم! لأنها  
سوف تساعدك أكثر منا، إذا كان هو ذلك المخلوق الصغير الغريب والذي يُقال  
إنه خادمهم.

زمجر بيلبو: خادم، حقاً! وفي منتصف شخيره عطس بقوة، فتجمّع الجان  
على الفور باتجاه الصوت.

ثمَّ قال لهم: دعونا نحصل على ضوء! أنا هنا، إذا كنتم تريدوني! ونزع خاتمه وظهر من وراء صخرة.

قبضوا عليه سريعًا بالرغم من دهشتهم. مَنْ أنت؟ هل أنت هوبيت الأقزام؟ ماذا تفعل؟ كيف استطعت تجاوز حراسنا هكذا؟ أمطروه بالأسئلة واحدًا تلو الآخر.

أجابهم: أنا السيّد بيلبو باجينز، رفيق ثورين، إذا كنتم تريدون أن تعرفوا. أنا أعرف ملككم جيدًا، من رؤيته. مع أنه ربما لا يعرفني لينظر إليّ. لكنّ بارد سيتذكّرني، وأنا أريد أن أراه بشكلٍ خاص.

قالوا له: حقًا! وماذا عساه أن يكون غرضك؟

أجابهم وهو يرتجف من البرد: كلُّ ما في الأمر، أنه شأنٌ خاص، أيها الجان الطيبون. لكن إذا كنتم ترغبون في العودة إلى غابتكم وترك هذا المكان البارد البائس. فعليكم أن تأخذوني بهدوء إلى النار حيث يمكنني أن أجفّ ملابسني، وبعد ذلك سوف تدعوني أتحدّث إلى رؤسائكم بأسرع ما يمكن. أمامي ساعة أو اثنتين لأبقي.

هكذا حدث أنه بعد نحو ساعتين من هروبه من البوابة، كان بيلبو جالسًا بجانب نارٍ دافئة أمام خيمةٍ كبيرة. وجلس هناك يحدّق بفضول إليه كلُّ من ملك الجان وبارد، كان الهوبيت يرتدي واحدًا من دروع أمراء الجان الذي أهداه له ثورين ويلتفّ جزئيًّا ببطانيةٍ قديمة، فكان شيئًا جديدًا بالنسبة إليهما.

كان بيلبو يتكلّم معهما بأفضل أسلوب تجاري يعرفه: كما تعلمون بالفعل، فإن الأمور أصبحت مستحيلة، أنا شخصيًا تعبت من الأمر برّمته. أتمنّى أن أعود إلى الغرب، إلى وطني حيث الناس هناك أكثر عقلانيّة. لكن لديّ شأنًا في المسألة، حصّة بنسبة واحد إلى أربعة عشر، على وجه الدقّة، وفقًا للرسالة، ولحسن الحظّ أعتقد أنني أحتفظ بها. سحبها من جيب سترته القديمة (التي كان لا يزال يرتديها فوق درعه) كانت مجعّدة ومطويّة كثيرًا. كانت رسالة ثورين التي وضعها تحت الساعة على رفّ موقده في شهر أيار (مايو)!

وتابع يقول: اعذرني! نصيبُ من الأرباح، أنا مدركٌ تمامًا لذلك. أنا شخصياً مستعدٌ للغاية للنظر في جميع مطالبكم بعناية، وخصم ما هو مستحقٌ من الإجمالي قبل المطالبة بحصّتي. لكنكم لا تعرفون ثورين أو كُنشيلد كما أعرفه أنا الآن. أو كُذ لكما أنه مستعدٌ للجلوس على كومة الذهب والموت جوعاً ما دمتما باقيا هنا.

قال بارد: حسناً، دعه! شخصٌ أحمق يستحقُّ أن يموت من الجوع. قال بيلبو: هذا صحيح، أنا أتفهم وجهة نظرك. لكن في الوقت نفسه فإن الشتاء قادم بسرعة، ولن يمضي الكثير من الوقت حتّى تتساقط الثلوج وما إلى ذلك، وستصبح الإمدادات صعبة، حتّى على الجان، كما أظن. وستكون هناك صعوبات أخرى. لم تسمعوا بعد عن دين وأقزام جبال الحديد؟

قال ملك الجان: سمعنا عنه منذ زمنٍ طويل، لكن ما علاقته بنا؟ - تصورت ذلك، أرى بأن لديّ بعض المعلومات التي لم تصل إليكما. أريد أن أقول لكما بأن دين على مسافة أقل من يومين ليصل إلى تخوم ديل، ومعه لا يقل عن الخمسمائة نفرٍ من الأقزام الشرسة، والكثير منهم لديهم خبرةٌ واسعة من الحروب المروعة التي وقعت بين الأقزام والجوبلين، والتي لا شك بأنك سمعت بها. وعند وصولهم قد تكون هناك مشكلة خطيرة.

سأله بارد بتجهم: لماذا تقول لنا هذا؟ هل تخون أصدقاءك، أم تهدّدنا؟ قال بيلبو وهو يصرُّ على أسنانه: عزيزي بارد! لا تتسرّع! لم أقابل مثل هؤلاء القوم المرتابين قط! أحاول فقط تجنب الجميع للمشكلات. والآن سأقدّم لكما عرضاً.

قالا: أسمعنا إياه!

قال بيلبو: ربما أريه لكما! هذا هو!

وأخرج الأركنستون ورمى بالخرقة التي كان يلفه بها بعيداً.

وقف ملك الجان نفسه زاهلاً، وهو الذي اعتادت عيناه رؤية أشياء من العجب والجمال. حتى بارد، حدّق إليه بصمت متعجباً. كان الأمر كما لو أنّ كرة قد مُلئت بضوء القمر وعُلقت أمامهم في شبكة منسوجة من بريق النجوم المتجمّد.

قال بيلبو: هذا هو الأركنستون الذي وجده ثرين الأول، أو قلب الجبل وهو أيضاً قلب ثورين. الذي قدّر قيمته بأكثر من نهر من الذهب. ها أنا أعطيكما إياه، لعلّه يساعدكما في المساومة مع ثورين.

ثمّ قام بيلبو -والقشعريرة تسري في جسده، وبنظرة لا تخلو من الشوق- بتسليم الحجر البديع إلى بارد والذي بدوره حمله في يده كالمذهول. وسأله أخيراً بجهد: لكن كيف، فهل هو لك حتى تعطينا إياه؟

أجاب الهوبيت بشكلٍ لا يخلو من الارتباك: أوه حسناً! ليس كذلك بالضبط. لكن.. حسناً، أنا على استعداد لأن يكون هذا الحجر مقابل كامل حصّتي. أتدري؟ قد أكون لصاً أو هكذا يقولون عني، لكنني شخصياً لم أشعر فعلاً بأنني أشبه أيّ لصّ على الإطلاق، فأنا شخصٌ نزيه، كما أمل، ربما نوعاً ما. على أي حال، سأعود الآن، ويمكن للأقزام أن يفعلوا بي ما يحلو لهم. أتمنّى أن تجداه مفيداً.

نظر ملك الجان إلى بيلبو بتعجب أكثر وقال له: بيلبو باجينز! أنت أكثر استحقاقاً لارتداء درع أمراء الجان، من كثيرين بدوا أكثر جمالاً فيه. لكنني أتساءل عمّا إذا كان ثورين أوكنشيلد سيرى الأمر على هذا النحو. لديّ معرفة بالأقزام بشكلٍ عام ربما تكون أكثر من تلك التي لديك، لذلك أنصحك بالبقاء معنا، وهنا ستكون مكرّماً ومرحّباً بك جدّاً جدّاً.

قال بيلبو بانحناءة: شكراً جزيلاً لك، أنا واثقٌ من هذا، لكن بعد كلّ الذي مررنا فيه معاً، لا أعتقد أنه يجب أن أترك أصدقائي هكذا. بالإضافة إلى ذلك، لقد وعدت العجوز بومبور بأن أوقظه عند منتصف الليل! في الواقع يجب أن أذهب الآن، وبسرعة.



لم يكن ليمنعه عن الذهاب أي شيء يمكن أن يقوله. لذلك وفّرت المرافقة له، وفي أثناء مغادرته، قام كلُّ من الملك وبارد بتقديم تحية الشرف له. في أثناء مرورهم في المعسكر، قام رجلٌ عجوز كان ملتقًا بعباءة سوداء، من باب الخيمة حيث كان يجلس وتوجّه نحوهم. وقال لبيلبو وهو يربت على ظهره: أحسنت! يا سيّد باجينز! دائمًا ما يوجد لديك الكثير من الخصال، أكثر ممّا يتوقّعه أي شخص! كان ذلك جاندالف.

لأول مرّة منذ أيام بعيدة، كان بيلبو سعيدًا فعلاً. لكن لم يكن هناك وقت لكلّ الأسئلة التي رغب في طرحها على الفور.

فقال له جاندالف: كلُّ شيء في وقته! الأمور تقترب من النهاية الآن، إلا إذا كنتُ مُخطئًا. هنالك فترة عصيبة أمامك مباشرة، لكن ابقِ قلبك مفتوحًا للجميع! فقد تنجو على خير ما يرام. هنالك أخبارٌ ما زالت تختمر، حتّى الغربان لم تسمع بها بعد. طابت ليلتك!

أسرع بيلبو، وهو محتار ومبتهج بالوقت نفسه. أُرشد إلى معبر آمنٍ وجاف، بعدها ودّع الجان وصعد بحذر راجعًا نحو البوابة. بدأ التعب والإرهاق يظهران عليه، ولكنه أصبح أفضل قبل منتصف الليل عندما تسلّق الحبل صاعدًا مرّة أخرى. كان لا يزال حيث تركه. قام بفكّ الحبل وإخفائه، ثمّ جلس على الجدار وتساءل بقلق، ما الذي سيحدث بعد هذا.

عند منتصف الليل أيقظ بومبور، ثمّ تكّور في زاويته لينام، دون أن ينصت إلى كلمات القزم العجوز الشاكرة له (والتي شعر أنه ربما لا يستحقّها). سرعان ما نام حتّى الصباح متناسيًا كلّ همومه.

في الحقيقة كان يحلم بالببيض مع لحم الخنزير المقدّد.





## الفصل السابع عشر

### انفجار الغيوم

في اليوم التالي، دوى صوت الأبواق بوقت مبكر في المخيم. وفي الحال شوهد رسول وحيد يسرع على طول الطريق الضيق. وقف من بعيد وحيّاهم، وسأل إذا ما كان ثورين سيستمع الآن إلى سفارة أخرى، لأن هناك أخباراً جديدة قد جاءت وتبدلت الأمور.

قال ثورين محدثاً نفسه عندما سمع الرسول: ستكون تلك الأخبار حول مجيء دين! سيكونون في ورطة عندما يأتي. لقد اعتقدت بأن ذلك سيبدل مزاجهم!

ثم نادى الرسول وقال له: قل لهم أن يأتوا بعدد قليل ومن دون سلاح، وعندها سأستمع لهم.

قراءة منتصف النهار شوهدت رايات الغابة والبحيرة ترفرف صاعدة من جديد. واقتربت منهم مجموعة مكوّنة من عشرين شخصاً. وضعوا سلاحهم أرضاً عند بداية الطريق الضيق، ثم تقدّموا نحو البوابة.

رأى الأقرام باستغراب أن من بينهم كلٌ من بارد وملك الجان، وكان يسير أمامهما رجلٌ عجوزٌ ملتفٌ بعباءةٍ لها قلنسوةٌ ويحمل علبه جواهر متينة من الخشب المدعم بأربطة حديدية.

قال بارد: فليحيا ثورين! هل ما زلت على رأيك؟

أجابه ثورين: رأيي لا يتغيّر بين شروق وغروب بضعة شمس. هل أتيت لتطرح عليّ أسئلةً فارغة؟ ما زال جيش الجان لم يغادر من هنا كما طلبت منك! حتّى ذلك الحين فأنت تأتي للتفاوض معي من دون جدوى.

قال بارد: إذن، ألا يوجد شيء قد تتنازل لأجله عن شيء من ذهبك؟

قال ثورين: لا يوجد شيء تستطيع تقديمه أنت أو أصدقاؤك.

قال بارد: وماذا عن أركنستون ثرين؟ وفي اللحظة نفسها فتح الرجل العجوز العلبه الخشبية ورفع الجوهرة عاليًا. فقفز الضوء من يده، ناصع البياض في الصباح.

عندها أصاب ثورين الخرس من الدهشة والحيرة. وبقي الصمتُ مسيطرًا على الجميع لفترةٍ طويلة. وفي النهاية كسر ثورين الصمت، وكان صوته مليئًا بالغضب إذ قال: هذا الحجر كان لأسلافي، وهو الآن لي، ثمّ تساءل قائلاً: لماذا عليّ أن أشتري ما هو لي. ومن ثمّ تغلّب عليه التعجّب فأضاف: ولكن كيف أتيتم بإرث بيتي، إذا كان هناك حاجة إلى طرح مثل هذا السؤال على اللصوص؟

أجابه بارد: لسنا لصوصًا. سنعيد ما هو لك، مقابل ما هو لنا.

صرخ ثورين في حنقٍ شديد: وكيف أتيت به؟

في هذه الأثناء كان بيلبو يختلس النظر من فوق الجدار، وقد أصبح الآن في خوفٍ مريع، فقال بصوتٍ يشبه الصرير: أنا أعطيتهم لهم!

صرخ ثورين: أنت! أنت! ثمّ استدار نحوه وأمسكه بكلتا يديه وقال: أيها الهوبيت البائس! أيها اللصّ الحقيير! وراح يصيح بكلماتٍ مرتبكة، ويهزُّ المسكين بيلبو مثل الأرنب.

صرخ وهو يرفع بيلبو بين يديه: بلحية دورين! أتمنى لو كان جاندالف هنا! لألعبه على اختياره لك! فلتدبّل لحيته! أمّا أنت فسألقي بك إلى الصخور!

قال صوتٌ من المجموعة: توقّف! لقد تحقّقت أمنيّتك!

ألقي الرجل العجوز الذي كان يحمل اللعبة الخشبية بغطاء رأسه وعباءته وقال: ها هو جاندالف! ولن تدبّل لحيته في وقتٍ قريب على ما يبدو. إذا لم تُحبّ لصّي، من فضلك لا تؤذّه. أنزله الآن، واستمع أولاً إلى ما سيقوله!

قال ثورين وهو يضع بيلبو على قمّة الجدار: يبدو أنكم جميعاً في عصية واحدة! لن أتعامل بعد الآن مع أي ساحرٍ أو مع أصدقائه. ثمّ توجّه نحو بيلبو وقال بغضب: وماذا تريد أن تقول أنت يا سليل الجرذان؟

قال بيلبو: يا إلهي! يا إلهي! أنا متأكدٌ أن، بأن هذا الوضع غير مريح للغاية. هل تتذكّر قولك لي بأنني سأختار حصّتي بنفسني؟ ربما تعاملت مع الأمر بالمعنى الحرفي للكلمة. لقد قيل لي بأنّ الأقرام يكونون أحياناً أكثر أدباً في الكلام منهم في الفعل. على الرغم من كلّ شيء، عندما كنت أقدم مساعدة ما. فهل كنت تحسبني في وقتها سليل الجرذان، حقاً! هل هذه هي كل الخدمة منك ومن عائلتك التي وعدتني بها يا ثورين؟ اعتبرني حسمت ذلك من حصّتي كما كنت أتمنى، ودعها تقف عند هذا الحدّ.

قال ثورين بتجهم: سأفعل. وسأسمح لك بالذهاب عند هذا الحدّ، فقد لا نلتقي مرّة أخرى! عندها استدار ثورين من فوق الجدار وتوجّه بالحديث إلى المجموعة وقال: لقد خُذت. ولاأكون مُحقّقاً في التخمين، لم أستطع تحمّل فكرة افتداء الأركنستون، كنز بيتي. ولأجله سأعطي نصيباً قيمته واحداً إلى أربعة عشر من قيمة الكنز من الذهب والفضّة بعد عزل الجواهر جانباً. ولكن هذا سيحسب على أنه الحصّة الموعودة لهذا الخائن، وبهذه المكافأة سيفادرن، ويمكنكم تقسيمها كما تريدون. ولا شكّ عندي بأنه لن يحصل إلا على القليل. خذها إذا كنت ترغب في أن يعيش، ولن تذهب معه صداقتنا.

ثمّ وجّه حديثه إلى بيلبو: انزل إلى أصدقائك الآن، أو سأرميك إليهم.

سأل بيلبو: وماذا عن الذهب والفضّة؟

قال ثورين: هذا سيتبعك لاحقاً، حسبما يمكننا التنسيق لذلك.

انزل!

فقال بارد: حتّى ذلك الحين سنحتفظ بالحجر.

وقال جاندالف: لم تُرنا هيئةً جديدةً كملكٍ لما تحت الجبل، بهذه التصرفات. لكن الأمور قد تتغيّر.

قال ثورين: قد تتغيّر بالفعل.

في ذلك الحين كانت فتنة الكنز مسيطرةً عليه بقوة. حتّى كانت تراوده أفكار عمّا إذا كان سيستطيع بمساعدة دين، استعادة الأركستون بهذه الطريقة، وحجب الحصّة المقابلة له من المكافأة.

وهكذا تدلّى بيلبو نازلاً عن الجدار، ورحل دون أن يأخذ معه شيئاً مقابل متاعه، باستثناء الدرع الذي أعطاه إياه ثورين في ما سبق. شعر أكثر من واحدٍ من الأقزام في قلوبهم بالخزي والشفقة عند ذهابه.

قال لهم بيلبو: الوداع! قد نلتقي مرّةً أخرى كأصدقاء.

ناداه ثورين: اغرب عنّا! عليك درعٌ من صناعة قومي، لا تخترقه السهام، وهو أفضل ممّا تستحقّ. لكن إذا لم تُسرع، فسوف أوسع قدميك التعتين. لذا كن سريعاً!

قال بارد: لسنا مستعجلين! سنمنحك وقتاً حتّى الغد. وسنعود عند الظهر، لنرى إن كنت قد أحضرت من الكنز، ذلك الجزء الذي سيبدأل بالحجر. فإذا تمّ ذلك من دون غشّ، سنرحل، وسيعود جيش الجان إلى الغابة. وفي هذه الأثناء نقول لكم، إلى اللقاء!

على هذا الأساس عادوا إلى المعسكر. لكنّ ثورين أرسل رُسلًا عن طريق راك ليخبروا دين بما حدث، وليطلبوا منه أن يُسرع لكن بحذر.

مرّ ذلك اليوم وليلته. وفي اليوم التالي تحوّلت الرياح إلى غربية، وأصبح الهواء مظلمًا وكثيبًا. كان الصباح في أوله عندما سُمعت صرخة في المعسكر. جاء الكشافون ليخبروا عن ظهور مجموعةٍ من الأقزام حول المتن الشرقي

للجبل، وهُم يسارعون الآن نحو ديل. وصل دين. كان قد أسرع طوال الليل، لذلك وصل في وقتٍ أسرع ممَّا كانوا يتوقَّعون، كان كلُّ فردٍ من قومه يلبس درعًا من الفولاذ يندلُّ إلى ركبته، وساقاه مغطَّاتان بجوربين من شبكة معدنية دقيقة ومرنة. سرُّ صنْعها كان حكْمًا على شعب دين.

الأقزام أقوىاء جدًّا بالنسبة إلى أطوالهم، لكن معظم هؤلاء كانوا أقوىاء حتَّى بالنسبة إلى الأقزام. استخدموا في المعركة معاول ثقيلة بمقبضين، وكل واحد منهم كان يمتشق سيفًا قصيرًا وعريضًا على جانبه ويعلِّق على ظهره ترسًا مستديرًا.

كانت لحاهم متشعَّبة ومجدولة وقد حشرت تحت أحزمتهم. كانت قبعاتهم من الحديد وينتعلون أهديةً حديدية وكانت وجوههم شرسة. دعت الأبواق البشر والجان إلى السلاح. ولم يمضِ الكثير من الوقت حتَّى شوهد الأقزام وهُم يصعدون من الوادي بخطواتٍ سريعة. ثمَّ توقَّفوا بين النهر والتمن الشرقي للجبل، لكن قلَّة منهم حملوا على طريقهم، وعبروا النهر بالقرب من المعسكر، هناك ألقوا أسلحتهم ورفعوا أيديهم علامةً على السلم. خرج بارد للقائهم وذهب معه بيلبو.

قالوا عند استجوابهم: لقد أرسلنا من قبل دين بن ناين. منذ أن علمنا بأنَّ المملكة القديمة قد استُعِيدت، ونحن مستعجلون للوصول إلى أقربائنا في الجبل. لكن مَن أنتم يا مَن تجلسون في السهل كعدوٍّ أمام أسوار الحماية؟ بالطبع هذه الصيغة من الكلام تعتبر مهذَّبة إلى حدِّ ما في الشكل القديم للغة في مناسبات مثل هذه، وهي تعني ببساطة: أنه ليس لديك أي عمل هنا. ثمَّ تابعوا يقولون: نحن ماضون في طريقنا، لذا افسحوا لنا الطريق وإلا سنقاتلكم! لقد قصدوا المضيَّ قُدْمًا بين الجبل ودائرة النهر، لأنَّ الأرض الضيقة هناك لا يبدو أنها كانت تخضع لحراسةٍ مشدَّدة.

بالطبع فإنَّ بارد لم يسمح للأقزام بالذهاب مباشرةً إلى الجبل. كان عازمًا على الانتظار حتَّى يحضُرَ الذهب والفضَّة للمبادلة مع الأركنستون. لأنَّه يعتقد بأن هذه الصفقة لن تتمَّ إذا عُرِّزَ معقل ثورين بمجموعة حربية كبيرة.

كان الأقرام قد جلبوا معهم مخزونًا كبيرًا من الإمدادات، فالأقرام يمكنهم تحمّل أعباء ثقيلة للغاية، وكان جميع قوم دين تقريبًا قد حملوا على ظهورهم على الرغم من مسيرتهم السريعة، حقايب ضخمة بالإضافة إلى أسلحتهم. لذلك كان بإمكانهم البقاء في الحصار لأسابيع، وبحلول ذلك الوقت قد يأتي المزيد من الأقرام، بل أكثر من ذلك بكثير، لأنّ ثورين كان لديه العديد من الأقارب. كما سيكونون قادرين على إعادة بعض البوابات الأخرى وحراستها، وعندها سيضطرّ المحاصرون إلى تطويق الجبل كله، ولن يكون لديه الأعداد الكافية لحصار كهذا.

في الحقيقة كانت هذه هي خططهم بالضبط (لأنّ رسل الغربان كانوا منشغلين بين ثورين ودين). لكن في الوقت الحالي كان الطريق مقطوعًا، وبعد تبادل بعض الكلمات الغاضبة عاد مبعوثي الأقرام يغمغمون في لحاهم. وعلى الفور بعث بارد بالرسالة إلى البوابة. لكنهم لم يجدوا ذهبًا أو مكافأة. بل خرجت السهام نحوهم بمجرد أن أصبحوا في مرماها، فأسرعوا عائدين في زعر. ساد المعسكر الآن حالة من الهرج والمرج، كما لو كانوا يستعدّون لمعركة، لأنّ أقرام جبال الحديد بزعامه دين كانوا يتقدّمون على طول الضفة الشرقية.

ضحك بارد وقال: أيها الحمقى! فليأتوا هكذا من تحت ذراع الجبل! إنهم لا يفهمون الحرب فوق الأرض، مهما كانت معرفتهم بالمعارك في المناجم. هنالك العديد من رُماة السهام وحملة الرماح مختبئون الآن بين الصخور على جناحهم الأيمن. قد تكون دروع الأقرام متينة، لكن عمّا قريب سيكون من الصعب الاتكال عليها. دعونا الآن نركّز عليهم من كلا الجانبين قبل أن يلتقطوا أنفاسهم!

لكنّ ملك الجان قال: سأتوانى طويلًا قبل أن أبدأ بهذه الحرب من أجل الذهب. فالأقرام لا يستطيعون مهاجمتنا، ما لم نهاجمهم، ولا يستطيعون القيام بأي شيء دون أن ننتبه إليه. دعونا لا نفقد الأمل بأي شيء من شأنه أن يحقق المصالحة.



لدينا أفضلية جيدة في التفوق العددي، ستكون كافية، إذا كان لا بُدَّ للنهاية أن تصل فينا إلى ضرباتٍ تعسة.

لكنه لم يضع الأقرام في حساباته. إن معرفتهم بوجود الأركنستون بين أيدي المُحاصرين ستلهب أفكارهم، كذلك افترض الأقرام تردُّ بارد ورفاقه، فقرَّروا شَنَّ غارةٍ عليهم في أثناء النقاش.

من دون سابق إنذار، انطلق الأقرام بصميتٍ متقدِّمين للهجوم. شدَّت أوتار الأقواس وانطلقت السهام وهي تنزُّ، كانت المعركة على وشك الالتحام.

فجأة حلَّ الظلام بسرعةٍ رهيبه! انطلقت سحابة سوداء فوق السماء. التفَّ رعد الشتاء فوق الريح الوحشية فهدر عاليًا في الجبل، وأضاء البرق قمَّته. شوهدت من تحت الرعد ظلمةً أخرى تلتفُّ إلى الأمام. لكنها لم تأت مع الريح، بل جاءت من الشمال، مثل سحابةٍ من الطيور، كانت كثيفةً جدًّا لدرجة أنه لا يمكن رؤية أي ضوء بين أجنحتها.

ظهر جاندالف فجأةً، ووقف وحيدًا رافعًا ذراعيه بين مقدِّمة الأقرام المهاجمين وصفوف المدافعين من البشر والجان الذين كانوا ينتظرونهم، وصاح بهم: توقُّفوا!

صاح بصوتٍ كالرعد، وقد اشتعلت عصاه بوميضٍ أزرق كالبرق: لقد وقع الخوف عليكم جميعًا! وا حسرتاه! لقد جاؤوا بأسرع ممَّا توقَّعت. الجوبلن يهاجمونكم! انظر يا دين، إنَّ بولج الذي ذبحت أباه في موريا، قادم من الشمال. ها هي الخفافيش تغطِّي جيشه كبحرٍ من الجراد. إنهم يمتطون الذئاب، ومن خلفهم الوارج!

أصيب الجميع بالذهول وبدا الارتباك عليهم. حتَّى عندما كان جاندالف يتحدَّث أخذت الظلمة بالازدياد. توقَّف الأقرام وحدَّقوا إلى السماء. صرخ الجان بالكثير من الأصوات. نادى جاندالف: تعالوا! لا يزال هنالك وقتٌ بعد للتشاور. دعوا دين بن ناين يأتي مُسرِّعًا إلينا!

وهكذا بدأت معركة لم يتوقعها أحد، وسُمّيت معركة الجيوش الخمسة، كانت مرّوعة للغاية. على أحد الجانبين كان الجوبلن والذئاب البرية. وعلى الجانب الآخر كان الجان والبشر والأقزام.

أمّا الطريقة التي وقعت بها، فهذه هي: منذ ذلك الوقت الذي سقط فيه زعيم الجوبلن سريعاً في الجبال الضبابية، اضطرت من جديد عداوة جنس الجوبلن للأقزام بضراوة أكثر. تنقل رسلهم هنا وهناك بين جميع مدنهم ومستعمراتهم ومعاقلمهم، فكانوا يجمعون الأخبار بطرقٍ سرّيةٍ. لأنهم قرّروا الآن السيطرة الكاملة على الشمال. وفي كل الجبال كانت هناك أعمال سبابة الحديد والتسليح تجري على قدمٍ وساقٍ.

ساروا بالقرب من التل والوادي، متنقلين دائماً من خلال الأنفاق أو تحت جُح الظلام، حتّى تجمّعوا حول وتحت جبل جوندوباد العظيم في الشمال، حيث كانت عاصمتهم. احتشد جيشٌ ضخّمٌ مستعدٌ لاكتساح الجنوب بشكلٍ مُباغتٍ في وقت العاصفة. ثمّ علموا بموت سموج، ففرحت قلوبهم، وأسرعوا ليلةً بعد ليلةٍ عبر الجبال، وهكذا في النهاية وصلوا فجأةً من الشمال بكامل قوتهم في أعقاب دين. حتّى الغريان لم تعلم بمجيئهم إلى أن انتشروا في الأراضي الوعرة التي تفصل الجبل المنعزل عن التلال التي خلفه. ولا نعرف كيف علم جاندالف بكلّ هذا، لكن من الواضح أنه لم يكن يتوقّع هذا الهجوم المفاجئ.

هذه هي الخطّة التي وضعها جاندالف بالتشاور مع ملك الجان وبارد، ومع دين أيضاً، لأنّ زعيم الأقزام قد انضمّ إليهم الآن. الجوبلن أعداءٌ للجميع، وبمجيئهم فقد نُسيّت كل الخلافات الأخرى. كان أملهم الوحيد في جرّ الجوبلن إلى الوادي بين أذرع الجبل ومحاصرتهم هناك، وأن ينتقل البشر منهم إلى متون الجبل العظيمة التي هُوِجِمَت في الجنوب والشرق. ومع أنّ ذلك قد يكون محفوفاً بالأخطار، إذا كان الجوبلن بأعدادٍ كافيةٍ لاجتياح الجبل نفسه. وبهذه الطريقة يهاجمونهم من الخلف ومن الأعلى، لكن لم يكن هنالك وقت لعمل خطّةٍ أخرى أو استدعاء أي مساعدة.

انقضى الرعد سريعاً، والتفَّ صوب الجنوب الشرقي لكن سحابة الخفافيش جاءت بتحليقٍ منخفض فوق كتف الجبل، وراحت تحوم فوقهم قاطعة الضوء عنهم ومالئة قلوبهم بالفرح.

صاح بارد: إلى الجبل! إلى الجبل! دعونا نأخذ أماكننا بينما لا يزال هناك وقت!

تمركز الجان بين صخور السفوح الدنيا والمنحدرات السفلية للمتن الجنوبي. وتمركز البشر والأقزام على المتن الشرقي. لكنَّ بارد وبعض المقاتلين البارعين من البشر والجان، تسلَّقوا إلى أعلى الكتف الشرقي، لإلقاء نظرة على الشمال. وسرعان ما تمكَّنوا من رؤية الأرض قبل سفوح الجبل وقد أصبحت سوداء من الحشود المسرعة. قبل فترةٍ طويلة كانت طليعة جيشهم قد دارت حول نهاية المتن وجاءت مسرعةً إلى ديل. كانوا أولئك أسرع خيالة الذئاب، أتوا وصرخاتهم وعواؤهم تمزَّق الهواء من بعيد. اصطفَّ بعض الرجال الشجعان أمامهم لتأخيرهم عبر المقاومة في هذه النقطة، وسقط الكثير منهم قبل أن ينسحب البقية متراجعين وليفرُّوا إلى أيِّ من الجانبين. تجمَّع جيش الجوبلن خلف الطليعة المقاومة كما كان يأمل جاندالف، وبدؤوا بالتدفُّق الآن نحو الوادي في حالةٍ من الغضب، مندفعين بعنفٍ بين أذرع الجبل باحثين عن العدو. كانت آراياتهم لا تعدُّ ولا تُحصى، وغالبيتها سوداء وحمراء، وكانوا يتقدَّمون كفيضانٍ من الحقد والشغب.

كانت معركةً فظيعةً. ومن أكثر التجارب المخيفة التي مرَّ بها بيلبو، وفي الوقت نفسه كانت التجربة التي كرهها أكثر من غيرها، وهو ما يعني أنها كانت أكثر مصادر الفخر عنده، والأكثر ولعاً لتذكُّرها بعد ذلك بفترةٍ طويلة، على الرغم من أن دوره فيها لم يكن بتلك الأهمية.

في الحقيقة يجب أن أقول بأنه لبس خاتمه في وقتٍ مبكَّرٍ من الأحداث، واختفى عن الأنظار، وإن لم يختفِ تماماً عن الخطر. إن هذا النوع من الخواتم السحرية لا يؤمِّن حماية كاملة من هجوم الجوبلن، كما أنه لا يوقف السهام

المتطايرة والرماح الوحشية، لكنه قد يساعد في الابتعاد عن الطريق، ويمنع رأسك من أن يكون مختارًا خصوصًا لضربة كاسحة من أحد سيّافي الجوبلن. بادر الجان أولًا بالهجوم. لأن كراهيتهم للجوبلن كانت قاسيةً ومريرة. كان بريق سيوفهم ورماحهم يُشرق في العتمة كاللهب المتراقص، وغضب الأيادي التي تحملها مميّتا للغاية. حالما تكاثفت جند أعدائهم في الوادي، أرسلوا عليهم وابلًا من السهام، ومضى كلُّ واحدٍ منها وهو يطير كما لو كان مشتعلًا بنيران لانعة. قفز من خلف السهام ألفٌ من حملة الرماح وانقضوا عليهم. كان الصراخ يصمُّ الآذان، وأصبحت الصخور ملطّخة بالسواد من دماء الجوبلن. حالما تعافى الجوبلن من هذه الجولة بعد توقُّف هجوم الجان، صوت هدير مبلوع صعِد من الوادي. مع صيحات تهتف موريا، موريا! دين، دين! اقتحم أقزام جبال الحديد صفوف الأعداء بمعاولهم، وبجانبهم على المقلب الآخر، جاء رجال البحيرة بالسيوف الطويلة.

حلَّ الهلع على الجوبلن، وحتّى عندما استداروا لمواجهة هذا الهجوم الجديد، انقضَّ عليهم الجان ثانيةً بأعداد متجددة. فيما كان الكثير من الجوبلن يطيرون متراجعين إلى أسفل النهر للهرب من الفخّ. انقلبت معظم ذئابهم وراحت تُمرِّقُ جثث القتلى والجرحى. بدا النصر في وشيكًا. عندما رنّت صيحةٌ خرجت من المرتفعات التي فوقهم.

كان الجوبلن قد تسلَّقوا الجانب الآخر للجبل، وفي ذلك الحين كان الكثير منهم على المنحدرات فوق البوابة والآخرين، وتدفَّق بقيّتهم -وهُم يصرخون- إلى الأسفل بتهوُّر، متجاهلين أولئك الذين سقطوا من الجرف وحافّة الهوَّة، لمهاجمة متنيّ الجبل من فوق. والذي كان يمكن الوصول إلى كلِّ منهما عبر الممرّات التي تنحدر من مركز الكتلة الرئيسية للجبل، كان المدافعون أقل من أن يقطعوا الطريق لفترة طويلة. وفي ذلك الوقت تلاشى الأمل بالنصر. كانوا قد صدّوا فقط الهجوم الأول من المدّ الأسود.

شارف النهار على نهايته. تجمَّع الجوبلن ثانيةً في الوادي. هنالك جيشٌ من الوارج جاؤوا مفترسين وجاء معهم حراس بولج الشخصيين، كانوا من

الجوبلن ضخام الحجم بسيوفٍ معقوفةٍ من الفولاذ. في الحال حلَّ الظلام الطبيعي في سماءٍ عاصفة، بينما لا زالت الخفافيش الكبيرة تحوم حول رؤوس وآذان البشر والجان، أو تلتصق فوق الجرحى والمصابين مثل مصاصي الدماء. في وقتها كان بارد يقاتل للدفاع عن المتن الشرقي للجبل، وحتى ذلك الحين كان يتراجع ببطء. أمَّا سادات الجان فكانوا حول ملكهم عند نتوء على الذراع الجنوبية للجبل، بالقرب من مركز المراقبة على ريفنهيل. فجأةً كانت هناك صرخة عظيمة، وجاء من البوابة صوت بوق. كان الجميع قد نسوا ثورين! تحرَّك جزء من الجدار بواسطة عتلة، وسقط إلى الخارج وتحطَّم في البركة. وثب ملك ما تحت الجبل من البوابة، وتبعته كلُّ أصحابه، لم يكونوا مرتدين عباةمهم وقلانسهم بل كانوا يرتدون بدلًا عنها دروعًا لامعةً، والضوء الأحمر كان يقفز من أعينهم. في العتمة كان القزم العظيم يلمع مثل الذهب في نارٍ محتضرة.

دحرج الجوبلن الصخور عليهم من الأعلى، لكنهم واصلوا القفز نازلين إلى أسفل الشلال، ثمَّ اندفعوا إلى الأمام إلى المعركة. سقطت الذئاب وراكبيها أو هربت من أمامهم. استخدم ثورين فأسه ببراعة وبضربات قوية، ولم يبدو أن أيَّ شيء كان قادرًا على إيذائه.

صاح ثورين وكان صوته يهتِّزُ كنفير البوق في الوادي: إليَّ! إليَّ! أيها البشر والجان! إليَّ! يا أقاربي!

نزل الجميع متجاهلين الأوامر، هرع كلُّ أقزام ديين لنجدته، كما نزل الكثير من رجال البحيرة، لأنَّ بارد لم يستطع منعهم، وعلى الجانب الآخر جاء الكثير من حملة الرماح من الجان. ضربَ الجوبلن مرَّةً ثانية في الوادي، هناك جُمعت جنثهم في أكوام، حتى إن ديل أظلمت وأصبحت قبيحةً من جيفهم. كانت جنث الواج متناثرة، اندفع ثورين مباشرةً نحو الحراس الشخصيين لـ بولج. لكنه لم يستطع اختراق صفوفهم.

كانوا قد خَلَفُوا وراءهم بين جثث الجوبلن الكثير من البشر والأقزام، والكثير من الجان الجميلين الذين كان ينبغي أن يعيشوا بعد لعصورٍ طويلةٍ بمرحٍ وسعادةٍ في الغابة.

مع اتساع الوادي، أصبح هجوم ثورين أبطأ، وأصبحت الأعداد التي معه قليلةً جداً، وسرعان ما تعرَّض المهاجمون للهجوم، وقد أُجبرُوا على التجمُّع في حلقة كبيرة، في مواجهة كلِّ شيء، محاطين بالجوبلن من كلِّ الجهات وبالذئاب التي عادت إلى الهجوم. جاء الحراس الشخصيين لـ بولج يعوون لمقابلتهم، مندفعين على الصفوف مثل الأمواج على جروف من الرمال. لم يستطع أصدقاؤهم مساعدتهم، فقد تجدد الهجوم من الجبل بقوة مضاعفة، ومن كلا الجانبين كان البشر والجان يتعرَّضون للهزيمة ببطء.

نظر بيلبو إلى كل هذا ببؤس. كان قد اتخذ مكانه في ريشنهيل بين الجان -جزئياً- لأنه ومن تلك النقطة كانت فرصته للهروب أكبر، وجزئياً (مع الجزء الأكبر من عقله التوكي المغامر) لأنه إذا وضع بالنهاية في موقف يائس، فقد فضَّل على العموم أن يكون مدافعاً عن ملك الجان. ويمكنني القول أن جاندالف أيضاً، كان يجلس هناك على الأرض كما لو كان في تفكير عميق، على ما أعتقد أنه كان يحضِّر لبعض الضربات الأخيرة من السحر قبل النهاية.

فكَّر بيلبو: هذا لا يبدو بعيد المنال، لن يمرَّ وقتٌ طويلٌ من الآن، قبل أن يسيطر الجوبلن على البوابة وسنُذبح جميعنا أو نُطرَد ونؤسر. هذا وحده كافٍ ليجعل المرء يبكي، بعد كلِّ الذي مرَّ معنا. كنت أفضل أن يبقى العجوز سموج مع كلِّ هذا الكنز البائس، على أن تحصل عليه هذه المخلوقات الحقيرة. والعجوز المسكين بومبور وبالين وفيلي وكيلي وكل البقية ينتهي بهم الأمر إلى نهاية سيئة، وكذلك بارد أيضاً، ورجال البحيرة والجان السعداء. والبائس أنا! لقد سمعت أغاني عن عدَّة معارك، وفهمت دائماً أن الهزيمة قد تكون مشرِّفة يبدو أن الأمر غير مريح تماماً، ناهيك بكونه مُحزناً. أتمنَّى لو خرجت منه بخير.

هَبَّت رِيحٌ فمَرَّت الغيوم، وشقَّ غروب الشمس الأحمر طريق الغرب.

نظر بيلبو حوله وهو يرى بريقًا مفاجئًا في العتمة، وأطلق صرخةً عظيمة: لقد رأى مشهدًا جعل قلبه يقفز من مكانه، وأشكالًا داكنةً قبالة تتهوَّج من بعيد، كانت صغيرة لكنها مهيبه. ثم صاح: النسور! النسور! لقد جاءت النسور!

أعين بيلبو نادرًا ما تكون مخطئة. كانت النسور قادمةً مع ركود الرياح، صفًا خلف صفٍّ، مثل هذا الجيش لا بدُّ أنه اجتمع من كلِّ أوكار الشمال.

صرخ بيلبو وهو يرقص ويلوح بيديه: النسور! النسور! مع أنَّ الجان لم يتمكَّنوا من رؤيته لكنهم كانوا يسمعون صوته. وسرعان ما رفعوا أصواتهم بالصراخ أيضًا، وتردَّد صدى صرخاتهم في الوادي. نظرت الكثير من الأعين المتعجِّبة، على الرغم من أنه لا يمكن رؤية أي شيء حتَّى الآن إلا من الأكتاف الجنوبية للجبل.

صرخ بيلبو مرَّة أخرى: النسور! لكن في تلك اللحظة، قُذِفَ حجرٌ من فوق، وأصاب خوذته بشدَّة فسقط منهازا وفاقدا للوعي.





## الفصل الثامن عشر

### رحلة العودة

عندما استعاد بيلبو وعيه، كان بمفرده حرفياً. كان مستلقياً على حجارة ريقنهيل المسطحة، ولم يكن أحداً بالقرب منه. كان يوماً صحواً، لكنه بارد وفسيح من فوقه. كان يرتجف بارداً كالحجر، لكن رأسه كان يشتعل بالنار. قال لنفسه: أتساءل الآن ماذا حدث؟ على أي حال أنا لست بعد واحداً من هؤلاء الأبطال الذين سقطوا في المعركة، لكنني أعتقد بأنه ما زال وقتٌ لذلك! جلس متأماً وراح ينظر نحو الوادي لكنه لم يَرَ جوبلن أحياء هناك. بعد فترةٍ وبعدما صحا رأسه قليلاً، ظنَّ بأنه يرى الجان يتحرَّكون على الصخور أمامه. فرك عينيه. لا يزال في السهل هناك وعلى مسافةٍ منه معسكر، وحول بوابته حركة نهابٍ وإيابٍ، هل هذا مؤكدٌ؟ يبدو أنَّ الأقزام منشغلون بإزالة الجدار. لكن كل شيء لا يزال مميتاً. لم يكن هناك ثمة نداء ولا صدى أغنية. بدا الحزن في الهواء. قال وهو يحسُّ بألم في رأسه: النصر بعد كل شيء. أفترض ذلك! حسناً، يبدو أنه كان عملاً كثيباً للغاية.

فجأةً أحسَّ بأحد الرجال يصعد نحوه.

قال الرجل بصوت لاهتٍ: مرحبًا، هل من أحدٍ هنا!

ردَّ عليه بيلبو: مرحبًا من هنا! ما هي الأخبار؟

وقف الرجل غير بعيد عن مكان جلوس بيلبو وراح يحدِّق حوله، ثمَّ قال:

ما هذا الصوت الذي يتكلم من بين الحجارة؟

عندها تذكَّر بيلبو خاتمه! وقال في سرِّه: حسنا أنا شخصٌ مُبارك! بعد كلِّ شيء، هذا الاختفاء له عيوبه، وإلا أفترض بأنني كنت قد أمضيت ليلةً دافئةً في سرير! ثمَّ صاح وهو يخلع الخاتم: هذا أنا، بيلبو باجينز، صاحب ثورين!

قال الرجل وهو يخطو مسرعًا إلى الأمام: من الجيد أنني وجدتكَ! أنت مطلوب، وقد بحثنا عنكَ طويلًا. لو لم يقلِّ الساحر جاندالف بأنَّ صوتك قد سُمِعَ آخر مرَّةٍ في هذا المكان، لكنك عدتَ من بين الأموات، وهُم كثر. لقد أرسلوني للبحث لآخر مرَّةٍ في هذا المكان. هل تأذيت كثيرًا؟

قال بيلبو: ضربةٌ سيئةٌ على الرأس، على ما أعتقد. لكن لديَّ خوذَةٌ وجمجمة صلبة. مع ذلك، فإنني أشعر بالمرض وكأنَّ ساقِي مثل القشِّ.

رفعه الرجل بلطف وقال: سأحملك وأنزل بك إلى المعسكر في الوادي.

كان الرجل سريعًا ثابت الخُطى. ولم يمضِ الكثير من الوقت حتَّى كان بيلبو واقفًا أمام خيمةٍ في ديل. هناك كان يقف جاندالف وذراعه معلَّقةً إلى عنقه. حتَّى الساحر لم ينبجُ من دون جراح. كان هناك القليل ممَّن لم يُصَبْ بأذى من بين كلِّ أفراد الجيش.

كان جاندالف سعيدًا لرؤية بيلبو بخير: فهتف قائلاً: باجينز! حسنا لم أكن مُخطئًا! أنت حيٌّ بعد كلِّ هذا، كم أنا سعيد! لقد بدأت أتساءل إن كان ساعدك حظك! لكنك قمت بعملٍ فظيع، وكاد أن يكون كارثيًا. لكن دعنا من هذا الآن، فبقية الأخبار يمكن أن تنتظر، تعالَ معي! ثمَّ قال بجديَّة: أنت مدعوٌّ، ثمَّ قاد الهوبيت وأخذه إلى داخل الخيمة، وقال وهو يدخل: فليحيا ثورين، لقد أحضرته. كان ثورين أوكنشيلد ممددًا هناك وقد أصيب بالكثير من الجراح، ودرعه الممزَّق وفأسه المثلمة ملقيا على الأرض. نظر إلى الأعلى عندما جاء بيلبو ووقف بجانبه، وقال: الوداع أيها اللصُّ الطيب. أنا ذاهبُ الآن إلى قاعات

الانتظار لأجلس إلى جانب أسلافي، حتَّى يتجدَّد العالم. وبهذا فأنا أترك الآن كلَّ الذهب والفضَّة، وأذهب إلى حيث لا قيمة لهما. أتمنَّى أن أرحل وأنا في صداقتك، وأودُّ أن أراجع عن كلامي وأفعالي عند البوابة.

رُكع بيلبو على ركيَّة واحدة وقد ملاءه الحزن، وقال: الوداع يا ملك ما تحت الجبل! تلك مغامرة مرَّة إن كان يجب أن تنتهي بهذا الشكل، ولا يمكن لجبل من الذهب أن يصلحها. ومع ذلك فأنا مسرورٌ لأنني كنت شريكًا في الأخطار معك، وهذا أكثر ممَّا يستحقُّه أي باجينز.

قال ثورين: لا! هنالك الكثير من الخير فيك أكثر ممَّا تعرف، يا ابن الغرب المؤدَّب. بعض الشجاعة وبعض الحكمة الممزوجين بالنظام والانضباط. لو كان الكثير منَّا يقدِّرون الطعام والبهجة والأغاني فوق الذهب المكتنز. فسيكون عالمنا أكثر مرحًا. لكن حزينًا أو مرحًا، يجب أن أغادره الآن. الوداع! ثمَّ ابتعد بيلبو، وذهب بمفرده، جلس وحيدًا ملتقًا ببطَّانية، وسواء صدَّقت أم لم تُصدِّق، فقد بكى حتَّى احمرَّت عيناه وأصبح صوته مبحوحًا. كان روحًا صغيرةً عطوفة. في الواقع، مرَّ الكثير من الوقت قبل أن يطاوعه قلبه ويقول نكتة مرَّة أخرى. وقال أخيرًا لنفسه: لقد كانت نعمة، أنني استيقظت في الوقت المناسب. أتمنَّى لو كان ثورين على قيد الحياة، لكنني سعيد لأننا افترقنا على الودِّ. كم أنت أحمق، يا بيلبو باجينز، لقد خلقت فوضى كبيرة بتعاملك مع قضية ذلك الحجر، ووقعت المعركة على الرغم من كلِّ الجهود التي بذلتها لشراء السلام والهدوء، لكنني أعتقد أنه بالكاد يمكن لومك على ذلك.

لاحقًا علِمَ بيلبو بكل ما وقع من أحداث بعد أن فقد وعيه، لكنَّ ذلك منحه الحزن أكثر من الفرح، وقد ملَّ الآن من مغامرته. وكان جسده تواقًا إلى رحلة العودة إلى الوطن. ومع ذلك، فقد تأخَّر ذلك قليلًا.

لذلك وفي هذه الأثناء سأخبركم بعض ما جرى من أحداث. كان لدى النسور ومنذ فترة طويلة شكٌّ في الجويلين، تجمُّعاتهم سهرهم وحركتهم في الجبال والتي كان من الصعب إخفاؤها. لذلك تجمَّعت النسور أيضًا بأعداد كبيرة، تحت قيادة النسور العظيم من الجبال الضبابية. وشمُّوا أخيرًا رائحة

المعركة من بعيد، فجاؤوا مسرعين في الوقت المناسب مع ركود العاصفة. وهم الذين أزاحوا الجوبلين عن سفوح الجبل، ورموهم من فوق الجروف، أو دحروهم، حيث كانوا يصرخون ويثيرون الارتباك بين صفوف أعدائهم. ولم يمض وقت طويل حتى حُرِّروا الجبل المنعزل، بعدها أصبح بإمكان البشر والجان على جانبي الوادي أن يأتوا أخيرًا للمساعدة في تلك المعركة.

حتى مع وجود النسور ظلَّ الجوبلين يفوقونهم عددًا.

في تلك الساعة الأخيرة ظهر بيورن نفسه، لا أحد يعرف كيف أو من أين جاء. لقد جاء وحيدًا على هيئة دبٍّ، وبسبب الغضب بدا وكأنَّه أصبح أضخم، كان تقريبًا بحجم عملاق. هدير صوته كان كقرع الطبول والمدافع، طرح الذئاب أرضًا وكان الجوبلين في طريقه مثل القشِّ والريش. سقط على مؤخره جيشهم مثل قصف الرعد وكسر من خلاله الحلقة التي كانوا يضربونها حول ثورين والأقزام على تلة منخفضة مستديرة، بينما كان الأقزام يقفون بلا حراكٍ حول سيدهم.

انحنى بيورن ورفع ثورين الذي كان قد طُعِنَ بالحراب وأخرجه من المعركة. ثمَّ عاد وقد تضاعف غضبه، حتى لم يعد أي شيء يصمد أمامه، ولا يبدو أن هنالك سلاحًا قادرًا على التأثير فيه، قام بتفريق الحراس الشخصيين وسحبَ بولج نفسه وسحقه. فوقع الرعب على الجوبلين وهربوا في كلِّ الاتجاهات. لكنَّ الإرهاق غادر أعداءهم مع مجيء هذا الأمل الجديد، فطاردهم بإحكام، ومنعوا الكثيرين منهم من الهرب حيث أمكنهم ذلك. ودحروا الكثير منهم إلى نهر رانينج، وحيثما هربوا جنوبًا أو غربًا كانوا يصطادونهم في المستنقعات حول نهر فوريست. هناك لَقِيَ الجزء الأكبر من أواخر الهاربين حتفه. في حين أن أولئك الذين استطاعوا بالكاد الوصول إلى مملكة جان الغابة، فقد ذُبِحُوا هناك، أو سُحبوا للموت في ظلام ميركود. قيل في الأغاني أنَّ ثلاثة أجزاء من محاربي الجوبلين قد هلكوا في ذلك اليوم. وساد السلام في الجبال لعدَّة سنوات.

كان النصر قد تأكّد قبل حلول الليل، لكن مطاردة فلول الغزاة كانت لا تزال جاريةً على قدمٍ وساق. عندما عاد بيلبو إلى المعسكر، كانت الغالبية قد غادرت الوادي ولم يبقَ سوى الذين أُصيبوا بجروحٍ خطيرة.

في ذلك المساء، كان بيلبو مستلقيًا وقد لفَّ نفسه بعدد كبير من البطّانيات الدافئة، فاستفسر من جاندالف وسأله: أين النسور؟

أجابه الساحر: لم تبَقْ هنا، لقد غادرت مع إشراقة الصباح، والآن بعضها في الصيد، لكن معظمها عاد إلى أوكاره. كان دين قد قام بتتويج زعيم النسور بتاجٍ من ذهب، وأقسم على الصداقة معهم إلى الأبد.

قال بيلبو بنعاس: أنا أسف. أعني، كنت أرغب في رؤيتهم مرّةً أخرى، ربما سأراهم في الطريق إلى الوطن. أفترض أنني سأعود إلى الوطن قريبًا؟  
قال الساحر: في أقرب وقتٍ تريده.

في الواقع، مرّت بضعة أيامٍ قبل أن يبدأ بيلبو رحلة العودة بالفعل.

لقد دفنوا ثورين عميقًا تحت الجبل، وكان بارد قد وضع حجر الأركنستون على صدره قبل الدفن وقال: فليستلقي معه هناك حتّى يسقط الجبل! وعسى أن يجلب الحظّ السعيد لجميع قومه الذين سيسكنون هنا بعد ذلك! ثمّ وضع ملك الجان على القبر السيف الجنّي أوركريست، الذي أخذه من ثورين عندما كان أسيرًا لديه. وقال: يقال في الأناشيد، بأنه يلمع في الظلام إذا اقترب الأعداء، وبهذا فلا يُمكن أن تؤخذ قلعة الأقرام على حين غرّة.

وافق دين بن ناين على البقاء هناك الآن، وأصبح هو ملك ما تحت الجبل. ومع الوقت اجتمع الكثير من بقية الأقرام الآخرين عند عرشه في القاعات القديمة.

بقي عشرةٌ من صُحبة ثورين الاثني عشر فقط، فقد سقط فيلي وكيلي وهما يدافعان عنه بالدراع والجسد، لأنه كان الأخ الأكبر لأمهما، أمّا البقية فقد ظلّوا مع دين، لأنّ دين تعامل مع كنزه بشكلٍ جيد.

وبالطبع، لم يُعد من الوارد تقسيم الكنز إلى كلِّ من: بالين ودوالين ودوري ونوري وأوري وأوين وجلوين وبيفور وبوفر وبومبور أو إلى بيلبو.

وفق الحصص التي خُطِّطَ لها مُسبقًا. ومع ذلك فقد أُعطيَت حصَّة واحد إلى أربعة عشر من كلِّ الذهب والفضَّة الخام والمُصنَّع، إلى بارد. لأن دِين قال: سنحترم اتفاقية الموتى، وها هو ثورين الآن يحتفظ بحجر الآركنستون معه كبديل عن هذه الحصَّة.

إنَّ حصَّة واحد إلى أربعة عشر من مجمل الكنز، تُعتبر ثروة هائلة، وهي أكبر بكثير من ثروة كثيرٍ من الملوك الفانين. ومن ذلك الكنز أرسل بارد بالكثير من الذهب والفضَّة إلى حاكم ليك تاون. وكافأ أصحابه وأصدقائه بكرم. وأعطى ملك الجان زُمُرات جيريون التي أعادها إليه دِين. لأنَّ ملك الجان كان يحبُّ مثل هذه الجواهر.

ثمَّ قال بارد مخاطبًا بيلبو: هذا الكنز لك مثلما هو لي، على الرغم من أنَّ الاتفاقيات القديمة لا يمكن أن تصمد، مع وجود الكثيرين ممَّن لهم الحقُّ فيه كونهم شاركوا في كسبه والدفاع عنه. مع ذلك وعلى الرغم من أنك كنت على استعدادٍ للتخلِّي عن كلِّ حقِّك فيه. فإنني أتمنَّى ألا تثبت صحَّة كلمات ثورين والتي تاب عنها حيث قال: بأننا لن نعطيك إلا القليل. إلا أنني سأكافئك بأكثر من كلِّ شيء.

قال بيلبو: هذا لطف كبيرٌ منك. في الحقيقة يعتبر هذا مصدر ارتياح بالنسبة إليّ. لكن على أرض الواقع، كيف لي أن آخذ هذا الكنز إلى البيت من دون حرب وقتال على طول الطريق؟ لا أعرف، ولا أعرف أيضًا ماذا سأفعل به عندما أعود إلى الوطن. أنا متأكَّد بأنه من الأفضل أن يبقى بين يديك.

في النهاية قرَّر أن يأخذ معه فقط صندوقين صغيرين، أحدهما مليء بالفضَّة والآخر بالذهب، بقدر ما يستطيع أن يحمل مُهرٌ قوي، وقال: سيكون ذلك المقدار كافٍ لكي أستطيع التصرُّف به.

أخيرًا جاء الوقت ليودِّع أصدقاءه، فقال: وداعًا يا بالين! وداعًا يا دوالين! وداعًا يا دوري، نوري، أوري، أوين، جلوين، بيفور، بوفور وبومبور! أتمنَّى ألا تنحسر لحاكم أبدًا! ثمَّ استدار نحو الجبل وتابع يقول: وداعًا يا ثورين أوكنشيلد! ويا فيلي وكيلي، أتمنَّى ألا تتلاشى ذكراكم أبدًا!

فانحنى له الأقدام أمام بؤابتهم وقد علقت الكلمات في حناجرهم، ثم قال بالين أخيرًا: رافقتك السلامة، نتمنى لك التوفيق أينما ارتحلت! إذا جئت لزيارتنا مرةً أخرى، عندما تُصبح قاعاتنا جميلة من جديد، وقتها سيكون الاحتفال رائعًا حقًا!

قال بيلبو: إذا مررتم في طريقي، فلا تنتظروا لكي تقررُوا الباب! الشاي في الرابعة، ومرحبٌ بأيِّ واحدٍ منكم في أي وقت! ثم استدار ورحل.

كان جيش الجان يتحرَّك عائداً، وإن كان للأسف قد انخفض عدده، لكنَّ الكثيرين كانوا سعداء، لأن العالم الشمالي سيصبح الآن أكثر سعادة لأيامٍ طويلةٍ قادمة. فلقد مات التنين، وهُزِمَ الجوبلن، وتتطَلَّع قلوبهم بعد الشتاء إلى ربيعٍ مليء بالفرح. ركب جاندالف وبيلبو خلف ملك الجان، وكان بيورن يسير بجانبهم مرةً أخرى على هيئة إنسان، كان يضحك ويغني بصوتٍ عالٍ طوال الطريق. هكذا مضوا في طريقهم حتَّى اقتربوا من حدود ميركوود، إلى شمال الموقع الذي يجري منه نهر فوريسست خارجاً من الغابة.

هناك توقَّفوا، لأن جاندالف وبيلبو لن يدخلوا الغابة، على الرغم من أنَّ الملك دعاهما لقضاء بعض الوقت في قاعاته. كانوا يعتزمون السير على طول حافة الغابة، ويلتقون من عند نهايتها الشمالية في الأراضي القاحلة التي تمتدُّ بينها وبين بداية الجبال الرمادية. لقد كان طريقاً طويلاً وكثيباً، لكنه الآن وبعد أن سُجِّقَ الجوبلن، بدا أكثر أماناً من الممرَّات الرهيبة تحت الأشجار. علاوة على ذلك كان بيورن يسير بهذا الطريق أيضاً.

قال جاندالف: الوداع! يا ملك الجان! افرحي يا جرينوود، بينما لا يزال العالم شاباً، وليفرح عموم شعبك!

قال الملك: الوداع! يا جاندالف! أتمنى أن تظهر دائماً حينما تشتدُّ الحاجة إليك ويقلُّ توقُّع مجيئك! كلما كان تكرار ظهورك في قاعاتي أفضل كلما ازدادت سعادتي!

قال بيلبو متلعثمًا وقد وقف على قدمٍ واحدة: أتوسَّل إليك أن تقبل هذه الهدية! وأخرج عقدًا من الفضة واللؤلؤ كان قد أعطاه إياه دين عند فراقهم.

فقال الملك: وبأي طريقة استحققتُ هذه الهدية يا هوبيت؟

قال بيلبو وهو مرتبكٌ إلى حدٍّ ما: حسنًا، ام م م، أظنُّ، ألا تعرف، ذلك، ام م م، شيء قليل ليعبر عن ردِّ الجميل، ام م م، لكرم ضيافتك. أعني حتَّى اللصِّ لديه مشاعره. لقد شربتُ الكثير من نبيذك وأكلتُ الكثير من خبزك.

قال الملك بجدِّيَّة: سأقبل هديتك، يا بيلبو الرائع! وأنا أسمِّيك صديق الجان والمبارك. أمل ألا يقلَّ ظلُّك أبدًا (وإلا ستصبح السرقة سهلة للغاية)! الوداع! ثمَّ استدار الجان نحو الغابة، وبدأ بيلبو المسير على طريقه الطويل إلى الوطن.

كانت لديه الكثير من الصعوبات والمغامرات قبل عودته. كانت البرِّيَّة لا تزال هي البرِّيَّة، وفي تلك الأيام، كان فيها الكثير من المخلوقات الأخرى إلى جانب الجوبلن، لكن كان لديه مرشد جيد وحامٍ جيد، حيث كان يرافقه الساحر وبيورن في معظم الطريق، ولم يتعرَّض لخطرٍ كبير مرَّةً أخرى.

على أي حال، بحلول منتصف الشتاء، كان جاندالف وبيلبو قد قطعاً كلَّ طريق العودة على طول جانبي الغابة، إلى أبواب منزل بيورن، وبقي كلاهما هناك لفترة. كان عيد الميلاد دافئًا ومرحًا هناك، وكان الناس يأتون من كل مكان للاحتفال ببناءً على دعوة بيورن.

أصبحت أعداد الجوبلن في الجبال الضبابية الآن قليلةً جدًّا، ومذعورة، وقد اختبأت في أعماق الثقوب التي يمكن أن تجدها، وقد اختفت عائلات الوارج من الغابات، لذلك أصبح الناس يرتحلون ويسافرون دون خوف. وبعد ذلك أصبح بيورن بالفعل زعيمًا عظيمًا في تلك المناطق، وحكم أرضًا واسعةً بين الجبال والغابة، ويقال إنه لأجيال عديدة قادمة، كان البشر من سلالته يتمتَّعون بالمقدرة على اتخاذ هيئة الدُّبِّ، كان بعضهم رجالًا قاتمين وسيئين، لكنَّ معظمهم كانوا في القلب مثل بيورن، وإن لم يماثلوه في الحجم والقوَّة.



وفي أيامهم طُردَ آخر فلول الجوبلن من الجبال الضبابية، وحلَّ سلام جديد على حافة البرِّيَّة.

إنه الربيع، كان ربيعًا جميلًا بطقس معتدل وشمسٍ ساطعة، قبل أن يأخذ بيلبو وجاندالف أخيرًا الإذن بالمغادرة من بيورن، على الرغم من أنه كان يتوق كثيرًا إلى العودة إلى الوطن، لكنه غادر مع الأسف، لأن أزهار حدائق بيورن كانت في فصل الربيع لا تَقَلُّ روعةً عمَّا كانت عليه في ذروة الصيف. وأخيرًا صعدا إلى الطريق الطويل، ووصلا إلى الطريق نفسه حيث أسرهم الجوبلن من قبل. لكنهما قد وصلا إلى تلك النقطة المرتفعة في الصباح. نظرا إلى الورا فشاها شمسًا بيضاء تُشرقُ فوق الأراضي الممتدَّة.

خلف تلك الأراضي تتمدَّد ميركوود، وقد بانَّت باللون الزرق من هذه المسافة البعيدة، لكن حوافها القريبة بدت بلونٍ أخضر داكن حتَّى في الربيع. هنالك في البعيد، على حدود البصر كان الجبل المنعزل يلمع بشحوب، والثلوج الأبدية لا تزال بعد على قمَّته العالية.

قال بيلبو وهو يدير ظهره لمغامرته: هكذا يكون مجيء الثلج بعد النار، وحتَّى التنانين لها نهايتها!

كان الجزء التوكي (المغامر) منه قد تعب كثيرًا، أمَّا الجزء الباجينزي منه فقد كان يزداد قوَّةً يومًا بعد آخر. فقال مخاطبًا نفسه: ما أتمنَّاه الآن فقط، هو أن أكون جالسًا على أريكتي!



## الفصل التاسع عشر

### المرحلة الأخيرة

في الأول من شهر أيار عاد الاثنان أخيرًا إلى حافة وادي ريغنديل، حيث يقف آخر (أو أول) بيت عائلي. مرة أخرى في المساء، كانت مهورهما متعبة، خاصة تلك التي تحمل الأمتعة، فقد كانوا بحاجة إلى الراحة، وبينما كانوا يسيرون في الطريق المنحدر، سمع بيلبو الجان حيث لا زالوا يغنون في الأشجار، كما لو أنهم لم يتوقفوا منذ مغادرته، وبمجرد نزول خيالهم إلى الفسحة السفلية من الغابة، بدؤوا أغنية من النوع نفسه الذي غنوه من قبل. وهي تشبه شيئًا من هذا القبيل:

صَعِقَ التَّيْنِ  
وَتَفَتَّتْ عِظَامَهُ  
تَحَطَّمْ دَرَعَهُ  
وَأَنْذَلَتْ هَيْبَتَهُ!

إن كان السيف يصدأ  
ويفنى العرش والتاج  
بالقوة التي يثق بها الرجال  
وبالثروة التي يعتنُّون بها  
هنا العشب لا يزال ينمو  
والأوراق لا تزال تتأرجح  
والماء الأبيض يتدفَّق  
والجان ما زالوا يغنون  
تعال! ترا - لا - لا - لاي!  
ارجع للوادي!  
النجوم أكثر إشراقًا بكثير  
من جواهر لا حصر لها  
القمر أكثر بياض  
من فضة في كنز  
النار أكثر إشراقًا  
على الموقد في الغسق  
من الذهب المأخوذ من المناجم  
فلما الذهاب والتجوال؟

أوه! ترا - لا - لا - لاي!  
ارجع للوادي!  
أوه! إلى أين تذهب  
متأخرًا جدًّا في العودة؟

النهر يجري  
النجوم دائماً ملتهبة  
أوه! حيثما تحمّلت  
حزين جداً وكئيب جداً؟  
هنا الجان وغازي الجان  
يرحبون الآن بالتعبان  
مع! ترا - لا - لا - لا!  
ارجع إلى الوادي!  
ترا - لا - لا - لا!  
فا - لا - لا - لا!  
فا - لا!

ثمّ خرج الجان من الوادي ورحبوا بهما وقادوهما عبر المياه إلى منزل إيلروند. هناك رُحِبَ بهما باستقبالٍ حارٍّ، وفي ذلك المساء كان هناك الكثير من الآذان المتلهّفة لسماع قصّة مغامرتهما. جاندالف هو من تحدّث، لأنّ بيلبو منهكٌ تماماً ويشعر بالنعاس.

كان بيلبو يعرف معظم الحكاية، لأنه كان موجوداً فيها، وكان قد أخبر الكثير منها إلى الساحر في أثناء سيرهما على الطريق أو في منزل بيورن، لكنه بين الحين والآخر كان يفتح عيناً واحدة، وينصت قليلاً عندما يأتي جزء من القصّة لم يكن يعرفه بعد. وبهذه الطريقة علّم أين كان جاندالف. لأنه سمع كلمات الساحر التي قالها إلى إيلروند. يبدو أن جاندالف كان في مجلس كبير مع السحرة البيض، سادة العلم والسحر الجيد، وأنهم قد طردوا أخيراً مستحضرّ الأرواح من حصنه المظلم جنوبي ميركوود.

كان جانبدالف يقول: أملٌ بألا يمرُّ الكثير من الوقت من الآن، حتَّى تنمو الغابة إلى حدِّ ما بشكلٍ أكثر فائدة. وسيتحرَّر الشمال من هذا الرعب لسنواتٍ طويلة. وفي النهاية، أتمنَّى أن يكون مستحضر الأرواح قد نُفِيَ من العالم! قال إيلرون: سيكون هذا جيدًا بالفعل. لكن ما أخشاه، هو ألا يحدث ذلك في هذا العصر من العالم، أو في العصور الكثيرة اللاحقة.

عندما رُوِيَتْ حكاية رحلاتهم، رويت معها أيضًا حكايات أخرى، والكثير من الحكايات والقصص القديمة، وحكايات المخلوقات الحديثة، وحكايات لم يسبق لها مثيل على الإطلاق. حتَّى سقط رأس بيلبو على صدره، وشخَّر براحه في الزاوية.

استيقظ بعد ذلك ليجد نفسه في سرير أبيض، وضوء القمر يدخل إليه من خلال نافذة مفتوحة. وفي الأسفل هناك على ضفاف الجدول، تجمَّع الكثير من الجان وكانوا يغنون بصوت عالٍ وواضح:

عُتُّوا بكلِّ الفرح، فلنغنِّ الآن معًا.  
الرياح في القمَّة الحرة، والرياح في الخلنج.  
تفتَّحت النجوم، وأزهر القمر.  
وأشرقت نوافذ الليل في أبراجها.

ارقصوا بكلِّ الفرح، فلنرقص الآن معًا!  
العشب ليّن، فدع القدم تكون مثل الريش!  
النهر فضِّي والظلال عابرة.  
شهر أيار سعيد، ولقاؤنا سعيد.

دعونا ننسج الأحلام، ونغنِّي الآن بهدوء.

لُفوه الآن في النوم ودعونا نتركه هناك!  
الهائم نائم. ووسادته لينة الآن!  
تهويدة! تهويدة! الحور والصفصاف!

لا تنهّد بعد الآن يا صنوبر، حتّى تأتي ريح الصباح!  
غاب القمر! وكان الظلام على الأرض!  
صه! صه! البلوط، الدردار، والزعرور!  
فلتهداً جميع المياه حتّى طلوع الفجر!

نظر بيلبو من النافذة وقال لهم: حسناً أيها الشعب السعيد! كم الساعة بتوقيت هذا القمر؟ ستوقظ تهويدتكم جوبلن مخمور! ومع ذلك، فأنا أشكركم. أجاوبه ضاحكين: وشخيرك يوقظ تينياً حجرياً، أيضاً نحن نشكر. الوقت يقترب من طلوع الفجر، وقد نمت منذ بداية الليل حتّى الآن. ربما ستشفى غذا من التعب.

فقال لهم: القليل من النوم في منزل إيلروند يعتبر علاجاً عظيماً. لكنني سأتناول كلّ العلاج الذي يمكنني الحصول عليه. ليلة سعيدة ثانية، أيها الأصدقاء اللطفاء! وبهذا عاد إلى الفراش ونام حتّى وقت متأخّر من الصباح. سرعان ما ذهب عنه التعب في ذلك المنزل، وكان لديه الكثير من المرح والرقص، مع جان الوادي، مبكراً ومتأخراً. مع ذلك، حتّى ذلك المكان لم يستطع تأخيره كثيراً، فقد كان دائم التفكير في بيته. لذلك، ودّع إيلروند بعد أسبوع، وأعطاه بعض الهدايا الصغيرة مثل تلك لا يرفضها إيلروند، ثمّ انطلق مع جاندالف. حتّى إن سماء الغرب أظلمت أمامهما عندما غادرا الوادي، وهبّت الريح وهطل المطر لملاقاتهما.

بينما كان المطر ينهمر على وجهه قال بيلبو: فعلاً شهر أيار مُبهج! لكننا الآن قد تركنا الأساطير خلفنا، عائدین إلى الوطن، وأتصوّر أن هذا أول مذاق له.

فقال جاندالف: ما زال الطريق طويلاً.

قال بيلبو: لكنه الطريق الأخير.

ثمّ وصلا إلى النهر الذي يمتلئ حافة المنطقة الحدودية للبرية، ومن ثمّ إلى المعبر الذي تحت الضفّة شديدة الانحدار. والتي من الممكن أنكم لا زلتم تتذكّرونها. كانت المياه زائدة بسبب ذوبان الثلوج مع اقتراب الصيف وبسبب هطول المطر طوال اليوم، لكنهما عبرا ببعض الصعوبة، ثمّ اندفعا إلى الأمام، ومع حلول المساء بلغا المرحلة الأخيرة من رحلتها.

كلّ شيء الآن كما كان من قبل، باستثناء أن الصحبة أصبحت أصغر حجماً وأكثر صمّتا، وأيضاً هذه المرّة لم يكن هناك غيلان.

في كلّ نقطة من الطريق، كان بيلبو يتذكّر الأحداث والكلمات التي حدثت قبل عام، مع أنها بدت له وكأنها عشرة أعوام، لذلك بالطبع سرعان ما انتبه إلى المكان الذي وقع فيه المهر في النهر، ومن ثمّ انصرفوا جانباً لتكون مغامرتهم السيئة مع توم وبيبرت وبيل. ليس بعيداً عن الطريق وجدا ذهب الغيلان الذي طمروه هناك، فما زال مخفياً ولم يمسه أحد. قال بيلبو عندما حفرا وأخرجاه: لديّ ما يكفيني حتّى آخر أيامي، من الأفضل أن تأخذة أنت يا جاندالف، لأنني أجروّ على القول بأنه يمكنك العثور على فائدة له.

قال الساحر: يمكنني فعلاً! لكن نقتسمه مناصفة! فقد تجد أن لك احتياجات أكثر ممّا تتوقّع.

لذلك وضعنا الذهب في أكياس وعلّقاه على المهور التي لم تكن مسرورة به على الإطلاق. بعد ذلك أصبح مسيرهم أبطأ، لأنهما أصبحا يمشيان سيراً على الأقدام غالبية الوقت. لكنّ الأرض كانت خضراء وهناك الكثير من العشب، الذي كثيراً ما تنزّه عليه الهوبيت بتمام الرضا. مسح وجهه بمنديل من الحرير



الأحمر، لا! لم ينجُ أي واحدٍ من مناديله، لكنه استعار هذا من إيلروند. لأن شهر  
حزيران قد جلب الصيف معه، وأصبح الطقس صافياً وحاراً من جديد.  
وكما تأتي الأشياء إلى نهايتها، كذلك هذه الحكاية، أخيراً جاء اليوم عندما  
كانا على مرمى البصر من البلد الذي وُلِدَ وترعرع فيه بيلبو، حيث كانت  
الأرض والأشجار معروفة له مثل يديه وقدميه. وصلا إلى المرتفعات فأصبح  
باستطاعة بيلبو رؤية تلتته من بعيد، فتوقَّف فجأةً وقال:

تمضي الطرقات دائماً،  
فوق الصخور وتحت الشجر،  
عبر الكهوف حيث لا تُشرق الشمس،  
عبر الجداول التي لن تصل إلى البحر،  
فوق الثلوج التي نثرها الشتاء،  
وعبر زهور حزيران البهيجة  
فوق العشب وفوق الحجر،  
وتحت الجبل بضوء القمر،  
أبدًا تمضي الطرقات  
تحت النجم وتحت الغيم  
مع ذلك فقد اختفت الأقدام المرتحلة  
من بعيدٍ استدارت أخيراً نحو البيت.  
الأعين التي رأت السيف والنار  
والرعب في القاعات الحجرية  
تنظر أخيراً إلى المروج الخضراء  
والأشجار والتلال التي عرفوها من زمانٍ طويل.

نظر إليه جاندالف وقال: عزيزي بيلبو! شيء مهمٌ بالنسبة إليك! أنك لم تعد ذلك الهوبيت الذي كنت عليه.

وهكذا عبرا الجسر ومن ثمَّ من جانب المطحنة التي على ضفَّة النهر وعادا مباشرة إلى باب بيلبو. الذي صرخ وقال: يا إلهي! ماذا يحدث؟

كانت هناك ضجَّة كبيرة، وأناسٌ من جميع الأنواع، محترمين وغير محترمين، متجمِّعين حول الباب، كما لاحظ بيلبو، بأنَّ أكثرهم كانوا يدخلون ويخرجون، حتَّى إنهم لم يمسحوا أقدامهم على السجادة.

إذا كان هو متفاجئٌ، فقد كانوا هم أكثر اندهاشًا. لقد عاد في منتصف المزاد! كانت هنالك ملاحظة كبيرة باللونين الأحمر والأسود معلَّقة على البوابة، تفيد أنه في الثاني والعشرين من حزيران، سيبيع السادة غراب، غراب، وبوروس، عن طريق المزاد العلني، متاع الراحل بيلبو باجينز المحترم، من باج إيند، أسفل التلِّ، هوبيتون. يبدأ البيع في تمام الساعة العاشرة.

لقد حان الآن وقت الغداء تقريبًا، وقد بيعت بالفعل معظم الأشياء، بأسعار مختلفة، من لا شيء تقريبًا للأغاني القديمة (كما هو معتاد في المزادات). في الواقع، كانت عائلة ساكفيل باجينز وهم أبناء عمِّ بيلبو، مشغولين بقياس عُرف بيته لمعرفة ما إذا كان أثاثهم مناسبًا لها. باختصار كانوا يعتبرون بيلبو ميتًا، ولم يتأسَّف أحد منهم لأن الافتراض كان خاطئًا.

خلقت عودة السيِّد بيلبو باجينز اضطرابًا كبيرًا سواء تحت التلِّ أو فوق التلِّ، وعبر ذا ووتر، لقد كانت أكبر بكثير من «عجبية الأيام التسعة» (وهو متلٌّ يُضرب لأمر يتحدَّث به الناس لفترة ومن ثمَّ ينسوه). في الواقع لقد استمرَّت المعاناة القانونية لعدَّة سنوات، ومرَّ وقت طويل قبل أن يُعترف بأنَّ السيِّد بيلبو باجينز لا يزال على قيد الحياة.

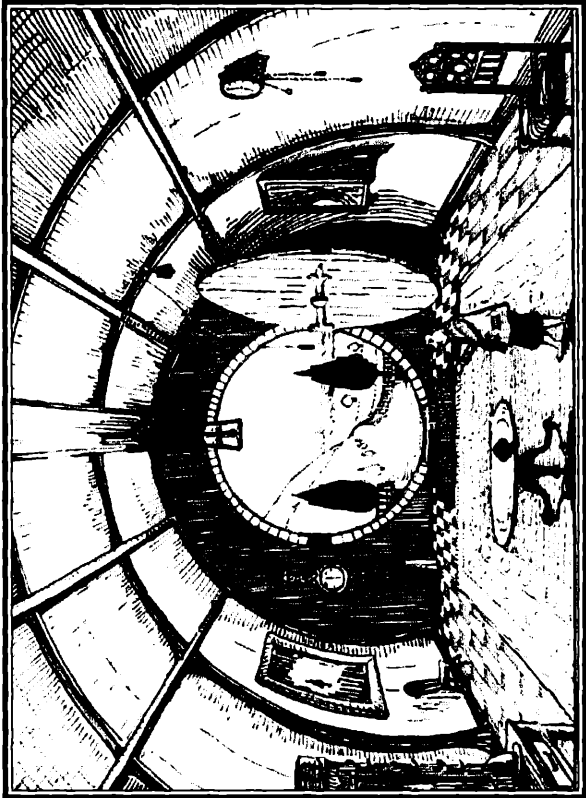
الأشخاص الذين حصلوا على صفقات جيدة في البيع أخذوا وقتًا طويلًا للاقتناع. في النهاية، ومن أجل توفير الوقت، اضطرَّ بيلبو إلى إعادة شراء الكثير من أثاثه الخاص. اختفى الكثير من ملاعقه الفضيَّة في ظروفٍ غامضة ولم تُحتسب مطلقًا. شخصيًا كان يشكُّ في عائلة ساكفيل باجينز. وهؤلاء من

جانبهم لم يعترفوا مطلقًا بأنَّ هذا الباجينز العائد حقيقي. ولم يكونوا على علاقة ودِّيَّة مع بيلبو بعد ذلك قط. حقيقةً لقد رغبوا بشدَّة في السكن في هوبيتول الرائعة الخاصَّة به.

في الحقيقة وجد بيلبو أنه فقد أعلى ما هو من الملاق، لقد فُقد سُمعته. صحيح أنه ظلَّ صديق الجان مدى الحياة، وكان يتمنَّع باحترام الأقرام والسحرة وجميع الأقوام الذين مرَّ بهم في ذلك الطريق. لكنه لم يعد محترمًا في وطنه. في الحقيقة، لقد اعتبِرَ من قِبَل جميع الهوبيت في الحي بأنه غريب، باستثناء أبناء وبنات لإخوته وأخواته من جهة آل توك. لكن حتَّى هؤلاء لم يشجَّعهم كبارهم على الصداقة معه. يؤسفني القول إنه لم يكن يهتم لذلك. فقد كان راضيًا تمامًا. وكان صوت الغلّاية على موقده أكثر موسيقية ممَّا كانت عليه في الأيام الهادئة التي سبقت الحفلة غير المتوقَّعة. علَّق سيفه على رفِّ الموقد. وربَّتْ سترته المدرعة على حامل في الصالة (حتَّى أعارها للمتحف). وأنفق الكثير من ذهبه وفضَّته على الهدايا، سواء كانت مفيدة أو باهظة الثمن، والتي تؤكِّد مدى اعتبار عاطفته تجاه أبناء وبنات إخوته. واحتفظ بخاتمه السحري في سرِّيَّة كبيرة، لأنه كان يستخدمه بشكلٍ رئيسي عندما يأتيه الزوَّار الكريهون.

تولَّى كتابة الشعر وزيارة الجان، وعلى الرغم من أنَّ الكثيرين هزُّوا رؤوسهم ولمسوا جباههم وقالوا بحسرة عليه: العجوز المسكين باجينز! وعلى الرغم من أنَّ قَلَّة صدَّقوا أيَّ من حكاياته، فإنه ظلَّ سعيدًا جدًّا حتَّى آخر أيامه، والتي كانت طويلةً جدًّا.

في إحدى أمسيات الخريف وبعد ذلك ببضعة سنوات، كان بيلبو جالسًا في مكتبه يكتب مذكِّراته، وقد فُكِّر في تسميتها «رُحْتُ وجنَّتُ، عَطَلْتُ هوبيت»، عندما رنَّ جرس الباب، لقد كان جاندالف ومعه قزم، كان هذا القزم في الواقع هو بالين.



الصالة الرئيسية في باج إيند، مسكن السيد المحترم. بيلبو باجينز

قال بيلبو: تفضُّلاً! تفضُّلاً! وسرعان ما جلسوا على الكراسي بجانب الموقد، وقد لاحظ بالين بأنَّ صدرية السيِّد باجينز أصبحت أكثر اتساعاً (وكان بها أزرار ذهبية حقيقية)، وبدوره لاحظ بيلبو بأنَّ لحية بالين صارت أطول بعدة بوصات، وحزامه المرصَّع بالجواهر كان في غاية الروعة.

لقد انسجموا في الحديث عن أوقاتهم معاً، بالطبع، سأل بيلبو عن كيفية سير الأمور في أراضي الجبل. يبدو أنها كانت تسير على خير ما يرام. كان بارد قد أعاد بناء المدينة في ديل واجتمعت إليه الناس من البحيرة ومن الجنوب والغرب، وعاد الوادي مزروعاً من جديد وغنيّاً، وامتلأت الخرائب بالطيور والأزهار في الربيع وبالفاوكا والاحتفالات في الخريف. وأعيد تأسيس ليك تاون فأصبحت أكثر ازدهاراً من قبل، وصعدت ونزلت عبر نهر رانينج الكثير من الثروات. في تلك الأثناء كانت علاقات الصداقة قائمة بين البشر والجان والأقزام.

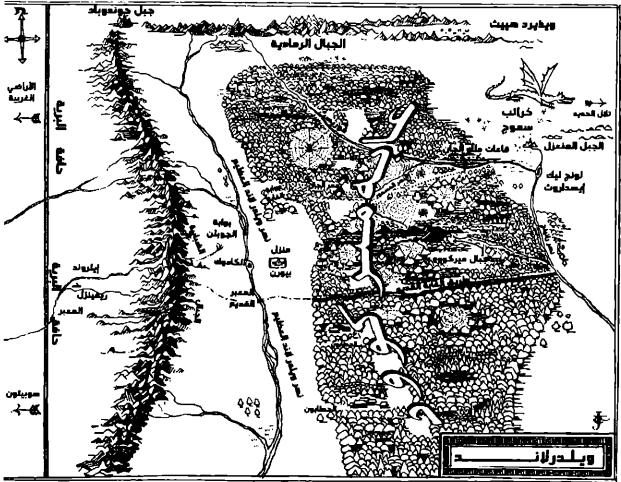
كان حاكم البحيرة العجوز قد انتهى إلى مصير سيئ، فبعدما أعطاه بارد الكثير من الذهب لمساعدة سگان البحيرة، ولكن ولأنه من النوع الذي يصاب بسهولة بمثل هذا المرض، فقد وقع تحت مرض التنين، فأخذ معظم الذهب وهرب به، إلى أن مات جوعاً في الأراضي القاحلة بعد أن هجر أصحابه.

قال بالين: إن الحاكم الجديد من النوع الحكيم ويحظى بشعبية كبيرة، لأنه بالطبع، صاحب الفضل الأكبر في الازدهار الحالي. إنهم يؤدُّون أغانٍ تقول بأنَّ الأنهار في أيامه تجري بالذهب.

فقال بيلبو: إذن لقد تحقَّقت نبوءات الأغاني القديمة، وفق صياغة جديدة! قال جاندالف: طبعاً! ولم لا تتحقَّق؟ بلا شك أنت لا تنكر النبوءات، لأنك أنت نفسك لك يدٌ في إنجازهم؟ أنت لا تفترض حقاً، بأنَّ كلَّ مغامراتك ونجاتك تمَّت إدارتها بمجرد الحظِّ، فقط من أجل مصلحتك الشخصية، أليس كذلك؟ أنت شخصٌ طيب للغاية يا سيِّد باجينز، وأنا أحبُّك، لكنك بالنهاية لست سوى شخص صغير تماماً في عالمٍ واسع!

- الشكر لله! قالها بيلبو مُبتسماً، وسلَّمه جرَّة التبغ.

{تمَّت}



خريطة ويلدرلانند



جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد  
<https://t.me/twinkling4>









## ج. ر. ر. تولكين

جون رونالد رويل تولكين 1892-1973 عالم لغوي إنجليزي وكاتب روائي وشاعر وأستاذ جامعي في جامعة أوكسفورد. اشتهر بأعماله المترابطة في عالم الأرض الوسطى وأشهرها الهوبيت وسيد الخواتم ثم السيلماريليون التي نُشرت بعد وفاته على يد ابنه كريستوفر. قدمت فيها ابتكارات أدبية غير مسبقة مثل اختراع لغة كاملة (كلغة الجن) وبناء عالم معقد بتاريخه وقواعده الخاصة الممتدة على عدة روايات، وهو ما أثر في الكتابة الخيالية في العالم بأكمله وكان أول (كون خيالي) في الأدب الحديث. يُعد تولكين من أهم الكتاب الإنجليز عبر التاريخ وأعماله من الأكثر مبيعاً منذ صدورها حتى اليوم.

أعمال أخرى للكاتب:



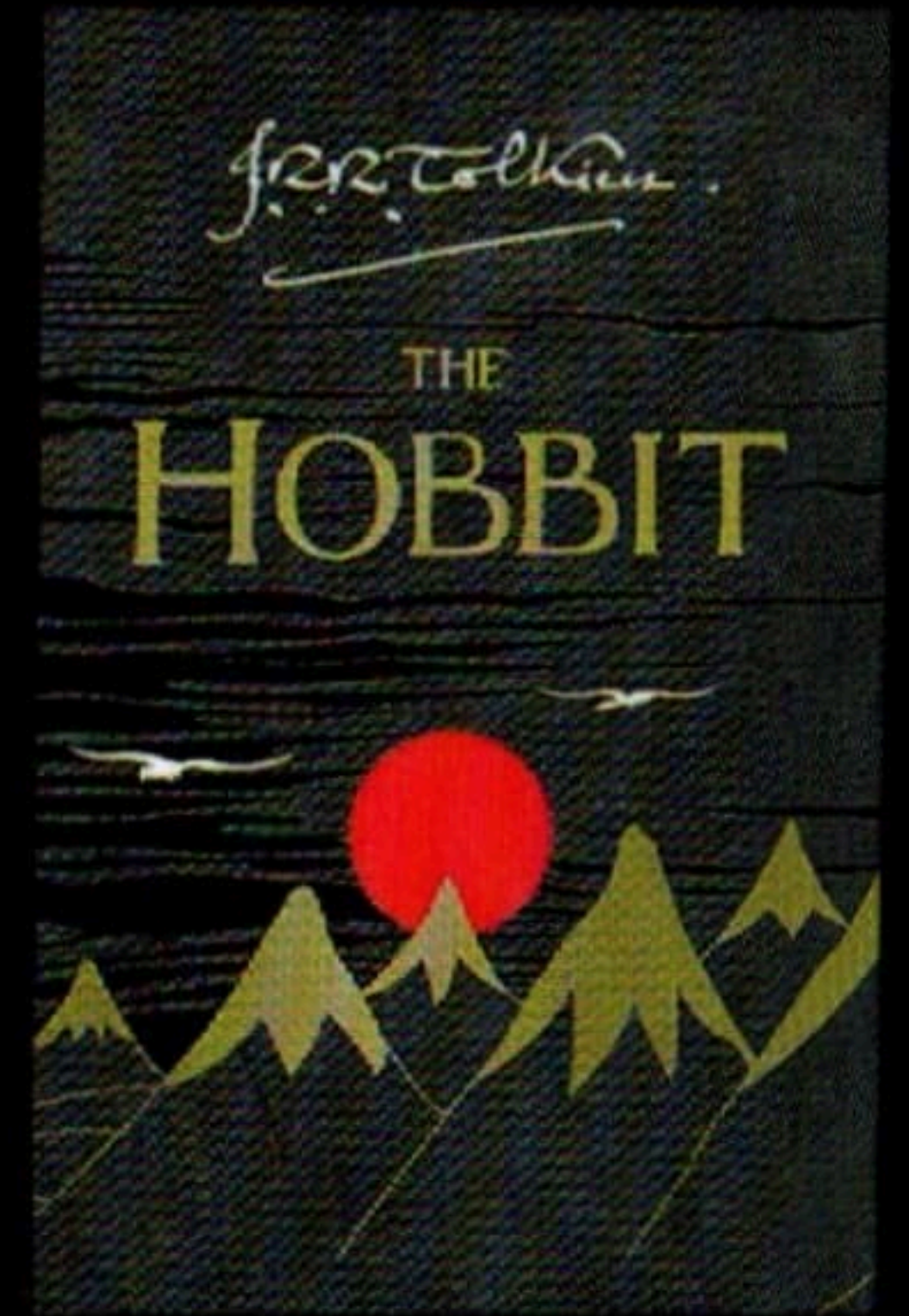


# الهوبيت THE HOBBIT J.R.R. Tolkien

"أتمنى لو أعود إلى هوبيتول الخاصة بي بجانب موقدي الدافئ والمصباح المضاء!"

غالبًا ما تمنى أيضًا لو يتمكن من إرسال رسالة إلى الساحر يطلب فيها المساعدة، لكن هذا بالطبع مستحيل تمامًا، وسرعان ما أدرك أنه إذا كان يتعين فعل أي شيء، فيجب أن يتم ذلك من قبل السيد باجينز وحده، ومن دون مساعدة من أحد.

يُعد تولكين أبًا للفانتازيا الحديثة، فقد غيرت عوالم الخيال بعد نشره للهوبيت، ثم ثلاثية سيد الخواتم ليفتح الباب لعوالم جديدة يعترف بفضلها عظماء هذا اللون. فحين قصّ على أطفاله مغامرات هذا الهوبيت الصغير المرتبك الذي يخوض مغامرة بعيدة عن منزله الآمن، فقد صنع عملاً يجمع بين متعة الحكايات وإبهار الخرافات ومشقة بناء عالم أدبي جديد.



تصميم الغلاف كريم آدم



www.aseeralkotb.com  
contact@aseeralkotb.com  
aseeralkotb  
aseeralkotb  
aseeralkotb

